

العقود الفريدة

تأليف

الفيقيه احمد بن محمد بن عبد الله الاندلسي

بمحقق

محمد سعيد العريان

الجزء الثاني



العقود القريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ترية الإندلسي

المتوفى سنة ٨٢٢٨

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الثالث

يطلب من

الكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

كِتَابُ الْجَوْهَرَةِ فِي الْأَمْثَالِ

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

أبو عبد ربه

قد مضى قولنا في العلم والأدب وما يتولّد منهما ويُنسبُ إليهما من الحكم

النادرة ، والفِطْنِ البارعة .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال ، التي هي وشى الكلام وجوهرُ
اللفظِ ، وحلى المعاني ، والتي تحبّرتُها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطقَ بها كلُّ زمان
وعلى كل لسان . فهي أبقى من الشعر ، وأشرفُ من الخطابة ، لم يسرْ شيءٌ مسيرها ،
ولا عمٌّ عمومها ، حتى قيل : أسيرٌ من مثل .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثلٌ سائرٌ ، يعرفه الجاهلُ والخائرُ

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه ، وضربها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كلامه . قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ . ومثل هذا كثير في
آي القرآن :

فأول ما نبدأ به : أمثالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمثال العلماء ،
ثم أمثال أكرم بن صيفي ويزر جهر الفارسي ؛ وهي التي كان يستعملها جعفر بن يحيى
في كلامه ؛ ثم أمثالُ العرب التي رواها أبو عبيد ، وما أشبهها من أمثال العامة ؛ ثم
الأمثال التي استعملها الشعراء في أشعارهم في الجاهلية والإسلام .

أمثال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ضربَ اللهُ مثلاً صِراطاً مُستقيماً ، وعلى جَنبي الصراط أبوابٌ مفتحة ، وعلى الأبواب ستورٌ مرخية ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوجوا . فالصراط الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، والداعي القرآن .

وقال صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كالحلابة من الزرع : يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا . ومثل الكافر مثل الأرزة المجذبة على الأرض ، يكون انجمافها بمرّة .

وسأله حذيفة : أبعد هذا الشر خير يا رسول الله ؟ فقال : جماعة على أقداء ، وهُدنة على دُخَن .

- وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها ، فقال : إن مما يُبْت الرِيحُ ما يُقتل حَبَطاً أو يُلَم .

وقال لأبي سفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا : كلُّ الصيد في جوف الفرا .
وقال حين ذكر الغلو في العبادة : إن المُنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .
وقال صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدّين . قالوا : وما خضراء الدّين؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وذكر الربا في آخر الزمان ، وافتتان الناس به ، فقال : من لم يأكلهُ أصابه عُبارُهُ .

وقال الإيمانُ قيدَ الفتك .

وقال صلى الله عليه وسلم : الولد للامراش وللدهر الحجر .

وقال في فرس : وجدُّته بَحْرًا .

وقال : إن من البيان لسِحْرًا .

لوقال : لا ترفع عصاك عن أهلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وقال : الحرب خدعة .

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : أمثال كثيرة غير هذه ، ولكننا لم نذهب

في كل باب إلى استقصائه ، وإنما ذهبنا إلى أن نكتفي ببعض ، ونستدل بالقليل
على الكثير ، ليكون أسهل مأخذاً للحفظ ، وأبرأ من المبالغة والهرب . وتفسيرها :

أما المثل الأول ، فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : المؤمن كالخامة والكافر كالأرزة ، فإنه شبه المؤمن في تصرف

الأيام به وما يناله من بلائها ، بالخامة من الزرع يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا -

والخامة في قول أبي عبيد : القصب الرطبة من الزرع ؛ والأرزة : واحدة الأرز ،

وهو شجر له ثمر يقال له الصنوبر . والمجذبة : الثابتة ، وفيها لغتان : جذا يجذو ،

وأجذى يجذى . والانجماف : الانقلاع ، يقال جمعت الرجل ، إذا قلعت وصرعته

وضربت به الأرض .

وقوله الخديفة : هُدنة على دخن وجماعة على أقداء . أراد ما تنطوى عليه القلوب

من الضغائن والأحقاد ، فشبه ذلك بإغضاء الجفون على الأقداء . والدخن : مأخوذ

من الدخان ، جمعاً مثله لما في الصدور من الغل .

وقوله : إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِم . فالحبط - كما ذكر أبو عبيدة

عن الأصمعي : أن تأكل الدابة حتى ينفخ بطنها وتمرض منه ، يقال : حبطت

الدابة تحبط حبطاً . وقوله : أو يُلِم . معناه : أو يقرب من ذلك . ومنه قوله : إذ ذكر

أهل الجنة فقال : إن أحدهم إذا نظر إلى ما أعد الله له في الجنة فلولا أنه شيء

قضاء الله له لآلم أن يذهب بصره ، يعنى لما يرى فيها . يقول : تقرب أن

يذهب بصره .

وقوله لأبي سفيان : كل الصيد في جوف الفرا . فعناه أنك في الرجال كالقرا

في الصيد ، وهو الحمار الوحشي ، وقال له ذلك يتألفه على الإسلام .

وقوله حين ذكر الغلو في العبادة : إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .
يقول : إن المُنْعَدَّ في السير إذا أفرط في الإغناذ عَطِيت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته أو يقضى سفره ، فشبه بذلك مَنْ أفرط في العبادة حتى يبقى حسيراً .

وقوله في الربا : من لم يأكله أصابه غباره . إنما هو مثل لما ينال الناس من حرمة ، وليس هناك غبار .

وقوله : الإيمان قيد الفتك . أى منع منه كأنه قيد له . وفي حديث آخر : لا يفتك مؤمن .

وقوله في فرس : وجدته بجرا . وإن من البيان لسحرا : إنما هو تمثيل لا على التحقيق .

وكذلك قوله : الولد للفراش وللعاهر الحجر . معناه أنه لاحق له في نسب الولد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ترفع عصاك عن أهلك . إنما هو الأدب بالقول ، ولم يرد ألا ترفع عنها العصا .

وقوله : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . معناه أن لدغ مرة يحفظ من أخرى .

وقوله : الحرب خدعة . يريد أنها بالمكر والخديعة .

أمثال روتها العلماء

ابن بشر على
منبر الكوفة

خطب النعمان بن بشير على منبر بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة ، إني وجدتُ
مَثَلِي وَمَثَلَكُمْ كَالضَّبِّعِ وَالنَّعْلِبِ أَتْيَا الضَّبَّ فِي جُحْرِهِ ، فَقَالَا : أَبَا حَسَلٍ . قَالَ :
أَجْبَتِكَا^(١) قَالَا : جِئْنَاكَ نَخْتَمُ . قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤَوَّى الْحَكَمُ . قَالَتِ الضَّبَّعُ : قَتَعْتُ
عَيْنِي^(٢) ، قَالَ : فِعَلِ النِّسَاءِ فَعَلْتِ . قَالَتْ : فَلَقَطْتُ تَمْرَةَ . قَالَ : حُلُوءًا جَنَيْتِ .

(١) في بعض الاصول : « أجبتا ، » .

(٢) في بعض الاصول : « عيني ، » .

قالت : فاخطفها ثُمالة . قال : نفسه بِنَفْسٍ ^(١) - ثُمالة اسم الثعلب ، الذكور والأنثى -
 قالت : فلطمته لطمه . قال حقاً قضيت . قالت : فلطمني أخرى . قال : كان
 حُرّاً فانتصر . قالت : فاحكم الآن بيننا . قال حدثت امرأة حديثين فإن لم
 تفهم فأربعة ^(٢) .

- وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق : وِدِدْتُ والله لو أن لي بكم من أهل
 الشام صَرَفَ الدينار بالدرهم . قال له رجل منهم : أتدرى يا أمير المؤمنين
 مامثلنا ومثلكم ومثل أهل الشام ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : ما قاله أعشى بكر
 حيث يقول :

عَلَّقْتُهَا عَرَضاً وَعُلِقْتُ رُجُلًا هـ غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَرَهَا الرَّجُلُ

- ١٠ أحبيتك نحن ، وأحيت أنت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك
 ابن مروان .

مثل في الرياء

- يحيى بن عبد العزيز : قال : حدثني نعيم عن اسماعيل عن رجل من ولد
 أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، عن وهب بن منبه قال : نَصَبَ رجل من
 بني إسرائيل فَعَنًا ، فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالي أراك مُنْحَبًا ؟
 قال : لكثرة صلاتي انْحَبَيْتُ . قالت : فما لي أراك بادية عظامك ؟ قال : لكثرة
 صيامي بَدَّتْ عظامي . قالت : فما لي أرى هذا الصُّوفَ عليك ؟ قال : لزهادتي
 في الدنيا لِدَسْتِ الصُّوفِ . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأُ عليها
 وأقضي بها حوائجي . قالت : فما هذه الحبة في يدك ؟ قال : قُرْبَانٌ إن مَرَّ بي
 مسكينٌ ناوله إياه . قالت : فإني مسكينٌ ا قال : نخذيها . فدنيت قبضت على الحبة ،
 فإذا الفخ في عنقها . فجعلت تقول : قَمِي قَمِي . تفسيره : لا غرني ناسك مُرَاءٍ
 بغيرك أبدا .

فخ الإسرائيل
 والعصفورة

(١) في مجمع الأمثال : و لنفسه بنى الخير .

(٢) ويروى : و فاربعة ، أى كذب .

داود بن أبي هند عن الشعبي : أن رجلا من بني إسرائيل صاد قُبْرَةَ ، فقالت : اسرايلى وقبرة
 ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك فأكلك ! قالت : والله ما أشقى من قرم ولا أغنى
 من جوع ، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلى : أما الواحدة فأعلمكها
 وأنا في يدك ، والثانية إذا صرت على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل .
 ٥ قال : هات الأولى ، قالت : لا تلهفن على ما فاتك . غلّى عنها ؛ فلما صارت فوق الشجرة
 قال : هات الثانية . قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون . ثم طارت فصارت
 على الجبل ، فقالت : يا شقي ! لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتى ذرة فيها زنة
 عشرين مثقالا . قال : فعصّ على شفّتيه وتلهّف ثم قال : هات الثالثة . قالت له :
 أنت قد نسيت الآنتين ، فكيف أعلمك الثالثة ؟ ألم أقل لك لا تلهفن على
 ١٠ ما فاتك ؟ فقد تلهفت على إذ فُتكت ، وقلت لك . لا تصدقن بما لا يكون ،
 أنه يكون ! فصدقت ! أنا وعظمى وريشى لا أزن عشرين مثقالا ، فكيف يكون
 في حوصلتى ما يزنها ؟

وفي كتاب للهند : مثل الدنيا وآفاتِها ومخاوفها والموت والمعاد الذي إليه . من أمثال العرب
 مصير الإنسان :

١٥ قال الحكيم : وجدت مثل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات ، مثل
 رجل ألجأه خوف إلى بئر تدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ، ووقعت
 رجلاه على شيء فذهما . فنظر فإذا بجحّيات أربع قد أطلعن رؤوسهن من جُحورهن ،
 ونظر إلى أسفل البئر فإذا بثعبان فاغر فاه نحوه ، فرفع بصره إلى الغصن الذي
 يتعلق به فإذا في أصله جُرذان أبيض وأسود يفرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛
 ٢٠ فبينما هو معتم بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته ، إذ نظر فإذا بجانب منه جُحر نحل
 قد صنعن شيئا من عسل ، فطاعم منه فوجد حلاوته ، فشغلته عن الفكر في أمره
 والناس النجاة لنفسه ، ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات لا يدرى من تُساوره
 منهن ، وأن الجرذين دائبان في قرص النصب الذي يتعلق به ، وأنهما إذا قطعاه
 وقع في لهوة التنين . ولم يزل لاهيا غافلا حتى هلك .

قال الحكميم : فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف بالبئر : وشبهت الاخلاط التي نبي جسد الإنسان عليها ، من المزتين والبلغم والدم بالحيات الأربع وشبهت الحياة بالغصنين اللذين تعلق بهما وشبهت الليل والنهار ودورانهما في إفناء الأيام والأجيال بالجرذين الأبيض والأسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛ وشبهت الموت الذي لا بد منه بالتنين الفاعر فاه ؛ وشبهت الذي يرى الإنسان ويسمع ويطعم ويلبس فيلبيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مصيره بالعسيلة التي تطاعمها .

✓ من ضرب به المثل من الناس

قالت العرب : أسخى من حاتم ، وأشجع من ربيعة بن مُكدم ، وأدهى^(١) من قيس بن زهير . وأعز من كليب بن وائل . وأوفى من السموأل . وأذكى من لباس بن معاوية . وأسود من قيس بن عاصم . وأمنع من الحارث بن ظالم . وأبلغ من سُبحان بن وائل . وأحلم من الأحنف بن قيس وأصدق من أبي ذر الغفاري . وأكذب من مسيلة الخفي . وأغيا من باقل . وأمضى من سليك المقاب . وأنعم من خريم الناعم . وأحق من هبنقة . وأفك من البراض .

١٥ | من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأم من البسوس . وأحق من دعة . وأمنع من أم قرة وأقود^(٢) من ظلة ، وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيان ، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التي يقال لها حرب البسوس .

(١) في بعض الاصول : وأنكى .

(٢) في بعض الاصول : د وأذنى .

وأم قرقة : امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان يُعَلَّقُ في بيتها
خمسون سيفاً كل سيف منها لذي تحرم لها .

ودعة : امرأة من عجل بن لجيم ، تزوجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم .

وزرقاه بنى نُمير : امرأة كانت بالنيامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن ، وتنظر

الراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تُنذر قومه الجيوش إذا غزتهم ، فلا يأتهم

جيش إلا وقد استعدوا له ، حتى آحتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا

شجراً أمسكوه أمامهم بأيديهم ، ونظرت الزرقاه فقالت : إني أرى الشجر قد أقبل

إليكم . قالوا لها : قد خرفت ورق عقلك وذهب بصرك . فكذبوها ، وصبحتهم

الحيل وأغارت عليهم وقتلت الزرقاه . قال : فقوروا عينها فوجدوا عروق عينها

قد غرقت في الإمد من كثرة ما كانت تستحل به .

وظلمة : امرأة من هذيل زنت أربعين عاماً ، فلما عجزت عن الزنا والقود

أتخذت تيساً وعنزاً ، فكانت تُتهزى التيس على العنز ، فقيل لها : لم تفعلين ذلك ؟

قالت : حتى أسمع أنفاس الجماع .

ما تمثلوا به من البهائم

قالوا : أشجع من أسد . وأجبن من الصَّافِرِ . وأمضى من ليثٍ عِفْرَيْنِ .

وأحذر من غرابٍ . وأبصر من عقابٍ . وأزهى من ذبابٍ . وأذلُّ من قرادٍ

بمديمٍ . وأسمع من فرسٍ . وأنومٌ من فهدٍ . وأعمرٌ من ضبٍ . وأجبن من صفردٍ .

وأحقد من جملٍ . وأضرعٌ من سنورٍ . وأسرق من زبابةٍ . وأصبر من عودٍ

وأظلم من حيةٍ . وأحنُّ من نابٍ . وأكذب من فاخنةٍ . وأعزٌّ من بيض الأنوق .

وأجوع من كلبة حوملٍ . وأعزُّ من الأبلق العقوق .

الصارف : ذو الصفير من الطير . العود : المُسن من الجمال . والأنوق : طير

يقال إنه يبيض في الهواء ، والزبابة : الفأرة تسرق دود الحرير ، وفاخنة : طير

يطير بالرطب في غير أيامه .

ما يضرب به المثل من غير الحيوان

- قالوا : أهدى من النجم . وأجود من الدَّيْمِ . وأصبح من الصُّبح .
 وأتمح من البحر . وأنور من النهار . وأسود من الليل . وأمضى من السَّيل .
 وأحق من رجلة . وأحسن من دُمية . وأنزّه من روضة . وأوسع من
 الدهناء . وآنس من جدول . وأضيق من قرار حافر . وأوحش من مفازة .
 ٥ وأثقل من جبل . وأبق من الوحي في صمّ الصلاب . وأخف من ريش
 الحواصيل .

ومما ضربوا به المثل

- قولهم : قوس حاجب . وقُرطُ مارية . وحجّامُ ساباط . وشقائق
 النعمان . وندامة الكسعي . وحديثُ خرافة . وكثيرُ النطف . ونحفا حنين .
 ١٠ وعطرُ منشم .

أما قوس حاجب . فقد فسرنا خبره في كتاب الوفود .

وأما قرط مارية فإنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي
 وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار . وابنها الحارث الأعرج الذي ذكره
 النابغة بقوله :

١٥

٥ والحارثُ الأعرجُ خير الأنام ٥

وإياها يعنى حساز بن ثابت بقوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ٥ قبر ابن مارية الكريم المُفضّل

وأما حجّام ساباط ، فإنه كان يحجم الجيوش بنسبته إلى انصرافهم ، من شدة
 كساده ؛ وكان فارسياً . وساباط . هو ساباط كسرى .

- ٢٠ ونُسب شقائق النعمان إليه ، لأن النعمان بن المنذر أمر بأن تُحمى وتضرب
 قبة فيها استحسانا لها ، فنُسبت إليه ، والعرب تسميها الشَّقر .

وأما خرافة ؛ فإن أنس بن مالك يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لعائشة رضى الله عنها : إن من أصدق الأحاديث حديث خُراقة ، وكان رجلاً من بنى عُندرة سبته الجن ، وكان معهم ، فإذا استرقوا السمع أخبروه ، فيخبر به أهل الأرض فيجدونه كما قال .

وأما كز الذطف ، فهو رجل من بنى يربوع كان فقيراً يحمل الماء على ظهره فينطف ، أى يقطر ؛ وكان أغار على مالٍ بعث به باذان من اليمن إلى كسرى ، فأعطى منه يوماً حتى غربت الشمس ، فضربت به العرب المثل فى كثرة المال .

وأما حُفّا حنين ، فإنه كان إسكافاً من أهل الحيرة ، ساومه أعرابى بحُفنين فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد أن يغيظ الأعرابى ، فلما ارتحل أخذ أحد الحُفنين فألقاه فى طريق الأعرابى ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه . فلما مر الأعرابى بالحُفن الأول ، قال ما أشبه هذا بحُفن حنين لو كان معه صاحبه لأخذته . فلما مر بالآخر ندم على ترك الأول فأناخ راحلته ، وانصرف إلى الأول وقد كن له حُنين ، فوثب على راحلته وذهب بها ؛ وأقبل الأعرابى ليس معه غير حُفنى حُنين . فذهبت مثلاً .

وأما عِطر مَدثم ، فإنها كانت امرأة تبيع الحنوط فى الجاهلية ، فقيل للهنوم إذا تجاربوا : دَقُوا عِطْرَ مَدثَم . يُراد بذلك طيب الموتى .

وأما ندامة الكُسعى ، فإنه رجل رمى فأصاب ، فظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، فلما علم ندم على كسر قوسه . فضرب به المثل .

أمثال أ كثم بن صيفى وبزرجمهر الفارسى

العقلُ بالتَّجَارِبِ . العاصِبُ مُنَاسِبٌ . الصديقُ مَنْ صدق عينيه .
الغريبُ من لم يكن له حيبٌ ، رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريبٍ . القريبُ من قُرْبِ نَفْعِهِ . لو تكاشمتم ما تدانستم . خيرُ أهلكَ من كفاك . وخيرُ سلاحك ما وفاقك . خيرُ إخوانك من لم تخبره . رُبَّ غريبٍ ناصحٍ الجيبِ ؛

- وابنُ أبٍ متهمُ الغيب . أخوك من صدقك . الأخُ مرآةُ أخيه . إذا عزَّ أخوك
 فهو . مُكرمةُ أخوك لا يبطل . تباعدوا في الديارِ وتقاربوا في المحبة . أيُّ الرجالِ
 المهذب . من لك بأخيك كله . إنك إن فرجتَ لاقِ فرجا . أحسنُ يُحسنُ إليك .
 أرحمُ تُرحم . كما تُدينُ تُدان . من يُرَ يوما يُرَ به ، والدمرُ لا يُعترُّ به . عينُ
 عرفتُ فذرفت . في كلِّ خبيرةِ عبرة . من مأمِنه يؤتى الخدير . لا يعدو المرءُ
 رزقه وإن حرص . إذا نزلَ القدرُ عمى البصر : وإذا نزلَ الحينُ نزلَ بين الأذنِ
 والعين . الخمرُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ . الغناءُ رُقِيَةُ الزناهِ . القناعةُ مالٌ لا ينفد . خيرُ
 الغنى غنى النفس . مُنساقٌ إلى ما أنتَ لاقٍ . خذ من العافية ما أُعطيت ، ليس
 الإنسانُ إلا القلبَ واللسان . إنما لك ما أمضيت . لا تتكلمَ ما كُفيت . القلمُ
 أحدُ اللسانين . قلةُ العيالِ أحدُ اليسارين . ربما ضاقتِ الدنيا باثنين . لن تعدَمَ
 الحسنةُ ذاتما . لم يعدمِ الغاوى لائما . لا تكُ في أهلك كالجنّازة . لا تسخرُ من
 شيءٍ فيحورَ بك . آخرُ الشرِّ فإن شئتَ تعجّلتَه . صغيرُ الشرِّ يوشكُ أن يكبرُ .
 يُبصرُ القلبُ ما يعمى عنه البصر . الحرُّ حرٌّ وإن مَسَّ الضُّر . العبدُ عبدٌ وإن
 ساعده جد . من عرفَ قدرَه استبانَ أمرَه . من سرَّه بنوهُ ساءتَه نفسه . من
 تعظَّم على الزمانِ أهانه . من تعرَّض للسلطانِ أذراه ومن تطامنَ له تخطأه . من
 خطأ يخطو . كلُّ مبدولٍ ملول . كلُّ ممنوعٍ مرغوبٌ فيه . كلُّ عزيزٍ تحت القدرةِ
 ذليل . لكلِّ مقامٍ مقال . لكلِّ زمانٍ رجال . لكلِّ أجلٍ كتاب . لكلِّ عملٍ
 ثواب . لكلِّ نبيٍّ مُستقر . لكلِّ سرٍّ مستودع . قيمةُ كلِّ إنسانٍ ما يُحسِن .
 أطلبُ لكلِّ غلقٍ مفتاحا . أكثرُ في الباطلِ يكن حقا . عند القنطِ يأتي الفرج .
 عند الصباحِ يُحمدُ السرى . الصدقُ منجاةُ والكذبُ مهواة . الاعترافُ يهدمُ
 ٢٠ الاعتراف . ربُّ قولٍ أنفذُ من صول . ربُّ ساعةٍ ليس بها طاعة . ربُّ جملةٍ
 تُعقبُ ريثا . بعضُ الكلامِ أقطعُ من الحسام . بعضُ الجهيلِ أبلغُ من الحلم .
 ربيعُ القلبِ ما أشهى . الهوى شديدُ العمى . الهوى الإلهُ المعبود . الرأيُ نائمٌ
 والهوى يقظان ، غلبَ عليك من دعا إليك . لاراحةَ لحسود : ولا وفاءَ لملول .

لا سرورَ كطيِّبِ النفس . العمرُ أقصرُ من أن يحتملَ الهجر . أحقُّ الناسِ بالعفو
 أقدَرُهُم على العقوبة . خيرُ العِلْمِ مانِع . خيرُ القولِ ما اتبِع . البِطْنَةُ تُذهِب
 الفِطْنَةَ . شرُّ العمى عمى القلب . أوثقُ العُرَى كلمةَ التقوى . النساءُ حَبائِلُ
 الشيطان . الشبابُ شُعبَةٌ من الجنون ، الشقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطنِ أمه . السعيدُ من
 ٥ وعِظَ بغيره . لكل امرئٍ في بَدَنِهِ شغلٌ . من يَعْرِفُ البلاءَ يصبرُ عليه . المقاديرُ
 تُريكُ ما لا يخطرُ بِبالِكَ . أفضلُ الزَّادِ ما تَزوَّدُ للمعاد . الفحلُ أخمى للشوول .
 صاحبُ الحظوةِ غدا مَنْ بلغَ المدى . عواقِبُ الصبرِ محمودة . لا تُبْلَغُ الغاياتُ
 بالأمانِ . الصريمةُ على قدرِ العزيمة . الضعيفُ يُثني أو يذمُّ . من تفكَّرَ اعتبر .
 كم شاهدٍ لك لا ينطق ، ليس منك من غَمَّك . ما نظَرَ لأمريِّ مثلُ نفسه . مأسدٌ
 ١٠ فقركَ إلا ملكٌ يمينك . ما على عاقلٍ ضيعة . الغنى في الغربةِ وطن . والمقلُّ في
 أهلهِ غريب . أولُ المعرفةِ الاختبار . يدك منك وإن كانت سَلَامًا . أنفك منك
 وإن كان أجَدَع . من عُرِفَ بالكذبِ لم يجزُ صدقُه ، ومن عُرِفَ بالصدقِ جاز
 كذبه . الصعقةُ داعيةُ السقم . الشبابُ داعيةُ الهرم . كثرةُ الصياحِ من الغشَلِ .
 إذا قَدِمَتِ المصيبةُ تَرَكْتَ التعزية . إذا قَدِمَ الإخاءُ سَمِحَ الثناء . العادةُ أمَلِكُ من
 ١٥ الأدبِ . الرفقُ يُمنِّئُ والحرقُ شَرُّم . المرأةُ رِيحانةٌ وليست بقهرمانة . الدَّالُّ
 على الخيرِ كفاعله . المهاجرةُ قبلَ المناجزة . قبلَ الرمايةِ تُمَلَأُ الكنان . لكل
 ساقطةٍ لاقِطةٌ . مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيه . تَرَكُ الحركةَ غَمَلَةٌ . الصَّمتُ حُبْسَةٌ .
 من خَيْرِ خَيْرٍ أَنْ يُسَمَعَ بِمطر . كفى بالمرءِ خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا للخَوَانَةِ .
 قَيِّدُوا النِّعَمَ بالشكر . مَنْ يَزْرَعِ المعروفَ يَحْمَدُ الشكر . لا تغترَّ بِمَوَدَّةِ
 ٢٠ الأميرِ إذا غَمَّكَ الوزير . أعظمُ من المصيبةِ سوءُ الخِلاَفِ منها . من
 أراد البقاءَ فليوطنْ نفسه على المصائبِ . إلقاءُ الأحبةِ مَسْلاةٌ للهَمِ .
 قطيعةُ الجاهلِ كصلةُ العاقلِ . مَنْ رَضِيَ على نفسه كَثْرَ السَاخِطِ عليه . قَتَلْتَ أرضَ
 جاهلها ، وقَتَلَ أرضاً عارفها . أدوأُ الداءِ الخلقُ الدنيُّ واللسانُ البدي . إذا جعلك
 السلطانُ أخافاً جعله ربًّا . آحذرُ الأمينِ ولا تأمنِ الخائنِ . عندَ الغايةِ يُعرفُ السبِقُ .

- عند الرّمان يُحمّد المِضمار . السؤال وإن قلّ أكثر من النوال وإن جل . كافي
المعروف بمثله أو أنشره . لا خلة مع عيلة . لا مروءة مع ضرّ . ولا صبر مع
شكوى . ليس من العدل سرعة العذل . عبد غيرك حرّ مثلك . لا يعدّم الخيار
من استشار . الوضيع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أهرج .
كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع . كل إناء ينضح بما فيه . العادة طبع ثان . ٥

ومن أمثال العرب

مما روى أبو عبيد

- جزدناها من الآداب التي أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للآداب والمواعظ
كتاباً غير هذا ، وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال
المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير . فمن ذلك قولهم : ١٥

في حفظ اللسان

- لعمر بن عبد العزيز : التقي مُلجِم .
لأبي بكر الصديق : إن البلاء مُوَكَّل بالمنطق .
لابن مسعود : ماشيء أولى بطول سيجن من لسان .
لأنس بن مالك : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحترز من لسانه ولسان غيره . ١٥
احذر لسانك لا يضرب عنقك . جرح اللسان كجرح اليد . رُب كلام أقطع من
حسام . القول ينفذ ما لا تنفذ الإبر .
قال الشاعر :

وقد يُرجى لجرح السيف بُرء . ولا بُرء لما جرح اللسان

- اجتلبنا هذا البيت لأنه قد صار مثلاً سائراً للعامة . وجعلنا لأمثال الشعراء
في آخر كتابنا هذا باباً .

وقال أكرم بن صيفي : مَقْتَل الرجل بين فكّيه .

وقال : ربما أعلم فأذّر . يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم : لما يحذر من عاقبته .

إكثار الكلام وما يتقى منه

قالوا : مَنْ ضاق صدره اتسع لسانه . مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ - أَي خَرَجَ إِلَى الْهَجْرِ ، وهو القبيح من القول .

وقالوا : الْمِكْثَارُ كحَاطِبِ لَيْلٍ ، وحَاطِبُ اللَّيْلِ رِبْمَا تَهَشَّتْ الْحَيَّةُ أَوْ لَسَعَتْهُ الْعَقْرَبُ فِي احْتِطَابِهِ لَيْلًا .

وقالوا : أَوَّلُ الْعَيِّْ الْإِخْتِلَاطُ ، وَأَسْوَأُ الْقَوْلِ الْإِفْرَاطُ .

في الصمت

قالوا : الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وقالوا : عَيٌّْ صَامَتْ خَيْرٌ مِنْ عَيٍّْ نَاطِقٍ ، وَالصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ الْحَبِيَّةَ .

وقالوا : آسْتَكْتَرُ مِنَ الْهَيْئَةِ الصَّمُوتِ : وَالنَّدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ .

وقالوا : السُّكُوتُ سَلَامَةٌ .

ل القصد في المدح

منه قولهم : مَنْ حَفْنَا أَوْ رَفْنَا فَلْيَقْتَصِدْ . يقولون : مَنْ مَدَحْنَا فَلَا يَنْتَوْنُ فِي ذَلِكَ .

وقولهم : لَا تَهْرَفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ وَالْهَرْفُ : الْإِطْنَابُ فِي الْمَدْحِ وَالنَّهْيِ .

ومنهم قولهم : شَاكِيَةٌ أَبَا يَسَارٍ مِنْ دُونَ ذَا يَنْفُقُ الْحِمَارِ .

أخبرنا أبو محمد الأعرابي عن رجل من بني عامر بن صعصعة قال : لقي أبو يسار

رجلاً بالمربد يبيع حملاً ورجل يساومه : فجعل أبو يسار يطرى الحمار : فقال

المشترى : أعرفت الحمار ؟ قال : نعم . قال : كيف سيره ؟ قال يصطادُ به النَّعَامَ

معقولا . قال له البائع : شاكره أبا يسار ، من دون ذا ينفق الحار . والمشاكلة :
المقاربة والقصد .

صدق الحديث

منه قولهم : من صدق الله نجما .

ومنه قولهم : سبني وأصدق .

وقالوا : الكذب داء والصدق شفاء .

وقولهم : لا يكذب الرائد أهله معناه أن الذي يرتاد لأهله منزلا لا يكذبهم فيه .

وقولهم : صدقتي سن بكره . أصله أن رجلا ابتاع من رجل بعيرا ، فسأله

عن سنه . فقال له : إنه بازل . فقال له : أنخه . فلما أناخه قال : هدع هدع .

وهذه لفظة تسكن بها الصغار من الإبل . فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال :
صدقتي سن بكره .

ومنه قولهم : القول ما قالت حذام . وهي امرأة لجيم بن صعيب ، والد

حنيفة وعجل ، أبا لجيم ، وفيها قال :

إذا قالت حذام فصدقوها . فإن القول ما قالت حذام

من أصاب مرة وأخطأ مرة

منه قولهم : شخب في الإناء . وشخب في الأرض . شبه بالخالب الجاهل الذي

يقلب شخبا في الإناء وشخبا في الأرض .

وقولهم : يشج مرة ويأسو أخرى .

وقولهم : سهم لك وسهم عليك .

وقولهم : أطرق وميشي . والميش أن يخاط الشعر بالصوف . والمطراقة :

العود الذي يضرب به بين ما خلط .

سوء المسألة وسوء الاجابة

قالوا : أساء سمعاً فأساء جابةً . هكذا تحكى هذه الكلمة ، «جاية» بغير ألف ، وذلك أنه اسم موضوع يقال : أجابني فلان جابة حسنة ، فإذا أرادوا المصدر قالوا : إجابة ، بالألف .

وقالوا : حدثت امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة . كذا في الاصل ؛ والذي أحفظ : فاربعة ، أى أمسك .
وقولهم : إليك يساق الحديث .

من صمت ثم نطق بالفهاهة

قالوا : سكت ألفاً ونطق خلفاً . الخلف من كل شيء : الردى .

المعروف بالكذب يصدق مرة

وقولهم : من الخواطيئ سهم صائب . ورب رمية من غير رام .
وقولهم : قد يصدق الكذوب .

المعروف بالصدق يكذب مرة

قالوا : لكل جواد كبرة ، ولكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة ، وقد بعث الجواد ، ومن لك بأخيك كله ، وأى الرجال المهذب .

كتمان السر

قالوا : صدرك أوسع لسرك .

وقالوا : لا تُفش سرك إلى أمة ، ولا تببل على أكمة . يقول لا تُفش سرك إلى امرأة فتبديه ، ولا تببل على مكان مرتفع فتبدو عورتك .
ويقولون إذا أسروا إلى الرجل : اجعل هذا في وعاء غير سرب .
وقولهم سرك من دمك .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك السر ؟ فقال : ما صدرى إلا قبر .

انكشاف الأمر بعد اكتماله

قولهم : حَضَّصَ الحَقُّ

وقولهم : أبدى الصريح عن الرغوة . وفي الرغوة ثلاث لغات : فتح الراء ،
وضمها ، وكسرها .

وقولهم : صرح المنحَصُّ عن الزَّيْدِ .

وقالوا : أفرخ القوم بيضتهم . أى أخرجوا فرختها ، يريدون أظهروا سرهم .

وقولهم : برح الخفاء وكشِفَ الغطاء .

إبداء السر

قالوا : أفضيتُ إليك بشقورى . أى أخبرتك بأمرى ، وأطلمتكَ على سرى

وقولهم أخبرتكَ بعجري وُجْرى . أى أطلمتكَ على معابى ، والعجر : العروق
المنعقدة ، وأما البجر فهي في البطن خاصة .

وتقول العامة : لو كان في جسدى برص ما كنته .

الحديث يتذكر به غيره

قالوا : الحديث ذو شجون : وهذا المثل لضبة بن أد وكان له أبنان : سعد

وسعيد ، فخرجا في طلب إبل لهما ، فرجع سعد ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة كلما
رأى رجلا مقبلا قال : أسعد أم سعيد ، فذهبت مثلا . ثم إن ضبة بينما هو يسير

يوما ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام إذ أتى على مكان ، فقال له الحارث :

أترى هذا الموضع ؟ فإني لقيت قتي هيته كذا وكذا ، فقتلته وأخذت منه هذا

السيف . فإذا بصفة سعيد ، فقال له ضبة : أرنى السيف أنظر إليه . فناوله إياه فعرفه

فقال له : إن الحديث ذو شجون . ثم ضربه به حتى قتله . فلامه الناس في ذلك ،

وقالوا : أقتلت في الشهر الحرام ؟ قال : سبق السيف العذل . فذهبت مثلا .

ومنه : ذكَّرتني الطَّغْنُ وكنت ناسيا . وأصل هذا أن رجلا حمل ليقنل رجلا ،

وكان ييد المحمول عليه ربح ، فأنساه الدهش والجزع ما في يده ، فقال له الحامل :
ألقى الربح . قال الآخر : فإن ربحي كمعبي ، ذكرتني الطعن وكنت ناسيا . ثم كز
على صاحبه فهزمه أو قتله . ويقال : إن الحامل : صخر بن معاوية السامي أخو
الخنساء والمحمول عليه : يزيد بن الصعق .

٥ العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يديه

منه قولهم : رَبِّ سَامِعَ خَبْرِي لَمْ يَسْمَعْ عَذْرِي . وَرُبُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .
وَلَعَلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ .
وقولهم : المرء أعلم بشأنيه .

الاعتذار في غير موضعه

١٠ منه قولهم : تَرَكَ الذَّنْبَ أَيْسَرَ مِنَ التَّمَّاسِ العُدْرَ ، وَتَرَكَ الذَّنْبَ أَيْسَرَ مِنَ
طَلَبِ التَّوْبَةِ .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : أَعَنَّ صُبُوحُ تَرَقَّقُ .
ومنه قولهم : لِمَاكَ أَعْنِي وَأَسْتَمِي يَا جَارَةَ .

١٥ المن بالمعروف

قالوا : شَوَا أَخُوكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمَدٌ .
وقولهم : فَضَّلَ القَوْلَ عَلَى الفِعْلِ دَنَاءَةً ، وَفَضَّلَ الفِعْلَ عَلَى القَوْلِ مَكْرَمَةً .

الحمد قبل الاختبار

لَا تَحْمَدَنَّ أُمَّةً عَامَ اشْتِرَائِهَا وَلَا حُرَّةً عَامَ بِنَائِهَا .
٢٠ وقولهم : لَا تُتَهَرِّفْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ . يَقُولُ : لَا تَمْدَحْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَبِرَ .
وقولهم : أَوَّلُ المَعْرِقَةِ الاِخْتِبَارُ .

إنجاز الوعد

قالوا : أنجز حُرٌّ ما وعدَ .

وقولهم : العِدَّةُ عَطِيَّةٌ .

وقولهم : من آخرَ حاجةً فقد ضمَّها .

وقالوا : وعدُ الحرِّ فِعْلٌ ، ووعدُ اللّئيمِ تسويِّفٌ .

وقالت العامة : الوعدُ من العهدِ .

النهض من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا

حسبك من شرِّ سماعه . وما اعتذارك من شيء قيلَ .

الدعاء بالخير

١٠ منه قولهم للقادم من سفره : خيرٌ ما رُدُّ في أهلٍ ومالٍ؛ أى جملك الله كذلك .

وقولهم : بلغ الله بك أكلًا العُميرِ . أى أقصاه .

وقولهم : نعيمَ عوفك . أى نعيمِ بالك .

وقولهم فى النكاح : على بدءِ الخيرِ واليُمينِ .

١٥ وقولهم : بالرِّفاءِ والبنينِ . يريد بالرِّفاءِ : الكثرةَ ، يقال منه : رفاةٌ ، إذا دعوت له بالكثرة .

وقولهم : هُنَّت ولا تُنكَّ . أى أصابك خير ولا أصابك ضرر .

وقولهم : هَوَتْ أُمَّهُ ، وهبَلَتْهُ أُمَّهُ . يذعون عليه وهم يريدون الحمد له .

ونحوه قاتله الله ، وأخزاه الله ؛ إذا أحسن . ومنه قول امرئ القيس :

٢٠ ماله لا عدُّ من نقره .

تعبير الإنسان صاحبه بعيه

قالوا : رمَتْنى بِدائها وانسلَّتْ .

وقولهم : عَيْرٌ مُبَجَّرٌ مُجَرَّةٌ ، نِسِيٌّ مُبَجَّرٌ خَبْرَةٌ .

وقولهم : مُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ .

وقولهم : مُبَصِّرُ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَلَا تُبَصِّرُ الْجُدَعَ فِي عَيْنِكَ .

الدعاء على الإنسان

منه قولهم : فَأَمَّا لِيْفِكَ . يريد : الأرض لفيك .

وقولهم : يَفِيكَ الْحَجْرُ ، وَيَفِيكَ الْأَثْلُبُ .

وقولهم : لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ .

ولما أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسكران في رمضان ، وقال له :

للدين وللغم ^(١) : أَوْلِدَانَا صِيَامٌ وَأَنْتَ مُفْطِرٌ . وضربه مائة سوط .

ومنهم قولهم : لِجَنْبِيهِ فَلْيَكُنِ الْوَجْهُ . يريد الصرعة .

ومنهم قولهم : مِنْ كَلَا جَانِبِيكَ لَا لَبِيْكَ ، أَي لَا كَانَتْ لَكَ تَلْيِيَةٌ وَلَا سَلَامَةٌ

مِنْ كَلَا جَانِبِيكَ . والتليية : الإقامة بالمكان .

وقولهم : بِكَ لَا بَطْنِي . وقال الفرزدق :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيْمُهُ . بِهِ لَا بَطْنِي بِالصَّرِيْمَةِ أَغْفَرَا

ومنهم قولهم : جَدَعَ اللهُ مَسَامِعَهُ .

وقولهم : عَقْرًا حَلْقًا ، يريد عقره الله وحلقه .

ومنهم قولهم : لَا لَمَاءَ لَهُ : أَي لَا أَقَامَهُ اللهُ .

قال الأخطل :

* وَلَا لَمَاءَ لِبَنِي ذِكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا .

ولحييب :

صَفْرَاءُ صُفْرَةٌ صِحَّةٌ قَدْ رَكَبَتْ . جُنْمَانُهُ فِي ثَوْبٍ سُقْمٍ أَصْفَرِ

قَتَلْتَهُ يَرَاءَ ثُمَّ قَالَتْ جَهْرَةً * قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ لِابْنِ بَطْنِي أَغْفَرِ

(١) في بعض الأصول : د للبخرين .

رمى الرجل غيره بالمعضلات

منه قولهم : رمأه بأقحاف رأسه ، ورمأه بثالثة الأثافي ، يريد قطعة من الجبل يجعل إلى جنبها أثفيتان وتكون هي الثالثة .

ومنه : بالعضية والأفكة ، إذا رمأه بالبتان .

وقولهم : كأنما أفرغ عليه ذُوباً ، إذا كلفه كلمة يسكتها بها .

المكر والخلافة

منه قولهم : قتل في ذرؤته ، أي خادعته حتى أزاله عن رأيه .

قال أبو عبيد : وروى عن الزبير حين سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت

عليه : فما زال يفتل في الدرورة والغارب حتى أجابته .

وقولهم : ضرب أنحاساً لأسداس ، يريدون المناكرة .

وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرأ جئ عيلاًه وظل يضرِبُ أنحاساً لأسداس

ومنه قولهم : الذئبُ يادُو للغزال ، أي يختله ليوقمه .

اللغو والباطل

منه قولهم : جاء فلان بالثره . وجرى فلان السمه ، وهما من أسماء الباطل .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا من ددٍ ولا ددٌ مني ، وفيه ثلاث لئان :

ددٌ ، وددًا : مثل قفًا . وددن : مثل حزن .

خلف الوعد

منه قولهم : ما وعدُّه إلا برق حُلبٍ ، وهو الذي لا مطر معه .

ومنه ما وعدُّه إلا وعدُّ عرقوب . وهو رجل من العبايق أتاه أخوه يسأله

فقال : إذا أطلمت هذه النخلة فإلك طلعمها ، فأناه للعدة ، فقال : دعها حتى نصير

بإحبا . فلما أبلعت قال : دعها حتى تصير رطبا . فلما أرطبت قال : دعها حتى
تصير تمرا . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب فجزها ولم يعط أخاه شيئا ، فصارت
مثلا سائرا في الخلف .

قال الأعشى :

وعدت وكان الخلفُ منك سجيَّةً . مواعيدَ عُرُقوبِ أخاهُ يئثرِبُ ٥

اليمين الغموس

منه قولهم : جذَّها جذُّ العَيْرِ الصَّليانة . وذلك أن العير ربما اقتلع الصليانة
إذا ارتعاهما .

ومنه الحديث المرفوع : اليمينُ الغمُوسُ تدعُ الديارَ بلا قِمع . قال أبو عبيد :
اليمين الغموس هي المصبورة التي يوقف عليها الرجل فيحلف بها ؛ وسميت غموساً
لغمسها حالها في المأثم . ١٥

ومنه قولهم : اليمينُ سِجْنَتٌ أو مُنْدَمَةٌ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان حالِفاً فَلْيَحْلِفْ باللهِ .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم

في الرجل المبرز في الفضل ١٥

قولهم : ما يُشَقُّ غُبَارُهُ ، وأصله السابق من الخيل .

وقولهم : جرى المذكي حسرت عنه الحُمر ، أي كما يسبق الفرس القارحُ الحمر .

وقولهم : جرى المذكياتِ غلاي أو غلاب .

وقولهم : ليست له همةٌ دون الغايةِ القُصوى .

الرجل النديه الذكر ٢٥

قولهم : ما يُجَجِرُ فلان في العِكم . العِكم : الجواق ، يريد أنه لا يخفى مكانه .

وقولهم : ما يومُ حليمةَ بسترٍ وكانت فيه وقعة مشهورة قتل فيها المنذر بن

ماء السماء ، فضربت مثلاً لكل أمر مشهور .

وقولهم : أشهر من أبلق .

وقولهم : وهل يخفى على الناس النهار .

ومثله : وهل يخفى على الناظر الصبح .

وقولهم : وهل يجهل فلاناً إلا من يجهل القمر .

٥

الرجل العزيز يعز به الدليل

منه قولهم : إنَّ البُعَاثَ بأَرْضِنَا تَسْتَنْسِرُ . البُعَاثُ : صغار الطير ، تستنسر :

تصير نسورا .

وقولهم : لأحز بؤادى عوف . يريدون عوف بن مُحَلِّمَ الشيباني ، وكان منيعاً .

وقولهم : تمردَ مارد وعزَّ الأبلق . مارد : حصن بدومة الجندل ، والأبلق :

١٠

حصن السموأل .

وقولهم : من عزَّ بَزَّ . ومن قلَّ ذَلَّ . ومن أمرَ قَلَّ . أمر : كثر .

الرجل الصعب

منه قولهم : فلان ألوى بعيد المستمر .

وقولهم : ما بَلَّكُ منه بأفوق ناصل . وأصله السهم المكسور الفوق الساقط

١٥

النصل ، يقول : فهذا ليس كذلك .

وقولهم : ما يُقَمِّعُ لى بالشنان .

وقولهم : ما يُصْطَلَى بناره .

وقولهم : ما تُقَرَّنُ به الصَّعْبَةُ .

٢٠

النجد يلتقى قرنه

منه قولهم :

* إن كنتَ رِيحاً فقد لاقيتَ إعصاراً *

والحديد بالحديد يُفْلَح . والفلاح : الشق . ولا يُفَلُّ الحديد إلا الحديد . والنَّبْعُ
يَقْرَعُ بعضُهُ بعضاً . ورُمِيَ فلانٌ بحجره . أى قرن بمثله .

الأريب الدامى

هو هِترٌ أهتار ، وِضْلٌ أصلال . أصله من الحيات ، شبه الرجل بها .
ومثله : حية ذكر ، وحية واد .

وقولهم : هو عُضْلَةٌ من العُضَل . وهو باقِعَةٌ من البَوَاقِع . وَحَوْلٌ قَلْبٌ .
وَمُؤَدَمٌ مُبَشِّرٌ . يقول : فيه لين الأدمة ، وخشونة البشرة
وفلان يعلم من حيث تُؤَكَلُ الكَتِيفُ .

التنيه بلا منظر ولا سابقة

قال أبو عبيد : هو الذى تسميه العرب الخارجى ، يريدون : خرَجَ من غير
أولية كانت له . قال الشاعر :

ألا يامروا لست بخارجى ، وليس قديمٌ مجدك باتتعال

وقولهم : تسمع بالمعدي خبر من أن تراه . وهو تصغير رجل منسوب إلى معد .
وقالوا :

« نفسُ عصامٍ سوِّدتُ عصاماً »

الرجل العالم النحرير

قالوا : إنه لَنَقَابٌ . وهو الفَطِنُ الذكى .

وقالوا : إنه لِعِضٌّ . وهو العالم النحرير .

وقولهم : أنا جُذَيْلُهَا المَحْكُوكُ ، وَعُدَيْقُهَا المُرْجَبُ .

قال الأصمعى : الجذيل : تصغير الجذال ، وهو عود ينصب للإبل الجرباء .
لتحكك به من الجرب ، فأراد أن يُشَقِّقَ برأيه . والعُدَيْقُ : تصغير عُنُقٍ ، والعُدُقُ
- بالفتح - النخلة نفسها ، فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المسائل بناء

مرتفعاً يدعمها لكيلا تسقط ، فذلك الترجيب ، وصغرهما للدح .

ومثله قولهم : إنه لجذل حكاك .

ومنه قولهم : عنيته نشنى الجرب . والعنية : شيء تعالج به الإبل إذا جربت .

وقولهم : ٥ لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا .

٥ وأول من قرعت له العصا سعد بن مالك الكِنَاني ، ثم قرعت لعامر بن الظرب العدواني ، وكان حكم في الجاهلية فكبر حتى أنكر عقله ، فقال لبيه : إذا أنازعت فقوموني . وكان إذا زاغ قرعت له العصا ، فيزع عن ذلك .

ومنه قولهم : إنه لألمى . وهو الذي يُصيب بالظن .

وقولهم : ما حكت قرحة إلا أدميتها .

١٠ وقولهم : الأمور تشابه مقيلة وتظهر مديرة . ولا يعرفها مقبلة إلا العالم النحرير ، فإذا أدبرت عرفها الجاهل والعالم .

الرجل المجرب

منه قولهم : إنه لشراب بأنقع . أي معاود للخير والشر .

وقولهم : إنه لحراج وللاج .

١٥ وقولهم : حابب الدهر أشطره . وشرب أفويقه . أي اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر . هو شطر الحلية . والفيقة : ما بين الحليتين .

وقولهم : رجل مُنجذ . وهو المجرب ، وأصله من النواجذ ، يقال : قد عضّ على ناجذه ، إذا استحكمت .

وقولهم : أول الغزو أخرق .

٢٠ وقولهم : لا تعدوا إلا بنلام وقد غذا .

وقولهم : زاجم يعود أو دَع .

وقولهم : العوان لا تعلم الحجرة .

وقالت العامة : الشارب لا يُصفر له .

الذنب عن الحرم

قالوا : الفحل يحمى شوله . والخيل تجرى على مساويها . يقول : إن الخيل وإن كانت لها عيوب فإن كرمها يحملها على الجرى .

وقولهم : النساء لحم على وضم إلا ما ذُبَّ عنه .

وقولهم : النساء حباثل الشيطان .

وقولهم : كلُّ ذاتِ صدر خالة . يريد أنه يحمها كما يحمى خاله .

الصلة والقطيعة

منه قولهم : لا خير لك فيمن لا يرى لك ما يرى لنفسه .

وقولهم : إنما يُضنَّ بالضنين .

وقولهم : خلَّ سبيل من وهى سقاؤه .

وقولهم : ألقى حبله على غاربه .

وقولهم : لو كرهتني يدي قطعتها .

الرجل يأخذ حقه قسرا

منه قولهم : يركب الصَّعب من لا ذلُّول له .

وقولهم : مُجَاهرة إذا لم أجد مُختلا . يقول : أخذ حتى قسراً علانية إذا لم أصل إليه بالستر والعافية .

وقولهم : حَلَبَتْهَا بالسَّاعِدِ الأشد . يقول : أخذتها بالقوة والشدة إذا لم أقدر عليها بالرفق .

وقولهم : التَّجَدُّدُ خير من التَّبدُّدِ ، والمَنيَّةُ خيرٌ من الدَّنيَّةِ ، ومَنْ عَزَّ بَزَّ .

الإطراق حتى تصاب الفرصة

منه قولهم : مُخْرَنْبِقٌ لِيَدْبَاعٍ . مخرنبق : مطرق . لينباع : لينبعث . يقول :

سكت حتى يصيب فرصته فيثب عليها .

وقولهم : تَحْسِبُهَا حَمَاءً وَهِيَ بَاخِسٌ .

وقولهم : نَخِيرُهُ فِي صَدْرِهِ .

وقولهم : أَحْمَقُ بَلِّغْ . يقول : مع حمقه يدرك حاجته .

الرجل الجلد المصحح

٥

أَطْرَى فَإِنَّكَ نَاعِلَةٌ . أصله أن رجلاً قال لراعية له كانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى . أى : خذى طرر الوادى . وهى نواحيه .
فإنك ناعلة . يريد : فإن عليك نعلين .

وقولهم : به داء ظبي . معناه أنه ليس بالظبي داء .

وقالوا : الشجاعُ مَوْقٍ .

١٠

الذل بعد العز

منه قولهم : كان جملاً فاستنوق . أى صار ناقة

وقولهم : كان حماراً فاستأثن . أى صار أتاناً .

وقولهم : الحور بعد الكور .

١٥ وقولهم : ذُلُّ لَوْ أُجِدُّ ناصِراً . أصله أن الحارث بن أبي شمر الغساني ، سأل أنس بن أبي الحجير عن بعض الأمر ، فأخبره : فلطمه الحارث ، فقال أنس : ذل لو أجد ناصراً . فلطمه ثانية ، فقال : لو تهيئت الأولى لم تلطم الثانية . فذهبتا مثلين .

الانفقال من ذل إلى عز

٢٠

منه قولهم : كنتُ كَرَاعاً فَصِرْتُ ذِرَاعاً .

وقولهم : كنتُ عَنزاً فَاسْتَيْسَتْ .

وقولهم : كنتُ بُغَاءً فَاسْتَسْرَتْ . أى صرت نسراً .

تأديب الكبير

قالوا : ما أشدَّ فِطَامَ الكبير .

وقولهم : عَوْدٌ يُقْلَحُ . أى جمل مُسَنُّ تُنْقَى أَسْنَانُهُ .

وقالوا : من العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرَمِ .

قال الشاعر :

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ * وَمِنْ العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرَمِ

وقولهم : أَعْيَيْتَنِي بِأُشْرٍ ، فَكَيْفَ يَدُرُّدِرٍ . يقول أعيبتنى وأنت شابة ،

فكيف إذا بدت درادرك ، وهى مغارز الأسنان .

الذليل المستضعف

١٠ منه قولهم : فَلَانٌ لَا يَعْوِي ، وَلَا يَنْبَسِحُ مِنْ ضَعْفِهِ . يقول : لا يتكلم بخير ولا شر .

وقولهم : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاءُ مُرَوِّبٍ . وهو السقاء الذى يُلْفَى حتى يبلغ أوانَ النخض .

وقالوا : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ عَجُوزٌ مَعْقُومَةٌ .

١٥ وقولهم : لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ .

الذليل يستعين بأذى منه

قالوا : عَبْدٌ صَرِيحُهُ أَمَةٌ .

وقولهم : مُثَقَّلٌ أَسْتَعَانَ بِذَقْنِهِ . وأصله : البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا

يقدر على النهوض به ، فيعتمد على الأرض بذقنه .

٢٠ وقولهم : العبدُ من لا عبدَ له .

الأحقق المائق

قالوا : عَدُوُّ الرَّجُلِ حُحْمُهُ ، وَصَدِيقُهُ عَقْلُهُ .

وقولهم : خَرَفَاءٌ عَيَابَةٌ . وهو الأحمق الذي يعيب الناس .
وقالوا في الرجل إذا اشتد حقه جدا : هَاطَةٌ مُدَّتْ بِمَاءٍ . الثأطة الحماة ، فإذا
أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبة .

الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان

- منه قولهم : تَجَنَّبَ رَوْضَةً وَأَحَالَ بَعْدُ . يقول : ترك الخصب واختار الشقاء .
وقولهم : لَا يَخْلُو مَسْكُ السُّوءِ مِنْ عَرَفِ السُّوءِ . يقول : لا يكن جلد رذل
إلا والريح المنتنة موجودة فيه .
ومنه قول العامة : قِيلَ لِلشَّقِيِّ هَلُمَّ إِلَى السَّعَادَةِ . قال : حُبِّبِي مَا أَنَا فِيهِ .
ومنه قول العامة :

- ١٠ * إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يَخْتَنِقُ *
وقولهم : لَا يَعْدَمُ الشَّقِيُّ مُهَيَّرًا . أي لا يعدم الشقي رياضة مهر .
الرجل تريد إصلاحه وقد أعياك أبوه قبله
منه قولهم : لَا تَقَنَّ مِنْ كَلْبٍ سُوءٍ جِرَّوْا .
وقال الشاعر :

- ١٥ تَرْجُو الْوَلِيدَ وَقَدْ أَعْيَاكَ وَالِدُهُ * وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَلْدَا

الواهن العزم الضعيف الرأي

- منه قولهم : مَالَهُ أَكْلٌ وَلَا صَيُورٌ . أي ليس له رأى ولا قوة .
قال الأصمعي : طلب أعرابي ثوباً من تاجر ، فقال : أعطني ثوباً له أكل .
يعنى قوة وحصافة .
منه قولهم : هو إِمَّةٌ . وهو إِمْرَةٌ . قال أبو عبيد : هو الرجل الذي
لا رأى له ولا عزم ، فهو يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شيء ، وكذلك
الإمرة ، الذي يتابع كل أحد على أمره .

ومنه قولهم : بنت الجبل . ومعناه الصدى يجيئك من الجبل ، أى هو مع كل
متكلم يجيبه بمثل كلامه .

الذى يكون ضارا ولا نفع عنده

منه قولهم : المعزى تُبهى ولا تُبنى . قال أبو عبيد : معناه أن المعزى
لا تكون منها الأبنية ، وهى بيوت الأعراب ، وإنما تكون من وبر الإبل ،
وصوف الضأن ، ولا تكون من الشعر ، وربما صعدت المعزى إلى الخباء
فخرقتها ، فذلك قولهم تُبهى ، يقال : أهبت البيت : إذا خرقتة ، فإذا انخرق
قيل بيت باه .

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه

ومنه قولهم : ترى الفتيان كالنخل ، وما يُدريك ما الدخُل .
وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث : إنك لمنظرانى . قال : نعم ومخبرانى .

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم

قال الأصمعى : ويقال : لن يزال الناس بخير ما نبأنا ، فإذا تساوا هلكوا
قال أبو عبيد : معناه أن الغالب على الناس الشر ، والخير فى القليل من الناس ،
فإذا كان التساوى فإنما هو من الشر .

ومن أشد العجائب قول القائل : سواسية كأسنان الخمار .

ومنه قولهم : الناس سوا كأسنان المشط .

وقولهم : الناس أشباه وشتى فى الشيم .

وقولهم : الناس أخفاف . أى مفترقون فى أخلاقهم ، وكلهم يجمعه بيت

الأدم . والأخيف من الخيل : الذى إحدى عينيه زرقاء ، والأخرى حمراء .

ومنه قولهم : بيت الإسكاف فيه من كل جلد رُقعة .

المتساويان فى الخير والشر

هما كفرى رهان . وكر كفى بعير . وهما زندان فى وعاء . وهذا فى الخير .

وأما في الشر : فيقال : هما كحمارى العبادى . حين قال له : أى حماريك شر ؟
قال : هذا ثم هذا .

الفاضلان وأحدهما أفضل

- منه قولهم : مرعى ولا كالسعدان .
وقولهم : ماء ولا كصداء . وصداء : ركية ذات ماء عذب .
وقولهم : فتى ولا كالك .
وقولهم : فى كل الشجر ناراً وأستمجد المرخ والعفار . وهما أكثر الشجر ناراً .

الرجل يرى لنفسه فضلاً على غيره

- منه قولهم : كلُّ بُجْرٍ بالخلاء يُسِرُّ . وأصله : الذى يُجْرِى قَرَسَهُ فى المِكانِ
الخالى فهو يُسِرُّ بما يرى منه .

المكافاة

- منه قولهم : سَنَّةٌ بِتَأْكِ .
وقولهم : أضئْ لى ، أقدحْ لك . أى كن لى أكن لك .
وقولهم : أسقِ رَقَائِشِ سَقَايَةَ . يقول : أحسنوا لها إنها مُحْسِنَةٌ .

الأمثال فى القربى

التعاطف بين ذوى الأرحام

- قال الكلبي : منه قولهم : يا بعضى دع بعضا . وأصل هذا أن زُرارة بن عُدس
زوج أبنته من سويد بن ربيعة ، فكان له منها تسعة بنين . وأن سويداً قتل أخوا
صغيراً لعمر بن هند الملك وهرب ولم يقدر عليه ابن هند ؛ فأرسل إلى زُرارة
أن انتنى بولده من أبنتك ؛ فجاء بهم ، فأمر عمرو بقتلهم ، فماتوا بجدم زُرارة ؛
فقال : يا بعضى دع بعضا . فذهبت مثلاً .

ومن أمثالهم في التحنن على الأقارب

وقولهم : لكن على بَلَدَحَ قَوْمٍ عَجْفِي .

وقولهم : لكنن بالأثلاث لحم لا يُظلل .

وأصل هذا أن يهسا الذي يُلقب بتعامه كان بين أهل بيته وبين قوم حرب ،
 ٥ فقتلوا سبعة إخوة لبهس وأسروا بهسا ، فلم يقتلوه لصغره وارتحلوا به ، فنزلوا
 منزلاً في سفرهم ونحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : ظللوا لحم
 جزوركم لتلا يفسد . فقال بهس : لكن بالأثلاث لحم لا يظلل . يعني لحم إخوته
 القتلى . ثم ذكروا كثرة ما غنموا ، فقال بهس : لكن على بَلَدَحَ قَوْمٍ عَجْفِي . ثم
 إنه أفلت ، أو خلوا سبيله ، فرجع إلى أمه ، فقالت : أنجوت من بينهم ؟ وكانت
 ١٠ لاتبجه ؛ فقال لها : لو خَيْرْتُ لَأَخْتَرْتُ فلما لم يكن لها ولد غيره رقت له وتعطفت
 عليه . فقال بهس : الشُّكْلُ أَرَأَمَهَا .

فذهبت كلماته هذه الأربع كلها أمثالا .

ومنه قولهم : لا يَعدَمُ الحُوار من أمه حنة .

وقولهم : لا يَضرُّ الحُوار ما وطئته أمه .

وقولهم : بأبي أوجه اليتامى . ١٥

حماية القريب وإن كان مبعضا

من ذلك قولهم : آكل لحمي ولا أدعه يُؤكل .

ومنه : لا تعدم من ابن عمك نصراً .

وقولهم : الحفائظ تُحمّل الأحقاد .

وقولهم في ابن العم : عدوك وعدو عدوك . ٢٠

وقولهم : كفك منك وإن كانت سلاء .

وقولهم : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

إعجاب الرجل بأهله

منه قولهم : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبةٌ .

وقولهم : القرْنَبِيّ في عينِ أمها حسنةٌ .

وقولهم : زَيْنٌ في عينِ والدٍ وأدّه .

وقولهم : حَسَنٌ في كلِّ عينٍ من تَوَدُّ .

وقولهم : من يمدح العروسَ إلّا أهلها .

تشبيه الرجل بأبيه

منه قولهم : من أشبه أباه فما ظلم .

وقولهم : العَصِيَّةُ من العصا .

وقولهم : ما أشبه حَجَلِ الجبالِ بألوانِ صخرِها .

وقولهم : ما أشبه الحوَالِ بالقبَلِ . وما أشبه اللَيْلَةَ بالبارحةِ .

وقولهم : شَنِيشِنَةٌ أعرفها مِن أخزَمِ . يقال هذا في الولدِ إذا كانت فيه

طبيعة من أبيه .

قال زهير :

وهل يُذِيتُ الخطيُّ إلّا وشيْجُهُ ۝ وتُغْرَسُ إلّا في مَنابِتِها النخلُ

١٥

ومنهُ قول العامة : لا تلد الذئبةُ إلّا ذئباً .

وقولهم : حَذُو النعلِ بالنعلِ . وحذوُ القُدَّةِ بالقُدَّةِ ، والقُدَّةُ : الريشةُ من

ريش السهم تُحذى على صاحبِها .

تحاسد الأقارب

من ذلك قولهم : الأَقارِبُ هم العقاربُ .

٢٠

وقال عمر : تراوروا ولا تجاوروا .

وقال أكم : تباعدوا في الديارِ تقاربوا في المحبةِ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : زُبْدٌ غَبَّا تَزْدَدُ حُبًّا .
ومنه قولهم : فَرَّقَ بَيْنَ مَعَدِّ نَحَابٍ . يريد أن ذوى القربى إذا تَدَانُوا تَحَاسَدُوا
وتباغضوا .

قولهم في الأولاد

٥ قالوا : مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . أى من يرى فيهم ما يسره يرى في نفسه
ما يسوره .

وقولهم :

إِنَّ بَنِي صَيْبَةٍ صَيْفِيُونَ . أفلحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُونَ
الولد الصيبي : الذى يولد للرجل وقد أسن . والربعى : الذى يولد له فى
١٠ عنقوان شبايه : أخذ من ولد البقرة الربعى والصيبي .
ويقال للمرأة إذا تبنت غير ولدها : أَبْنَكِ مَنْ دَمِ عَقْبِكَ .

الرجل يؤتى من حيث أمن

قالوا : مَنْ مَأْمَنَهُ يُؤْتَى الْحَذِرُ .

وقال عدى بن زيد العبادى :

١٥ لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقُ . كُنْتُ كَالنَّضَانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي
قال الأصمعى : هذا من أشرف أمثال العرب . يقول : إن كل من شرق بالماء
لا مستغاث له .

وقال الآخر :

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفْرَأُ إِلَيْهِمْ . فَهُمْ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفَرَارُ

٢٠ ومثله قول عباس بن الأحنف :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّتْ دَاعٍ . يَبِيحُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا . كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

وقال آخر :

من غصَّ دأوى بشرب الماء غُصَّتْهُ . فكيف يصنع من قد غصَّ بالماء

الأمثال في مكارم الأخلاق

الحلم

٥ قال أبو عبيد : من أمثالهم في الحلم : إذا تزا بك الشرُّ فأقمه . أى فاحلم ولا تسارع إليه .

ومنه قول الآخر : الحليمُ مطيئةُ الجهولِ .

وقولهم : لا ينتصفُ حليمٌ من جاهلٍ .

وقولهم : آخرُ الشرِّ فإن شئتَ تعجلتُهُ .

١٠ وقولهم في الحلم : إنه لواقع الطيرِ ، ولساكن الرِّيحِ .

وقولهم في الخلاء : كأنما على رؤوسهم الطيرُ .

ومنه قولهم : ربما أسمعُ فأذُرُ .

وقولهم : حلى أصمُّ وأذني غيرُ صماءٍ .

العفو عند المقدرة

١٥ منه قولهم : ملكت فأبجج . وقد قاله عائشة رضوان الله عليها لعلي بن أبي

طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدا من هودجها وكلها

فأجابته ملكت فأبجج . أى ظفرت فأحسن . فجهزها بأحسن الجهاز . وبعث معها

أربعين امرأة ، وقال لبعنهم : سبعين - حتى قدمت المدينة .

ومنه قولهم : إن المقدرة تذهبُ الحفيظة .

٢٠ وقولهم : إذا أرجعن شاصياً فارقعُ بدا . يقول : إذا رأيتَه قد خضع واستكان

فاكفف عنه . والشاصي : الرافع رجله .

المساعدة وترك الخلاف

من ذلك قولهم إذا عز أخوك فهن .
وقولهم : لولا الوثام هلك اللثام . الوثام : المباهاة . يقول : لولا المباهاة لم
يفعل الناس خيراً .

مداراة الناس

قالوا : إذا لم تغلب فاخلب . يقول : إذا لم تغلب فاخدع ودار وأطف .
وقولهم : إلا حظية فلا ألية . معناه : إن لم يكن حظوة فلا تقصير .
وإلا يألو ، وبأئلى : أى يقصر . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ولا يأتل أولو
الفضل منكم والسعة ﴾ .

وقولهم : سوء الاستمساك خير من حُسن الصرعة .
ومنه قول أبي الدرداء : إنا لنبتش في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم .
ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرار الناس من داراه
الناس لشره .

ومنه قول شبيب بن شيبه في خالد بن صفوان : ليس له صديق في السر
ولا عدو في العلانية . يريد أن الناس يدارونه لشره ، وقلوب الناس تبغضه .

مفاكحة الرجل أهله

منه قولهم : كل أمرئ في بيته صبي . يريد حسن الخلق والمفاكحة .
ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنا إذا خلونا قلنا (١) .
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : خياركم خيركم لأهله .
ومنه قول معاوية : إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللثام .

(١) في بعض النسخ : قلنا ، من القلة .

اكتساب الحمد واجتناب الذم

قالوا : الحمدُ معتمٌ والذمُّ مغرمٌ .

وقولهم : إن قليلَ الذمِّ غيرُ قليلٍ .

وقولهم : إن خيراً من الخيرِ فاعلهُ ، وإن شراً من الشرِّ فاعلهُ .

وقولهم :

الخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ . وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ

الصبر على المصائب

من ذلك قولهم :

• هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُوَلِّعْ يَا شِفَاقِي •

وقولهم : مَنْ أَرَادَ طَوْلَ الْبِقَاءِ فَلْيُؤَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ .

وقولهم : الْمَصِيبَةُ لِلصَّابِرِ وَاحِدَةٌ وَلِلجَارِحِ اثْنَانِ .

وقال أكرم بن صيفي : حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ .

وذكروا عن بعض الحكماء أنه أصيب بابن له ، فبكى حولا ثم سلا ، فقيل له :

مالك لا تبكي ؟ قال : كان جرحاً فبرئ .

قال أبو خراش الهذلي :

بَلَى لَهَا تَعْفُو الْكُلُومِ وَإِنَّمَا • نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

ومنه قولهم : لَا تَلَهَّفْ عَلَى مَا قَاتَ .

الحض على الكرم

منه قولهم : اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ يَبْقَى مِصْرَاعُ السُّوءِ .

وقولهم : الْجُودُ مَحَبَّةٌ وَالْبُخْلُ مَبْتَضَةٌ .

وقول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْتَمِدُ جَوَازِيَهُ • لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

الكريم لا يجحد

منه قولهم : بيتي يبخل لا أنا .

وقولهم : بالساعد تبطش الكف .

وقولهم :

• ما كلف الله نفساً فوق طاقتها • ولا تجود يدٌ إلا بما تجد

وقال آخر :

يرى المرء أحياناً إذا قلَّ ماله • من الخير تاراتٍ ولا يستطيعها

متى ما يرئها قَصْرٌ^(١) الفقر كفه • فيضعف عنها والغنى يُضيعها

القناعة والدعة

منه قولهم : ١٠

• وحسبك من غنى شبع وريء •

وقولهم : يكفيك ما بَلَغَكَ المَعْلَى .

وقال الشاعر :

من شاء أن يُكثِرَ أو يُقَلِّلَ • يكفيه ما بَلَغَهُ المَحَلَّ

الصبر على المكاره تحمده العواقب ١٥

قالوا : عواقب المكاره محمودة .

وقالوا : عند الصباح يحمّد القوم السرى .

وقولهم : لا تُندرك الراحة إلا بالتعب .

أخذه حبيب فقال :

على أتى لم أحوٍ مالاً جُمعاً • ففرت به إلا بشمل مُبددٍ ٢٠

ولم تُعطني الأيام يوماً مُسكناً • ألدُّ به إلا بنوم مُشردٍ

(١) في بعض الأصول : يثم .

وأحسن منه قوله أيضا :

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعَلِيَا فَلَمْ تَرَهَا . أَتَالَ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

الانتفاع بالمال

قالوا : خير مالِك ما تَعَمَّكَ ، ولم يَضِعْ من مالِك ما وعظك .

وَنظَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى دَرَاهِمٍ بِيَدِ رَجُلٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَخْرُجَ
من يدك .

وقولهم : تَقْتِيرُ الْمَرْءَ عَلَى نَفْسِهِ تَوْفِيرٌ مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ .

قال الشاعر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَهُ ۖ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

المتصافيان

منه قولهم : هُمَا كَتَدِمَا نِيَّ جَذِيْمَةٍ .

قال الكلبي : هُوَ جَذِيْمَةُ الْأَبْرَشِ الْمَلِكِ ، وَنَدِيمَاهُ رَجُلَانِ مِنَ بَلْقَيْنَ يُقَالُ لِهَمَا :

مَالِكٌ ، وَعَقِيلٌ . بَلْقَيْنٌ : يَرِيدُ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ .

وقولهم :

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ۖ لَعَمْرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

ومنهم قولهم : هُمَا أَطْوَلُ صَحْبَةٍ مِنْ ابْنَيْ شِمَامٍ . وَهُمَا جِلْدَانٌ .

خاصة الرجل

منه قولهم : عِيَّةُ الرَّجُلِ . يَرِيدُونَ خَاصَتَهُ وَمَوْضِعَ سِرِّهِ .

ومنهم الحديث في خِزَاعَةِ : كَانُوا عِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ .

من يكسب له غيره

منه قولهم : لَيْسَ عَلَيْكَ غَزْلُهُ فَاسْحَبْ وَجُرْ

وقولهم : رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِد .

وقولهم : خَيْرَ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٌ .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا .

وقولهم : شَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ ، وَخَيْرُ الْغَنَى الْقِنَاعَةُ .

ومنه الحديث المرفوع : أَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ .

قال الشاعر :

فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا وَتَجَسَّمِلَ

ومنه قول هُدَيْبِ الْعَدْرِيِّ :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّانِي ، وَلَا جَاذِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ

وَلَا أَمْنِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي ، وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ

المال عند من لا يستحقه

منه قولهم : خَرَقَاءُ وَجَدْتُ صَوْفًا ، عَبْدًا مَلَكًا عَبْدًا فَأَوْلَاهُ تَبَا .

وقولهم : مَنْ يَطَّلُ ذَيْلَهُ يَتَمَنَّى طَوْقَهُ ، وَمَنْ يَمْرَعِي وَلَا أَكُولَةَ ، وَعُشْبٌ وَلَا بَعِيرٌ .

يعنى مال ولا منفق .

الحض على الكسب

منه قولهم : أَطْلُبُ تَطْفِرَ .

وقولهم : مَنْ يَجْزُ عَنْ زَادِهِ أَنْتَكَلَ عَلَى زَادِ غَيْرِهِ .

وقولهم : مَنْ الْعَجْزُ تُنْجَتِ الْفَاقَةُ .

وقولهم : لَا يَفْتَرِسُ اللَّيْثُ الظَّيْبَ وَهُوَ رَابِضٌ .

وقول العامة : كَلْبٌ طَوَّافٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٌ .

وقولهم :

أوردها سعد وسعد مُشتمل . يا سعد لا تروى على ذلك الإبل^(١)

الخبير بالأمر البصير به

منه قولهم : على الخير سقطت .

وقولهم : كفى قوما بصاحبهم خيرا .

وقولهم : لكل أناس في جملهم خُبر .

وقولهم : على يدي دار الحديث .

وقولهم : تعلمني بضب أنا حرشته . يقول : أتخبرني بأمر أنا وليته .

وقولهم : ولّ القوس باريها .

وقولهم : الخيل أعلم بفرسانها .

وقولهم : كل قوم أعلم بصناعيتهم .

وقولهم : قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها .

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه

من ذلك قولهم : ما وراءك يا عصام . أول من تكلم به النابغة الذبياني لعصام

صاحب النعمان ، وكان النعمان مريضاً فكان إذا لقيه النابغة قال له : ما وراءك يا عصام ؟

وقولهم :

• سيأتيك بالأخبار من لم تُرودِ •

وقولهم : إليك يُساق الحديث .

انتحال العلم بغير آله

منه قولهم : لكالحادي وليس له بغير .

(١) في بعض النسخ : ما هكذا تورّد يا سعد الإبل .

وقال الخطيئة :

• لكالمائى وليس له حذاء •

وقولهم : إنباض بغير توتر . وكفابيض على الماء .

أخذه الشاعر فقال :

• وَمَنْ يَأْمِنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ • عَلَى الْمَاءِ خَاتَمُهُ فَرُوجُ الْأَصَابِعِ

وَخَرَقَاءُ ذَاتِ نَيْقَةٍ • يَضْرِبُ لِلرَّجْلِ الْجَاهِلِ بِأَمْرِ يَدْعَى مَعْرِفَتَهُ •

من يوصى غيره وينسى نفسه

يا طيبُ طِبِّ لِنَفْسِكَ •

ومنه : لا تَعْطِيَنِي وَتَعْطِئَنِي • أَى : لا توصينى وأوصى نفسك •

الآخذ في الأمور بالاحتياط

منه قولهم : أَنْ تَرَدَّ الْمَاءُ بِمَاءٍ أُكْبِسُ •

وقول العامة : لا تُصَبِّ مَاءً حَتَّى تَجِدَ مَاءً •

وقولهم : عَشَّ وَلَا تَعْتَرَّ • يقول : عَشَّ إِبْرَكَ ، وَلَا تَعْتَرَّ بِمَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ •

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلا أتاهم ، فقال :

كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّرِكِ عَمَلٌ ، كَذَلِكَ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ تَقْصِيرٌ • فكلهم قال :

عَشَّ وَلَا تَعْتَرَّ •

وقولهم : لَيْسَ بِأَوَّلِ مَنْ عَرَّهُ الشَّرَابُ •

وقولهم : اشْتَرَى لِنَفْسِكَ وَاللُّسُوقَ •

ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذى قال : أُرْسِلُ نَاقِيًا وَأَتَوَكَّلُ • قال :

أَعْمَلُهَا وَتَوَكَّلُ •

الاستعداد للأمر قبل نزوله

منه قولهم : قَبْلَ الرَّمِيِ يُرَاشُ السَّهْمُ •

- وقولهم : قَبْلَ الرَّمِيَةِ تُمَلَأُ الْكِنَانُ .
 وقولهم : خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ . أَيْ : بِاسْتِقْبَالِهِ قَبْلَ أَنْ يُذِيرَ .
 وقولهم : شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبْرِيُّ .
 وقولهم : المَحَاجِرَةُ قَبْلَ المُنَاجِرَةِ .
 وقولهم : التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ .
 وقولهم : يَا عَاقِدُ اذْكُرْ حَلًّا .
 وقولهم : خَيْرُ الْأُمُورِ أَحَدُهَا مَعْبَةٌ .
 وقولهم : لَيْسَ لِلدَّهْرِ بَصَاحِبٌ . مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي العَوَاقِبِ .

طلب العافية بمسألة الناس

- ١٠ وقولهم : مَنْ سَلَكَ الجِدَدَ أَمِنَ العِنَارَ . واحذِرْ تَسْلَمَ .
 ومنه قولهم : جُرَّ لَهُ الخَطِيرَ مَا انجَرَ لَكَ . الخطير : زمام الناقة .
 ومنه قولهم : لَا تَكُنْ أَدْنَى العَيْرَيْنِ إِلَى السَّهْمِ . يقول : لَا تَكُنْ أَدْنَى أَصْحَابِكَ
 إِلَى مَوْضِعِ التَّلْفِ ، وَكُنْ نَاحِيَةً أَوْ وَسْطًا .
 قال كعب : إِنْ لِكُلِّ قَوْمٍ كَلْبًا فَلَا تَكُنْ كَلْبَ أَصْحَابِكَ .
 ١٥ وتقول العامة : لَا نَكُنْ لِسَانَ قَوْمٍ .

توسط الأمور

- من ذلك قولهم : لَا تَكُنْ حُلُومًا قُتِسِرَتْ ، وَلَا مُرًّا قُتِعِيَ . أَيْ تَلْفِظْ . يُقَالُ :
 أَعْيَى الشَّيْءُ ، إِذَا اشْتَدَّتْ مَرَارَتُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَلَا تَكْ أَنِيًّا حُلُومًا قُتِحَسَى . وَلَا مُرًّا قُنْشَبَ فِي الحِلَاقِ
 ٢٠ وتقول العامة : لَا تَكُنْ حُلُومًا فَتُوكَلَّ ، وَلَا مُرًّا فَتُلْفِظَ . وَتَوْسَطِ الْأُمُورِ
 أَدْنَى إِلَى السَّلَامَةِ .
 ومنه قول مطرف بن عبد الله بن الشخير : الحسنة بين السيئتين . وخير

الأمور أوساطها ، وشرُّ السير الحَمَقَّة . قوله : بين السبطين : يريد بين
المجاورة والتقصير .

ومنه قولهم : بين المَمْنَحَةِ والعِجْمَاء ، يريد بين السمين والمهزول .
ومنه قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : خيرُ الناسِ هذا النَمَطُ الأوسط ،
يَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْعَالِي . ٥

الإجابة بعد الإجمام

منه قولهم : أَقْصَرَ لِمَا أَبْصَرَ .
ومنه : أَتَبِعُ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ ، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، والذَّمُّ
توبة ، والاعترافُ يَهْدِمُ الاعتراف .

مدافعة الرجل عن نفسه

جَاحَسَ فُلَانٌ عَنِ خَيْطِ رَقَبَتِهِ . وخيط الرقبة : النخاع ، يقول : دافع عن
دمه ومُهَجَّتْهُ .
وقالت العامة :

هـ وَأَيُّهُ تَفِيْسٌ بَعْدَ نَفْسِكَ تَنْفَعُ هـ

ومنه : أَدْفَعُ عَنِ نَفْسِي إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْهَا دَافِعٌ . ١٥

قولهم في الانفراد

الذَّنْبُ خَالِيًا أَسَدًا ، يقول : إذا وجدك خالياً اجترأ عليك .
ومنه الحديثُ المأثور : الوحيدُ شيطان .
وفي الحديث الآخر : عليكم بالجماعة : فإن الذَّنْبَ إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ

٢٠ الغنمِ الشاردة .

من ابتلى بشيء مرة مخافة أخرى

منه الحديث المرفوع : لا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ . يريد أنه إذا لسع مرة تحفظ أخرى .

وقولهم : مَنْ لَدَغَتْهُ الْحَيَّةُ يَفْرَقَ مِنَ الرَّسَنِ .

وقولهم : * مَنْ يَشْتَرِي سَبِيًّا وَهَذَا أُثْرُهُ * .

يضرب هذا المثل الذي قد اختبر وجُزِبَ .

وقولهم : * كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَدِي الْحَافِيَ الْوَقْعِ * .

الوقع : الذي يمشى في الوقع ، وهي الحجارة . قال أعرابي :

يَا بَيْتَ لِي نَعْلَيْنِ مِنْ جِلْدِ الضَّبْعِ * كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَدِي الْحَافِيَ الْوَقْعِ

١٠

اتباع الهوى

قال ابن عباس : مَا ذَكَرَ اللَّهُ الْهَوَى فِي شَيْءٍ إِلَّا ذَمَّهُ .

قال الشعبي : قِيلَ لَهُ هَوَى : لِأَنَّهُ يُهْوَى بِهِ .

ومن أمثالهم فيه : حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعِمِّي وَيُعِمُّ .

وقالوا : الْهَوَى إِلَهٌ مَعْبُودٌ .

١٥

الحذر من العطب

قالوا : إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا .

وقولهم : أَعْوَرَ عَيْنِكَ وَالْحَجَرِ .

وقولهم : اللَّيْلَ وَأَهْضَامَ الْوَادِي . وأصله أن يسير الرجل ليلا في بطون

الأودية . حذره ذلك .

٢٠

وقولهم : دَعَّ خَيْرَهَا لَشَرِّهَا .

وقولهم : لَا تَرَاهُنَّ عَلَى الصَّعْبَةِ .

وقولهم : أَعْنَدَ مَنْ أَنْذَرَ .

حسن التدبير والنهي عن الخرق

الرفق يُمنُّ والخرقُ سُومٌ . ورُبَّ أكلةٍ تحرمُ أكَلات .

وقولهم : قلبَ الأمرِ ظَهراً لبطنٍ .

وقولهم : ضربَ وجهَ الأمرِ وعينته ، وأجرَ الأمورِ على أذلالها .

٥ على وجوهها .

وقولهم : وَجْهَ الحَجَرِ وَجْهَةٌ ما له .

وقولهم : وليَ حارِها مَنْ وليَ قارِها .

المشورة

قلوا : أولُ الحزْمِ المشورةُ .

ومنه لا يهلك امرؤ عن مشورةٍ .

١٠

قال ابن المسيب : ما استشرت في أمرٍ واستخرتُ وأبالي على أيّ جنبي سقطت .

الجد في طلب الحاجة

أبُلُّ ذُرّاً ونَحْلًاك ذَمٌّ . يقوله : إماما عليك أن تجتهد في الطلب وتعدّر ،

لكيلا تُذم فيها وإن لم تكن تُقضى الحاجة .

١٥ ومنه : هذا أوان الشدِّ فاشتدّي زيمٌ =

وقولهم : دَرَبٌ عليه جِرْوَتُك . أي وطنٌ عليه نفسك .

ومنه : اجمع عليه جِراءِ بَرِّك ، واشدّد له حيازِمَكَ .

وقولهم : شَمْرٌ ذَبِلًا ، وأدْرِغْ لَبِلًا .

ومنه : إيتِ به مِن حَسَكِ وبَسَّكِ .

٢٠ ومنه قول العامة : جئْ به من حيثِ أَيْسَ وليس . والأيس : الموجود .

والليس : المعدوم .

التأني في الأمر

من ذلك قولهم : رُبَّ عَجَلَةٍ تُعَقِّبُ رَيْثًا .
وقولهم : المنبَتُ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظهراً أُنْبِئ .
وقال القُطامي :

- ٥ قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزَّلل
ومنه : ضَحَّ رُوَيْدًا . أى لا تعجل . والرَّشْفُ أنقع . أى أروى يقال :
شرب حتى تقع .
ومنه : لا يُرْسِلِ السَّاقِ إِلَّا مُسِكًا ساقًا .

سوء الجوار

- ١٠ منه قولهم : لا يَنْفَعُكَ من جارٍ سُوءٌ تَوَقَّ ، والجارُ السوءُ قطعةٌ من نارٍ .
ومنه : هذا أَحَقُّ منزلٍ بِتَرِكَ .
ومنه قولهم : الجارُ قبل الدار ، الرفيقُ قبل الطريق .
ومنه قولهم : بعث جارى ولم أبع دارى . يقول : كنت راغباً فى الدار ،
إلا أنى بعثها بسبب الجار السوء .

١٥ سوء المرافقة

- أنت تَتَّقُ وأنا مَتَّقُ فنى تَتَّفِقُ . التَّقُّ : السريع الشر . والمتقُّ : السريع البكاء ؛
ويقال : الممتلئ من الغضب . والتثقُّ والمتقُّ مهموزان .
وقولهم : ما يُجْمَعُ بين الأروى والنعام . يريد أن مسكن الأروى الجبل
ومسكن النعام الرمل . والأروى ، جمع أروية .
٢٠ ومنه : لا يَجْتَمِعُ السِّيفانُ فى غمَدٍ .
ومنه : لا يَلْطَاطُ هذا بَصَفَرى . أى لا يُلصق بقلبي .

العادة

- قالوا : العادةُ أملاكٌ من الأدبِ .
 وقالوا : عادةُ السوءِ شرٌّ من المعرّمِ .
 وقالوا : أعطِ العبدَ ذراعاً يَطلبُ باعاً .

ترك العادة والرجوع إليها

- منه قولهم : عاد فلانٌ في حافِرتهِ . أى في طريقته . ومنه قوله تعالى :
 ﴿ أَتِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ . ومنه : رجع فلانٌ على قَرَوَانِهِ . ومنه الحديث :
 لا تَرَجِعُ هذه الأُمَّةُ عن قَرَوَانِهَا .

اشتغال الرجل بما يعنيه

- منه : كلُّ امرئٍ في شأنه ساعٍ .
 وقولهم : هَمُّكَ ما أَمَمَكَ . هَمُّكَ ما أَدَانَكَ .
 وقولهم : ولى حارها من تولى قارها .

قلة الاكثراث

- منه قولهم : ما أباليه بالةٌ ، أَسْمَحُ يُسْمَحُ لك .
 وسئل ابن عباس عن الوضوء من اللبن ؟ فقال : ما أباليه بالةٌ .
 وقولهم : الكلابُ على البقرِ . يقول : خلَّ الكلابُ وبقرِ الوحشِ .

قلة اهتمام الرجل بصاحبه

- هان على الأملسِ ما لاقى النَّبْرَ .
 وقولهم : ما يَلْقَى الشَّجِي من الخَلِيِّ . قال أبو زيد : الشجى مخفف ،
 والخلى : مشدد .
 ومنه قول العامة : هان على الصَّحِيحِ أن يقول للبريضى : لا بأس عليك .

الجشع والطمع

- منه قولهم : تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ .
 ومنه قولهم : غَشَّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ .
 وقولهم : المسألةُ نُحُوشٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا .
 ٥ وقال أبو الأسود في رجل ذنوب : إِذَا سُئِلَ أَرْزَ وَإِذَا دُعِيَ اتَّهَزَ (١)
 ومنه قول عون بن عبد الله : إِذَا سَأَلَ أَحْفَ ، وَإِذَا سُئِلَ سَوَّفَ .

الشره للطعام

- منه قولهم : وَحَمَى وَلَا حَبَلَ . أَيْ لَا يُذَكِّرُ شَيْءٌ إِلَّا أَشْتَهَاهُ ، كَشَهْوَةِ الحُبْلَى .
 وهي الوحى .
 ١٠ ومنه : المرءُ تَوَاقَى إِلَى مَا لَمْ يَنْبَلِ .
 وقولهم : يَبْعَثُ الكَلَابَ تَلَى مَرَابِضِهَا . أَيْ يَطْرُدُهَا طامِعاً أَنْ يَجِدَ شَيْئاً
 يَأْكُلُهُ مِنْ تَحْتِهَا .
 ومنه قولهم : أَرَادَ أَنْ يَأْكَلَ بِيَدَيْنِ .
 ومنه الحديث المرفوع : الرَّغْبَةُ سُؤْمٌ .

١٥

الغلط في القياس

- مثل قولهم : لَيْسَ قَطًّا مِثْلَ قَطِيٍّ .
 وقال ابن الأَسلَمِ :
 لَيْسَ قَطًّا مِثْلَ قَطِيٍّ وَلَا السَّمَرِيُّ فِي الأَقْوَامِ كَالرَّاعِي
 ٢٠ ومنه قولهم : مُذَكِّئَةٌ تُقَاسُ بِالجِدَاعِ . يُضْرَبُ لِمَنْ يَقِيسُ الكَبِيرَ بِالصَّغِيرِ
 والمذكية : هي المُسِنَّةُ مِنَ الخَيْلِ .

(١) فِي بَعْضِ الأَصُولِ : هَاهُ .

وضع الشيء في غير موضعه

منه : كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ ، وَهَجْرٌ : معدن القرم .

قال الشاعر :

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا ه كَمُسْتَبْضِعِ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرًا
ومنه قولهم : كَمَعَلَّةٍ أَتَمَّا الرِّضَاعَا

ومنه الحديث المرفوع : رُبَّ حَامِلٍ فَقَّهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

وفيمن وضع الشيء في غير موضعه : ظَلَمَ مَنْ أَسْرَعَى الذَّنْبَ النَّعْمَ .

وقال ابن هرمة :

كَتَارِكَةٍ يَبْضُهَا بِالْعَسْرَاءِ ه وَمُلْحِنَةٍ يَبْضُ أُخْرَى جَنَاحَا

يصف النعامة التي تحضن بيض غيرها وتضع بيضها .

كفران النعمة

منه : سَمِنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبَكَ . أَحْشُكَ وَتَرَوْنِي . قال في مخاطبة فرسه : أَأَعْلِفُكَ

الحشيش وتروني على .

ومنه قول الآخر :

أَعْلَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ه فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

التبذير

منه قولهم : لَا مَاءَ لِكَ أَبْقَيْتِ ، وَلَا دَرَنَكَ أَتَقَيْتِ .

وقولهم : لَا أَبُوكَ نُشْرَ وَلَا التُّرَابُ نَفْدٌ . أصل هذا المثل لرجل قال : ليتني

أعرف قبر أبي حتى آخذ من ترابه على رأسي .

الهمة

منه قولهم : عَسَى الْغَوَيْرُ أَبُوسَا . وَالْأَبُوسُ جَمْعُ بَاسٍ ، قال ابن الكلبي :

الغوير : ماء معروف لكلب . وهذا مثل تكلمت به الزباء ، وذلك أنها وجهت قصيرا

للخمي بالعبير ليجلب لها من بز العراق ، وكان يطلبها بدم جذيمة الأبرش ،
 فجعل الأحمال صناديق ، وجعل في كل صندوق رجلا معه السلاح ، ثم تنكب
 بهم الطريق وأخذ على الغوير فسألت عن خبره ، فأخبرت بذلك ، فقالت :
 عسى الغوير أبوسا . تقول عسى أن يأتي الغوير بشر ، وأستنكرت أخذه على
 غير الطريق .

٥

ومنه : سَقَطَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ عَلَى الظَّنَّةِ ، أى نصحته فاتهمك .

ومنه : لا تَنْقُشِ الشُّوكَةَ بِمِثْلِهَا ، فإن ضاعها معها . يقول : لا تستعن في
 حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة أفصح منه لك .

تأخير الشيء وقت الحاجة إليه

- ١٠ منه : لا عِطَّرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ، وأصل هذا أن عروساً أهديت فوجدتها الرجل
 نفلة ، فقال لها : أين الطيب ؟ قالت : أدخرته . قال : لا عطر بعد عروس .
 وقولهم : لا بقاء لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحُرْمَةِ ؛ يقول : إنما يحمي الإنسان حريمه ،
 فإذا ذهب فلا حية له .

الإساءة قبل الإحسان

- ١٥ منه : يَسْبِقُ دِرَّةً غِرَارُهُ ؛ الغرار : قلة اللبن . والدرّة : كثرة . وَيَسْبِقُ
 سَيْلَهُ مَطَرَهُ .

البخل

- ما عِنْدَهُ خَيْرٌ وَلَا مِيرٌ . سوائه هو والعدم . العدم والعُدْمُ ، لغتان .
 ما بِيضٌ حَجَرُهُ . والبض أقل السيلان .
 ٢٠ ما تَبَّلُ إِحْدَى يَدَيْهِ الْأُخْرَى (١) .

(١) في بعض الاصول . ما تبذل إحدى يديه لأخرى ،

الجبين

إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَحْتَسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ .

ومنه : كلُّ أَرْبَ قُفُوزٍ . وَقَفَتْ شَعْرُهُ . وَأَقْشَعَرَتْ ذُؤَابَتُهُ . معناه : قام

٥ شعره من الفرع .

وشرق بريقه .

الجبان يواعد بما لا يفعل

الْصَّدَقُ يُذِي عُنْكَ لَا الْوَعِيدُ . يَذِي : يَدْفَعُ عُنْكَ مِنْ يَذُو .

ومنه : أَوْسَعْتَهُمْ شَتَاً " وَأَوْدَوْا بِالْإِيلِ .

١٠ وقيل لأعرابي خاصم امرأته إلى السلطان : كَبَّهَا اللَّهُ لَوَجْهِهَا . فقال : ولو
أَمَرَ بِي إِلَى السَّجْنِ .

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قَوْلُهُمْ : إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرَّبَاطِ .

ومنه : إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوَكَبٌ لَاحَ كَوَكَبٌ ٥

١٥ وقولهم : رَأْسُ بَرَأْسٍ وَزِيَادَةُ خَمْسِمِائَةٍ ، قَالَهَا الْفَرَزْدَقُ فِي رَجُلٍ كَانَ فِي

جَيْشٍ ، فَقَالَ : مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ خَمْسِمِائَةُ دَرَاهِمٍ : فَبَرَزَ رَجُلٌ وَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ

الْعَدُوِّ ، فَأَعْطَاهُ خَمْسِمِائَةَ دَرَاهِمٍ : ثُمَّ بَرَزَ ثَانِيَةً ، فَفَقِتِلَ ، فَبَكَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ ، فَقَالَ لَهُمُ

الْفَرَزْدَقُ : أَمَا تَرْضَوْنَ رَأْسًا بِرَأْسٍ وَزِيَادَةَ خَمْسِمِائَةٍ ؟

المقادير

٢٠ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : الْمَقَادِيرُ تُرِيكَ مَا لَا يَخْطُرُ بِإِيَّاكَ .

وقولهم : إذا نَزَلَ القَدْرُ غَشِيَ البَصْرَ . وإذا نَزَلَ العَيْنُ غَطَّى العَيْنَ . ولا يُعْنِي
حَذْرٌ مِنْ قَدَرٍ . من مَأْمَنِهِ يُؤَوِّي العَدِيرُ .
وقولهم : وكيف تَوَقَّى ظَهْرَ ما أَنْتَ رَاكِبُهُ .

الرجل يَأْتِي إلى حتفه

منه قولهم : أَنْتَ بَحَائِنٌ رَجُلَاهُ . لا تَكُنْ كالباحِثِ عَنِ المُنْدِيَةِ .
وقولهم : حَتَفَهَا نَحْمِلُ ضَأْنَ باظِلَافِهَا .

ما يقال للجاني على نفسه

يداك أو كنا وفوك نفخ . وأصله أن رجلاً نفخ زقاً وركبه في النهر ، فأحبل
الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل . فاستغاث بأعرابي على ضفة النهر ، فقال :
يداك أو كنا وفوك نفخ .

جالب الشر إلى أهله

منه قولهم : دَلَّتْ على أَهْلِهَا بَرَاقِئِ . وراقشُ كَلْبَةٌ لحي من العرب مرَّ بهم
جيش ليلاً ولم ينتهبوا لهم ، فنبحت براقش فدلَّت عليهم .
وقالوا : كانت عَلَيْهِمُ كراغِبَةُ البَكْرِ . يعنون ناقة ثمود .
وقال الأخطل :

ضفادِعُ في ظِلْماءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ . فدَلَّ عليها صوتُها حِيَةَ البَحْرِ

تصرف الدهر

منه قولهم : مرَّةٌ عَيْشٌ ومرَّةٌ جَيْشٌ .
ومنه : اليومُ خَمْرٌ وغداً أَمْرٌ : قاله امرؤ القيس ، أو مهلهل أخو كليب .
لما أتاه موت أخيه وهو يشرب .
وقالوا : عَيْشٌ رَجَباً ترَّ عَجَباً .
وقالوا : أتى الأبدُ على لُبْدٍ .

وقال الشاعر :

فِيَوْمٍ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا . وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسْرُ

وقولهم : مَنْ يَجْتَمِعُ تَتَقَعَّقُ عُمْدُهُ . وَأَنْشُد :

أَجَارَتْنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرِّقُ . وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلَقُ

الامر الشديد المعضل

منه قولهم : أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ ، وَأَيْنَ يَضَعُ الْمَخْنُوقُ يَدَهُ .

ومنه قولهم : لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ .

ومنه قولهم : رَأَى الْكَوْكَبَ ظُهُرًا . قَالَ طَارِقَةُ :

« وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَهْوِي بِالظُّهْرِ »

هلاك القوم

منه قولهم : طَارَتْ بِهِمُ الْعَنْقَاءُ . وَطَارَتْ بِهِمْ عُقَابٌ مَلَاعٌ . يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وَأَحْسَبُهَا مَعْدُولَةٌ عَنْ مَلِيعٍ .

وَالْمَنَابِئُ عَلَى الْحَوَايَا . قَالَ أَبُو عِيْدٍ : يُقَالُ إِنَّ الْحَوَايَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَرَكَبٌ مِنْ مَرَائِبِ النِّسَاءِ ، وَاحِدَتُهَا حَوِيَّةٌ ، وَأَحْسَبُ أَصْلَهَا أَنَّ قَوْمًا قَتَلُوا ، فَحَمَلُوا عَلَى الْحَوَايَا ، فَظَنَّ الرَّاهُونَ أَنَّ فِيهَا نِسَاءً ، فَذَاكَ كَشَفُوا عَنْهَا أَبْصَرُوا الْقَتْلَ ، فَقَالُوا ذَلِكَ : فَصَارَتْ مَثَلًا .

ومنه : أَتَتْهُمُ الدُّهْمُ تَرْمِي بِالرَّضْفِ . مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَوَلِيدُهُ . مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَمْرَ أَشَدُّ حَتَّى ذَهَبَتْ الْمَرْأَةُ أَنْ تَدْعُو وَوَلِيدَهَا .

ومنه : التَّقَتُّ حَلَقْنَا الْبَطَانَ . وَبَاغَ السَّيْلُ الرُّبِيَّ . وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ . وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِّينُ الْعَظْمَ .

إصلاح ما لا صلاح له

- منه قولهم : * كدائبةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ *
 حلم : فسد . وكتب الوايد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت :
 فإنك والكتاب إلى عليٍّ * كدائبةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ
 في شعرٍ له .

صفة العدو

يقال في العدو : هو أزرَقُ العين . وإن لم يكن أزرَق . وهو أسودُّ الكبد .
 وأصهبُ السِّبَالِ .

البخيل يعتل بالعسر

- منه قولهم : قَبِلَ البُكَاءُ كان وجهك عابِسًا .
 ومنه : قَبِلَ النَّفَاسِ كُنْتَ مَصْفَرَّةً .

اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل

- منه : تُحْذُ من الرِّضْفَةِ ما عليها . وخذ من جَدَعٍ ما أعطاك .
 قال ابن الكلبي : وأصل هذا المثل أن غسان كانت تؤدي إلى ملوك سَلِيحٍ
 دينارين كل سنة عن كل رجل ، وكان الذي يلي ذلك سبطة بن المنفر السليحي .
 ١٥ جاء سبطة إلى جَدَعٍ بن عمرو الغساني يسأله الدينارين . فدخل جَدَعٌ منزله
 واشتمل على سيفه ، ثم خرج فضرب به سبطة حتى سكت ، ثم قال له : تُحْذُ من
 جَدَعٍ ما أعطاك ! فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك ، وصار الملك لها
 حتى أتى الإسلام .

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه

- منه قولهم : سَمُّكُمْ هَرِيْقٌ في أديمكم .

ومنه : يا مُهْدِيَ الْمَسَالِ كُلِّ مَا أَهْدَيْتَ .
ومنه قول العامة : الْحِمَارُ جَلَبَهُ وَالْجَارُ أَكَلَهُ .

موت البخيل وماله وافر

منه : مات فلانٌ عَرِيضَ الْبَطَانِ . ومات بِيْطْنَتِهِ لم يَتَغَضَّضْ مِنْهَا شَيْئاً .
• والتغضض : النقصان .

البخيل يعطي مرة

منه قولهم : ما كانت عَطِيَّتُهُ إِلَّا بَيْضَةَ الْعُقْرِ . وهي بَيْضَةُ الدَّيْكَ .
قال الزبيرى : الدَّيْكَ رِبْمًا بَاضَ بَيْضَةً .
وأُشْدَ لِبْشَارٍ :

١٠ قد زُرْتِي زَوْرَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً . نَتْنِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدَّيْكَ
ومنه قول الشاعر :

لا تَعْجَبِي الْحَسِيرَ زَلَّ مِنْ يَدِهِ • فَالْكُوكِبُ النَّحْسُ بَسَقِي الْأَرْضَ أَحْيَانًا
ومنه قولهم : من الخواطيئِ سَهْمٌ صَاتِبٌ .

واللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْمِرٌ . وأصل هذا أَنَّ سُلَيْكَ بْنَ سَلَكَةَ ، كان نائمًا
١٥ مشتملاً ، فحُثِمَ رِجْلُهُ عَلَى صَدْرِهِ . وقال له : آسَأَسِرُ . فقال له : اللَّيْلُ طَوِيلٌ
وَأَنْتَ مُقْمِرٌ . ثم قال له : آسَأَسِرُ يَا خَيْبُكَ . فضمه ضمَّةً ضَرْطَ مِنْهَا ، فقال له :
أَصْرِي طَأً وَأَنْتَ الْأَعْلَى . فذهبت أيضاً مثلاً .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تَسَأَلُنِي بِرَأْمَتَيْنِ سَأَلَجِيَا . وأصله أَنَّ امْرَأَةً تَشَهَّتْ عَلَى زَوْجِهَا
٢٠ سَأَلَجِيَا وهو بَيْلِدٌ قَصْرٌ ، فقال هذه المقالة : والسألجم : اللفت .

ومنه : شر ما نال امرؤ ما لم يَنَلْ .

ومنه : السائلُ فَوْقَ حَقِّهِ مُسْتَحَقُّ الْحَرَمَانِ .

ومنه قولهم :

إِنَّكَ إِن كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِيقْ هـ سَاءَ كِ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ مُخْلَقٍ

الرضا بالبعض دون الكل

منه : قد يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ .

وقولهم : تُخَذُّ مِنْ جِذْعٍ مَا أُعْطَاكَ .

وقولهم : تُخَذُّ مَا طَفَّ . لك أى أرض بما أمكنك .

ومنه قولهم : زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ .

وقولهم : لَيْسَ الرَّيُّ [عَنْ] التَّشَافِّ . أى ليس يروى الشارب بشرب الشفاقة

كلها ، وهى بقية الماء فى الإناء ، ولكنه يروى قبل بلوغ ذلك .

وقولهم : لَمْ يُجْرَمَ مَنْ فُصِدَ لَهُ . ومعناه أنهم كانوا إذا لم يقدرُوا على قِرَى

الضيف فُصدوا له بعيراً وعالجوا دمه بشيء حتى يمكن أن يأكله .

ومنه قول العامة : إِذَا لَمْ يَكُنْ شَحْمٌ فَنَفْسٌ . أصل هذا أن امرأةً لبست ثياباً ،

ثم مشت وأظهرت البهر فى مشيتها بارتفاع نفسها ، فلقبها رجل ، فقال لها :

إِنى أعرفك مهزولة ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : إن لم يكن شحم فنفس ، وقال

ابن هانئ :

قَالَ لى : تَرْضَى بِوَعْدِ كَاذِبٍ هـ قُلْتَ إِنْ لَمْ يَكُ شَحْمٌ فَنَفْسٌ

التوق فى الحاجة

منه قولهم : فَعَلْتُ فِيهَا فَعْلٌ مِنْ طَبٍّ لِمَنْ حَبٌّ .

ومنه قولهم : جَاءَ تَضِبُّ لِنَاتِهِ عَلَى الْحَاجَةِ . معناه لشدة حرصه عليها .

وقال بشر بن أبى خازم : • تَخِيلُ تَضِبُّ لِنَاتِهَا لِلنِّعْمِ •

استتمام الحاجة

أَتَبِعَ الْفَرَسَ لِحَامِهَا . يريد أنك قد جُدت بالفرس واللجام أيمرُ خطباً . فأتى الحاجة

ومنه : تمامُ الرِّبيعِ الصَّيفُ . وأصله في المطر ؛ فالربيعُ أوله ، والصيفُ آخره .

المصانعة في الحاجة

من يطلب الحسنة يُعْطى مَهْرُهَا .

وقولهم : المصانعة تُدبِّرُ الحاجة ، وَمَنْ اشْتَرَى فَقَدْ اشْتَوَى . يقول : من

اشترى لِحْمًا فَقَدْ أَكَلَ شِوَاءً . ٥

تعجيل الحاجة

قولهم : السَّرَّاحُ مِنَ النَّجَاحِ ، وَالنَّفْسُ مُوَلَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ .

الحاجة تمكن من وجهين

منه قولهم : كِلَا جَانِبَيْ هَرْشَى لَهْنَ طَرِيقٌ . هرشى : عقبة .

ومنه : هُوَ عَلَى حَبْلِ ذِرَاعِكَ . أى لا يُخَالِفُكَ . ١٠

من منع حاجة فطلب أخرى

منه قولهم : إِلا دَهٍ فَلا دَهٍ . قال ابن الكلبي : معناه أن كاهنا تقاضى إليه

رجلان من العرب . فقالا : أخبرنا في أى شىء جئناك ؟ قال : في كذا وكذا :

قالا : إلامه . أى انظر غير هذا النظر . قال : إلامه فلا ده . ثم أخبرهما بها .

قال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن . ١٥

الحاجة يحول دونها حائل

منه قولهم : قد عَلِقَتْ دَلْوُكَ دَلْوًا أُخْرَى .

وقولهم : الأمرُ يَحْدُثُ دُونَهُ الْأَمْرُ .

وقولهم : أَخْلَفَ رُوَيْبِيًا مَظْنُهُ . وأصله أن راعيا اعتاد مكانا ، فجاء يرعاه ،

فوجدته قد تغير وحال عن عهده . ٢٠

ومنه قولهم : سَدَّ آبن بِيضِ الطَّرِيقِ سَدًّا . وابن يَبِضُ : رجل عقر ناقة في رأس ثنية فسَدَّ بها الطريق .

اليأس والحنية

منه قولهم : من لى بالسائِجِ بعد البارِجِ . أى من لى باليُمن بعد الشؤم .
 وقولهم : جاء بِحُجِّي حُنَيْنٍ . وقد فرناه في الكتاب الذى قبل هذا .
 ومنه : أطال الغيبة وجاء بالحنية .
 ونظير هذا قولهم : سَكَتَ أَلْفًا ونَطَقَ خَلْفًا . أى أطال السكوت وتكلم بالقبیح ، وهذا المثل يقع في باب العى ، وله هاهنا وجه أيضاً .
 وقال الشاعر :

١٠ وما زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ * مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
 وَأَدْرِعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدُّجَى * وَأَسْتَصْحِبُ النَّسْرَ وَالْفَرَاقِدَيْنِ
 وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْهَمُومِ * إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِحُجِّي حُنَيْنِ

طلب الحاجة في غير موضعها

قالوا : لم أجد لشفرتى محزاً .
 وقولهم : كَدَّمْتُ غَيْرَ مَكْدَمٍ .
 وقولهم : نَفَخْتُ لَوْ تَنْفَخُ فِي فِجْمٍ .
 وقالت العامة : يضرب في حديد بارد .

طلب الحاجة بعد فواتها

منه قولهم : لا تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ .
 وقولهم : الصَّيْفُ صَيَّعَتِ اللَّبْنَ . معناه أن الرجل إذا لم يُطْرِقْ ماشيته في
 ٢٠ الصيف كان مضيئاً لآلبانها عند الحاجة .

الرضا من الحاجة بتركها

منه قولهم : من نجا برأسه فقد ربح .

وقولهم : رضيت من الغنيمة بالإياب

وقول العامة : الهزيمة مع السلامة غنيمة .

وقال امرؤ القيس :

٥

وقد طَوَّقت في الآفاق حتى • رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال آخر :

الليل داجٍ والكباشُ تَنْتَطِحُ • فمن نجا برأسه فقد ربح

من طلب الزيادة فاتقص

منه : كطالب القرن [جُدَعَتْ] أذُنُهُ .

١٠

وقولهم : كطالب الصيد في عريسة الأسد .

وقولهم : سَقَطَ العشاءُ بها على سِرْحان . يريد دابة خرجت تطلب العشاء

فصادفت ذئباً .

ونظير هذا من قولنا :

طَلَبْتَ بِكَ التَّكْثِيرَ فَازْدَدْتُ قَلَّةً • وقد يَخْمِرُ الإنسانُ في طلب الرِّيحِ

١٥

الخلاء بالحاجة

منه قولهم : • تَخَلَّ لك الجَوْ فَيُضِي وَأَصْفَرِي •

ومنه : رُمِيَ بِرِيْشِكَ عَلَى غَارِيكَ . وهذا المثل قاله عائشة لابن أخت

ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ذهبت والله ميمونة ورُمِيَ بِرِيْشِكَ

على غاربك .

٢٠

إرسالك في الحاجة من تثق به

• أرسل حكيماً ولا توصه •

وقولهم: الحريصُ بصيدُك لا الجوادُ . يقول : إن الذي يحرص بحاجتك هو الذي يقوم بها ، لا القوي عليها ولا هوى له فيها .

• ومنه قولهم : لا يُرْحَلَنَّ رَحْلَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ .

ومنه في هذا المعنى : الحاجة يجعلها نُصَبَ عَيْنَيْهِ ، ويحملها بين أذنيه وعاتقه . ولم يجعلها بظهره .

قضاء الحاجة قبل السؤال

منه قولهم : لا تسأل الصارخ وانظر ماله . يريد : لم يأتك مستصرخاً إلا من

10 ذعر أصابه ، فأغته قبل أن يسألك .

ومنه : كفى برغائبها مُنادياً .

ومنه : يُخْبِرُ عن مجهولٍ معلومه .

وقولهم : في عينه فراره . يعنون في نظرك إلى الفرس ما يُغنيك عن أن تفره .

الانصراف بحاجة تامة مقضية

15 جاء فلان ثانياً من عتابه . فإن جاء بغير قضاء حاجة ، قالوا : جاء يضربُ أصدريه ، أى عطفيه .

وجاء وقد لفظ لجامه . وجاء سهلاً .

فإن جاء بعد شدة قيل : جاء بعد اللتيا والتي . وجاء بعد الهياط الهياط .

تجديد الحزن بعد أن يبكي منه

20 منه قولك : حرّك لها حوارها تبحن . وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص

أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام : أخرج إليهم قيص عثمان

رضوانُ الله عليه الذي قُتل فيه . ففعل ذلك معاوية . فأقبلوا يسكون . فعندها قال عمرو : حَرَّكَ لَهَا حُورَاهَا تَحَنَّنَ .

جامع أمثال الظلم

منه قولهم : الظُّمُّ حَرَّتَعُهُ وَخِيمٌ .

وفي الحديث : الظُّمُّ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ومنه : إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعَنْبَ .

وقولهم : الْحَرْبُ غَشُومٌ .

الظلم من نوعين

منه : أَحْشَفًا وَسَوْءَ كِبَالَةٍ .

ومنه : أَعْدَةُ كَنْدَةَ الْبَعِيرِ ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ .

وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلجأ إلى امرأة من سلول فهلك عندها .

ومنه : أَعْيْرَةٌ وَجُبْنًا . قاله امرأة من العرب ، لزوجها تعيره حين تخلف عن

عدوة في منزله ، ورآها تنظر إلى القتال فضربها . فقالت : أَعْيِرَةٌ وَجُبْنًا ؟

وقولهم : أَوْكَسَفًا وَإِمْسَاكَ . أصله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع

بخل ومنع .

وقولهم : يَا عَبْرِي مُقْبِلَةٌ وَسَهْرِي مُدْبِرَةٌ . يضرب الأمر الذي يُبْكَرُه

من وجهين .

ومنه قول العامة :

كَالْمُسْتَعِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ .

وقولهم : لِلْبُوتِ يَفْزَعُ وَالْبُوتِ بَدَرٌ .

وقولهم : كَالْأَشْقَرِ : إِنْ تَقَدَّمَ نَحْرًا ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُنُقًا .

وقولهم : كَالْأَرْقَمِ إِنْ يُقْتَلُ يَنْتَقِمَ ، وَإِنْ يُتْرَكَ يَلْتَمِمْ . يقول : إِنْ قَتَلْتَهُ كَانَ لَهُ مِنْ يَنْتَقِمُ لَهُ مِنْكَ ، وَإِنْ تَرَكَهُ قَتَلَكَ .
ومنه : هُوَ بَيْنَ حَاذِفٍ وَقَاذِفٍ . الحاذف : الضارب بالعصا ، والقاذف : الرامي بالحجر .

• من يزداد غمًا على غمه

منه قولهم : ضِنْتُ عَلَى إِبَالَةٍ . الضنط : الحزمة الصغيرة من الخشب ، والإبالة : الكبيرة .

ومنه قولهم : كِفْتُ إِلَى وَئِيَّةٍ . الكفت القدر الصغيرة ، والوئية : القدر الكبيرة .
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَحْمَلُ الْبَلْبَةَ الْكَبِيرَةَ ثُمَّ يَزِيدُ إِلَيْهَا أُخْرَى صَغِيرَةً .

ومنه قولهم : وَقَعُوا فِي أُمَّ جُنْدُبٍ ، إِذَا ظَلَمُوا .

المعبون في تجارتهم

منه قولهم : صَفَقَةٌ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ . وأصله أن ببض أهل حاطب باع يبعة غبن بها .

ومنه قولهم : أَعْطَاهُ الْفَاءَ غَيْرَ الْوَفَاءِ .

١٥ سرعة الملامة

منه : لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ سُرْعَةُ الْعَدْلِ .

ومنه : رَبُّ مُلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وقولهم : الشَّعِيرُ يُؤَكَلُ وَيُدَمُّ .

وقول العامة : أَكَلًا وَذَمًّا .

٢٠ وقول الحجاج : قُبِحَ وَاللَّهِ مِنَّا الْحَسَنُ .

الكرِيم يهْتَضِمُه اللَّيْم

لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتِي .

ومنه : ذُلٌّ لو أَجْدُ ناصِرًا .

الانْتِصَارُ مِنَ الظُّلْمِ

هذهِ بِتِلْكَ ، والبادي أَظْلَمُ .

ومنه : مَنْ لَمْ يَدُدْ عَن حَوْضِهِ يُهْدَمُ .

الظُّلْمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلى صَاحِبِهِ

قالوا : من حَفَرَ مُغَوَّاةً وَقَعَ فِيهَا . والمغواة : البئر تحفر للذئب ، ويجعل فيها

جدى ليسقط الذئب فيها ليصيده ، فيصطاد .

ومنه : يَعْدُو عَلى كُلِّ امْرِيٍّ ما يَأْتِمِرُ .

ومنه : عادَ الرَّئِيُّ عَلى النَّزَعَةِ . وهم الرماة يرجع عليهم رميهم .

وتقول العامة : كالباحثِ عَنِ المُدْيَةِ .

ومنه قولهم : رُمِيَ بِحَجْرِهِ ، وَقُتِلَ بِسِلاحِهِ .

المضطر إلى القتال

مُشْكِرُهُ أَخوْكَ لا بَطْلانُ .

قد يَحْمِلُ العَيْرُ مِنْ دَعْرِ عَلى الأَسَدِ .

المأخوذ بذنب غيره

جانِبِكَ مَنْ يَجِي عَليكَ .

ومنه : كَذِي العَرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وهو راتِعٌ .

ومنه : كالثورِ يُضْرَبُ لَمّا عَافَت البَقْرُ .

يعنى : عافت الماء

وقال أنس بن مُذْرِك :

إني وقتلي سُلَيْكَا ثم أَعْقِلُهُ . كالثورِ يُضْرَبُ لما عافتِ البقرُ

يعنى ثور الماء . وهو ثورانه ، يقال : ثار الماء ثوراً وثورانا .

ومنه قولهم : كلُّ شاةٍ بِرِجْلِها تُنَاطُ . يريد : لا يؤخذ رجل بغير ذنبه .

المتبري من الشيء

ماهو من ليله ولا سمره . ماهو من بزى ولا من عطرى . مالى فيه

ناقة ولا جمل .

ومنه قولهم : برئتُ منه إلى الله .

ومنه : لستُ منك ولستَ مِنى . وما أنا من ددٍ ولا الددُ مِنى .

سوء معاشره الناس

قالوا : الناسُ شجرةٌ بَنَى . لا سبيلَ إلى السلامةِ من ألسنةِ العاقبةِ . ورضا

الناسِ غايةٌ لا تُدرَكُ .

ومنه الحديث المرفوع : الناسُ كما بِلِ مائةٍ لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً .

ومنه قولهم : الناسُ يُعَيَّرُونَ ولا يَغْفِرُونَ ، واللهُ يَغْفِرُ ولا يعيِّرُ .

وقال مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره قولُ الناسِ فيه .

وقول أبي الدرداء : إن قارضتَ الناسَ قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك .

الجبان وما يذم من أخلاقه

منه قولهم : إنَّ الجبانَ حَتَفَهُ مِن فوقه . وهو قول عمر بن مامة :

لقد وَجَدْتُ الموتَ قَبْلَ ذوقِهِ . إنَّ الجبانَ حَتَفَهُ مِن فوقه .

قال أبو عبيد : أحسبه أراد أن حذره وتوقيه ليس بدافع عنه المنيّة . وهذا

غلط من أبي عبيد عندي ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت

قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن ، ثم قال : إنَّ الجبانَ حَتَفَهُ مِن فوقه :

يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه .

كما قال تبارك وتعالى في المناققين إذ وصنمهم بالجبن : (يَحْسَبُونَ كُلَّ صِجَّةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو) .

وقال جرير للأخطل يُعِيرُهُ إِيقَاعَ قَيْسِ بِهِم :

حَمَلَتْ عَلَيْكَ رِجَالَ قَيْسٍ خَيْلَهَا . شُغْتًا عَوَائِسَ تَحْمِلُ الْإِبْطَالَ

مَازَلَتْ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ . خَيْلًا تَكْكُرُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالَ

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عبيد ما كان معناه يدخل في هذا الباب :

لأنه باب الجبان وما يذم من أخلاقه ، وليس الأخذ في الخنزير من الجبن في شيء ،

لأن أخذ الخنزير محمود وقد أمر الله به ، والجبن مذموم من كل وجه .

ومنه الشعر الذي تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لَبِثْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جَمَلٌ . مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

ومنه قولهم : كُلُّ أَرْبَبٍ تَفُورُ . وإنما يقال في الأربب من الإبل لكثرة

شعره . ويكون ذلك في عينيه ، فكلمها رآه ظن أنه شخص يطلبه فينفر

من أجله .

ومنه قولهم : بَصْبَصْنَ إِذْ حُدِينَ بِالْأَذَابِ .

ومنه قولهم . دَرَدَبَ لَمَّا عَضَّه الثَّقَافُ .

وقولهم : حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ،

قاله للنعيمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له : أَنَشِدْنِي شِعْرَكَ :

• أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ مَلْحُوبٍ •

فقال عبيد : حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ .

ومنه : قَفَّ شَعْرُهُ ، وَأَقْشَعْرَتْ ذُؤَابَتُهُ . معناه قام شعره من الفزع .

إفلات الجبان بعد إشفائه

منه قولهم : أَفَلَّتْ وَأَنْتَحَصَّ الذَّنْبُ .

ومنه : أفلت وله حُصاص .

ويروى في الحديث : إن الشيطان إذا سَمِعَ الأذان أدبَرَ وله حُصاص .

ومنه أفلتى جُرَيْمَةُ الذَّقْنِ . إذا كان منه قريبا كقرب الجرعة من الذقن ،
ثم أفله .

ومنه قول العامة : إن يُفَلَّت الطير فقد ذَرَقَ .

وقولهم : أفلت وقد بَلَّ النُّيْفَقُ . الذي تسميه العامة : النُّيْفَقُ .

الجبان يتهدد غيره

منه قولهم : جاء فلان يَنْفُضُ مِذْرُوبَهُ . أى يتوعد ويتهدد . والمذروان : فرعا

الألتيين . ولا يكاد يقال هذا إلا لمن يتهدد بلا حقيقة .

ومنه : أْبْرِقْ لمن لا يعرفك . وأقصد بذرعك . ولا تُبْرِقْ إلا على نفسك .

تصرف الدهر

منه : من يَجْتَمِعُ تَنْقَعَعُ عُمُدُهُ . أى أن الاجتماع داعية الاقتراق .

ومنه : كل ذات بعْلٍ ستثيم .

ومنه البيت السائر :

١٥ وكل أخٍ مُفَارِقُهُ أخوه . لعمر أيبك إلا الفرقدان

ومنه : لم يَفُتْ من لم يَمِتْ .

الاستدلال بالنظر عن الضمير

منه قولهم : شاهد البُغْضِ اللَّعْظُ . وَجَيْلٌ مُحِبُّ نَظَرِهِ .

قال زهير :

٢٠ فإن تكُ فى صديق أو عَدِيقٍ . تُخَبِّرُكَ العيون عن الضمير

وقال ابن أبي حازم :

تُحَدِّثُ من العيش ما كفى . ومن الدهر ما صفا

عَيْنٌ مَّنْ لَا يُحِبُّ وَضَهُ . لَأَنَّ تُبْدِي لَكَ الْجِفَا

نقى المال عن الرجل

منه قولهم : ما له سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ . معناه لا شيء له .

ومنه : ما له هِلَعٌ وَلَا هِلْعَةٌ . وهما الجدى والعناق .

ومنه : ما له هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ، معناه ليس له أحد يهرب منه ، ولا أحد يقرب إليه ؛ فليس له شيء .

وقولهم : ما له عَافِظَةٌ وَلَا نَافِظَةٌ ؛ وهما الضائفة والماعزة . وما به نبض

ولا حبص .

قال الأصمعي : النبض : المتحرك ، ولا أعرف الحبص .

وقال غيره : النبض والحبص في الوتر ، والنبض : تحرك الوتر ، والحبص : صوته . قال :

• والنبل يهوى تبصاً وحبصاً •

ومنه قولهم : ما له سَبَدٌ وَلَا كَبَدٌ . هما الشعر والصوف .

ولم يعرف الأصمعي السعنة والمعنة .

إذا لم يكن في الدار أحد

١٥

منه قولهم : ما بالدار شَفْرٌ ؛ ولا بها دُعْوَى ؛ ولا بها دُبِّي . معناه ما بها من

يدعو ومن يدب ، وما بها من غريب . ولا بها دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ ؛ وما بها وَاِيرٌ ،

وما بها صَافِرٌ ، ولا بها دِيَّارٌ ، وما بها نَافِخٌ ضَرْمَةٌ ، وما بها أَرَمٌ . معنى هذا كله

ما بها أحد ، ولا يقال منها شيء في الإثبات والإيجاب ، وإنما يقولونها

في النقي والجحد .

٢٠

اللقاء وأوقاته

ومنه : لَقِيتُ فُلَانًا أَوَّلَ عَيْنٍ . يعنى أول شيء .

وقال أبو زيد : لَقَيْتُهُ أَوَّلَ عَائِنَةٍ . وَلَقَيْتُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ . وَلَقَيْتُهُ أَوَّلَ ذَاتِ يَدَيْنِ . وَلَقَيْتُهُ أَوَّلَ صَوِّكَ وَأَوَّلَ بَوِّكَ . فَإِنْ لَقَيْتَهُ جِئَاةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرِيدَهُ ، قُلْتَ : لَقَيْتَهُ نِقَابًا ؛ وَلَقَيْتُهُ التِّقَاظَا ، إِذَا لَقَيْتَهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

• وَمَنْهَلٌ وَرَذَّةٌ التِّقَاظَا •

- وإن لقيته مواجهة قلت : لَقَيْتُهُ صِفَاخًا . وَلَقَيْتُهُ كِفَاخًا . وَلَقَيْتُهُ كَفَّةً كَفَّةً .
قال أبو زيد : فإن عرض لك من غير أن تذكره قلت : رُفِعَ رُفْعًا ؛ وَأَشْبَى لِي إِشْبَابًا . فإن لقيته وليس بينك وبينه أحد ، قلت : لَقَيْتُهُ صَحْرَةً بَحْرَةً . وهي غير مجرأة . فإن لقيته في مكان قفر لا أنيس به قلت : لَقَيْتُهُ صَحْرَةً بَحْرَةً أَصَمَّتْ ، غير مجرّى أيضا . ولقيته بين سمع الأرض وبصرها . فإن لقيته قبل الفجر قلت : لَقَيْتُهُ قَبْلَ [كَلًّا] صَبْحٍ وَنَفَرٍ . النفر : التفرق . وإن لقيته بالهاجرة قلت : لَقَيْتُهُ صَكَّةً عُمِّيَّ . وصكّة أعمى .

قال رؤبة يصف الفلاة إذا لمعت بالسراب في الهاجرة :

شبيهة بسهم قوسٍ لمعا • صكّ عمي زاجراً قد برعا^(١)

- فإن لقيته في اليومين والثلاثة قلت : لَقَيْتُهُ فِي الْفَرَطِ . ولا يكون الفرط في أكثر من خمس عشرة ليلة . فإن لقيته بعد شهر ونحوه ، قلت : لَقَيْتُهُ فِي عَفْرِ . فإن لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لَقَيْتُهُ عَنْ هَجْرٍ . فإن لقيته بعد أعوام قلت : لَقَيْتُهُ ذَاتَ الْعَوَّيمِ . فإن لقيته في الزمان قلت : لَقَيْتُهُ ذَاتَ الزَّمَانِ . والغيب في الزيارة ، وهو الإبطاء فيها . والاعتمار في الزيارة . وهو التردد فيها .

في ترك الزيارة

- ٢٠ منه قولهم : لا آتيك ما حنت النيب . وما أطت الإبل . وما اختلف الدرّة

(١) في بعض الأصول :

شبيهة بيم بين عيبرين معا • صكّة أعمى زاجراً قد أترعا

والجرّة . وما اختلف المَلَوَان . وما اختلف الجديدان . ولا آتيك السّمَر والقمر
وأبَد الأبد .

ويقال : أبَد الأيدين . ودهر الداهرين . وحتى يرجع السّمَم إلى نُوقِه . وحتى
يرجع اللبن في الضَّرْع . ولا آتيك سِنَّ الحِسل .

٥ تفسيره : النيب : جمع ناب ، وهي المُسنّة من الإبل . والدرّة : الحليّة من اللّبن .
والجرّة : من اجترار البعير . والمَلَوَان والجديدان : الليل والنهار . والحسل : هو
ولد الضب . يقول : حتى تسقط أسنانه ، ولا تسقط أبداً حتى يموت .

استجهال الرجل ونفى العلم عنه

١٠ منه قولهم : ما يَعْرِفُ الحوَّ من الوِّ . وما يَعْرِفُ الحَيَّ من اللّميِّ . ولا هَريراً
من غَرير . ولا قَيْلاً من دِير . وما يَعْرِفُ أَيُّ طَرْفِهِ أطول وأكبر .
وما يَعْرِفُ هراً من بَرّ ، أَي ما يَعْرِفُ من يَهُرُّه من يَبُرُّه . والقَيْيل :
ما أقبلت به من قَتْل الحبل ، والديير : ما أدبرت به منه . وأى طرفه أطول :
أنسب أبيه أم نسب أمه .

أمثال مستعملة في الشعر

١٥ قال الأصمعي : لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوّله مثل وآخره مثل إلا ثلاثة
إبيات : منها بيت الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلُ الخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ • لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ويتان لامرئ القيس :

وَأَفْلَهِنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً * وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفَرَ الوِطَابِ

٢٠ وَقَامَ جَسْدُهُمُ بِنِي أَبِيهِمْ • وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابِ

ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدري كيف أغفل القديم منه

الأصمعي . فنه قول طرقة :

سُبْدَى لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا • وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال . ويقال إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع هذا البيت ، فقال : إن معناه من كلام النبوة .

ومن ذلك قول الآخر :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقِهَا • وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

ومن ذلك قول الحسن بن هانئ :

أَيُّهَا الْمَتَابُ عَنْ عُقْرِهِ • لَسْتَ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمْرَةٍ
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ • قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنَ ثَمَرِهِ

١٠ إن العرب تقول : اتاب فلان عن عقره : أى تباعد عن أصله . لست من
ليلى ولا سمرة : مثل ثان ، وليس فى البيت الثانى إلا مثل واحد .

ومن قولنا فى بيت أوله مثل وآخره مثل :

قَدْ صرَّحَ الْأَعْدَاءُ بِالْبَيْنِ • وَأَشْرَقَ الصَّبْحُ لَدَى الْعَيْنِ

وبعده أبيات فى كل بيت منها مثل ، وذلك قولنا :

١٥ وعاد من أهواهُ بعد القَلْبِ • شَقِيقَ رُوحٍ بَيْنَ جِسمَيْنِ
وأصبح الداخلُ فى بَيْنِنَا • كَسَاتِطٍ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ
قَدْ أَلْسَسَ الْبَغْضَاءُ مِنْ ذَاوِذَا • لَا يَصْلُحُ الْغَمْدُ لِسَيْفَيْنِ .
ما بالُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ • يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ

ومن قولنا الذى هو أمثال سائرة :

٢٠ قالوا شبا بك قد ولى فقلت لهم • هل من جديد على كرم الجديدين
صل من هويت وإن أبدي معاتبته • فأطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حباتل خل لا تلاممه • فرىما ضاقت الدنيا على اثنين

وقلت بعد هذا في المدح :

فَكَرْتُ فِيكَ أَبْحَرُ أَنْتَ أَمْ قَرٌّ ۝ فَقَدْ تَحَيَّرَ فَكْرِي بَيْنَ هَذَيْنِ
إِنْ قَلْتُ بَحْرًا وَجَدْتُ الْبَحْرَ مُنْحَسِرًا ۝ وَبَحْرُ جُودِكَ مَمْتَدُّ الْعَبَّائِينَ
أَوْ قَلْتُ بَدْرًا رَأَيْتُ الْبَدْرَ مُنْتَقِصًا ۝ فَقَلْتُ شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْبُدَيْرَيْنِ

ومن الأمثال التي لم تأت إلا في الشعر أو في قليل من الكلام ، من ذلك

قول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ۝ إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال آخر :

متى تنقضى حاجات من ليس صابراً ۝ على حاجة حتى تكون له أخرى

١٠ قيل ولما بلغ حاتماً قول المتنبي :

وأعلم علم صدق غير ظن ۝ لَتَقْوَى اللهُ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ
وحفظ المال أيسر من بُعَاثُهُ ۝ وسير في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ۝ ولا يبقى الكثير مع الفساد

قال : قطع الله لسانه ! يحمل الناس على البخل : ألا قال :

١٥ لا الجود يُفنى المال قبل فنائه : ولا البخل في مال الشخيخ يزيد

فلا تلمس مالا بعيش مُقْتَرٍ ۝ لكل عُود رزق يعود جديد

وقال غيره :

إذا كنت لأعفو عن الذنب من أخ ۝ وقلت أكافيه فأين التفاضل

فإن أقطع الإخوان في كل عُسرة ۝ بقيت وحيداً ليس لي من أوصل

٢٠ ولكنني أغضى الجفون على القذى ۝ وأصفح عما راني وأجامل

متى ما يرثني مفصل فقطعته ۝ بقيت ومالي للنهوض مفاصل

ولكن أدويه فإن صح سرتي ۝ وإن هو أعيأ كان فيه التعامل

[١٠ - ٢]

وقال :

يُديفون لي سَمًا وأسقيهم الحيا * وَيَقْرَوْتِي شِرا وشِرى مؤخَّر
كأنى سلبت القوم نور عيونهم * فلا العذر مقبول ولا الذنب يُنْفَر
وقد كان إحسانى لهم غير مرة * ولكن إحسان البغيض مكفَّر

ولغيره :

لم يبق من طلب الغنى * إلا التعرُّض للحتوف
فلا تُقبلن وإن رأيت الموت يلمع في الصفوف
إني أمرؤ لم أوت من * أدب ولا حظ سخيف
لكنه قَدَر يزو * ل من القوي إلى الضعيف

كِتَابُ الزُّمَرِ

فِي الْمَوَاعِظِ وَالزُّهْدِ

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأمثال ، وما تفننوا فيها لابن عبد ربه
على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد
ورجاله المشهورين به ، ونذكر المنتخلة من كلامهم ، والمواعظ التي وعظت بها
الأنبياء ، واستخلصتها الآباء للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ؛ ومقامات
العباد بين أيدي الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ
صَبْرَكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ
فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝ ﴾ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝
وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي
أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .
فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ
الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العباد بين أيدي الخلفاء ، ثم قولهم في الزهد ورجالهم
المعروفين به ، ثم المشهورين من المنتسبين إليه .

والموعظة ثقيلة على السمع مُحَرَّجَةٌ^(١) على النفس ، بعيدة من القبول ، لاعتراضها الشهوة ، ومُضَادَّتُهَا الهوى ، الذى هو ربيع القلب ، ومراد الروح ، ومربيع اللهو ، ومسرح الأمانى ؛ إلا من وعظه عليه ، وأرشده قلبه ؛ وأحكمته تجربته قال الشاعر :

- ٥ لن تَرْجِعَ الأَنْفُسَ عَنْ غَيْبِهَا هـ حتى يُرى منها لها واعظ
وقالت الحكماء : السعيد من وَعُظَّ بِغَيْرِهِ . لا يَعْنُونَ من وعظه غيره ، ولكن من رأى العِبْرَ فى غيره فاتعظ بها فى نفسه . ولذلك كَانَ يَقُولُ الحَسَنُ : أَقْدَعُوا هذه النفوس فإنها طلعة ، وحادثوها بالذكر فإنها سريرة الدثور ، وأعصوها فإنها إن أطيعت نَزَعَتْ إلى شَرِّ غَايَةٍ .

- ١٠ وكان يقول عند انقضاء مجلسه وَخَتَمَ موعظته : يالها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة .

١ وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه : أَلَسُنُ تَصِفُ ، وَقُلُوبٌ تَعْرِفُ ، وأعمال تخالف .

لأن السماك

وقال يونس بن عُبيد : لو أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا . يريد ثقل الموعظة على السمع ،

- ١٥ وجنوح النفس إلى مخالفتها . ومنه قولهم :

• أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا •

• وَقَوْلِهِمْ : وَالشَّيْءُ يُرْعَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنَعُ •

والموعظة مانعة لك مما تشتهى ، حاملة لك على ما تكره ، إلا أن تلقاها

بسمع قد فتقته العبرة ، وقلب قدحت فيه الفكرة ، ونفس لها من عليها زاجر ،

- ٢٠ ومن عقلاها رادع ؛ فيفتح لك باب التوبة ، ويوضح لك سبيل الإنابة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ .

لأننى صلى الله عليه وسلم

يريد أن يفتح الطريق إلى الجنة احتمال المكروه فى الدنيا ، والطريق إلى النار

ركوب الشهوات .

(١) فى بعض الأصول : « مستخرجة » .

وخير الموعدة ما كانت من قائل مخلص ، إلى سامع مُنصف .

وقال بعضهم : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت
من اللسان لم تجاوز الآذان .

وقالوا : ما أحسن النَّجَّاح وهو على رأس الملك أحسن . وما أحسن
الذَّيْف ، وهو على نحر الفتاة أحسن . وما أحسن الموعدة وهي من الفاضل
التقيُّ أحسن .

وقال زياد : أيها الناس ، لا يمنعكم سرعة ما تعلمون منا ، أن تتذمروا بأحسن
ما تسمعون منا . قال الشاعر :

أَعْمَلُ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وقال عبد الله بن عباس : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما انتفعت بكلام كَتَبَهُ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
كتب إليّ :

أما بعد : فإن المرء يَسُرُّهُ إدراك ما لم يكن ليفوته ، وبسره فوت ما لم
يكن ليدركه . فليكن سرورُك بما نلت من أمرٍ آخرتك ، وليكن أسفُك على
ما فاتك منها ؛ وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحاً . وما فاتك منها فلا تأس
عليه جزعاً . وليكن همك ما بعد الموت .

وقف حكيم بياب بعض الملوك فحجب ، فتلطف برقعة وأوصلها إليه ، وكتب
فيها هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرَجِّي لَه الْغِنَى * وَأَنَّ الْغِنَى يُخَشِّي عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

فلما قرأ البيت لم يلبث أن انتعل وجعل لاطئة على رأسه ، وخرج في
ثوب فضال ، فقال له : والله ما اتعظت بشيء بعد القرآن أتعاظي بيتهك هذا
ثم قضى حوائجه .

لبعضهم

لزياد

لابن عباس في
كلام لهحكيم بياب بعض
الملوك

٢٠

مواظب الأنبياء

عليهم السلام

قال أبو بكر بن أبي شيبة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : يَكْفِي أَحَدَكُمْ
من الدنيا قدرُ زاد الراكب .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : ابن آدم . اغنم تحملاً قبل تحميس : شباك قبل
هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ،
وحياتك قبل موتك .

عبد الله بن سلام قال : لما قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
أتته ، فلما رأيت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب : فسمعتُه يقول : أيها
الناسُ ، أطيئوا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلوا والناس نيام .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : ألا أخبركم بخيركم مجالسة ؟ قالوا : بلى
يا روح الله . قال : من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد في عملكم منطقتُه ، ويشرُّوكم
إلى الجنة عمله .

لعيسى عليه السلام

وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين : ويلكم يا عبيد الدنيا !
كيف تخالف فروعكم أصولكم ، وأهواؤكم عقولكم . قولكم شفاء يبرئ
الداء ، وفعلكم داء لا يقبل الدواء . لستم كالكرممة التي حُسن ورقها ، وطاب
ثمرها ، وسهل مرتقاها . ولكنكم كالسمرة التي قلَّ ورقها ، وكثر شوكتها ، وصعب
مرتقاها . ويلكم يا عبيد الدنيا ! جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه ،
وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يمكن تناولها ؛ فلا أتم عيداً نصحاء ،
ولا أحرار كرام . ويلكم يا أجراء السوء ! الأجر تأخذون ، والعمل تُفسدون ،
سوف تلقون ما تتخذون ، إذا نظر ربُّ العمل في عمله الذي أفسدتم ، وأجره
الذي أخذتم .

وقال عليه السلام للحواريين : آخذوا المساجد بيوتاً ، والبيوت منازل ،
وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سامن .

وقال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب ،
وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ؛ فإنما الناس رجلان : مبتلى ومعافى ؛ فارحموا
أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

وقال عليه السلام لهم أيضا : عجبا لكم ، تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها
٥ بغير عمل ؛ ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل .

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للكافرين من بني إسرائيل : يا نسل الأفاعى ،
من دلكم على الدخول في المساخط الموبقة بكم ؟ ويلكم ! تقربوا بعمل صالح ،
ولا تغرنكم قرابتكم من إبراهيم عليه السلام . فإن الله قادر على أن يستخرج من
هذه الجنادل نسلا لإبراهيم . إن الفأس قد وضعت في أصول الشجر ، فأخلق
١٠ بكل شجرة مرة الطعم أن تُقطع وتُلقَى في النار .

وقال شعيب ابن إسرائيل ، إذ أطلق الله لسانه بالوحى : إن الدابة
تزداد على كثرة الرياضة لينا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة .
إن الجسد إذا صح كفاء القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صح كفاء القليل
من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم عابد قد أفسده العُجب .
١٥ يا بني إسرائيل ، اسمعوا قولى ، فإن قاتل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها
من حققها بعمله .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم : إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يَحْزَنُونَ ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجلها
إذ نظروا إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتهم ، وتركوا ما علوا أن
٢٠ سيتركهم ؛ هم أعداء لما سالم الناس ، وسلم لما عادى الناس ، لهم خيرٌ (١) ،
وعندهم الخبر العجيب ، بهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم علم الهدى وبه عملوا ،
لا يرون أمانا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون .

(١) فى بعض الاصول ولم خبر عجيب . .

داود عليه السلام

وَهَبَ بِنُ مِنْهُ قَالَ : قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، ابْنُ آدَمَ لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا وَتَحْتَهَا لَكَ نِعْمَةٌ وَفَوْقَهَا لَكَ نِعْمَةٌ ، فَمَنْ أَيْنَ يَكْفُتُكَ بِمَا أَعْطَيْتَهُ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا دَاوُدُ ، إِنَِّّي أَعْطَيْتُ الْكَثِيرَ ، وَأَرْضَى مِنْ عِبَادِي بِالْقَلِيلِ ، وَأَرْضَى مَنْ شُكِرَ نِعْمَتِي بِأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ عِنْدِي لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ .

إبراهيم عليه السلام

- ٥ ولما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم بذبح ولده وأن يجعله قرباناً ، أسراً ذلك إلى خليل له يقال له العازر ، وكان له صديقاً ؛ فقال له الصديق إن الله لا يبتلي بمثل هذا مثلك ، ولكنه يُريد أن يَختبرك أو يَختبر بك ؛ وقد علمت أنه لا يبتليك بمثل هذا ليفتك ، ولا ليضلك ولا ليُعنتك ، ولا لينقض به بصيرتك وإيمانك ويَقينك ؛ فلا يروعنك هذا ، ولا يسوأن بالله ظنك ؛ وإنما رفع الله اسمك في البلاء عنده ^(١) على جميع أهل البلايا ، حتى كنت أعظمهم محنة في نفسك وولده . ليرفعك بقدر ذلك في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك . وليس هذا من وجوه البلاء الذي يبتلي الله به أوليائه ؛ لأن الله أكرم في نفسه ، وأعدل في حكمه وأرحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى . وأنا أعودُ بالله أن يكون هذا مني حتماً على الله ١٥ أو رداً لأمره ، أو سُخْطاً لحكمه ، ولكن هذا الرجاء فيه والظنُّ به ؛ فإن عزم ربك على ذلك فكن عند أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء الجسيم ، والمحطَب العظيم ، إلا لحسن ظنه بك ، وصدقك وتصبرك ؛ ليجعلك إماماً ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٢٠ ومن وحي الله تعالى إلى أنبيائه

أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ : إِنْ أَنَا اللَّهُ مَالِكُ الْمُلُوكِ ؛ قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي ؛ فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُ الْمُلُوكَ عَلَيْهِ رَحْمَةً ؛ وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُ الْمُلُوكَ عَلَيْهِ نِقْمَةً .

(١) في بعض الأصول : ه الملاء .

المسيح عليه
السلام

ومما أنزل الله على المسيح في الإنجيل : شوقناكم فلم تشناقوا ؛ ونُحنا لكم
فلم تَبْكُوا ؛ يا صاحبَ الحسين ، ما قدمت وما آخرت ؟ يا صاحبَ الستين ،
قد دنا حصادك ؛ يا صاحبَ السبعين ، هلمَّ إلى الحساب .

وفي بعض الكتب القديمة المنزلة : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا عبادي
٥ طالما ظمئتم ، وتقلصت في الدنيا شفاهكم ، وغارت أعينكم عطشا وجوعا :
فكُلُوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

وأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن نفسك
الخشوع ، ومن عينيك الدموع ؛ وسلني فأنا القريب المعجيب .

وفي بعض الكتب : عبيدي ، كم أنجبتُ إليك بالنعمة وتتبعنَّ إليَّ بالمعاصي ؛
١٠ خيري إليك نازل ، وشركي إلى صاعد .

وأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : إن أردت أن تسكن غدا حظيرة القدس ،
فكن في الدنيا فريداً ، وحيداً ، طريداً ، مهموماً ، حزينا ؛ كالطير الوُحداني :
يظل بأرض الفلاة ، ويردُّ ماء العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ؛ فإذا جنَّ
عليه الليل أوى وحده ، استباحشا من الطير واستناسا بربه .

١٥ ومما أوحى الله إلى موسى في التوراة : ياموسى بن عمران ، يا صاحب جبل
لبنان ، أنت عبيدي وأنا إلهك الديان ، لا تستذلَّ الفقير ، ولا تغيظ الغني
بشيء يسير ، وكن عند ذكري خاشعاً ، وعند تلاوة وحي طائفا ؛ أشمغني لذادة
التوراة بصوت حزين .

موسى عليه
السلام

٢٠ وقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى موسى عند الشجرة : لا تُعجبتك زينةُ
فرعون ولا مامتع به ، ولا تمدنَّ إلى ذلك عينك ؛ فإنها زهرة الحياة الدنيا
وزينةُ المترفين ؛ ولو شئتُ أن أوتيك زينةً يعلم فرعون حين ينظر إليها أن
مقدرته تعجز عنها فعلتُ ؛ ولكني أرغبك عن ذلك وأزويته عنك ؛ فكذلك
أفعل بأوليائي ؛ إني لأذودهم عن نعيمها ولذاتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن
مراتع الهلكة ؛ وإني لأحيمهم عيشها وحلوتها ، كما يحمي الراعي ذوده عن مبارك العز .

وسف عليه
السلام

وذكر عن وهب بن منبه أن يوسف لما لبث في السجن بضع سنين ،
أرسل الله جبريل إليه بالبشارة بخروجه ، فقال : أما تعرفني أيها الصديق ؟ قال
يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين . قال جبريل :
أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين . قال يوسف : فما أدخلك مداخل
المذنبين ، وأنت سيد المرسلين ، ورأس المقرئين ؟ قال : ألم تعلم أيها الصديق
أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين . وأن البقعة التي تكون فيها هي أطهر
الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله يا ابن الطاهرين . قال يوسف :
كيف تشبهني بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصادقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ،
وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟ قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يُغَيِّرْ
تُخْلِفَكَ البلاء ، ولم يتعاطمك السجن ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنْسِكْ بلاء
الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنْسِكْ نفسك أباك ، ولا أبوك ربك ، وهذا الزمان
الذي يفك الله فيه عنقك ، ويعتق فيه رقبتك ، ويُبيِّنُ للناس فيه حكمتك ،
ويُصدِّقُ رؤياك ، ويُصِفُكَ بمن ظلمك ، ويجمع لك أحبّك ويهب لك مُلكَ مصر
تَمَلِّكُ ملوكها ، وتُذِلُّ جبارتها ، وتُصغِّرُ عظماءها ، ويُذِلُّ لك أعزتها . ويُخدمُك
سوقتها ، يُخَوِّلُكَ خَوَلَهَا ، ويرحم بك مساكنها ، ويُلقِي لك المودة والهيبة
في قلوبهم ، ويجعل لك اليد العليا عليهم ، والآثر الصالح فيهم ، ويرى فرعون
حلياً يفرّغ منه حتى يسهر ليلته ، ويذهب نومه ، ويُعمى عليه . تفسيره وعلى
السحرة والكهنة ، ويُعلمك تأويله .

مواظع الحكماء

٢٠ قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربت عليها
آباط الإبل لكان قليلا : لا يرجون أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ،
ولا يستحيي إذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن
يتعلّمه . وأعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطِعَ الرأس
ذهب الجسد .

لل

وقال أيضا : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحول
ذُل المعصية إلى عزّ الطاعة ؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال الحسن : من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كل شيء ، ومن خاف الناسَ
أخافه اللهُ من كل شيء .

وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمرَ دنياه ، ومن أصلح ما بينه
وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أخلص سريره أصلح الله علانيته .

قال العُتبي : اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات ، قالوا : لا تحملن
على قلبك ما لا تُطيق ، ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تتقن بامرأة ،
ولا تغتر بمال وإن كثر .

وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته حين
استخلفه : أوصيك بتقوى الله ؛ فإنّ لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار

لا يقبله بالليل ؛ وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدّى المرائض . وإنما ثقلت موازين

من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ؛ وحقّ لميزان
لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا . وإنما خفت موازين من خفت موازينه

يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ؛ وحقّ لميزان لا يوضع فيه
إلا الباطل أن يكون خفيفًا . وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ،

وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعتَ بهم قلت : إني أخاف ألا أكون من هؤلاء .
وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حسناتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قلت :

أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ؛ ليكون العبد راغباً راهباً ،
لا يتمنى على الله غير الحق . فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائبٌ أحبُّ إليك

من الموت ، وهو آتيك ؛ وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائبٌ أكرهَ إليك من
الموت ، ولن تُعجزه .

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهمم يعود في مرضه ؛ فرآه
يصوبُ بصره في صندوق في بيته ويصعده ، ثم قال : أبا سعيد ، ما تقول

الحسن وابن
الأهمم

- في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحماً؟ قال : ثكلتك أمك ! ولمن كنت تجمعها؟ قال : لروعة الزمان ؛ وجفوة السلطان ؛ ومكاثرة العشيرة . قال : ثم مات ، فشده الحسن . فلما فرغ من دفنه قال : انظروا إلى هذا المسكين ! أتاه شيطانه فخنّده روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته ، عما رزقه الله إياه وغمره فيه ؛ انظروا كيف خرج منها مسلوباً مخزوناً ، ثم التفت إلى الوارث فقال : أيها الوارث ، لا تُخدَعَنَّ كما بُخدِعَ صُوَيْبُكَ بِالْأَمْسِ ، أتاك هذا المال حلالاً فلا يكوِّنَنَّ عليك وبالاً . أتاك عفواً صفواً ، بمن كان له جموعاً متنوعاً ؛ من باطل جمعه ، ومن حقٍ منعه ؛ قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ، لم تكدح فيه يمين ، ولم يبرق لك فيه جبين . إن يوم القيامة يومٌ ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك . فإلها ١٠ عثرة لا تقال . وتوبة لا تُنال .

- ووعظَ حكيمٌ قوماً فقال : يا قوم ، استبدلوا العواري بالهبات تَحمدوا العقبى ، واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى ، واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة . واعرفوا فضل البقاء في النعمة والغنى في السلامة قبل الفتنة الفاحشة ، والمثلة اليئس ، وانتقال العمل ، وحلول الأجل ؛ فإنما أتم في الدنيا أغراض ١٥ المنايا ، وأوطان البلايا ، ولن تنالوا نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل منكم معمرٌ يوماً من عُمره إلا بآتقاص آخر من أجله ، ولا يجيئه أثر إلا مات له أثر ، فأتهم أعوان الخوف على أنفسهم ، وفي معاشكم أسباب مناياكم ، لا يمنعكم شيء منها ، ولا يشغلكم شيء عنها ، فأتهم الأخلاف بعد الأسلاف ، وستكونون أسلافاً بعد الأخلاف ، بكل سبيل منكر صريع مُنعصر ، وقائم ينتظر ، فن أي وجه ٢٠ تطلبون البقاء ، وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً قط إلا أسرعا الكرة في هدمه ، ولا عقداً أمراً قط إلا رجعا في نقضه .

الحكيم يعظ قوما

وقال أبو النرداء : يا أهل دمشق ، مالكم تبنون ما لا تسكنون ، وتأملون

لأبي النرداء

ما لا تُدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ؛ هذه عاد وثمود قد ملثوا ما بين بصرى

وعدن أموالا وأولادا ، فمن يشتري منى ما تركوا بدرهمين .

١٠ — وقال ابن شبرمة : إذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

١١ — وقال الربيع بن خثيم : أقلل الكلام إلا من تسع : تكبير ، وتهليل ، وتسييح ، وتحميد ، وسؤالك الخير ، وعودك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءة تك القرآن .

١٢ — قال رجل لبعض الحكماء : عطني ا قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك .

١٣ — وقيل للحكيم : عطني ا قال : جميع المواعظ كلها منتظمة في حرف واحد . قال : وما هو ؟ قال : تجميع على طاعة الله فإذا أنت قد حوت المواعظ كلها .

١٤ — وقال أبو جعفر لسفيان : عطني ا قال : وما عميت فيما عدت فأعظك فيما جهلت ؟

١٥ — قال هارون لابن السماك : عطني ا قال : كفى بالقرآن واعظا . يقول الله تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ . ﴾

مكاتبة جرت بين الحكماء

٢٠ عتب حكيم على حكيم ، فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى ، إن أيام العُمر أقصر من أن تحتل الهجر . فرجع إليه .

٢١ وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل . والسلام .

٢٢ وكتب إليه عمر : أما بعد فكأن آخر من كتب عليه الموت قدمات ، والسلام .

بين سلمان وأبي
الدرداء

ابن المبارك قال : كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء : أما بعد ؛ فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي ، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامك ذكراً ، وصمتك فكراً ، ونظرك عبراً ؛ فإن الدنيا تنقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها ، وليكن بيتك المسجد . والسلام .

٥ فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك ، أما بعد ؛ فإنني أوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهريمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لموتك ؛ ومن جفائك لموتك ، واذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلتين . إما في الجنة ، وإما في النار ؛ فإنك لا تدري إلى أيهما تصير .

أبو موسى وعامر
ابن عبد القيس

١٠ وكتب أبو موسى الأشعري إلى عامر بن عبد القيس : أما بعد ؛ فإنني عاهدتك على أمر وبلغني أنك تغيرت ، فإن كنت على ما عهدتني فائق الله ودُم ، وإن كنت على ما بلغني فائق الله وعد .

ابن النضر وأخوه

وكتب محمد بن النضر إلى أخ : أما بعد ؛ فإنك على منهج وأمامك منزلان لا بد لك من نزول أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتسكل .

بين حكيمين

١٥ وكتب حكيم إلى آخر : أعلم حفظك الله أن النفوس جُبلت على أخذ ما أعطيت ومنع ما سئلت ؛ فاحملها على مطية ، لا تُبطن إذا رُكبت . ولا تسبق إذا قُدِّمت ؛ فإنما تحفظ النفوس على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب . فإذا استطدت أن يكون معك خوف المُشفق وقناعة الراضى فافعل .

من عمر بن
عبد العزيز إلى
ابن حيوة

٢٠ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حيوة : أما بعد ، فإنه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه إلا فيما ينفعه .

من عمر بن
الخطاب إلى ابن
عزوان

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن عزوان عامله على البصرة : أما بعد ؛ فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك ، وتأمر فينفذ أمرك ؛ فيألفها نعمة إن لم ترفعك . فوق قدرك ، وتطانيك على من دونك ؛ فاحترس من النعمة أشد من احترامك .

من المصيبة ؛ وإياك أن تسقط سقطة لا لعلها - أي لا إقالة لها - وتعرثر عشرة لا تُقالها . والسلام .

وكتب الحسن إلى عمر : إنَّ فيما أمرك اللهُ بهُ شُغلاً عما نهاك عنه ، والسلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : أجمع لي أمرَ الدنيا ، وصِف لي أمرَ الآخرة .

فكتب إليه : إنما الدنيا حُلْمٌ ، والآخرةُ يقظةٌ ، والموتُ منوسط ؛ ونحن في أضعاف أحلام . من حاسبَ نفسه رَيجَ ، ومن غفلَ عنها خَسِرَ ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضلَّ ، ومن حلَّم غَمِّمَ ، ومن خاف سلم ؛ ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهمَ ، ومن فهم علمَ ، ومن علم عملَ ، فإذا زلتَ فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . وأعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه .

موعظ الآباء للأبناء

قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فاخلَّ عنهم وانفض^(١) .

وقال : يا بُنَيَّ ؛ استعد بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

ومثل هذا قول أكرم بن صيفي : احذر الأيمن ولا تأمن الخائن ، فإن القلوب بيد غيرك .

وقال لقمان لابنه : لا تركزنْ إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بها ، فإنك لم تخلق لها ، وما خلق اللهُ خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للمعاصين . يا بُنَيَّ ، لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش في غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعينك . يا بني ، لا تضيّع مالك وتصلح

(١) في بعض الأصول : « وانفض ثوبك » .

مال غيرك ؛ فإنما لك ما قدمت ، ولغيرك ما تركت . يا بني ؛ إنه من يرحم يرحم ،
ومن يصمت يسلّم ، ومن يقلّ الخير يغم ، ومن يقلّ الباطل يأثم ، ومن لا يملك
لسانه يندم . يا بني ، زاحم العلماء بركبتك ، وأنصت إليهم بأذنك ؛ فإن القلب
يجيا بنور العلماء كما تجيا الأرض الميتة بمطر السماء .

٥ — وقال خالد بن صفوان لابنه : كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا ، أقلّ
ابن صفوان
ينصح ابنة

ما تكون في الباطن مآلا . ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية .
وقال أعرابي لابنه : يا بني ، إنه قد أسمعك الداعي ، وأعذر إليك الطالب ،
وانتهى الأمر فيك إلى حدّه ؛ ولا أعرف أعظم رزية من ضيّع اليقين
وأخطأه الأمل .

لأعرابي يوصي
ابنه

١٠ وقال علي بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بني هاشم : يا بني ، أصبر على
النواب ، ولا تعرّض للعتوف ، ولا تُجب أخاك من الأمر إلى ما مضرتّه
عليك أكثر من منفعته لك .
لعل بن الحسين
يوصي ابنة

١٥ وقال حكيم لبنيه ، يا بني ؛ إياكم والجزع عند المصائب ؛ فإنه مجلبة للهّم ،
وسوء ظنّ بالرب ، وشماتة للعدوّ . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها
آمين ؛ فإنّي والله ما تتخرّجُ من شيء إلا نزل بي مثله ؛ فاحذروها وتوقّعوها .
فإنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره السهام ، فجاوِزْ له ومقصر عنه ،
وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبه بعضها . واعلموا أنّ لكل شيء جزاء ،
ولكل عمل ثوابا . وقد قالوا : كما تدين تُدان ؛ ومن برّ يوما برّ به .

لحكيم في مثله

ابن صفوان
يقول الشاعر :

٢٠ إذا ما الدهرُ جرّ على أناسٍ • حوادثُهُ أناخَ بأخـرنا
قلّ للشامتين بنا : أفيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال حكيم لابنه : يا بني إني موصيك بوصية ؛ فإن لم تحفظ وصيتي عنى
لم تحفظها عن غيري . اتق الله ما استطعت . وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً
منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل . وإياك والطمع ، فإنه فقرٌ حاضر .
لحكيم يخطب ابنة

وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه . وإياك وما يُعْتَدَر منه ، فإنك لن تعتذر من خير أبداً ، وإذا عثر عائر فاحمد الله ألا تكون هو . يا بني ، خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مُودَعٍ وأنت ترى ألا تصلى بعدها .

علي بن الحسين
في مثله

٥ وقال علي بن الحسين عليهما السلام لابنه : يا بني ، إن الله لم يرضك لي فأرصادك بي ، ورضيبي لك فحذرنى منك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعُهم المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعُهم التقصير إلى العقوق له .

الحكيم في مثله

١٠ وقال حكيم لابنه : يا بني ، إن أشد الناس حسرة يوم القيامة : رجلٌ كَسَبَ مالا من غير حِلِّه فأدخله النار ، وأورثه من عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .

ابن عتبة وأبوه

١٥ عمرو بن عتبة قال : لما بلغتُ خمس عشرة سنة قال لي أبي : يا بني ؛ قد تقطعت عنك شرائع الصبا فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تُزايِله فبين منه ؛ ولا يفزتك من آختر بالله فيك فدحك بما تعلم خلافة من نفسك ؛ فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضى ، قال فيك من الشر مثله إذا سخط . فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلّم من غبّ عوافهم .

عبد الملك
بوصى بنيه

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كفوا الأذى ، وآبدلوا المعروف ، واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سُئِلتم ، ولا تُلجِعُوا إذا سَأَلتم ؛ فإنه من ضَيَّق ضَيِّق عليه ، ومن أعطى أَخْلَف الله عليه .

للأشعث في مثله

٢٠ وقال الأشعث بن قيس لبنيه : يا بني ، لا تَدِلُّوا في أعراضكم ، واتخذعوا في أموالكم ؛ ولتخفَّ بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمايتهم ؛ فإن لكل أمرئ تبعه ؛ وإياكم وما يُعْتَدَر منه أو يستحى ؛ فإنما يُعْتَدَر من ذنب ، ويستحى من عيب ؛ وأصحابوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى بالرد منعا ؛ وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدراً ؛ وامنعوا النساء من خير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأتى بكم الكريم ، ويتشرف

بكم اللثيم ، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الجبل ، فإذا اضطرب الجبل
فالتحقوا بمشاركم .

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في غيبه غابها : أما بعد فإن من اتقى
الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن اقترضه جزاه .
فاجعل التقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك . فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا خير
د لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا تخلق له .

من عمر بن
الخطاب إلى ابنه
عبد الله

وكتب علي بن أبي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : من علي أمير المؤمنين
الوالد الفان ، المقر للزمان ، المستسلم للحدثان ، المدبر العُمر ، المؤمل ما لا يدرك
السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبد الدنيا ،
وتاجر الغرور ، وأسير المنايا ، وقرين الرزايا ، وصریح الشهوات ، ونُصب
الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد ؛ يا بني ، فإن فيما تفكرت فيه من إديار
الدنيا عني ، وإقبال الآخرة عليّ . ووجوح الدهر عليّ ما يرغبي عن ذكر سوائي ،
والاهتمام بما ورأى ، غير أنه حيث تفرد بي هم نفسي دون هم الناس ، فصدقتي
رأى ، وصرفتي عن هواي ، وصرح بي محض أمرى ، فأفضى بي إلى جدي لا يزرى
به لعب ، وصدقني لا يشوبه كذب ، ووجدتك يا بني بعضي ، بل وجدتك كلّي ،
حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابني ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني . فعند ذلك
عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي . كتبت إليك كتابي هذا يا بني مستظهراً
به إن أنا بقيت لك أو فنيت ، فإني موصيك بتقوى الله ، وعمارة قلبك بذكره ،
والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَدْنَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا ﴾ . وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت
أخذت به ، أحي قلبك بالموعظة ، وتورّه بالحكمة وأمتّه بالزهد ، وذلك بالموت ،
وقوة بالنفي عن الناس ، وحذره صولة الدهر ؛ وتقلب الأيام والليالي ،
وأعرض عليه أخبار الماضين وسير في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا ،

من علي إلى ابنه
الحسن

وأين حلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الفرور ونزلوا دار الغربة . وكانك
 عن قليل يابني قد صرت كأحدهم ، فبع دينك بأخرتك ، ولا تبع آخرتك
 بدنيك . ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تُكأن ، وأمر بالمعروف
 بيدك ولسانك ، وآته عن المنكر بيدك ولسانك ، وبإين من فعله ، وحض
 الغمرات إلى الحق ، ولا يأخذك في الله لومة لائم ، واحتفظ وصيتي ولا تذهب
 عنك صفه ، فلا خير في علم لا ينفع . واعلم أنه لا غنى لك عن حُسن الآرتياد
 مع بلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك
 به في معادك فاغتمه ، فإن أمامك عقبة كنوداً لا يجاوزها إلا أخف الناس حملاً
 فأجمل في الطلب ، وأحسن المكتسب . فرب طلب قد جرَّ إلى حرب . وإنما
 المحروب من حرب دينه ، والمسلوب من سلب يمينه . وأعلم أنه لا غنى يعدل
 الجنة ؛ ولا فقر يعدل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

منه إلى ولده ابن
 الحنفية

وكتب إلى ابنه محمد بن الحنفية : أن تنفقه في الدين ، وعود نفسك الصبر
 على المكروه ، وكل نفسك في أمر يكملها إلى الله عز وجل ، فإنك تكملها إلى
 كهف^(١) حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان
 وأكثر الاستخارة له ، وأعلم أن من كان مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن
 كان لا يسير ، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن
 قدرت أن تزهدها فيها زهدك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك
 فاعلم علماً يقينا أنك لن تبلغ أمالك ، ولا تعدو أجمالك ، فإنك في سبيل^(٢) من
 كان قبلك ، فأكرم نفسك عن كل دنيئة وإن ساقبتك إلى الرغائب ، فإنك لن
 تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول :
 متى ما أخرت ترعت ، فإن هذا أهلك من هلك قبلك ، وأمسيك عليك لسانك ،
 فإن تلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر عليك من إدراك ما فات من منطقتك ،

(١) في بعض الاصول : وكاف .

(٢) في بعض الاصول : وفي ديوان .

- وأحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاه ، فحُسن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد والحرقه مع العفة خير من الفنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ولربما سعى فيما يضره ، وإياك والاتكال على الأمانى ، فإنها بضائع التوَكَّى ، وتُنَبِّط عن الآخرة والأولى ، ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وبارين أهل الشر تَبِنَ عنهم ، ولا يَنْفِلِينَ عليك سوء الظن ، فإنه لن يدعَ بينك وبين خليلٍ صلحاً . أذكُ قلبك بالأدب كما تُذكى النار بالحطب ، واعلم أن كُفر النعمة لؤمٌ ، وصُحبة الأحمق سُؤمٌ ، ومن الكرم مَتَعُ الحرم ، ومن حَلُم ساد ، ومن تفهم ازداد . آخِضْ أخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة . لا تَصْرَمْ أخاك على ارتياب ، ولا تَقْطَعْهُ دون استعتاب ، وليس جزاء من سرك أن تسومه . الرزق رزقان : رزقٌ تطلبه ورزقٌ يطلبك ، فإن لم تأته أذاك ، واعلم يا بنى أنه مالك من دنياك إلا ما أصلحت به من مثواك ، فأنفق من خيرك . ولا تكن خازنا لغيرك ، وإن جزعت على ما يُفْلِت من يديك ، فاجزع على ما لم يصل إليك ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَهُ ، وأبصر الأعمى رَشْدَهُ ، ولم يَهْلِك أمرؤ أقتصد ، ولم يَفْتقر من زهد . من اتنمّن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه . رأس الدين اليقين ، وتمام الإخلاص آجتتاب المعاصى ، وخير المقال ما صدقه الفعال . سل
- ١٥ عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، واحمل لصديقك عليك ، وأقبل عذراً من اعتذر إليك ، وأخرّ الشر ما أستطعت ، فإنك إذا شئت تعجلته . لا يكن أخوك على قَطِيعتك أقوى منك على صِلته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان . لا تُتَمَلِّكَنَّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن المرأة ربحانة ، وليست بقهرمانه ، فإن ذلك أدوم لخالها ، وأرخصى لبالها ، وانغضض بصرها بسترك ، واكفّفها بحجابك ، وأكْرِم الذين بهم تصول ، فإذا تناولت تطول . أسأل الله أن يُلْهِمَك الشكر والرشد : ويُقَوِّيك على العمل بكل خير ، ويصرف عنك كل محذور برحته . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي فقال له : إنه لما سئل علينا ما توعد على غيرنا من الوصول إليك ، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي [عند] انقطاع عندي الكتابان ، ولا سيما حين اتسمت بميم التواضع ، ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمجيس . وقد جاء في الأثر : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً من أقبل إليه العلم فأدبر عنه . فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدى إليك من السنننا قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سُمعة ورياء ؛ فإنما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو وقد وطن الله عز وجل نبيه على نزولها ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

مقام رجل من العباد عند المنصور

بينما المنصور في الطواف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوهُ فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض ، وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فواته لقد حشوت مسامعي ما أرمضني .

فقال : إن أمتني يا أمير المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أصولها ، وإلا أحتجرك منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل .

- قال : فأنت آمن على نفسك قتل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغى لانت . فقال : فكيف ذلك ويحك ! يَدْخُلُنِي الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي ، والحلو والحامض عندي؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأمورهم ، فأغفلت أمورهم ، وأهتمت بجمع أمورهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحُرَّاساً معهم السلاح ، ثم سحنت نفسك عنهم فيها ، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وقوتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت ألا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان ، نفرأ سميتهم ، ولم تأمر بإبصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العارى ، ولا الضعيف الفقير إليك ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يُحْجَبُوا دونك ، تجي الأموال وتجمعها . قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نخوته . فانتصروا ألا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خوَّنه عندك ونفوه ، حتى تسقط منزلته ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ، ليَقْوُوا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذُوو المقديرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظم من دونهم ، فامتلات بلادُ الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه ، فإن أراد رَفَعَ قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهبت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك ، فلا يزال المظلوم يخلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ، فإذا أُجْهِدَ وأُحْرَجَ ثم ظهرت صرخ بين يديك ، فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فما

تسكرا فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين
فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه ، فبكى بكاء شديداً ، لحنه جلساؤه على الصبر
فقال : أما إنى لست أبكى للبلية النازلة ، ولكنى أبكى لمظلوم يصرخ بالبواب
فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى
الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا مُتَظَلَمٌ . ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر
هل يرى مظلوماً ، فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله ، بلغتُ رأفته بالمشركين هذا
المبلغ ، وأنت مؤمنٌ بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شحِّ
نفسك ، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عيبراً فى الطفل
يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يدٌ شحيحة
تخويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه . ولست
الذى تظنى ، بل الله تعالى يُعطى من يشاء ما يشاء . فإن قلت إنما تجمع المال
لنشديد السلطان ، فقد أراك الله عيبراً فى بنى أمية ، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب
وما أعدوا من الرجال والسلاح والكرراع حين أراد الله بهم ما أراد . وإن قلت
إنما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها . فوالله ما فوق
ما أنت فيه إلا منزلة ما تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين . هل
تُعاقبُ من عصاك بأشد من القتل . فقال المنصور : لا . فقال : فكيف تصنع
بالملك الذى خولك ملك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود
فى العذاب الأليم . قد رأى ما عُقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر إليه
بصرك ، واجترحته يداك ، ومشيت إليه رجلاك . هل يغنى عنك ما شحمت عليه
من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ قال : فبكى المنصور ،
ثم قال : ليتنى لم أخاق ! ويمك كيف أحتال لفسى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، إن
للناس أعلاماً يفزعون إليهم فى دينهم ، ويرضون بهم فى دنياهم ، فأجعلهم بطانتك
يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسدوك . قال : قد بعثت إليهم فهربوا هنى . قال :
خافوك أن تحمأهم على طريقك ، وإن كان افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر

المظلوم ، واقع الظالم ، وخذ النية والصدقات على حلها ، وانفسها بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .
وجاء المؤذنون فأذنوه بالصلاة^(١) ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطُلب الرجل فلم يوجد .

مقام الأوزاعي

بين يدي المنصور

٥

قال الأوزاعي : دخلت عليه فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟ .

قلت : وما تريد مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنظر ما تقول ، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بُشر^(٢) ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ بَلَغْتَهُ عَنْ اللَّهِ نَصِيحَةً فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَّئَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرٍ وَإِلَّا فَهِيَ حُجَّةٌ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَزِدَادَ إِثْمًا وَيَزِدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا . وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِي فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ سَخَطَ اللَّهُ السَّخَطَ وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . وقد جاء عن جدك عبد الله ابن عباس في تفسير قول الله عز وجل : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ قال : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ؟ فأعذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « يا صَفِيَّةُ عَمَّةُ مُحَمَّدٍ ، وَيَا قَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، أَسْتَوِيهِمَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللَّهِ ، فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .
وكذلك جدك العباس ، سأل إمارة من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي عمّ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « فسلبوا عليه » .

(٢) في بعض الأصول : « بشر » .

نفس تحيها خير لك من إمارة لا تحصيها ؛ نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يبلى
 فيحيد عن سنته جناح بعوضة ، فلا يستطيع له نفعاً ولا عنه دفعا . وقال صلى الله
 عليه وسلم : ما من راعٍ بيوتُ غاشاً لرعيته إلا حَرَمَ الله عليه رائحة الجنة . وحقيق
 على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالحق
 فيهم قائما ، فلا يتخوف محسنهم رهقا ، ولا مسيئهم عدوانا ؛ فقد كانت يد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها ، فأتاه
 جبريل فقال : يا محمد ، ما هذه الجريدة التى معك ! اتركها لا تملأ قلوبهم رعبا !
 فما ظنك بمن سفك دماهم ، وقطع أستارهم ، ونهب أموالهم ! يا أمير المؤمنين ،
 إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش
 ١٠ خدشه أعرابيا لم يتعمده ؛ فقال جبريل : يا محمد ، إن الله لم يبعثك جباراً
 تكسر قرون أمتك . واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما فى يدك لا يعدل شربة من
 شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ؛ ولو أن ثوباً من ثياب أهل الناس علق
 بين السماء والأرض لأهلك الناس رائحته ، فكيف بمن يتقمصه ! ولو أن ذنوباً
 من صديد أهل النار صب على ماء الدنيا لأحمره ، فكيف بمن يتجرعه ! ولو أن
 ١٥ حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته ؛ فكيف بمن يسلك فيها ؛
 ويرد فضلها على عاتقه .

كلام أبي حازم

لسليمان بن عبد الملك

حج سليمان بن عبد الملك ؛ فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأعرج
 وعنده ابن شهاب . فلما دخل قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فيم أتكلم
 ٢٠ يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى المخرج من هذا الأمر . قال : يسير إن أنت فعلته .
 قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا من جملها ، ولا تضعها إلا فى أهلها .
 قال : ومن يقوى على ذلك ؟ قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قلدهك . قال :

عظني أبا حازم قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشرّ عليّ . قال : إنما أنت سوق ، فافق عندك حِمْلَ إليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع يا تيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدبتني فنتني ، وإن أفصيتني أخزيتني ؛ وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندي ما أخافك عليه .
 قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعتني منها رضيت .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

- ١٠ دخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عظني يا ابن السماك وأوجز .
 قال : كفي بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ويلٌ للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون • وإذا كالوهم أو وزنهم يخبرون • ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كاه ؟ وقال له مرة : عظني . وأتى بماء ليشربه .
 فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حُبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فلو حبس عنك خروجهما أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فما خيرٌ في ذلك لا يساوي شربة ولا بؤلة ؟ قال : يا ابن السماك ، ما أحسن ما بلغني عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن لي عيوباً لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مودة ؛ وإني لخائف في الكلام الفتنة .
 وفي السر الغرة وإني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها .

كلام عمرو بن عبيد

عند المنصور

دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدي ، فقال له أبو جعفر :
 هذا ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ؛ ورجائي أن تدعو له . فقال :
 يا أمير المؤمنين ، أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول فاستعبر
 أبو جعفر وقال له عِظْنِي أبا عثمان ! قال يا أمير المؤمنين ! إن الله أعطاك الدنيا
 بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد من
 كان قبلك لم يصل إليك ! قال : أبا عثمان أعني بأصحابك ، قال : أرفع علم
 الحق يتبعك أهله ؛ ثم خرج ، فأتبعه أبو جعفر بصرة ، فلم يقبلها ؛ وجعل
 [المنصور] يقول :

كلكم يمشي رويداً كلكم خاتل صيد

غير عمرو بن عبيد

خبر سفیان الثوري

مع أبي جعفر

لقي أبو جعفر سفیان الثوري في الطواف ، وسفیان لا يعرفه ، فضرب يده
 على عاتقه وقال : أتعرقتي ؟ قال : لا ، ولكنك قبضت على قبضة جبار ، قال :
 عظني أبا عبد الله . قال : وما عملت فيم عدت فأعظك فيما جهلت ؟ قال : فما
 يمنعك أن تأتينا ؟ قال : إن الله نهي عنكم فقال تعالى ﴿ ولا تتركونوا إلى الذين
 ظلموا فتمسكم النار ﴾ فسمح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال : ألقينا
 الحَبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفیان فإنه أعيانا فرارا .

كلام شبيب بن شبة

للهمدي

- قال العتي : سألت بعض آل شبيب بن شبة : أتفظون شيئاً من كلامه ؟
قالوا : نعم ، قال للهمدي : يا أمير المؤمنين ، إن الله إذا قسم الأقسام في الدنيا
جعل لك أسنانها وأعلاها ، فلا ترض لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضى لك به
من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت : ومنكم أخذت ، وإليكم ترد .

من كره الموعظة

لبعض ما فيها من الغلظ أو الخرق

- قال رجل للرشيد : يا أمير المؤمنين ، إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض
الغلظة فأحتملها ، قال : كلا ، إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو
شر منى : قال لنبية موسى إذ أرسله إلى فرعون ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .

بين الرشيد
وواعظ

- دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلمك
بكلام ، فأحتمله إن كرهته ، فإن وراه ما تُعجب إن قبلته ، قال : هات يا أعرابي ،
قال : إنى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن من عظتك ، تأدية لحق الله تعالى
وحق إمامتك : إنه قد اكتشفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك
بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب
الآخرة سلم للدينا ، فلا تأمنهم على ما أتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالا ،
والأمانة تضييعا ، والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا
مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس
صفقة يوم القيامة وأعظمهم غبنا ، من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت
يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو أحد سيفيك . قال : أجل يا أمير المؤمنين ،

سليمان بن
عبد الملك
وأعرابي

لك لا عليك .

ووعظ رجل المأمون فأصغى إليه منصتا ، فلما فرغ قال : قد سمعت موعظتك ، المأمون وواعظ
فأسأل الله أن ينفعنا بها ، وربما عملنا ، غير أنا أخرج إلى المعاونة بالفعال منا
إلى المعاونة بالمقال ، فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون .

٥ العتي قال : دخل رجل من عبد القيس على أبي فوعظه ، فلما فرغ قال أبي له :
لو آتعتنا بما علمنا لآتفتنا بما عملنا ، ولكننا علمنا علما لزمنا فيه الحجة ،
وعقلنا غفلة من وجبت عليه النعمة ، فوعظنا في أنفسنا بالثقل من حال إلى حال ،
ومن صغر إلى كبر ، ومن صحة إلى سقم ، فأبينا إلا المُقام على الغفلة ، إيثاراً
لعاجل لا بقاء لأهله ، وإعراضاً عن آجلٍ إليه المصير .

١٠ سعد القصير قال : دخل أناس من القراء على عتبة بن أبي سفيان فقالوا :
إنك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف ، وجئت بها عشوة^(١)
خفية . قال : كذبتُم ! بل سلطت الحق وبه سلطت ، فاعرفوا الحق تعرفوا السيف ،
فإنكم الحاملون له حيث وضعه أفضل ، والواضعون له حيث عمله أعدل ، ونحن
في أول زمان لم يأت آخره ، وآخر دهر قد فات أوله . فصار المعروف عنكم
١٥ مُنكراً ، والمنكر معروفاً . وإني أقول لكم مهلاً ، قبل أن أقول لنفسي هلا
قالوا : فنخرج آمنين ؟ قال غير راشدٍ ولا مهذبين .

٢٠ حاد قوم سَفَر عن الطريق ، فدفعوا إلى راهبٍ منفرد في صومعته ، فنادوه ،
فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ههنا . وأوماً بيده إلى السماء ، ففعلوا
ما أراد ، فقالوا : إنا سائلوك . قال : سلوا ولا تكثروا : فإن النهار لا يرجع
والعمر لا يعود ، والطالب حيث ! قالوا : علام الناس يوم القيامة ؟ قال : على
نياتهم وأعمالهم . قالوا : إلى أين الموتل ؟ قال : إلى ما قدمتم . قالوا : أوصنا .
قال : تزودوا على قدر سفركم ، فخير الزاد ما يبلغ المحل . ثم أرشدهم الجادة وانقمع .
وقال بعضهم : أتيت الشام فررت بدير حرملة ، فإذا فيه راهب كأن عينه

(١) العشوة من الأمر: المتبس . وفي بعض الأصول : عشواه صعبة .

مزادتان ، فقلت له : ما أشد ما يبكيك ! قال : يا مسلم ، أبكى على ما فرطت فيه من عمرى ، وعلى يوم يمضى من أجلي لم يحسن فيه عملي ! قال : ثم مررت بعد ذلك ، فسألت عنه ، فقيل لى إنه قد أسلم وغزا الروم وقُتل !

قال أبو زيد الحِبري : قلت لثوبان الراهب : ما معنى لبس الرهبان هذا السواد ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصابب ! قلت : وكلكم معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة ؟ قال : يرحمك الله ، وهل مُصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها . قال أبو زيد : فما أذكر قوله إلا أبكاني .

الحِبري وثوبان في لبس الرهبان

حبيب العدويّ عن موسى الأسواري قال : لما وقعت الفتنة أردتُ أن أحرز ديني ، فخرجت إلى الأهواز ، فبلغ آزادمرّد قُدومي ، فبعث إلى متاعا ، فلما أردت الانصراف بلغني أنه ثقيل ، فدخلت عليه ، فإذا هو كالحقّاش ، لم يبق منه إلا رأسه ، فقلت : ما خالك ؟ قال : وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ؟ ثم خرجت نفسه .

آزادمرّد

العتبي قال : مررت براهب باك ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أمرٌ عرفته وقصرت عن طلبه ، ويوم مضى من عمرى نقص له أجلي ولم ينقص له أمله .

بين العتي وبني الرهبان

باب

من كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العباد : ما أقامكم في الشمس ؟ قالوا : طلب الظل .

لبعض العباد

قيل لعلقمة الأسود بن يزيد : كم تعذب هذا الجسد الضعيف ؟ قال : لا تُتال

علقمة والأسود

٢٠

الراحة إلا بالتعب .

وقيل لآخر : لورفقت بنفسك ! قال : الخير كلّهُ فيما أُكْرِهت النفوس عليه ،

لآخر

قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّت الجنة بالمكاره .

وقيل لمسروق بن الأجدع : لقد أضرت بيدك . قال : كرامته أريد . وقالت

مسروق الأجدع

له امرأته فيروز لما رأته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة : ويلك يا مسروق !

أما يعبدُ الله غيرُك ، أما خلقت النارُ إلا لك ؟ قال لها : وَيَحْكُ يَا فيروز ! إن طالب الجنة لا يسأم ، وهارب النار لا ينام .

وشكت أم الدرداء إلى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها : تصبري ، فإن أماننا عقبة كثودا لا يجاوزها إلا أخف الناس حملاً .

ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال : موعذكِ الجنةُ .

ومر بالجزارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سمين فاشتر . قال : ليس عندي ثمنه . قالوا توخرك . قال : أنا أوخر نفسي .

وكان رجل من العباد يأكل الرمانَ بقشره ، فقيل له : لم تفعلُ هذا ؟ فقال إنما هو عدوٌّ فأنتخن^(١) فيه ما أمكنك .

وكان عليُّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدةٌ ، فسئل عن ذلك ، فقال : ويحك ! أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي ؟

وقال رجل ليونس بن عُبيد : هل تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن^(٢) ؟ قال : لا والله ولا أحداً يقول بقوله .

وقيل لمحمد بن علي بن الحسين أولعلي بن الحسين عليهم السلام : ما أقلُّ ولدتُ أريك ؟ قال : العجبُ كيف ولدتُ له وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ وحج خمساً وعشرين حجة راجلاً .

ولما ضرب سعيد بن المسيب وأقيم للناس قالت له امرأة : لقد أقتَ مقام خزية ! فقال : من مقام الخزية فررتُ .

وشكا الناس إلى مالك بن دينار القحط . فقال : أتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة !

وشكا أهل الكوفة إلى الفضيل بن عياض القحط . فقال : أمدبراً غيرَ الله تريدون ؟

(١) في بعض الاصول : « فأدخل » .

(٢) هو الحسن البصري وكان يونس من إصحابه .

- وذكر أبو حنيفة أيوب السخيتاني . فقال : رحمه الله تعالى - ثلاثا - لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت : لأقعدن إليه لعلني أتعلق منه بسقطه . فقام بين يدي القبر مقاما ما ذكرته إلا اقتضت له جلدي .
- ابن أبي رباح
أبو حنيفة في السخيتاني
- وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء أفضس أسود أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة .
- ابن أبي رباح
- وكان الأوقص المخزومي قاضيا بمكة ، فمارى مثله في عفانه وزهده ؛ فقال يوما لجلسائه : قالت لي أمي : يا بُني ، إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة الفتيان عند القيان ؛ فعليك بالدين ؛ فإن الله يرفع به الحسيسة ؛ ويتم به النقيصة ، فنفعني الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليت القضاء .
- الأوقص المخزومي
- الفضيل بن عياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة ، فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع ما هو كما تقول ، ليس إلا عفو الله أو النار . قال مالك : صدقت . ثم قال مالك : إنه يعجبني أن يكون للرجل معيشة قدر ما يقوته . قال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ولكن يعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . قال مالك : ما أحوجني إلى أن يُعلمني مثلك .
- يبان واسع وابن دينار
- جعفر بن سليمان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما رأيت أحدا أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفيان الثوري ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بشر بن منصور ، مات ولم يدع قليلا ولا كثيرا .
- لاين مهدي في بعض العباد
- عبد الأعلى بن حماد قال : دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت ، فإذا به من السرور في أمر عظيم ؛ فقلت له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخرج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمغتائبين ، وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر .
- بشر بن منصور على فراش الموت

- حج هارون الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة بحجاب الدعوة معتزل في جبال تهامة
 فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له : أوصني ومُرني بما شئت ، فوالله
 لا عصيتك ! فسكت عنه ولم يرد عليه جواباً ؛ فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابه
 ما منعك إذ سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألا يعصيك - أن تأمره بتقوى
 الله والإحسان إلى رعيته ؟ فخط بهم في الرمل : إني أعظمت الله أن يكون يأمره
 فيعصيه ، وأمره أنا فيطيعني .
- علي بن حمزة ابن أخت سفيان الثوري قال : لما مرض سفيان مرضه الذي
 مات فيه ذهبت بيوله إلى ديراني ، فأريته لإياه فقال : ما هذا يبول حنفي . قلت :
 بلى والله من خيارهم . قال : فأنا أذهب معك إليه . قال : فدخل عليه وجس
 عرقه ، فقال : هذا رجل قطع الحزن كبده .
- مؤزق العجلي قال : ما رأيت أحداً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من
 محمد بن سيرين ، ولقد قال يوماً : ما غشيت امرأة قط في نوم ولا يقظة ، إلا
 امرأتى أم عبد الله فإني أرى المرأة في النوم : فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف
 بصرى عنها .
- الأصمعي عن ابن عون قال : رأيت ثلاثة لم أر مثلهم : محمد بن سيرين
 بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام .
- العتي قال : سمعت أسياناً يقولون : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين :
 عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وهرم بن حبان ، وأبي
 مسلم الخولاني ، وأويس القرني ، والربيع بن خثيم ومسروق بن الأجدع ،
 والأسود بن يزيد .

كيف يكون الزهد

العتبي يرفعه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الزهد في الدنيا ؟
 قال : أما إنه ما هو بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهد

لاي صلى الله
 عليه وسلم

- في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك .
- للزهرى : ما الزهد ؟ قال : أما إنه ليس تشيعث اللّمة ، ولا قَشَفَ الهَيْبَةَ ؛ ولكنه صرف النفس عن الشهوة .
- لبعضهم : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرامُ صبرَكَ ، ولا الحلالُ شُكْرَكَ .
- وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من أزهّد الناس في الدنيا ؟ قال : من لم ينس المقابر واليلى ، وآثُرَ ما يَبْقَى على ما يَفْنَى ، وَعَدَّ نفسه مع الموتى .
- لابن واسع : وقيل لمحمد بن واسع : من أزهّد الناس في الدنيا ؟ قال : من لا يبالي بيَد مَنْ كانت الدنيا .
- للخليل : وقيل للخليل بن أحمد : من أزهّد الناس في الدنيا ؟ قال من لم يطلبِ المفقود حتى يَفْقِدَ الموجود .
- أبي صلى الله عليه وسلم : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الزُّهُدُ في الدنيا مِفْتَاحُ الرِّغْبَةِ في الآخرة ، والرِّغْبَةُ في الدنيا مِفْتَاحُ الزُّهُدِ في الآخرة .
- ١٥ قالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من جعل الدنيا أكبرَ همِّهم نزعَ اللهُ خوفَ الآخرة من قلبه ، وجعل الفقرَ بين عينيه ، وشغَلَه فيما عليه لاله .
- لابن السماك : وقال ابن السماك : الزاهدُ الذي إن أصاب الدنيا لم يَفْرَحْ ، وإن أصابته الدنيا لم يَحْزَنْ ، يضحك في المَلَا ، ويبكي في الخِلا .
- ٢٠ وقال الفضيل : أصل الزهد في الدنيا الرضا عن الله تعالى .

صفة الدنيا

قال رجل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا

لعلي

الدنيا . قال : ما أصف من دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، حلالها حساب ،
وحرامها عقاب ، من استغنى فيها فُتِنَ ، ومن افتقر فيها حَزِنَ .
وقيل لأرسطاطاليس : صف لنا الدنيا . فقال : ما أصف من دار أولها فوت ،
وآخرها موت .

٥ وقيل للحكيم : صف لنا الدنيا . قال : أمرٌ بين يديك ، وأجل مُطِلٌ عليك ،
وشيطان فتان ، وأمانى جزارة العنان ، تدعوك فتستجيب ؛ وترجوها فتخيب .

١٠ وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا . قال : الدنيا والدةٌ للبوت ،
ناقضةٌ للمُبْرَمِ ، مرتجعة العطية وكل من فيها يجرى إلى ما لا يدري .

١٠ وقيل لبكر بن عبد الله المزني : صف لنا الدنيا . فقال : ما مضى منها فَعُلمَ ؛
وما بقي فأماني .

١٠ وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صف لنا الدنيا . قال : أمسك مذموم فيك ، ويومك
غير محمود لك ، وعزك غير مأمون عليك .

١٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الدنيا يبيحُ المؤمنُ وجنةُ الكافر .
وقال : الدنيا عَرْضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر . والآخرة وَعْدٌ صدقُ
يحكم فيها ملكٌ قادر ، يَفْصِلُ الحق من الباطل .

وقال : الدنيا خضرةٌ حلوة ، فمن أخذها بحقها بُورِكَ له فيها ، ومن أخذها
بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع .

١٥ وقال ابن مسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيف على الدنيا ومالهُ
عاريةٌ ؛ فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

٢٠ وقال المسيح عليه السلام : الدنيا لإبليس مزرعةٌ وأهلها حراثون .
وقال إبليس : ما أبالي إذا أحب الناس الدنيا أن لا يعبدوا صنما ولا وثنا ،
الدنيا أفتن لهم من ذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الدنيا أم دفر . الدفر : الثن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سُنيان : ما طعامك ؟ قال : اللحم واللبن . قال : ثم إلى ماذا يصير ؟ قال يصير إلى ما قد علمت . قال : فإن الله عز وجل ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا .

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه : اتخذوا الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها .

للمسيح عليه السلام

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : من خدمني فأخدميه ، ومن خدمني فاستخدميه .

من الأثر

وقيل لنوح عليه السلام : يا أبا البشر ويا طويل العمر ، كيف وجدت الدنيا ؟ قال كبيت له بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

لنوح عليه السلام

وقال لقمان لابنه : إن الدنيا بحر عريض ، قد هلك فيه الأولون والآخرون ، فإن استطعت أن تجعل سفينتك تقوى الله ، وعُدَّتْكَ التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح . فإن نجوت فبرحة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

لقمان

وقال ابن الحنفية : من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

لابن الحنفية

وقال : إن الملوك خلوا لكم الحكمة فخلوا لهم الدنيا .

وقيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالتون . قال : إنما رضى بالدون من رضى بالدنيا .

لابن واسع

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام للعواريين : أنا الذي كفأت الدنيا على وجهها ، فليس لي زوجة تموت ، ولا بيتٌ يخرب .

شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده ، فقال له : يا عبد الله ، هذه دار

لابن عبيد

لا توافقك فالتمس لك داراً توافقك .

٢٠

لقي رجل راهباً فقال : يا راهب ، صف لنا الدنيا . فقال : الدنيا تُخلقُ الأبدان . وتُجدد الآمال ، وتُباعد الأمتية ، وتُقرب المنيّة . قال : فما حال أهلها ؟ قال : من ظفر بها تعب ، ومن فاتته نصيب . قال : فما الغنى عنها ؟ قال :

لراهب

قطع الرجاء منها . قال . فأين المخرج ؟ قال : في سلوك المنهج . قال : وما ذاك ؟
قال : يذل المجهود ، والرضا بالموجود .

لبعض الشعراء .

قال الشاعر :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبها • فخيثُما انقلبَت يوماً به انقلبوا
يُعظّمونُ أخوا الدنيا وإن وثبتُ • يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال آخر :

يا خاطِبِ الدُّنيا إلى نَفْسِها • تَنَحَّ عن خِطْبِها تَسَلِّمَ
إنَّ التي تَخْطُبُ غَزارة • قَرِيبةُ العُرْسِ من المَأْتَمِ

عبد الواحد
ابن الخطاب

داود بن المحبر قال : أخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين
من بلاد الروم ، حتى إذا كنا بين الرصافة وحصص سمعنا صوتاً من تلك الجبال ،
تسمعه آذاننا ولم تبصره أبصارنا ، يقول : يا مستورُ يا محفوظ ، انظر في سِترِ
من أنت ؛ إنما الدنيا شوكة ، فانظر أين تضع قدميك منها !

لأبي العتاهية

وقال أبو العتاهية :

رَضِيَتْ بِذِي الدُّنيا كَكَلِّ مُكَاثِرٍ • مُلِحَّ عَلَى الدُّنيا وَكَلِّ مُفَاخِرِ
أَلَمْ تَرَهَا تَسْقِيهِ حَتَّى إِذَا صَبَا^(١) • فَرَتَ حَلْقَهُ مِنْهَا بِشَفْرَةٍ جَاوِرِ
وَلَا تَعْدِلُ الدُّنيا جَنَاحَ بَعوضَةٍ • لَدَى اللَّهِ أَوْ مَعشَارِ نَبْةِ طَائِرِ
فَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنيا ثَوَابَ الْمُؤْمِنِ • وَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنيا عِقَابَ الْكَافِرِ

وقال أيضاً :

هِيَ الدُّنيا ؛ إِذَا كَلَمْتُ • وَتَمَّ سرورُها خَذَلْتُ
وَتَفَعَلْتُ فِي الدِّينِ بَقْوَا • كَمَا فِيمَنْ مَضَى فَعَلْتُ

قال بعض الشعراء يصف الدنيا :

لَقَدْ غَرَّتِ الدُّنيا رَجَالًا فَأَصْبَحُوا • بِمَنْزِلَةٍ مَا بَعْدَهَا مُتَحَوِّلُ

(١) في بعض الأصول : • ترقبه حتى إذا سما .

فساخطُ أمرٍ لا يُبدلُ غيره • وراضٍ بأمرٍ غيره سيُبدلُ
وبالغ أمرٍ كان يأملُ دونه • ومخترمٌ^(١) من دون ما كان يأملُ

للرشيد وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صفي لنا نَمَسَكَ ، وكانت بمن ينطق ،
ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس :

• إذا أمتحن الدنيا لييبَ تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق
وما الناسُ إلا هالكٌ وآبَ هالكٍ • وذو نَسَبٍ في الهالكين عريق

لبعض الشعراء وقال آخر في صفة الدنيا :

فرُحنا وراح الشامتون عشيّة • كأن على أكتافنا فلق الصنجر
لما الله دُنيا تُدخِلُ السُّرَّ أهلها • وتَهتِك ما بين الأُفاربِ من سِرِّ

لأبي العنابية ولأبي العنابية :

كُلنا نُكثِرُ الملامَةَ للدنيا وكل يَجِبُّها مفتونُ
والمقاديرُ لا تناولها الأو • هامٌ لطفاً ولا تراها العيونُ
ولركب الفناء في كلِّ يومٍ^(٢) • حركات كأنهنَّ سُكون

ومن قولنا في وصف الدنيا :

• ١٥ أَلَا إِنما الدنيا نَضارةُ أَيْكَمِ • إذا أَخضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ
هي الدار ما الآمالُ إلا جَائِعٌ • عليها ولا اللذاتُ إلا مِصْتابُ
فكم تَحَنَّنَتْ بالأمس عَيْنُ قَريرةٍ • وَقَرَّتْ عيونُ دمعها اليومَ بِها كِبُ
فلا تَكْتَحِلْ عَيْنَكَ فيها بِعَبْرَةٍ • على ذاهِبٍ منها فإنك ذاهِبُ

وقال أبو العنابية :

• ٢٠ أَصَبَّحت الدنيا لنا فِتنةً • والحمدُ لله على ذلكا
قد أجمَعُ الناسُ على ذَمِّها • ما إن رى منهم لها تاركا

(١) في بعض الاصول : « ومخترج » .

(٢) في بعض الاصول : « ويمر الفتي وفي كل يوم » .

لابن آدم

وقال إبراهيم بن آدم :

نُرَقَّعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا • فَلَا دِينُنَا بِيَقِي وَلَا مَا نُرَقَّعُ
وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يُحِبُّهَا النَّاسُ لِأَجَلِهِ بِأَبْلَغِ مَنْ
قَوْلِ الْقَائِلِ .

٥ نُرَاعُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فِي حِينَ ذِكْرِهِ • وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا • وَمَا كُنْتَ مِنْهُ شَيْءٌ مُحِبُّ
فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الإنسان منه فهو محب إليه .

واعلم أن الإنسان لا يجب شيئاً إلا أن يجانسَه في بعض طبائعه ، وأن الدنيا
جانست الإنسان في طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه .

١٠ وقال بعض ولد ابن شبرمة : كنت مع أبي جالساً قبل أن يلي القضاء فتر به ابن شبرمة وولده

طارق بن أبي زياد في موكب نبيل ، فلما رآه أبي تنفس الصعداء وقال :

أراها وإن كانت تحبُّ كأنها • تحابة صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ

ثم قال : اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فلما ابتلى بالقضاء ، قلت : يا أبت ، أتذكر
يوم طارق ؟ فقال : يا بني إنهم يجدون خلفاً من أهلك وإن أباك لا يجد خلفاً منهم

١٥ إن أباك خطب " في أهوائهم وأكل من حلوائهم .

للشعبي

وقال الشعبي ما رأيت مَشَلْنَا وَمَثَلِ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا قَالَ كَثِيرٌ عِزَّة :

أَسِيبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِأَمْلُومَةٍ • لَدُنْيَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتْ

وأحكم بيت قيل في تمثيل الدنيا قول الشاعر :

وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ • عَلَى الْمَاءِ خَانَتَهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

٢٠ وحدث العباس بن الفرغ الرباشي ، قال : رأيت الأصمعي يُنشد هذا البيت الأصمعي في بيت

يستحسنه

ويستحسنه في صفة الدنيا :

مَا عُنْذَرُ مُرْضِعَةٍ بِكَأ • مِنَ الْمَوْتِ تَقْطِمُ مَنْ غَدَّتْ

لقطري
ولقطري بن الفجاءة في وصف الدنيا خطبة مجردة تقع في جملة الخطب في كتاب الوسطة .

قولهم في الخوف

سئل ابن عباس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صدقوا الله في مخافة وعيده ، قلوبهم بالخوف قريحة ، وأعينهم على أنفسهم باكية ، ودموعهم على حدودهم جارية ، يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا . والقبور من أمامنا ، والقيامة موعِدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي ربنا موقِفنا !

وقال علي كرم الله وجهه : ألا إن لله عباداً مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة في الجنة فأكهين ، وأهل النار في النار معذبين ؛ شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحواسهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لعقبي راحة طويلة ، أما بالليل فصَفُّوا أقدامهم في صلاتهم ؛ تجرى دموعهم على حدودهم ، يتجأرون إلى ربهم : ربنا ربنا ! يطلبون فكاك قلوبهم ؛ وأما بالنهار فعلماء حُلَماء برة أتقياء ؛ كأنهم القِداح . القِداح : السهام ، يريد في ضميرتها - ينظر إليهم الناظر فيقول مَرَضِي ، وما بالقوم من مرض ؛ ويقول : خولِطوا ؛ ولقد خالط القوم أمر عظيم .

وقال منصور بن عمار في مجلس الزهد : إن لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالا بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من تلاقق الدنيا ؛ فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد نضحوا حدودهم بوابل دموعهم ، واقترشوا جباههم في محاريبهم ، يناجون ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم .

ودخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وفيهم شاب ذابل ناحل ؛ فقال له عمر : يا قتي ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقام ؛ قال له عمر : لتصدقني . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذقت

عمر بن عبد العزيز
في مرضه

يوما حلاوة الدنيا فوجدتها مرة عواقبها ؛ فاستوى عندي حجرها وذهبها ؛ وكأني
أنظر إلى عرش ربنا بارزا ؛ وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار ؛ فأظلمات نهاري
وأسهرت ليلي ؛ وقليل كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وخوف عقابه .

لابن أبي
الحواري

وقال ابن أبي الحواري : قلت لسفيان : بلغني في قول الله تبارك وتعالى :
(**إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) : الذي يلقي ربه وليس فيه أحد غيره . فبكي
وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير .

للحسن

وقال الحسن : إن خوفك حتى تلقى الأمان خيرٌ من أمّتك حتى تلقى الخوف
وقال : ينبغي أن يكون الخوف أغلب على الرجاء . فإن الرجاء إذا غلب
الخوف فسَدَ القلب .

١٠ — وقال : عجبا لمن خاف العقاب ولم يكفّ ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل .

لسلي

— وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو
وأخاف . قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه .

لابن عياض

— وقال الفضيل بن عياض : إني لأستحي من الله أن أقول : توكلت على الله .
ولو توكلت عليه حقّ التوكل ما خفت ولا رجوت غيره .

لبعضهم

١٥ وقالوا : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه
الله من كل شيء .

وقال : وعدّ من الله لمن خافه أن يدخله الله الجنة . وتلا قوله عز وجل :
(**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ**) .

لابن ذر

٢٠ وقال عمر بن ذر : عباد الله ؛ لا تغتروا بطول حلم الله واحذروا أسفه ؛
فإنه قال عز وجل : (**فَلْيَا أَسْفُونَا أَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ** . فنجعلناهم
سلفاً ومثلاً للآخرين) .

لابن سلام

وقال محمد بن سلام : سمعتُ يونس بن حبيب ^(١) يقول : لا تأمن من قطع

(١) في بعض الاصول ، يوسف بن عبيد .

في خمسة دراهم أشرفَ عَضْوِ فِكْ أَنْ تَكُونَ عَقُوبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ
أَضْعَافَ ذَلِكَ .

لابن خثيم وقال الربيع بن خثيم : لو أن لي نفسيين إذا علقتهما إحداهما سمعت الأخرى
في فكاكها ، ولكنها نفس واحدة ، فإن أنا أوثقتها . من يفكها ؟

في الحديث : من كانت الدنيا همّة ، طال في الآخرة غمّه . ومن خاف الوعيد
لها عمّا يُريد ، ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعاً بما في يده .

للوراق وقال محمود الوراق :

يَا غَافِلًا تَرَنُو بِعَيْتِي رَاقِدٍ . وَمُشَاهِدًا لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي . دَرَكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوَزَ الْعَالِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا . مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا يَذْنِبُ وَاحِدٌ

١٠

للناطقة الميثاني وقال نابغة بني شيبان :

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا . حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ . شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ

قولهم في الرجاء

للعماء قال العلماء : لا تشهد على أحدٍ من أهل القبلة بجنة ولا نار ؛ يُرَجَى لِلْحَسَنِ
وَيُخَافُ عَلَيْهِ ، وَيُخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ . وَيُرَجَى لَهُ .

في الأثر وفي الحديث المرفوع . إن الله يَغْفِرُ وَلَا يَعْزِرُ ، وَالنَّاسُ يَعْزِرُونَ
وَلَا يَغْفِرُونَ .

وفي حديث آخر : لا تكفروا أهل الذنوب .

٢٠ وتوفي رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرفاً على نفسه
فرفع رأسه ، وهو يجود بنفسه ، فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : ما يبكيكما؟
قال : نبكي لإسْرَانِكَ عَلَى نَفْسِكَ ! قال : لا تبكي . فوالله ما يسرنى أن الذي
يسد الله من أمري بأيديكما . ثم مات . فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام

فتى توفي في عهد
الرسول صلى الله
عليه وسلم

النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن فتى توفى اليوم فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علينا عنده شيئاً من خير ، إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هاهنا أوتى ؛ إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده .

عمر بن ذر
ورجل توفى

وتوفى رجل بجوار ابن ذر ، وكان مُسرفاً على نفسه ، فتحاى الناس جنازته وبلغ ذلك عمر بن ذر ، فأوصى أهله : إذا جهزتموه فأذِنُونِي . ففعلوا ؛ فشده والناس معه ، فلما أدلى وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان ؛ فلقد صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وذو خطايا ؟

معاوية عند الموت

وتمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذي تحاذر بعد الموت أنكى وأظعُ
ثم قال : اللهم فأقل العثرة ، واعفُ عن الزلَّة ، وعُدِّ بحملك على جهل
من لم يرُجُ غيرك ، ولم يثق إلا بك فإنك واسع المنفرة . يارب أين لذي الخطأ
مهرب إلا إليك .

قال داود بن أبي هند : فبلغني أن سعيد بن المسيب قال حين بلغه ذلك :
لقد رغب إلى من لا مرغَبَ إلا إليه كرهما ، وإنى أرجو من الله له الرحمة .

لأعراب في عائنة

الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول في دعائه وابتهاله : إلهي ، ما توهمت سعة
رحمتك إلا وكان نعمة عفوك تفرع مسامعي : أن قد غفرتُ لك ؛ فصدق ظني
بك ، وحقق رجائي فيك يا إلهي .

لبعض الشعراء

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت :

وإنى لأرجو الله حتى كأنني • أرى بحملي الظنَّ ما الله صانعُ

قولهم في التوبة

مر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بني إسرائيل يسكون ، فقال لهم : ما يبيحكم ؟ قالوا : نبكى لذنوبنا ا قال : آتركوها تُغفر لكم .

للمسيح عليه
السلام

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : عجباً لمن يهلك ومعه النجاة ؛ قيل له : وما هي ؟ قال : التوبة والاستغفار .

ابن

وقالوا : كان شاب من بني إسرائيل قد عبد الله عشرين حجة ، ثم عصاه عشرين حجة ؛ فبينما هو في بيته يترامى في صرّانه ، نظر إلى الشيب في لحيته ، فسأه ذلك ؛ فقال : إلهي ، أطاعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة ؛ فإن رجعتُ إليك تقبلي ؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ، ولم ير شخصاً : أحببتنا فأحبيناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلتناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .

فتى من بني
إسرائيل

عبد الله بن العلاء قال : خرجنا حجاجاً من المدينة ، فلما كنا بالحليفة نزلنا ، فوقف علينا رجل عليه أثواب رثة له منظر وهيئة ، فقال : من يبغي خادماً ؟ من يبغي ساقياً ؟ من يملأ قربة أو إداوة ؟ فقلنا : دونك هذه القرب فاملأها . فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا ، فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ، ثم قال : لكم غير هذا ؟ قلنا : لا . وأطعمناه قارصاً حاذراً^(١) ، فأخذه وحمد الله وشكره ؛ ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع ، فأدركتني عليه الرقة ، فقمت إليه بطعام طيب كثير ؛ وقلت : قد علمتُ أنه لم يقع منك القرص موقعا ، فدونك هذا الطعام فكله . فنظر في وجهي وتبسم ؛ وقال : يا عبد الله ، إنما هي فورة ، هذه النار قد أطفأتها - وضرب يده على بطنه - فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيت من هيئته ؛ فقال إلى رجل كان إلى جانبي : أتعرفه ؟ قلت : ما أعرفه . قال : هذا رجل من بني هاشم ، من ولد العباس بن عبد المطلب ؛ كان يسكن البصرة ؛ فتاب وخرج منها ، فققد وما يُعرف له أثر . فأعجبني قوله ؛ ثم لحقت به وناشدته الله ؛ وقلت له :

ابن العلاء
في عابد

(١) في بعض الاصول : قرصاً بارداً .

هل لك أن تعادلني فإن معي فضلا من راحلتى وأنا رجل من بعض
أخوالك ؟ فجزاني خيرا ، وقال : لو أردت شيئا من هذا لكان لي مُعَدًّا .
ثم أيس إلى وجعل يحدثني ؛ وقال : أنا رجل من ولد العباس ، كنت أسكن
البصرة ، وكنت ذا كِبَرٍ شديد وجروت وبذخ ؛ وإن أمرت خادماً لي أن
تَحْشُو لي فراشاً من حرير بورد تثير ، ومخنة ؛ ففعلت ؛ فإني لذائم إذ أبغضني
فَقِعُ وردة أغلنته الخادم ؛ ففتمت إليها فأوجعتها ضرباً ؛ ثم عدت إلى مضجعي
بعد أن خرج ذلك القمع من الختة ؛ فأتاني آت في منامى في صورة فظيعة ، فهرني
وزبرني ، وقال : أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك . ثم أنشأ يقول :

ياخذُ إنك إن تُوسدُ لَيْناً هـ وَوَسَدَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ

فأمهد لنفسك صالحاً تنجربه هـ فَلْتَتَنَّدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ

فانتبهت فزعا ، وخرجت من ساعتى هارباً بديني إلى ربي .

وقالوا : علامة التوبة الخروج من الجهل ، والندم على الذنب ، والتجافي عن
الشهوة ، وترك الكذب ، والاتهاء عن الخلق السوء .

وقالوا : التأب من الذنب كمن لا ذنب له . وأول التوبة الندم .

ومن قولنا في هذا المعنى : ١٥

يا وَيَلْتَنَا مِنْ مَوْقِفِ مَا بِهِ هـ أَخَوْفٌ مِنْ أَنْ يَعْدِلَ الْحَاكِمُ

أَبَارِزُ اللَّهِ بَعْضِيَانِهِ هـ وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ رَاحِمٌ

يَارَبُّ غُمْرَاكَ عَنْ مُذْنِبٍ هـ أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ . إن التوبة النصوح : أن يتوب العبد عن الذنب ٢٠

ولا ينوى العود إليه .

وقال ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

يعملون السوءَ بجهالةٍ ثم يتوبون من قريبٍ ﴾ . إن الرجل لا يركب ذنباً ولا يأتي

فاحشةً إلا وهو جاهل . وقوله : ثم يتوبون من قريب . قال : كل من كان دون

في التوبة

لابن عبد ربه

لبعض المفسرين

لابن عباس

المعاينة فهو قريب ، والمعاينة : أن يؤخذ بكظم الإنسان ، فذلك قوله : ﴿ إذا حضرَ أحدَهم الموتُ قال إني تُبْتُ الآن ﴾ قال أهل التفسير : هو إذا أخذ بكظمه .

وقال ابن شبرمة : إني لأعجب من يحتسى مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة النار .

لابن شبرمة

المبادرة بالعمل الصالح

قال الله عز وجل ﴿ وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ .

وقال الحسن : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم

الحسن

ما أمضيتم ، لا ما أبقيتم .

١٠ - وقالوا : ثلاثة لا أناة فيهن . المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ،

لبعضهم

وإنكاح الكفء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ابن آدم : اغتيم خمسا قبل خمس : شبابك

لاي صلى الله عليه وسلم

قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلِكَ ، وحياتك قبل موتك ،

وغناك قبل فقرك .

١٥ وقال الحسن : صم قبل أن لا تقدر على يوم تصومه ، كأنك إذا ظمئت

لم تكن رويت ، وكأنك إذا رويت لم تكن ظمئت .

وكان يزيد الرقاشي يقول : يا يزيد ، من يصوم عنك أو يصلّي لك أو يرضى لك

ليزيد الرقاشي

ربك إذا ميت .

وكان خالد بن معدان يقول :

لابن معدان

٢٠ إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً . ندمت على التفريط في زمن البذر

وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر في سفينة ، فقلت : بأي شيء

لابن المبارك

أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له : ما تقول في الصوم في السفر ؟ فقال : إنما

هي المبادرة يا بن أخي . فجاءني والله بغتيا غير فتيا إبراهيم والشعبي .

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

بادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخَاصَّةِ مُبْتَدَأً^(١) • وَالْمَوْتُ وَيُحَكِّمُ لَمْ يَمُدُّ إِلَيْكَ يَدَا
وَأَرْقُبُ مِنْ اللَّهِ وَعَدَاءً لَيْسَ يُخَلِّفُهُ • لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا

لعل

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : فيم أتم ؟ قالوا : نرجو
ونخاف . قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْ مَسَالِكَهَا • إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَدَيْنِ
وقال آخر :

أَعْمَلُ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ • وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ • يُحْصَى عَلَيْكَ ، وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثٌ

١٠

الذي صلى الله عليه
وسلم وعائشة

وقدّمت عائشة رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم صحفة فيها خبز
شعير وقطعة من كَرِش ، وقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فسا أمسكنا منها
غير هذا . فقال : بل كآها أمسكتم غير هذا .

العجز عن العمل

مؤرق وشاك

قال رجل لمؤرق العجلي : أشكو إليك نفسي ؛ إنها لا تريد الصلاة ، ولا تستطيع
الصبر على الصيام . قال : بنس الثناء [ما] أثبتت على نفسك ، فإذا ضعفت عن
الخير ، فأضعف عن الشر ؛ فإن الشاعر قال :

أَحْزَنُ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنُ • وَلَا تُسِيءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُعِينُ
وَأَضْعَفُ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعِي • ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمَسِّكُنُ

لكر بعبد الله

وقال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فأمسكوا
عن المعاصي .

٢٠

(١) في بعض الاصول : • مجتهدا .

- الحسن وقال الحسن رحمه الله : من كان قويا فليعتمد على قوته في طاعة الله ؛ وإن كان ضعيفا فليتكف عن معاصي الله .
- لل وقال علي : لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ، فيبتغي الزيادة فيما بقي ؛ وينهى الناس ولا ينتهي .
- ٥ وكان الحسن إذا وعظ يقول : يا لها موعظة لو صادفت من القلوب حياة !
أسمع حسيبا ولا أرى أنيسا ، ما لهم تفاقدوا عقولهم ؟ فرأش نار وذباب طمع .
لابن السماك وكان ابن السماك إذا فرغ من موعظته يقول : ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ،
وأعمال تخالف .
- وقال : الحسنه نور في القلب ، وقوة في العمل ؛ والسينة ظلمة في القلب ،
وضعف في العمل .
- ١٠ وقال بعض الحكماء : يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب ، ثم ظنوا أن تركها لهم توبة ؛ وليتهم إذا ذهب عنهم لم يتمنوا عودها إليهم .
- لابن دينار وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فطام الكبير . وينشد :
- ١٥ وَرَوْضُ عِرْسِكَ بعدما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم
ومن حديث محمد بن وضاح قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب ، مسح إبليس بيده على وجهه وقال : بأبي وجه لا أفلح أبدا .
- لبعض الشعراء — قال الشاعر :
- فإذا أي إبليس غرّة وجهه * حيا وقال فديت من لا يفلح
- ٢٠ وقال رجل للحسن : أباسعيد ، أردت البارحة أن أصلي فلم أستطع ، قال :
قيدتك ذنوبك .

قولهم في الموت

- قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ما عندك من ذكر الموت أباحفص ؟ قال : أمسى فما أرى أنى أصبح ، وأصبح فما أرى أنى أمسى ! قال : الأمر أوشك من ذلك أباحفص ، أما إنه يخرج عنى نفسى فما أرى أنه يعود إلى ! ٥
- وقال عبد^(١) الله بن شداد : أرى داعى الموت لا يُقْلَع ، ومن مضى لا يرجع ، ومن بقى فأليه ينزع .
- وقال الحسن : ابن آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك .
- وقال أبو العتاهية :
الناس في غفلاتهم • ورحى المنية تطحن
وقال عمر بن عبد العزيز : من أكثر من ذكر الموت اكنى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل : قل كلامه إلا فيما ينفع .
- وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال : أغدى فإننا رائحون ، أو روحى فإننا غادون . ١٥
- وقال رجل للحسن : مات فلان فجأة . فقال : لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات .
- وقال يعقوب صلوات الله عليه للبشير الذى أتاه بقميص يوسف : ما أدرى ما أثيبك به ، ولكن هوّن الله عليك سكرات الموت .
- وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جلستُ إلى جرير وهو يملى على كاتبه :
• ودّع أمانة حان منك رحيلُ •
- ثم طلعت جنازة فأمسك وقال : شيبتني هذه الجنازة . قلت : فلم تساب

(١) في بعض الاصول : « عبيد » .

الانس ؟ قال : يده وتي ثم لا أعفو ، وأعتدى ولا أبتدى . ثم أنشأ يقول :

زُرُوعُنَا الْجِنَاثُ مُقْبِلَاتٍ • فَتَلَهُو حِينَ تَذَهَبُ مُدْرَاتٍ
كِرْوَعَةٍ ثَلَّةٍ لِمَعَارٍ سَبْعٍ • فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ

ابيضهم . وقالوا : من جعل الموت بين عينيه ، لها عما في يديه .

وقالوا : اتخذ نوح بيتاً من جص ، فقيل : لو بنيت ما هو أحسن من هذا !
قال : هذا كثير لمن يموت .

وأحكم بيت قالته العرب في وصف الموت ، بيت أمية بن أبي الصلت حيث يقول :

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ • فِي بَعْضِ غِرَائِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا • لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرءِ ذَائِقُهَا

وقال أصبغ بن الفرج : كان بنجران عابد يصبح في كل يوم صيحين
بهذين البيتين :

مَنْعَ الْبَقَاءِ مَطَالِعُ الشَّمْسِ • وَغُدُوُّهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُنْمِي
وَطُلُوعُهَا حَرَاءُ قَانِيَةٍ • وَغُرُوبُهَا صَفْرَاءُ كَالْوَرْسِ
الْيَوْمَ يُخْبِرُ مَا يَجِيءُ بِهِ • وَمَضَى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ

ابيض الشعراء . وقال آخر :

زَيَّنْتَ بَيْتَكَ جَاهِلًا وَعَمْرَتَهُ • وَلَعَلَّ صِهْرُكَ^(١) صَاحِبَ الْبَيْتِ
مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ سَائِرَةً بِهِ • فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِالْمَوْتِ
وَالْمَرءُ مُرْتَهَنٌ بِسَوْفَ وَلِيَّتِي • وَهَلَاكُهُ فِي السَّوْفِ وَاللَّيْتِ
لِلَّهِ دَرٌّ فَتَى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ • فَتَدَا وَرَاحَ مُبَادِرَ الْمَوْتِ^(٢)

لصريع النوان . وقال صريع النوان :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا • قَدْ بَكَوْا أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بَكَوْا

(١) في بعض الاصول : غيرك .

(٢) في بعض الاصول : الموت .

تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ . وَوَدَّعُوا مَا تَرَكَوا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مَلُوكٍ سُوقَةٍ * وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكَوا

للصَّغِيرِ

وقال الصَّغِيرُ العَبْدِيُّ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْتَى الكَبِيرَ كَرَّ الغَدَاةُ وَمَرَّ العَشِي
إِذَا لَيْلَةٌ هَزَمَتْ يَوْمَهَا . أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ قَتَى
زُورُوحٌ وَنَغَدُوْا لِحَاجَاتِنَا . وَحَاجَةٌ مَنَ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ المَرءِ حَاجَاتُهُ . وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

وكان سفيان بن عيينة يستحسن قول عدى بن زيد :

أَيْنَ أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوْحٍ * ثُمَّ عَادُ مِنْ بَعْدِهَا وَثَمُودُ
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الأَيْرِةِ وَالأَنْبَاطِ أَفْضَتْ إِلَى التَّرَابِ الحُدُودُ
وَصَبِيحٌ أَمْسَى يَعودُ مَرِيضًا . وَهُوَ أَذْنَى لِلدَّوْتِ بِمَنْ يَعودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الحَدِيثَ وَلَكِنْ . بَعْدَ ذَا كُلِّهِ وَذَاكَ الوَعِيدُ

لأبي العتاهية

وقال أبو العتاهية في وصف الموت :

كَأَنَّ الأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا * وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صَرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا . وَمُرْتَهِنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَا
كَأَنَّ البَاكِياتِ عَلَيَّ يَوْمًا . وَلَا يُغْنِي البُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنَا مَنِيئِي فَنَعَيْتُ نَفْسِي * أَلَا أَسُودُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا

وقال :

سَتَخْلُقُ جِدَّةً وَتَحُولُ حَالُ . وَعِنْدَ الحَقِّ تُنْتَجَبُ الرِّجَالُ
وَلِلدُّنْيَا وَدَائِعُ فِي قُلُوبِ . بِهَا جَرَّتِ القَطِيعَةُ وَالوَصَالُ
تَخَوَّفُ مَا لَعَلَّكَ لَا تَرَاهُ . وَتَرْجُو مَا لَعَلَّكَ لَا تَنَالُ
وَقَدْ طَلَعَ الهَلالُ لَهْدَمِ عُثْمَرِي . وَأَفْرَحُ كُلَّمَا طَلَعَ الهَلالُ

(١) في بعض الاصول ، كان قد ، .

وله أيضاً :

من يعيش يكبر ومن يكبر يموت • والمنايا لا تبالي من أنت
نحن في دارِ بلاءٍ وأذى • وشقاءٍ وعناءٍ وعنتٍ
منزلٌ ما يثبت المرء به • سالماً إلا قليلاً إن ثبت
أيها المغرور ما هذا الصبا • لو تهيت النفس عنه لانت
رحم الله امرأً أنصف من • نفسه إذ قال خيراً أو سكت

ومن قولنا في ذكر الموت :

من لي إذا جُدت بين الأهل والولد • وكان مني نحو الموت قيس يدي
والدمع يهمل والأنفاسُ صاعدةً • فالدمع في صَبِّ والنفس في صعدِ
ذاك القضاء الذي لا شيء يصرِّفه • حتى يُفرِّق بين الروح والجسدِ

ومن قولنا فيه :

أتلوه بين باطيةٍ وزير • وأنت من الهلاك على شفيرِ ؟
فيا من غره أملٌ طويلٌ • يُؤديه إلى أجلٍ قصيرِ
أنفرحُ والمنيسةُ كلَّ يومٍ • تُريك مكان قبرك في القبورِ ؟
هي الدنيا فإن سرتك يوماً • فإن الحزنَ عاقبةُ السرورِ
ستسلب كل ما جمعت منها • كعماريةٍ تُردُّ إلى المعيرِ
وتعتاض اليقين من التظني • ودارَ الحق من دارِ الغرورِ

ولأبي العتاهية :

وليس من منزلٍ بأوَّيه مُرْتَجِلٌ^(١) • إلا وللوت سيفٌ فيه مسلولٌ

وله أيضاً :

ما أقرب الموت منا • تجاوز الله عنا
كأنه قد سقانا • بكاسه حيث كنا

(١) في بعض الأصول : ذو نفس . .

وله أيضاً :

أُوْمَلُ أَنْ أُحَلِّدَ وَالْمَنَابِيَا ۞ يَثْبِينُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي
وما أدرى إذا أَمْسَيْتُ حَيًّا ۞ لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ

وقال الفرزّال :

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ بِجُهُودٍ عَلَى أَمَلٍ ۞ مِنَ الْحَيَاةِ قَصِيرٍ غَيْرِ مُنْتَدٍ ۵
وما أَفَارِقُ يَوْمًا مَنْ أَفَارَقَهُ ۞ إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ
انظُرْ إِلَى إِذَا أُدْرِجْتُ فِي كَفْنِي ۞ وَانظُرْ إِلَى إِذَا أُدْرِجْتُ فِي لَحْدِي
واقْعُدْ قَلِيلًا وَعَايِنَ مَنْ يُقِيمُ مَعِي ۞ مَنْ يُشِيعُ نَعْشِي مِنْ ذَوِي وَدِّي
هِيَاتِ ! كَلُّهُمْ فِي شَأْنِهِ لَعِبٌ ۞ يَرْمِي التَّرَابَ وَيَحْتَوُهُ عَلَى خَدِّي

١٠ وقال أبو العنّابة :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ ۞ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعْدًّا لِرَيْبِ الْمُنُونِ ۞ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبِ الْمَرِيضِ ۞ فَعَاشِ الْمَرِيضَ وَمَاتِ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ ۞ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ ؟

١٥ وله أيضاً :

أَخِي أَدَّخِرْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لِيَوْمِ بُؤْسِكَ وَافْتِقَارِكَ
فَلتَسْتَنْزِلَنَّ بِمَنْزِلٍ ۞ تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ادِّخَارِكَ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

أَيُّهَا الْأَمَلُ مَا لَيْسَ لَهُ ۞ رَبِّمَا غَرَّ سَفِيهَا أَمَلُهُ
رَبٌّ مَنْ مَاتَ يُمَيِّنُ نَفْسَهُ ۞ حَالٍ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهُ
وَالْقَتَى الْمُخْتَالُ فِيمَا نَابَهُ ۞ رَبِّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ حِيلُهُ
قَلْ لِمَنْ مَثَلٌ^(١) فِي أَشْعَارِهِ ۞ يَهْلِكُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ

(١) في بعض الأصول : • لمن قد مان • .

نَافِسُ الْمُحْسِنِ فِي إِحْسَانِهِ • فَيَكْفِيكَ سِنَاءٌ (١) عَمَلُهُ

لدى بن زيد وقال عدى بن زيد العبادى :

- أين كسرى كسرى الملوك أنوشِرُ • وان أم أين قبله سابورُ
 وبنو الأصفر الكرامُ ملوك الرُ • وم لم يبق منهم مذكورُ
 ٥ أخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تُنجي إليه والخابورُ
 شادَه مَرَمراً وجلَّله كلساً فلطير في ذراه وُكورُ
 لم يهبه رَبُّ المَنونِ فبَادَ المُلْكُ عنه فبأبه مهجورُ
 وتفكر (٢) رَبَّ الخورزَنقِ إذ أصبح يوماً وللهدى تفكيرُ
 سره حاله وكثرة ما يملكُ والبحر مُعرضاً والسديرُ
 ١٠ فارتعوى قلبه فقال : وما غبطةٌ حتى إلى المات يصيرُ ؟
 ثم بعد الفلاح والمُلكِ والنعمه وارتهمُ هناك القبورُ
 ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فألوت به الصبا والدبورُ

لحريث بن جبلة وقال حريث بن جبلة العذرى :

- يا قلبُ إنك في الأحياء مغرورُ • فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكيرُ
 ١٥ حتى متى أنت فيها مُذنبٌ وله • لا يستفزتك منها البدرُ والخورُ
 قد نُجحت بالجهل لا تخفيه عن أحد • حتى جرت بك أطلاقُ محاضيرُ
 تريد أمراً فما تدرى أعاجله • خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
 فاستقدر الله خيراً وارضى به • فينما العسر إذ دارت مياسيرُ
 وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً • إذ صار في الرَمسِ تعفوه الأعاصيرُ
 ٢٠ حتى كأن لم يكن إلا توهمه • والدهرُ في كلِّ حاله دَهاريرُ
 يبكى الغريبُ عليه ليس يعرفه • وذو قرابته في الحى مسرورُ

(١) في بعض الاصول : • مينا • .

(٢) في بعض الاصول : • وتبين • .

فذاك آخِرُ عهدٍ من أخيك إذا . ما ضُمَّنْتَ شِلْوَهُ اللَّحْدِ الْمُخَافِرُ

قولهم في الطاعون

قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن الطاعون وقع في الشام فأنصرف بالناس : أفراراً من قَدَرِ اللَّهِ يا أمير المؤمنين ؟ قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نَفِرُ من قَدَرِ اللَّهِ إلى قدر الله : رأيت لو أن لك إبلا هبطت بها واديا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جدية ، أليس لورعيت في الخصيبة رعيتها بقَدَرِ اللَّهِ ، ولو رعيت الجدية رعيتها بقدر الله ؟ وكان عبد الرحمن بن عوف غائباً فأقبل ، فقال : عندي في هذا علمٌ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا سَمِعْتُمْ به في أرض فلا تَقْدَمُوا عليها ، وإذا وَقَعَ في أرض وأتمم بها فلا تَخْرُجُوا فِراراً منه . فحمد اللهَ عمرُ ، ثم انصرف بالناس .

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فر من الطاعون : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قال : ذلك القليل نطلب .

العنبي قال : وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج صديق لشريح إلى النَجَفِ ، فكتب إليه شريح : أما بعد ؛ فإن الموضع الذي هربت منه لم يسقُ إلى أجلك تمامه ، ولم يسلبه أيامه ؛ وإن الموضع الذي صرت إليه لسبعين من لا يعجزه طلب ، ولا يفوته هرب ؛ وإنا وإياك على بساط ملك ، والنجف من ذى قدرة أقرب .

لما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين ، فقال : ما أحسن ما صنع بكم ربكم ؛ أفلح مُذْنِبٌ وأنفق مُمْسِكٌ .

وخرج أعرابي هارباً من الطاعون فلدغته أفعى في طريقه فمات . فقال أخوه يرثيه :

طافَ يَبْغِي نَجْوَةً . مِن هَلَاكِ قَهْلِكَ

عمر بن الخطاب
وابن الجراح
في الطاعون

للوليد بن عبد
الملك في مثله

من شريح
إلى صديقه
فر من الطاعون

الحسين في
الطاعون
الجارف

لأعرابي هرب
من الطاعون

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةً ۝ أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكُ
أَجْعَافٌ سَائِلٌ ۝ مِنْ جِبَالٍ حَمَلَكُ
وَالْمَنَابِيا رَصَدٌ ۝ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ ۝ حِينَ تَلَقَى أَجْلَكَ

حكي (١) أن ماء المطر اتصل في وقت من الأوقات ، فقطع الحسن بن وهب
عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيات ، فكتب إليه الحسن :

ابن وهب
وابن الزيات

يُوضِحُ الْعُدْرَةَ فِي تَرَاحِييِ اللَّقَاءِ ۝ مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ
فَسَلَامٌ إِلَيْهِ أَهْدِيهِ مِنِّي ۝ كُلُّ يَوْمٍ لِسَيِّدِ الْوُزَرَاءِ
لَسْتُ أُدْرِي مَاذَا أَدُمُّ وَأَشْكُو ۝ مِنْ سَمَاءٍ تُعَوِّقُنِي عَنْ سَمَاءِ
غَيْرِ أَنْي أَدْعُو لِهَاتِيكَ بِالتَّكْوِيلِ وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ

١٠

اتصل بأحمد بن أبي دؤاد أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون
بيتاً ، فقال :

ابن الزيات
وابن أبي دؤاد

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتاً سُدِّي ۝ جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى مَطْرَةٍ ۝ تُزِيلُ عَنْهُمْ وَضَرَ الزَّيْتِ

١٥

فبلغ قوله محمداً فقال :

بِأَيْهَا الْمَأْفُونِ رَأْيَا لَقَدْ ۝ عَرَضْتَ بِي نَفْسَكَ لِلدَّوْتِ
فَقَبْرُكُمْ الْمَلِكَ فَلَمْ تُنْقِهِ ۝ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ
الزَّيْتُ لَا يُزْرِي بِأَحْسَابِنَا ۝ أَحْسَابِنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ

وقيل لابن أبي دؤاد : لم لاتسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك ؟

لابن أبي دؤاد

٢٠

فقال : لا أحب أن أعله شأني .

وقد حدث أبو القاسم جعفر ، أن محمد الحسني قال : أخبرنا محمد بن زكريا

مقتل زيد
ابن حسين

(١) هذا الخبر غريب عن هذا الباب ؛ وقد ذكر في باب الزيارة ، وهناك موضعه

فيما نرى .

الغلابي ، قال : حدثنا محمد بن نجيح النوبختي ، قال : حدثنا يحيى أن سليمان قال :
حدثني أبي ، وكان ممن لحق الصحابة ، قال : دخلت الكوفة ، فإذا أنا برجل
يحدث الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : بكر بن الطرماح ؛ فسمعته يقول :
سمعت زيد بن حسين يقول : لما قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ،
أتى بنعيه إلى المدينة كلثوم بن عمرو ، فكانت تلك الساعة التي أتى فيها أشة
بالساعة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من باك وباكية ،
وصارخ وصارخة ، حتى إذا هدأت عبرة البكاء عن الناس ، قال أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعالوا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ، فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام
الناس جميعاً حتى أتوا منزل عائشة رضي الله عنها ، فاستأذنتها عليها ، فوجدوا
الخبر قد سبق إليها ، وإذا هي في غمرة الأحزان وعبرة الأشجان ، ماتفت عن
البكاء والنحيب منذ وقت سمعت بخبره ، فلما نظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا ؛
فلما كان من غد قيل إنها غدت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق
في المسجد أحد من المهاجرين إلا استقبلها يسلم عليها ، وهي لا تسلم ولا ترد
ولا تطيق الكلام ؛ من غزرة الدمعة ، وغمرة العبوة ، تختنق بعبرتها ، وتعتثر
في أثوابها ، والناس من خلفها ، حتى آتت إلى الحجر ، فأخذت بعضادتي الباب ،
ثم قالت : السلام عليك يا نبي الهدى ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك
يا رسول الله وعلى صاحبك ، يا رسول الله ؛ أنا ناعية إليك أحبابك ،
وذاكرة لك أكرم أودائك عليك ، قُتل والله حبيبك المجتبي ، وصفيتك المرتضى ،
قتل والله من زوجته خير النساء ، قتل والله من آمن ووفى ، وإني لنادية تُكَلِّي ،
وعليه باكية حَرَى ، فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرمهم عليك ، وأحظاهم
لديك ؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك مني ما تعرضتُ له منذ اليوم ، والله يُجرى
الأمور على السداد .

قال المبرد : عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع ، فقال : عظم أجركم ،

- ورحم الله " ققيدم : وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالاً يجمع شملكم ، ويلم شعثكم ، ولا يفرق ملائكم .
- وقيل لأعرابية مات لها بنون عدة : ما فعل بنوك ؟ قالت : أكلهم دهرٌ لا يشبع .
- ٥ وعزى رجلُ الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان العزاء لك لا عنك . رجل يعزى الرشيد
- ومما روى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نعى إليه ابنه وهو في السفر ، فاسترجع ثم قال : عورة سترها الله ، ومؤنة كفاها الله ، وأجر ساقه الله . لابن عباس
- ١٠ وقال أسامة بن زيد رضى الله عنهما لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية . قال : الحمد لله . دفن البنات من المكرمات . وفي رواية : من المكرمات دفن البنات . قضى صلى الله عليه وسلم في ابنته
- وقال الغزالي : ماتت ابنة لبعض ملوك كندة ، فوضع بين يديه بدرة من الذهب ، وقال : من أبلغ في التعزية فهي له ، فدخل عليه أعرابي فقال : أعظم الله أجر الملك ، كيف المؤنة ، وستر العورة ، ونعم الصهر القبر ، فقال له الملك : أبلغت وأوجزت . وأعطاه البدره . ملك كندة وأعرابي عزاه في ابنته

من أحب الموت ومن كرهه

- في بعض الأحاديث : لا يتمنى أحدكم الموت : فعسى أن يكون مُحْسِنًا فيزداد في إحسانه ، أو يكون مسيئًا فينزِعَ عن إساءته . في الحديث
- ٢٠ — وقد جاء في الحديث : يقول الله تبارك وتعالى : إذا أحبَّ عبدى لقاء أحببتُ لقاءه ، وإذا كره لقاءى كرهتُ لقاءه .
- وليس معنى هذا الحديث حبُّ الموت وكراهته ، ولكن معناه من

(١) في بعض الأصول : ووجه إلى ققيدم . .

أحب الله أحبه الله ، ومن كره الله كرهه الله .

وقال أبو هريرة : كره الناس ثلاثاً وأحبتهن : كرهوا المرض وأحبته ، لأبي هريرة
وكرهوا الفقر وأحبته ، وكرهوا الموت وأحبته .

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلنا على بشر بن منصور وهو في الموت ،
وإذا هو من السرور في أمر عظيم ؛ فقلنا له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان
الله ! أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين والباغين وأقدم على أرحم
الراحمين ولا أسر .

ودخل الوليد بن عبد الملك المسجد ، فخرج كل من كان فيه ، إلا شيخاً قد
حناه الكبر ؛ فأرادوا أن يُخرجوه ، فأشار إليهم [الوليد] أن دعوا الشيخ . ثم
مضى حتى وقف عليه ، فقال له : يا شيخ ، تحب الموت ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ؛
ذهب الشباب وشبهه ، وأتى الكبر وخيره ؛ فإذا قتت حدثت الله ، وإذا قعدت
ذكرته ؛ فأنا أحب أن تدوم لي هاتان الخلتان .

قال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، مالي لا أحب الموت ؟ قال : هل لك مال ؟ قال : نعم . قال : فقدمه
بين يديك . قال : لا أطيق ذلك ! فقال النبي عليه السلام : المرء مع ماله ؛ إن
قدمه أحب أن يلحقه ، وإن أخره أحب أن يتخلف معه !

وقال الشاعر في كراهية الموت :

قامت تشجني هتاً فقلت لها . إن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي منع الأبصار رؤيته . ما يشتهي الموت عندي من له أرب

الحكام

وقالت الحكمة : الموت كرهه .

وقالوا : أشد من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت ؛ وأطيب من العيش

ما إذا فارقت أبغضت له العيش .

التَّجِدُّدُ

لنبي صلى الله
عليه وسلم

المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ .
وَقِيلَ لِلْحَسَنِ : مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجُوهًا ؟ قَالَ : لِإِنَّهُمْ خَلَوْا
بِالرَّحْمَنِ فَأَسْفَرَ نُورَهُمْ مِنْ نُورِهِ .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَصَلِّي اللَّيْلَ حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ قَالَ : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ
الْقَوْمَ السُّرَى .

لبعضهم

وَقَالُوا : الشِّتَاءُ رِيحُ الْمُؤْمِنِينَ : يَطُولُ لَيْلُهُمْ لِلْقِيَامِ ، وَيَقْصُرُ نَهَارُهُمْ لِلصِّيَامِ .
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ
وَالنَّاسُ نِيَامٌ .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

١٠ وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَبِالْأَشْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

وَهَذَا يُوَافِقُ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : هَلْ
مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأُغْفِرَ لَهُ ، هَلْ
مِنْ مُسْتَفِئٍ فَأُغِيثَهُ .

١٥ أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْمُغِيرَةَ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ يَرَى
الضُّوءَ بِاللَّيْلِ ؟ قَالَ : هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَوْ كَانَ خَيْرًا لَأَرَى أَهْلَ بَدْرٍ .

للمغيرة والنخعي

البكاء من خشية الله عز وجل

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ كُلِّ عَيْنٍ تَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ،
وَعَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ .

٢٠ وَكَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ قَدْ بَكَى حَتَّى سَقَطَتْ أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ .

يزيد الرقاشي

وَقِيلَ لِغَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَمَا تَخَافُ عَلَى عَيْنَيْكَ مِنَ الْعَمَى مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ ؟
فَقَالَ : شِفَاءُهَا أُرِيدُ .

لغالب بن عبد الله

وقيل ليزيد بن مزيد : ما بال عينك لا تجف ؟ قال : أى أخى ، إن الله أوعدنى إن عصيته أن يحبسنى فى النار : ولو أوعدنى أن يحبسنى فى الحمام لكنت حراً أن لا تجف عيني .

قال عمر بن ذر لأبيه : مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، فإذا تكلم غيرك لم يكهم ؟ قال : يابنى ، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة .

وقال الله لنبى من أنبيائه : هبلى من قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع : ثم أدعنى أستجب لك .

ومن قولنا فى البكاء :

مدامع قد خدّدت فى الخدود . وأعين مكحولة بالهجود
ومعشر أوعدهم ربهم . فبادروا خشية ذلك الوعيد
فهم عكوف فى تحاريهم . يكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يعشب من دمهم . ما قابلت أعينهم فى السجود

وقال قيس بن الأصم فى هذا المعنى :

صلّى الإله على قوم شهدتهم . كانوا إذا ذكروا أو ذكروا شهبوا
كانوا إذا ذكروا نار الجحيم بكوا . وإن تلا بعضهم نحوفاً صعقوا
من غير همز من الشيطان بأخذهم . عند التلاوة إلا الخوف والشفق
صرعى من الحزن قد سحوا ثيابهم . بقية الروح فى أوداجهم رمق
حتى تخالهم لو كنت شاهدهم . من شدة الخوف والإشفاق قد زهقوا

النهى عن كثرة الضحك

فى الحديث المرفوع : كثرة الضحك تميم القلب وتذهب بهاء المؤمن .

وفيه : لو علمتم ما أعلم لبيكنم كثيراً ولضحكنم قليلاً .

وفيه : إن الله يكره لكم العبث فى الصلاة : والرفث فى الصيام ، والضحك

فى الجنائز .

- الحسن وقوم
يضحكون
- ومر الحسن بقوم يضحكون في شهر رمضان ، فقال : يا قوم ، إن الله جعل
رمضانَ مِضْماراً لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته ؛ فسبق أقوام قفازوا ، وتخلف
أقوام نخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون ،
وغاب فيه المتخلفون ! أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسناً إحسانه
ومُسِيناً إساءته .
- عبدالله وضاحك
- ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك مستغرقاً ، فقال له : أتضحك
ولعل أكفانك قد أخذت من عند القصار ؟
- لبعض الشعراء
- وقال الشاعر :
- وكم من فتى يُمسي وَيُصبحُ آمناً * وقد نُسجتُ أكفانُهُ وهو لا يدري
- ١٠ النهي عن خدمة السلطان وإتيان الملوك
- ابن الخطاب
- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من دخل على الملوك خرج وهو
ساخط على الله .
- أبو جعفر
وسفيان
- أرسل أبو جعفر إلى سفيان ، فلما دخل عليه قال : سئني حاجتك أبا عبد الله ؟
قال : وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فإن حاجتي إليك أن لا ترسل
إلي حتى آتيك ، ولا تعطيني شيئاً حتى أسالك ! ثم خرج ؛ فقال أبو جعفر :
١٥ ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا ، إلا ما كان من سفيان الثوري ، فإنه أعياناً فرارا .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء .
- زيد وأصحابه
- وقال زيد لأصحابه : من أغبط الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه . قال :
كلا ؛ إن لأعواد المنبر لهيبة ، ولقرع لجام البريد لفزعة . ولكن أغبط الناس
عيشاً رجل له دار يسكنها ، وزوجة سالحة يأوي إليها ، في كفاف من عيش ،
٢٠ لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإن عرفنا وعرفنا أفسدنا عليه آخرته وديناه .
- وقال الشاعر :
- إن الملوك بلائهم حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكتافهم ظلُّ

ماذا تريد بقوم إن هم غضبوا * جاروا عليك وإن أرضيتهم ملأوا
فاستغن بالله عن إتيانهم أبدا * إن الوقوف على أبوابهم ذل

وقال آخر :

لا تصعبن ذوى السلطان في عمل * نضج على وجل تسمى على وجل
كل الثراب ولا تعمل لهم عملا * فالشر أجمعه في ذلك العمل

وفي كتاب كلبلة ودمنة : صاحب السلطان مثل راكب الأسد : لا يدري متى
يهيج به فيقتله .

ودخل مالك بن دينار على رجل في السجن يزوره ، فنظر إلى رجل جندي
قد اتكأ في رجليه كبول قد قرنت بين ساقيه ، وقد أتى بسفرة كثيرة الألوان :
فدعا مالك بن دينار إلى طعامه : فقال له : أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن
يطرح في رجلي مثل كبولك هذه .

وفي كتاب الهند : السلطان مثل النار : إن تباعدت عنها احتجت إليها ، وإن
دنوت منها أحرقتك .

أيوب السخيتاني قال : طلب أبو قلابة لقضاء البصرة ، فهرب منها إلى الشام ،
فأقام حيناً ثم رجع ، قال أيوب فقلت له : لو وليت القضاء وعدلت كان لك
أجران . قال : يا أيوب ، إذا وقع الساجح في البحر فكم عسى أن يسبح !

وقال بقية : قال لى إبراهيم : يا بقية ، كن ذنباً ولا تكن رأساً : فإن الرأس
يهلك والذنب ينجو .

ومن قولنا في خدمة السلطان وصحته :

تجنب لباس الخز إن كنت عاقلاً * ولا تختتم يوماً بفص زبرجد
ولا تتغلل^(١) بالفوالى تعطراً * وتسحب أذيال الملاء المعصدا
ولا تتبختر صيت النعل زاهياً * ولا تصدّر في الفراش الممهّد

(١) في بعض الاصول : تطيب .

وكن هملا في الناس أغبر شاعراً • تروح وتغدو في إزارٍ وبرجدٍ
 ترى جلد كبتش تحته كل ما استوى • عليه سريرٌ فوق صرحٍ مُمردٍ
 ولا تطمخ العينان منك إلى امرئٍ • له سَطواتٌ باللسان وباليد
 ترامت له الدنيا بزبرج عيشها • وقادت له الأطماع غير مَقودٍ
 فأنتم ككشحيه وأهزل دينه • ولم يرتقب في اليوم عاقبة الغد
 فيوماً تراه تحت سوطٍ مجرداً • ويوماً تراه فوق سرجٍ منضدٍ^(١)
 فيرحم تاراتٍ ويحسدُ تارةً • فذا شر مرحومٍ وذا شرُّ مُحسدٍ

القول في الملوك

الأصمعي قال : بلغني أن الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسير الجوع ، صريع
 الشبع ؛ إن فوما لبسوا هذه المطارف العتاق . والعمائم الرقاق ، ووسعوا دورهم ،
 وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم ، يتكئ أحدهم على شماله ،
 ويأكل من غير ماله فإذا أدركته الكظة قال : يا جارية ، هاتي ماضومك اوبلك ا
 وهل تهضم إلا دينك ؟

يحيى بن يحيى قال : جلس مالك يوماً فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه فقال :
 يا حسرة على الملوك ا لاهم تركوا في نعيم دنياهم ، وماتوا قبل أن يموتوا حزناً على
 ما خلفوا ، وجزعاً مما استقبلوا ا

وقال الحسن ، وذكر عنده الملوك : أما إنهم وإن مُهلجت لهم البغال ، وأطافت
 بهم الرجال ، وتعاقبت لهم الأموال ، إن ذل المعصية في قلوبهم ؛ أبي الله إلا أن
 يُذل من عصاه ا

الأصمعي قال : خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فأنشد على المنبر :
 أين الملوك التي عن حظها غفلت • حتى سقاها بكأس الموت ساقها

(١) في بعض الأصول : • مجود .

بلاء المؤمن في الدنيا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن كالخامة من الزرع : تميل بها الريح مرة
كذا ومرة كذا ؛ والكافر كالأرزة المجدثة على الأرض يكون انجفافها مرة .
عليه وسلم

ومعنى هذا الحديث : تَرُدُّ الرزايا على المؤمن ، وتجاوفاً عن الكافر ليزداد إثمًا .

٥ وقال وهب بن منبه : قرأت في بعض الكتب : إني لأذود عبادي المخلصين
عن نعيم الدنيا ، كما يذود الراعي الشفيق إبله عن موارد الهلكة .
لوهب بن منبه

١٠ قال الفضيل بن عياض : ألا ترون كيف يزوى الله الدنيا عن من يحب من
خلقه : يمررها عليه مرة بالجوع ، ومرة بالعري ، ومرة بالحاجة ؛ كما تصنع
الأم الشفيقة بولدها : تفضمه بالصبر مرة ، ومرة بالحُضُّض ؛ وإنما يريد بذلك
ما هو خير له .

٥ وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخبرني جبريل عن الله
تبارك وتعالى أنه قال : ما ابتليت عبدي بيلة في نفسه أو ماله أو ولده فطلقها
بصبر جميل إلا استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزانا أو أنشر له ديوانا .

كتمان البلاء إذا نزل

١٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : من آتتْ بلاء فكنمه ثلاثة أيام صبراً
واحتماباً ، كان له أجر شهيد .

وسمع الفضيل بن عياض رجلاً يشكو بلاء نزل به ، فقال : يا هذا ، تشكو
من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقال : من شكا مصيبةً نزلت به فكأنما شكا ربه .

٢٠ وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ يَرثِي أَخَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّمَةِ :

قليل التشكى للصابِ ذاكراً ٥ من اليوم أعقاب الأحاديث في غدٍ

لأبسط شراً

وقال تأبط شراً :

قليل التشكى للسلِّمِ يُصِيبُهُ ٥ كثير النوى شتى الهوى والمسالكِ

الشيباني قال : أخبرني صديق لي قال : سمعني شريح وأنا أشتكى بعض ما غمّني إلى صديق ، فأخذ يدي وقال : يا بن أخي . إياك والشكوى إلى غير الله ؛ فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً ؛ فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدو فيشمت بك . انظر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عينيه - فوالله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً^(١) منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية . أما سمعت قول العبد الصالح : إنما أشكو بني وحزني إلى الله ؛ فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ؛ فإنه أكرم مسئول ؛ وأقرب مدعو .

كتب عقيل بن أبي طالب وأخيه علي بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب ، يسأله عن حاله ؛ فكتب إليه :

فأن تسألني كيف أنت فإني * جليدٌ على ريب الزمان صليبُ
عزيزٌ عليّ أن تُرى بي كآبةٌ * فيفرحَ وإشٍ أو يُساء حبيبُ

وكان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سخابة صيفٍ عن قليلٍ تَفْشَعُ .
وكان يقال : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

القناعة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمناً في سربه معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ؛ كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها .

السُّرب : المسلك ؛ يقال : فلان واسع السرب ؛ يعني المسلك والمذهب .

وقال قيس بن عاصم : يا بني ، عليكم بحفظ المال ، فإنه منبئة الكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم ؛ وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل .

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها

(١) في بعض الأصول : « صديقا » .

مال لا ينفد ؛ وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر ؛ وعليك باليأس ، فإنك لم تياس
من شيء قط إلا أغناك الله عنه .

وقالوا : الغني من استغنى بالله ، والفقير من افتقر إلى الناس .

لبعضهم

وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

وقيل لأبي حازم : ما مالك ؟ قال : ما لاني : الغنى بما في يدي عن الناس ،
واليأس عما في أيدي الناس !

لابن أبي حازم

وقيل لآخر : ما مالك ؟ فقال : التجمال في الظاهر ، والقصد في الباطن .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

لا بُدَّ يَمًّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ • الْيَأْسُ حُرٌّ وَالرَّجَاءُ عَبْدٌ

وَلَيْسَ يُفْنِي الْكَدَّ إِلَّا الْجِدُّ

وقالوا : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره الحرص التعب .

للبحرئى

وقال البحرئى :

إِذَا مَا كَانَ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمٍ • طَرَحْتُ الْهَمَّ عَنِّي يَا سَعِيدُ

وَلَمْ تَخْطُرْ مُهْمُومٌ غَدٍ بِيَّالِي • لِأَنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ

لعروة بن أذينة

وقال عروة بن أذينة :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ • بَأَنَّ رِزْقِي وَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِأَثْنِي

أَسَعَى لَهُ فَيَعْنِينِي تَطْلُبُهُ (١) • وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَا نِي لَا يُعْنِينِي

عبد الملك وعروة
بن أذينة

وفد عروة بن أذينة على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ،

فقال له عبد الملك : أأنت القائل يا عروة :

• أَسَعَى لَهُ فَيَعْنِينِي تَطْلُبُهُ (١) •

فما أراك إلا قد سعبت له . فخرج عنه عروة وشخص من فوره ذلك إلى

المدينة . فافتقده عبد الملك ، فقبيل له : توجه إلى المدينة . فبعث إليه بألف دينار ؛

(١) في بعض الاصول : • أَسَعَى إِلَيْهِ فَيَعْنِينِي تَطْلُبُهُ • .

فلما أتاه الرسول قال : قل لأمير المؤمنين : الأمر على ما قلت ؛ قد سمعتُ له
فَعَنَانِي تَطَلُّبُهُ ، وَقَعَدْتُ عَنْهُ فَأَتَانِي لَا يُعْتَنِينِي .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن
تموت حتى تستوفى رزقها . فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

النبي صلى الله
عليه وسلم

وقال تعالى فيما حكى عن لقمان الحكيم : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ،
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال الحسن : ابن آدم ، لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أمالك ، ولا مغلوب
على رزق ، ولا بمرزوق ما ليس لك ؛ فعلام تقتل نفسك ؟

الحسن

قال ابن عبد ربّه : قد أخذت هذا المعنى فنظمته في شعري فقلت :

لابن عبد ربّه

لستُ بقاضٍ أملي . ولا بعاذٍ أجلي
ولا بمغلوبٍ على الرّ . زقٍ الذي قدّز لي
ولا بمُعطى رزقٍ غيّه . برى بالشقا والعمل
فلنيت شعري ما الذي . أدخلني في سُغلي

١٥

وقال آخر :

لبعض الشعراء

سيكون الذي قضى . غضب المرء أم رضى

وقال محمود الوراق :

للوراق

أما عجب أن يكفل الناس بعضهم . ببعض فيرضى بالكفيل المطالب
وقد كفل الله العليّ بنفسه . فلم يرض والإنسان فيه عجائب
علم بأن الله موفٍ بوعدِهِ . وفي قلبه شك على القلب دائم
أبى الجهل إلا أن يصير بعليه . فلم يُغن عنه علمه والتجارب
وله أيضاً :

٢٠

أتطلب رزق الله من عندي غيره . وتصيح من خوف العواقب آمنا

وترضى بصرفٍ وإن كان مُشركاً • ضميماً ، ولا ترضى برّبك ضامناً
وقال أيضاً :

غنى النفس يُغنيها إذا كنتَ قانِياً • وليس بمُغْنِيكَ الكثيرُ مِنَ الحِرْصِ
وإنَّ اعتقادَ الهَمِّ لِلخَيْرِ جَامِعاً • وقلةُ همِّ المرءِ يدعو إلى النَّقْصِ
• وله أيضاً :

مَنْ كانَ ذا مالٍ كثيرٍ ولم • يَقْنَعْ ، فذاك المومِرُ المفسِرُ
وكلُّ مَنْ كانَ قنوعاً وإن • كان مُقْلاً ، فهو المَكْتَرُ
الفقرُ في النفسِ وفيها الغنى • وفي غنى النفسِ الغنى الأكبرُ

ليكرين حاد

وقال بكر بن حاد :

تبارك مَنْ ساسَ الأمورَ بعِلْمِهِ • وذللَّ له أهلَ السَّمواتِ والأرْضِ
وَمَنْ قَسَمَ الأرزاقَ بينَ عبادِهِ • وفضلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فمن ظنَّ أَنَّ الحِرْصَ فيها يزيدُهُ • فقولوا له يزداد في الطُّولِ والعرضِ !

لابن أبي حازم

وقال ابن أبي حازم :

وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ في كُلِّ ساعَةٍ • يشيدُ ويبتغي دائباً ويُحصِنُ
له حينَ تبلوهُ حَقِيقَةُ مَوْقِنِ • وأفعاله أفعالُ مَنْ ليس يوقِنُ
عيانَ كإنكارِ ، وكالجهلِ عَلَيْهِ • يشكُّ به في كُلِّ ما يُتَيَقَّنُ

وقال أيضاً :

أضرعُ إلى الله لا نضرعُ إلى الناسِ • وأفنعُ يئاسٍ فإنَّ العزَّ في اليأسِ
وَأستغني عن كُلِّ ذِي قُرْبَى وذِي رَحِمٍ • إنَّ الغنىَ مَنْ استغنى عنِ الناسِ
• وله أيضاً :

فلا تُحْرِصَنَّ فإنَّ الأمورَ • بِكفِّ الإلهِ مقاديرُها
فليس بآتيكَ منْهيا • ولا قاصِرَ عنكَ مأمورُها

وله أيضاً^(١) :

كم إلى كم أنت للجزء . ص وللآمال عند ؟
 ليس يُجدي الحرص والسعى إذا لم يك جد
 ما لما قد قدر الله من الأمر مرد
 قد جرى بالشر نخس . وجرى بالخير سعد
 وجرى الناس على جر . يهما قبل وبعد
 آمنوا الدهر وما للدهر والأيام عهد
 غالم فاضطم الجم . مع وأقى ما أعدوا
 إنها الدنيا - فلا تحفسل بها - جزر ومد

١٠ الأضبط بن قريع وقال الأضبط بن قريع :

ارض من الدهر ما أتاك به . من يرص يوماً بعيشه نعمة
 قد يجمع المال غير آكله . ويأكل المال غير من جمعة

مسلم بن الوليد وقال مسلم بن الوليد :

لن يُبطئ الأمر ما أملت أوبته . إذا أعانك فيه رفق مُتسد
 والدهر أخذ ما أعطى ، مُكدر ما . أصفى ، ومُفسد ما أهوى له بيد
 فلا يفرنك من دهر عطيتته . فليس يترك ما أعطى على أحد

لكثوم العتابي وقال لكثوم العتابي :

تلوم على ترك الغنى باهليته . لوى الدهر عنها كل طرف وتالد
 رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا . مقلدة أجيادها بالقلائد
 يسرك أتي نلت ما نال جعفر . وما نال يحيى - في الحياة - بن خالد
 وأن أمبر المؤمنين أعضنى . معضهما بالمرهفات الحدائد
 ذريتي تحبني منيتي مطمئنة . ولم أنجشم هول تلك الموارد

(١) في بعض الأصول . . وقال محمود الوراق . .

فإن الذي يسمو إلى الرتب العلى * سيرى بألوان الفرى والمكاييد
وجدت لذاذات الحياة مشوبة * بمستودعات في بطون الأسايد
وقال^(١) :

حتى متى أنا في حلٍ وترحالٍ * وطولٍ شغلٍ بإدبار وإقبالٍ
وتأزح الدار ما أنفك مُغترِباً * عن الأحيّة ما يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حريس على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * إن القنوع الغنى ، لا كثرة المال

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : القناعة مال لا ينفاد له .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق

للى

١٠ يطلبك فإن لم تأته أذاك .

الحبيب

وقال حبيب :

فالرزق لا تكمد عليه فإنه * يأتى ولم تبعث إليه رسولا

من كتاب للهند

وفى كتاب للهند : لا ينبغي للتمس أن يلمس من العيش إلا الكفاف

الذى به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعبه وغمه .

للحكاه

ومن هذا قالت الحكاه : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى ا

١٥

لأبى ذؤيب

وقال أبو ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها * وإذا تردُّ إلى قليل تقنعُ

للمسيح عليه السلام

وقال المسيح عليه السلام : عجبا منكم ا إنكم تعملون للدنيا وأتم ترزقون

فيها بلا عمل ، ولا تعملون للآخرة وأتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل .

للحسن

وقال الحسن : عبرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر : فقال : من الغنى أتيتم .

٢٠

لوراق

أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

يا عاتبَ الفقر ألا تزدجر * عيبُ الغنى أكثر لو تعتبرُ

(١) فى بعض الاصول : ، وقال غيره ، ، .

من شرف الفقر ومن فضله ٥ على الغنى إن صح منك النظر:

... أنك تعصى كى تنال الغنى ٥ ولست تعصى الله كى تفتقر

- إبراهيم
الأعمش والبناني
ليون بن حبيب
خالد بن صفوان
بين حكيمين
للأخنف
بين الأصمعي وأعرابية
لرجل من أهل المدينة
- سفيان عن مغيرة عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون الطلب في أطراف الأرض .
وقال الأعمش : أعطاني البناني مضاربه " أخرج بها إلى ماء ، فسألت إبراهيم ، فقال لي : ما كانوا يطلبون الدنيا هذا الطلب وبين ماء وبين الكوفة عشرة أيام .
الأصمعي عن يونس بن حبيب قال : ليس دون الإيمان غنى ولا بعده فقر .
قيل لخالد بن صفوان : ما أصبرك على هذا الثوب الخلق ! قال : ربّ يملول لا يُستطاع فراقه .
وكتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهره : إنه ليس من أحد أنصفه زمانة فتصرفت به الحال حسب استحقاقه ، وإنك لا ترى الناس إلا أحد رجلين : إما مُقدّم آخره حظّه ، أو متأخر قدّمه جدّه ؛ فارضّ بالحال التي أنت عليها . وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً ، وإلا رضيت بها اضطراراً .
وقيل للأخنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب ؟ فقال : أحق ما أصبر عليه ما ليس إلى مفارقتة سبيل .
قال الأصمعي : رأيت أعرابية ذات جمال تسأل بمني ؛ فقلت لها : يا أمة الله ، تسألين ولك هذا الجمال ؟ قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم . قلت : فإذا ذهب الحاج فن أين ؟ فنظرت إليّ وقالت : يا صلّت الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا !
وقيل لرجل من أهل المدينة : ما أصبرك على الخبز والتمر ! قال : ليهما صبراً على .

الرضا بقضاء الله

الحكام

قالت الحكماء : أصل الزهد الرضا عن الله .

وقال الفضيل بن عياض : استخبروا الله ولا تتخبروا عليه ؛ فربما اختار . لابن عياض
العبد أمراً هلاكه فيه .

وقالت الحكماء : رب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو
شقاؤه ، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم
وقالوا : من طلب فوق الكفاية ، رجع من الدهر إلى أبعد غاية .

من قتر على نفسه

١٠

وترك المال لوارثه

مالك

زياد عن مالك قال : من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ؛ لأن
نفسه أولى الأنفس كلها ؛ فإذا ضيعها فهو لما سواها أضيع ؛ ومن أحب نفسه
حاطها وأبقى عليها وتجنب كل ما يعيبها أو ينقصها ؛ فجنبها السرقة مخافة القطع ، والزنا
مخافة الحد ، والقتل خوف القصاص .

١٥

الرشيد و بطريق
هرقلة

داود بن علي الكاتب قال : لما افتتح هارون الرشيد هرقة وأباحها ثلاثة
أيام ، وكان بطريقها الخارج عليه « فسيل ، الرومي ؛ فنظر إليه الرشيد مقبلاً
على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه . فدعا به وقال له : لِمَ
تركت النظر إلى الاتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، قرأت في هذا الجدار كتاباً هو أحب إلي من هرقة وما فيها .
قال له الرشيد : ما هو ؟ قال « بسم الله الملك الحق المبين . ابن آدم ، غايب الفرصة
عن زمكها . وكل الأمور إلى وليها . ولا تحمل على قلبك هم يوم ولم يأت بعد ؛

٢٠

إن يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ؛ ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة
المغرورين ، فربّ جامع لبعل حليته ، واعلم أن تقدير المرء على نفسه هو توفير
منه على غيره ، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها ، قال له الرشيد : أعدها
على يافسيل . فأعادها عليه حتى حفظها .

- ٥ وقال الحسن : ابن آدم ، أنت أسير في الدنيا ، رضيت من لنتها بما ينقضي ،
ومن نعيمها بما يمضي ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ، ولا هلك
الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

لأبي العتاهية

- ١٠ أبقيت مالك ميراثاً لواريه . فليت شعري ما أبقى لك المال ؟
القوم بمدك في حال تسوؤهم . فكيف بعدهم دارت بك الحال ؟
ملوا البكاء فما يبكيك من أحده . وأستحكّم القيل في الميراث والقال !

وفي الحديث المرفوع : أشدّ الناس حسرة يوم القيامة رجل كسبَ مالا من
غير حله فدخل به النار ، وورثه من عمل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة .

من الحديث

- ١٥ وقيل لعبد الله بن عمر : توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف . قال :
لكنها لا تبركه .

لابن عمر في وفاة
ابن حارثة

- ٢٠ ودخل الحسن على عبد الله بن الأهمم يعود في مرضه ، فرآه يُصعدُ بصره
في صندوق في بيته ويصوبه ، ثم التفت إلى الحسن فقال : أباسعيد ، ما تقول في
مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحماً ؟ فقال له : ثكلتك
أمك ! ولمن كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة
العشيرة . ثم مات ، فشهد الحسن جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب يده على
القبر ثم قال :

الحسن وابن
الأهمم في مرضه

انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فخره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ،
ومكاثرة عشيرته ، عما استودعه الله إياه ، وغمره فيه ، انظروا إليه يخرج منها
مذموما مذخورا .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخذعن كما تُخدع صَوِّحِبُكَ بالأمس ؛ أتاك هذا المائلُ حللاً فلا يكوئنُ عليك وبالا ، أتاك عفواً صفواً ، من كان له جمرعا منوعاً ؛ من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ قطع فيه لجاجَ البحار ، ومفاوز القفار ؛ لم تكدح فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ؛ إن يوم القيامة يومٌ حسرة وندامة ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك ؛ فيالها حسرة لا تقال ، وتوبة لا تُنال .

هـ هشام بن عبد
الملك حين حضرته
الوفاة

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة ، نظر إلى أهله يبكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدنيا ووجدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما حمل ؛ ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له .

نقصان الخير وزيادة الشر

١٠

عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال : إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاءً وفتنةً ، ولا يزيد الأمر إلا شدةً ، ولا الأئمة إلا علظاً ، وما يأتيكم أمرٌ يهولكم إلا حقره ما بعده .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

الخير والشر مُزْدَادٌ وَمُنْتَقِصٌ هـ فَالْخَيْرُ مُنْتَقِصٌ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ
وما أسائلُ عن قومٍ عرفتهم هـ ذوى فضائلٍ إلا قيلَ قد بادوا

١٥

العزلة عن الناس

لنبي صلى الله
عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : آسأئسوا بالوحدة عن جُلساء السوء .

وقال : إن الإسلام بدأ غريباً ولا تقوم الساعة حتى يعود غريباً كما بدأ .

للعنابي

وقال العنابي : مارأيتُ الراحة إلا مع الخلوة ، ولا الأانس إلا مع الوحشة .

٢٠

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم الاتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا

لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا .

وقال : لا تدعوا حظكم من العزلة ؛ فإن العزلة لكم عبادة .

- ١٤٨ وقال لقمان لابنه : أستعد بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم
على حذر .
- ١٤٩ وقال إبراهيم بن آدم : فرّ من الناس فرارك من الأسد .
وقيل لإبراهيم بن آدم : لم تجتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :
أرض بالله صاحباً ، وذّر الناس جانياً
قلّب الناس كيف شئت تجدم عقارباً
- ١٥٠ وكان محمد بن عبد الملك الزيات يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل
الدكاء ؛ فسئل عن ذلك فقال : مؤنة التحفظ شديدة !
١٥١ وقال ابن مخرين : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف ، وتَسأل ولا تُسأل ،
وتعشى ولا يُعشى إليك ، فافعل .
- ١٥٢ وقال أيوب السخيتاني : ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يُشعر به .
وقيل للعتابي : من تجالس اليوم ؟ قال : من أبصق في وجهه ولا يعضب !
قيل له : ومن هو ؟ قال : الحائط .
- ١٥٣ وقال لدعبل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناس ! ثم
أنشأ يقول :
- ١٥٤ ما أكثر الناس لابل ما أقلهم • الله يعلم أني لم أقل قنّدا
إني لا فتح عيني حين أفتحها • على كثير ولكن لا أرى أحدا
- ١٥٥ وقال ابن أبي حازم :
طب عن الإمرة نفساً • وأرض بالوحشة أنسا
ما عليها أحد يسوى • على الخبيرة قلّسا
- ١٥٦ وقال آخر :
قد بلوت الناس طراً • لم أجد في الناس حراً
صار أحملي الناس في العيين إذا ما ذيق مرّاً

إعجاب الرجل بعلمه

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات ، شحُّ مطاع ، وهوى متَّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وفي الحديث : خير من العُجب بالطاعة ، أن لا تأتى طاعة .

وقالوا : ضاحك معترف بذنبه ، خير من بالكِ مِدَلٍ على ربه .

وقالوا : سيئة سيئتك ، خير من حسنة تعجبك .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُرُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءٍ ﴾ .

وقال الحسن : ذم الرجل لنفسه في العلانية مدح لها في السريرة .

وقالوا : من أظهر عيب نفسه فقد زكاهما .

وقيل : أوحى الله إلى عبده داود : يا داود ، خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الإيمان بيني وبينك .

وقال ثابت البناني : دخلت على داود ، فقال لي : ما جاء بك ؟ قلت : أزورك .

قال : ومن أنا حتى تزورني ؟ أمِن العباد أنا ؟ لا والله ! أم من الزهاد ؟ لا والله ! ثم أقبل على نفسه يوتئها . فقال : كنت في الشبية فاسقا ، ثم شبتُ فصرت مرائيا ؛ والله إن المرأتى شر من الفاسق .

لتي عابد عابدا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله إنى أحبك في الله . قال : والله لو اطلعت على سريرتي لأبغضتني في الله .

وقال معاوية بن أبي سفيان لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ! قال : لو كنت كذلك لم تقله .

وقال محمود الوراق :

تَعَصَى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظهِرُ حُبَّهُ • هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كُنْتَ تُضْمِرُ حُبَّهُ لِأَطَعْتَهُ • إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ

في كل يوم يتليك بنعمة ه منه وأنت بشكر ذاك مُفْتِيحُ

تواضع ابن سيرين وقال أبو الأشعث : دخلنا على ابن سيرين فوجدناه يصلي ، فظن أننا نعجبنا بصلاته ، فلما انقفل منها التفت لنا فقال : الرياء أخاف .

زياد عن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

وقال عبد الله بن مسعود : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا رياء ولا سمعة ، مَنْ سَمِعَ نَمَعَ اللهُ بِهِ .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أسرَّ امرؤ سريرةً إلا ألبسه الله رداءها : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدة هي أهل للحذر . قال : وما هي ؟ قال : إياك أن ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر . وفي الحديث . من أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

وقال الشاعر :

.. وإذا أظهرت شيئاً حسناً ه فليكن أحسن منه ما تسرّ

فسرّ الخير مؤسوم به ه ومسرّ الشر مؤسوم بشرّ

صلى أشعث تخفف الصلاة ، فقيل له : ما أخف صلاتك ؟ قال : إنه لم يخالفها رياء .

وصلى رجل من المرثيين ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ؟ فقال : ومع ذلك

إني صائم !

وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي : كم لك منذ نزلت بالعراق ؟ قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : أبا عبد الله ، سألك عن مسألة فأجبنا عن مسألتين .

الاصمعي قال : أخبرني إبراهيم بن القعقاع بن حكيم قال : أمر عمر بن الخطاب

لرجل بكيس ، فقال الرجل : آخذ الخيط ؟ قال عمر : ضع الكيس !

بين الحسن
وبضهم

قال رجل للحسن وكتب عنده كتابا : أتجعلني في حلٍّ من تراب حائطك ؟
قال : يا بن أخي ، بلى ، ورعك لا ينكر .

الوراق

وقال محمود الوراق :

أظهروا للناس ديناً • وعلى الدينارِ داروا

٥

وله صاموا وصلّوا • وله حجّوا وزاروا

لو بدأ فوق الثريا • ولهم ريشٌ لطاروا !

لساور

وقال مساور الوراق :

شمّر ثيابك وأستعدّ لقائل • وأحكك جبينك للقضاء بشوم

وعليك بالغنوى^(١) فاجلس عنده • حتى تُصيبَ وديةً ليقيم

وإذا دخلت على الربيع مسلماً • فاخصّ سبابةً منك بالتسليم

١٠

وقال :

تصوّف كى يقال له أمين • وما معنى التّصوّف والأمانة

ولم يرد الإله به ولكن • أراد به الطريق إلى الخيانة

للغزال

وقال الغزال :

١٥

يقول لى القاضى مُعاذٌ مُشاوراً • وولىّ أمراً فيما يرى من ذوى العدل

قعيدك ماذا تحسبُ المرءَ فاعلاً • فقلتُ وماذا يفعل الدّبر فى النحلِ

يدقُّ خلاياها ويأكلُ شُهدَها • ويتركُ للدّبّان ما كان من فضلِ

للمازنى

وقال أبو عثمان المازنى لبعض من رأى فهتك الله عز وجل ستره :

بيّنا أنا فى توبى مُستعبراً • قد شبهونى بأبى دُواد

٢٠

وقد حملتُ العلم مُستظهِراً • وحسدّوا عنى ياسنناد

(١) فى بعض الأصول • بالعلوى .

إذ خطر الشيطان لي خَطْرَةً ۝ نَكِثْتُ منها في أبي جاد^(١)

وقال ابن أبي العتاهية : أرسلني أبي إلى صوفي قد قَبَّرَ إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك ؛ فقال : النظر إلى الدنيا بكلتا عينيَّ إسراف . قال : ثم بدا له في ذلك ، فاتصل الخبر بأبي فكتب إليه :

أبو العتاهية
ومتصرف

٥ مَقْبِرَ عَيْنِهِ وَرَعَاهُ أَرَدْتَ بِذَلِكَ الْبِدْعَا
تَخَلَّعْتَ وَأَجَبْتَ الثَّقَلَيْنِ صَوْفِي إِذَا تَخَلَّعَا

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثني نعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبي بكر الصديق ، عن وهب بن منبه ، قال : نصب رجل من بني إسرائيل نخسًا فجاءت عصفورة فوقعت عليه ، فقالت : مالي أراك منحنيًا ؟ قال : لكثرة صلاتي انخبت قالت : فمالي أراك باديةً عظائمك ؟ قال : لكثرة صيامي بدت عظامي ا قالت : فمالي أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي في الدنيا لبست الصوف ا قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي . قالت : فما هذه الحبة في يديك ؟ قال : قربان إن مرَّ بي مسكين ناولته إياه ا قالت : فإني مسكينته ا قال : نخفيها . فقُبِضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها ؛ فجعلت تقول : قَعِي قَعِي ا قال : الخُشْنِي^(٢) : تفسيره : لا غرني ناسك مُرَّاءٍ بعدك أبدًا .

فتح الإسرائيليين
والعصفورة

١٥

الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاحُ المؤمن .

وقال : الدعاء يردُّ القدرَ والبرُّ يزيد في العمر .

وقال : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يردُّ .

٢٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استقبلوا البلاء بالدعاء .

النبي صلى الله
عليه وسلم

(١) يعني : عاد محتلط الأمر مضطرباً . أو لعله يعني أنه عاد بعد الاشتهار بالعلم إلى مثل حال الصبي الذي لم يزل يتعلم أول دروسه .
(٢) في بعض الأصول : الحسن .

وقال الله تعالى : ﴿ آدَعُونِي أُسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

وقال عبد الله بن عباس : إذا دعوت الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الصلاة عليه مقبولة ، والله أكرم من أن يقبل بعض دعائك ويرد بعضها .

وقال سعيد بن المسيب : كنت جالسا بين القبر والمنبر ، فسمعت قائلا يقول : اللهم إني أسألك عملاً باراً ، ورزقا داراً ، وعيشاً قاراً . فالتفت فلم أر أحدا .

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت نائمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان ، فلما لصق جلدي بجلده أغفيت ؛ ثم انتبهت ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندي ؛ فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فلففت مرطى - أما والله ما كان خزا ولا قزا ، ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل : فما كان يا أم المؤمنين ؟ قالت : كان سداه من شعر ، ولحنته من أويار الإبل - قالت : فحنوت عليه أطلبه حتى ألقيته كالثوب الساقط على وجهه في الأرض وهو ساجد يقول في سجوده :

سجد لك خيالي وسوادي ، وآمن بك فؤادي ؛ هذه يدي وما جنيت بها

على نفس . تُرْجَى لكل عظيم ، فاغفر لي الذنب العظيم ، فقلت : بأبي أنت وأمي

يا رسول الله ، إنك لفي شأن وإني لفي شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال :

أعوذُ بوجهك الذي أضاءت له السموات السبع والأرضون السبع ، من فجأة

نقمتك ، وتحول عافيتك ؛ ومن شر كتاب قد سبق ؛ وأعوذ برضائك من

سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما

أثنت على نفسك .

فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلت البيت ولى نفس عال ،

فقال : مالك يا عائشة ؟ فأخبرته الخبر ، فقال : ويح هاتين الركبتين مالقيتا في هذه

الليلة ! وهسح عليهما ؛ ثم قال : أتدريين أي ليلة هذه يا عائشة ؟ فقلت : الله ورسوله

أعلمُ . فقال صلى الله عليه وسلم : هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ، فيها توقت الآجال وتثبت الأعمال .

ابن ذر ودعاء له العتيبي عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن ذر إلى مكة ، فكان إذا لبى لم يلبَّ أحدٌ من حُسن صوته ؛ فلما جاء الحرم قال يارب ، مازلنا تهبط وهدة ونصعد أكمة ، ونعلو نشرا ، ويبدو لنا علمٌ ، حتى جئناك بها نقبةً أخفأها ، ديرة ظهورها ، ذابلةً أسنمتها ؛ وليس أعظم المؤنة علينا إلتعاب أبداننا ، ولكن أعظم المؤنة علينا أن تُرجعنا خائبين من رحمتك ، يا خير من نزل به النازلون .

لبعضهم في الدعاء . وكان آخرُ يدعو بعرفات : يارب ، لم أعصك إذ عصيتك جهلا مني بحقك ، ولا استخفافا بعقوبتك ؛ ولكن الثقة بعفوك ، والاعتذار بسترِكَ المرخى عليّ ، مع الشقوة الغالبة والقدر السابق ؛ فالآن من عذابك مَنْ يستغفرك ؟ وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ؛ فيا أسنى على الوقوف بين يديك ، إدا قيل للذخفين جوزوا ، وللذنبين حطوا .

لمروة بن الزبير في مناجاته أبو الحسن قال : كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قطعت رجله ومات ابنه ؛ كانوا أربعة - يعني بنيه - فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ؛ وكن أربعة - يعني يديه ورجليه - فأخذت واحدةً وأبقيت ثلاثة ؛ فإني ابتليت لظالمات عاقبت ، ولئن عاقبت لظالمات أنعمت .

دعاء داود وكان داود إذا دعا في جوف الليل يقول : نامت العيون ، وغارت النجوم وأنت حيٌّ قيوم ؛ انفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر الذنوب العظيم إلا العظيم ؛ إليك رفعتُ رأسي ، نظر العبد الذليل إلى سيده الجليل .

تمن دعاء يوسف وكان من دعاء يوسف : يا عدتي عند كرتي ، ويا صاحبي في غربتي ، ويا غياني عند شدتي ، ويا رجائي إذا انقطعت حيلتي ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً .

دعاء ابن ثعلبة وكان عبد الله بن ثعلبة البصري يقول : اللهم أنت من حلك تُعصى فكأنك لا ترى ، وأنت من جودك وفضلك تُعطى فكأنك لا تعصى ، وأي زمان لم تعصك فيه - كان أرضك فكنت عليهم بالعفو عوآداً ، وبالفضل جواداً .

- وكان من دعاء علي بن الحسين رضى الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن
تَحْسُنَ في مرأى العيون علانيتي ، وتَقْبِحَ في خفيات القلوب سريرتي ؛ اللهم كما
أسأتُ فأحسنتَ إليّ فإذا عدتُ فعدُّ عليّ ، وارزقني مواساةً من قسَّرتَ
عليه ما وسَّعتَ عليّ .
- ٥ الشيباني قال : أصاب الناس ببغداد ريحٌ مظلمة ، فاتَّهبتُ إلى رجل في المسجد
وهو ساجد يقول في سجوده : اللهم احفظ محمدًا في أمته ، ولا تشمت بنا أعداءنا
من الأمم ؛ فإن كنت أخذت العوام بذنبي ، فهذه ناصيتي بين يديك ؛
- دعاه ابن عياض وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهي ، لو عذبتني بالنار لم يخرجُ حُبُّكَ من
قلبي ، ولم أنس أياديك عندي في دار الدنيا ؛
- ١٠ سَوال عبد الله بن مسعود : اللهم وسع عليّ في الدنيا وزهَّدني فيها ، ولا تُزَوِّها
عني وترغِّبني فيها .
- أبو الدرداء ورجل في سجوده سرَّ أبو الدرداء برجل يقول في سجوده : اللهم إني سائلٌ فقيرٌ فأغني من
سعة فضلك ، خائفتُ مستجيرٌ فأجرني من عذابك .
- من دعاء ابن أبي رباح الأصمعي قال : كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه : اللهم ارحم
١٥ في الدنيا غربتي ، وعند الموت صرعتي ، وفي القبور وُحْدتي ، ومقامي غدًا
بين يديك .
- ابن زياد وأبو بكر العتيبي قال : حدَّثني عبد الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبي فكتب إلى أبي
أبكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له ، فكتب إليه : حقٌّ لمن عمل ذنبًا لا عذر له
فيه ، وخاف موتًا لا بد له منه ، أن يكون [وجيلًا] مُشفقًا ؛ سأدعوك ولست
أرجو أن يُستجاب لي بقوة في عمل ، ولا براءة من ذنب .
- ٢٠ من دعاء عبد الملك ابن مروان قال : كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر : يارب ؛ إن ذنوبي
قد كثرت وجلت عن أن توصف ، وهي صغيرة في جنب عفوك ، فأعف عني

كيف يكون الدعاء

لابن عباس
سفيان بن عيينة عن أبي معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال : الإخلاص هكذا - وبسط يده اليسرى وأشار بأصبعه من يده اليمنى - والدعاء هكذا - وأشار براحته إلى السماء - والابتهاال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما إلى وجهه .

بين جعفر بن محمد وسفيان الثوري قال : دخلتُ على جعفر بن محمد رضى الله عنهما فقال لى : يا سفيان ، إذا كثرت همومك فأكثر من « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وإذا تداركتُ عليك النعم فأكثر من « الحمد لله » ، وإذا أبطأ عنك الرزق فأكثر من الاستغفار .

لابن عباس
وقال عبد الله بن عباس : لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .
وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : عجبا بمن يهلك والتجأة منه ا قيل له : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر ، الصديق وعمر رضوان الله عليهما

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
أم سلمة قالت : كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

المنيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

دعاء أبي بكر
وكان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه في خطبته : اللهم اجعل خيرَ زمانى آخره ، وخيرَ عملى خواتمه ، وخيرَ أيامى يوم لقائك .

دعاء عمر
وكان آخر دعاء عمر رضى الله عنه في خطبته اللهم لاتدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى فى غرة ، ولا تجعلنى مع الغافلين .

الدعاء عند الكرب

لاني صلى الله
عليه وسلم

عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد أصابه هم فقال : « اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عدلٌ في قضاؤك : أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أمر ذكرته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن ضياءً صدري ، وريحاً قلبي ، وجلاءً حزني ، وذهاباً همي ، إلا أذهب الله همه وبطله مكان حزنه فرحاً .

وقالوا : كلمات الفرج من كل كرب « لا إله إلا الله الكريم الحليم ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

الكلمات التي تلقى آدم من ربه

اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عميتُ سوءاً وظلمت نفسي ، فُتِبْ علي إنك أنت التواب الرحيم .

اسم الله الأعظم

عبد الله بن يزيد عن أبيه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحدُ الصمدُ الذي لم يَلِدْ ولم يُولد ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد سألتَ اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى .

أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اسمُ الله الأعظم فيما بين الآيتين : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ،
وفاتحة آل عمران ﴿ اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْغَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْحُمَةِ وَالْجُبْنِ وَالْكِبَرِ وَالْجَبْرِ وَالْمُنْجَمِ ﴾ .

الاستغفار

شذاد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سيد الاستغفار أن تقول :
اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ
مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أBOءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي
فَاغْفِرْ لِي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

لأنبي صلى الله
عليه وسلم

الأسود وعلقمة قالا : قال عبد الله بن مسعود : إن في كتاب الله آيتين
ما أصاب عبداً ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سِرّاً أَوْ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ ثُمَّ
يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رحيماً ﴾ .

لابن مسعود

أبو سعيد الخدرى قال : من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى
القيوم وأتوب إليه . خمس مرات - غفر له ولو قر من الزحف .

لابن سعيد
الخدرى .

دعاء المسافر

عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد
سفرأ قال : اللهم أنت الصاحبُ فى السفر ، والخليفةُ فى الحضر : اللهم إني
أعوذ بك من وَعَثَاءِ السفر وكآبة المنقلب والحَوْرِ بعد الكور ، ومن سوء المنظر
فى الأهل والمال .

لأنبي صلى الله
عليه وسلم

الشعبي عن أم سلمة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج فى سفر
يقول : اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أُزِل ، أو أُضِلَّ أو أُضِلَّ ، أو أظلم أو
أظلم أو أجهل أو يُجهلَ عليَّ .

لام سلمة

وقالت : من خرج فى طاعة الله ، فقال : اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ،
ولا رياء ولا سمعة ، ولكنى خرجتُ ابتغاء مرضاتك وابتغاء سخطك : فأسألك
بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو ، وتصرف عني

٥

١٠

١٥

٢٠

من الشر أكثر مما أخاف . استجيب له يا ذن الله .

الدعاء عند الدخول على السلطان

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا دخلت على السلطان المهيب تخاف
أن يسطو عليك فقل : الله أكبر ، الله أكبر وأعزُّ مما أخاف وأحذر ، اللهم
ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم ، كن لي جاراً من عبدك فلان وجنوده
وأشياعه وأتباعه ، تبارك اسمك ، وجل ثناؤك ، وعزَّ جارك ، ولا إله غيرك ،

أبو الحسن المدائني قال : لما حج أبو جعفر المنصور مرَّ بالمدينة ، فقال
للريبع : عليَّ بجعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ؛ فمَطَّلَ به ، ثم ألح فيه فحضر ؛
فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه ، همس جعفر بشفتيه ، ثم تقرب
وسلم ، فقال : لا سلم الله عليك يا عدوَّ الله ! تعمل على الغوائل في ملكي ؟
قتلني الله إن لم أقتلك ! فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله عليه
وسلم أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فنصر ؛ وأنت علي
إرث منهم ، وأحقُّ من تأسى بهم . فنكس أبو جعفر رأسه ملياً ، ثم رفع إليه رأسه
فقال له : [إني] يا أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وأنت ذو الرحم الواشجة ،
السلیم الناحية ، الفليل الغائلة . ثم صاحفه بيمينه ، وعانقه بيساره ، وأجلسه معه
على فراشه وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يسأله ويحادثه ؛ ثم قال :
عجلوا لأبي عبد الله إذنه وكسوته وجائزته . قال الريبع : فلما خرج وخطرف^(١)
الستر أمسكت بثوبه . فارتاع وقال : ما أرانا ياربيع إلا وقد حُسِننا ! قلت : هذه
مبنى لا منه . قال : فذلك أيسر ؛ قل حاجتك . قلت : إني منذ ثلاث أدافع عنك
وأدارى عليك ؛ ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك ، ثم رأيت الأمر انجلي عنك ؛
وأنا خادم سلطان ولا غنى بي عنه ؛ فأحب منك أن تعلمني ... قال : نعم ، قل : اللهم
احرسني بعينك التي لا تنام ، واكفني بكنفك الذي لا يُرام ، ولا أهلك وأنت رجاتي ؛
فكم من نعمة أنعمتها عليَّ قلَّ عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ

(١) في بعض الأصول : وأسدل .

عندها صبري فلم تَخْذُلْنِي ، اللهم بك أدراً في نحره ، وأعوذ بخيرك من شره .

الدعاء على الطعام

من قال على طعامه : « بسم الله خير الأسماء ، في الأرض وفي السماء ، ولا يضر مع اسمه داء : اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء ، لم يضره ذلك الطعام كائناً ما كان .

- وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي منّ علينا وهدانا ، وأطعمنا وأروانا ، وكل بلاء حسن أبلانا .
- عن النبي صلى الله عليه وسلم

الدعاء عند الأذان

من قال إذا سمع الأذان : رضيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ .

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن .
- عن النبي صلى الله عليه وسلم

الدعاء عند الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من رأى من الطير شيئاً يكرهه فقال : اللهم لا طيرَ إلا طيرُك ، ولا خيرَ إلا خيرُك ، ولا إلهَ غيرُك . لم يضره .

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

- الفضيل عن أبي حازم عن أبي سَليمة بن عبد الرحمن عن ناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم أجمعوا أن الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء آخرُ ساعة من يوم الجمعة .

التعويد

- أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ، وقلبٍ لا يخشع ، وعينٍ لا تدمع ، ودعاءٍ لا يُسمع ، ونفسٍ لا تشبع ، اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها . لم يضره شيء من الشياطين والهوام .

٥ مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهذه الكلمات : أعيدُ كما بكلمات الله التامة ، من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة .

ما كان يعوذ به
النبي صلى الله عليه
وسلم الحسن
والحسين

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها إسماعيل وإسحق .

لأعرابي في دعوة

وقال أعرابي يصف دعوة :

١٠ وسارية لم تشر في الأرض بتغني . محلاً ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تشر الركاب ولم تنخ . لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تظل وراء الليل والليل ساقط . بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لو فدها . إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا سألت لم يردد الله سؤلها . على أهلها والله راء وسامع
١٥ وإني لأرجو الله حتى كأنما . أرى بجميل الظن ما الله صانع

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

بني لئن أعيأ الطيب ابن مسلم . ضناك وأعيأ ذا البيان الموشع
لأبتهان تحت الظلام بدعوة . متى يدعها داع إلى الله يسمع
تغلغل من بين الضلوع نشيجها . لها شافع من عبيرة وتضرع
إلى فارح الكرب المجيب لمن دعا . فزعت بكربي ، إنه خير مفرع
٢٠ فباخير مدعو دعوتك فاستمع . ومالي شفيع غير فضلك فاشفع

كتاب الدرر

في النوادب والتعازي والمراثي

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الزهد ورجال المشهورين ؛ لابن عبد ربه
ونحن قائلون بعون الله في النوادب والمراثي ، والتهاني والتعازي ، بأبلغ ما وجدناه
من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التي تُرقِّق القلوب القاسية ، وتُذيب الدموع
الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب ؛ فنادية تثير الحزن من ربضته ،
وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك
صدعا في القلوب الجلامد ؛ ونادية تخفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب
مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب .
- قال عمر بن دزر : سألت أبي : ما بان الناس إذا وعظتهم بكوا ، وإذا وعظهم
غيرك لم يبكوا ؟ قال : يا بُنيّ ، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة . لابن دزر
- وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ قال : لآنا
نقولها وقلوبنا محترقة . لأعرابي
- وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء . للحكماء
- وقالوا : كلُّ شيء يبدو صغيراً ثم يعظم ؛ إلا المصيبة ؛ فإنها تبدو عظيمة
ثم تصغر . ١٥

القول عند الموت

- الأصمعي عن مُعْتَمِر عن أبيه ؛ قال : لَقِّنُوا وِتَاكُم الشَّهَادَةَ ؛ فَإِذَا قَالُوهَا
فَدَعُوهم وَلَا تُضْجِرُوهم . بعضهم
- وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل في الموت فبشروه ؛ ليلقى ربه وهو
حسن الظن به وإذا كان حيا فخوفوه ٢٠

حسن الظن به ؛ وإذا كان حيا غوفوه .

بين أبي بكر
وطلحة

ولقي أبو بكر طلحة بن عبيد الله ، فرآه كاسفاً متغيراً لونه ، فقال : مالي أراك متغيراً لوزك ؟ قال : كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها . قال : وما ذاك ؟ قال : سمعته يقول : إني أعلم كلمة من قالها عند الموت تحصت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر . فأنسيت أن أسأله عنها . قال أبو بكر : وأعدتكمها ؟ هي : لا إله إلا الله .

لما ذفي احتضاره

أبو الحباب قال : لما احتضر معاذ قال لخادمته : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ، ثم قال لها : انظري . فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ! مرحباً بزائر جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم : اللهم إنك تعلم أني لم [أكن] أحب البقاء في الدنيا لكريمي الأنهار ، وغرس الأشجار ؛ ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظلم الهواجر في الحز الشديد ، ومراحة العلماء بالركب في مجالس الذكر .

لعمر بن عتبة
في مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن عتبة^(١) قال لرفيقه : نزل بي الموت ولم أتأهب له ! اللهم إنك تعلم أنه ما سئح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولى في الآخر هووى إلا آثرتُ رضاك على هووى .

لابن الخطاب
في مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قال لولده عبد الله بن عمر : ضع خدي على الأرض علاً ربى أن يتعطف على ويرحمى .

للقاسم في مثله

ابن السماءك قال : دخلت على يزيد الرقاشي وهو في الموت . فقال لي : سبقني العابدون وقطع بي ؛ والهنفاء .

الأسواري
وآزادمراد
في احتضاره

موسى الأسواري قال : دخلت على آزادمراد وهو ثقيل ، فإذا هو كالخفاش لم يبق إلا رأسه ؛ فقلت له : يا هذا ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفرأ بعيداً بغير زاد ، وينطلق إلى ملك عدل بغير حجة ، ويدخل قبراً موحشاً بغير مؤنس !

(١) في بعض الأصول : عبيد .

قال عمر بن عبد العزيز لابن قلابة وولى غسل ابنه عبد الملك : إذا غسلته وكفنته فأذني قبل أن تغطى وجهه . ففعل ، فنظر إليه وقال : يرحمك الله يا بنى ويغفر لك .

عمر بن عبد العزيز
وابن قلابة

ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جزعاً شديداً ، وقال : إذا غسلتموه وكفنتموه فأذنونى . ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثلاً :

الحجاج وموت
ابنه محمد

الآن لما كنت أكمل من مشى . وأفتّر نابك عن شبّاة القارج
وتكاملت فيك المروءة كلها . وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فقيل له : اتق الله واسترجع . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجددك يا بنى ؟ قال : أجدنى

عمر بن عبد العزيز
وابنه عبد الملك

١٠ فى الموت فاحتسبى ؛ فإن ثواب الله خير لك منى . قال ، والله يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحبّ إلى من أن أكون فى ميزانك قال : وأنا والله ، لأن يكون ماتحب أحبّ إلى من أن يكون ما أحب .

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مسلة بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة ؛ فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ؛ فلقد ألنت لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكراً .

مسلة بن
عبد الملك وعمر
بن عبد العزيز
فى احتضاره

٢٠ حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتواكدت عليه كُرب الموت ؛ فرفع رأسه وقال ، واكرباه ! فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك يا أبتاه ! قال ، لا كرب على أهلك بعد اليوم !

الرسول صلى الله
عليه وسلم
فى قبضه

الرياشى عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ يدها فقبلها ورحّب بها وأجلسها فى مجلسه ؛ وكان

إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت يده فقبلتها . فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسر إليها فبكّت ، ثم أسر إليها فضحكك ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هي واحدة منهن ؛ بينما هي تبكي إذ هي تضحك ! فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها : فقالت : أسر إلى فأخبرني أنه ميت فبكيت ؛ ثم أسر إلى أنى أول أهل بيته لحوقاً به فضحكك .

عائشة مع أبيها
فاحتضاره

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يا أبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك محضور ومتصل بقلبي لو عنتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع لونك ؛ فإلى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب حزنى عليك ، أرقاً فلا أرقاً وأشكر فلا أشكر .

فرجع رأسه فقال : يا بنية ، هذا يوم يُحَلُّ فيه عن غطائي ؛ وأعين جزائي ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فمقيم ؛ إني اضطلمت بإمامة هؤلاء القوم ، حين كان النكوص إضاعة ، والحذر تفريطاً ؛ فشهدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فنبلغت بصحفهم ، وتعللت بدرة لفتحهم ، وأقت صلاى معهم ، لا مُختالاً أشراً ، ولا مُكابراً بطيراً ، لم أجد سداً للجوعة ، وتورية العورة ، طوى مُنغص تهفو له الأحشاء وتجب له الأمعاء ؛ واضطرت إلى ذلك اضطرار الجرح إلى المعيف الآجن ، فإذا أنا متُ فردى إليهم صحفهم وفتحهم وعبدهم ورحاهم ، ودثارة ما فوق اتقيت بها أذى البرد ، ودثارة ماتحتى اتقيت بها أذى الأرض ، كان حشوها قطع السعف .

عمر مع أبي بكر
في احتضاره

ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصيباً . فهيهات من شقّ غبارك ا وكيف باللحاق بك ،

وقالت عائشة وأبوها يُغمض :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه . ربيعُ البنائى عصمةٌ للأرايمل

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أغشى عليه فقالت :
 لعمرُك ما يُغني الثراء عن الفتي . إذا حُشِرَت يوماً وضاق بها الصدر
 قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لي : قولي : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحقِّ
 ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ . ثم قال : انظروا ملامتي فاعسلوهما وكفوني فيهما ؛
 فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .

وقال معاوية حين حضرته الوفاة :

لمعاوية في
احتضاره

ألا ليتني لم أغن في الملك ساعة . ولم أك في اللذات أعشى النواظر
 وكنت كذي طمرين عاش يبلغة . ليالي حتى زار صنك المقابر

لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن سفيان
 ١٠ جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه ،
 فبكى يزيد ، وتضوّر معاوية ساعة ، ثم قال : أي بني ، إن أعظم ما أخاف الله فيه
 ما كنت أصنع بك يا بُني . إني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
 إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه ، فنظر إلى قيص لي قد انخرق من
 عاتقي ، فقال لي : يا معاوية ، ألا أكسوك قيصاً ؟ قلت : بلى . فكساني قيصاً لم
 ١٥ ألبسه إلا لبسة واحدة ، وهو عندي . واجتزأت ذات يوم فأخذتُ جُزارة شعره ،
 وقلامة أظفاره ، فجعلت ذلك في قارورة ، فإذا مات يا بني فاعسلني ثم اجعل ذلك
 الشعر والأظفار في عيني ومنخري وفي ، ثم اجعل قيص رسول الله صلى الله
 عليه وسلم شعاراً من تحت كفتي . إن نفع شيء نفع هذا .

لما احتضر عمرو بن العاصي ، جمع بنيه فقال : يا بُني ، ما تُفنون عني من
 ٢٠ أمر الله شيئاً قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا . فقال :
 أسندوني . فأسندوه ، ثم قال : اللهم إنك أمرتني فلم أأمر ، وزجرتني فلم
 أزجر ، اللهم لا قوتي فانتصر ، ولا برى فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ،
 أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فلم يزل
 يكررها حتى مات .

عمرو بن العاص
في احتضاره

قال : وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبنيه عند موته :
 إني لست في الشرك الذي لو مت عليه أُدخلت النار ، ولا في الإسلام الذي
 لو متُّ عليه أُدخلت الجنة ؛ فهما قصرت فيه فأني مستمسك بلا إله إلا الله .
 وقبض عليها بيده ، وقبض لوقته ؛ فكانت يده تُفتح ثم تترك ، فنقبض .
 وقال لبنيه : إن أنا مت فلا تبكوا عليّ ، ولا يتبعني مادح ولا نائح ، وشئوا
 عليّ التراب سناً ، فليس جنبي الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ؛ ولا تجعلوا في
 قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدرَ نُحْرٍ جزور .
 وتفصيلها أستاذس بكم .

الجزع من الموت

١٠ الفضيل بن عياض قال : ماجرع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ماجرع
 لابن عياض
 سفيان الثوري ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، ما هذا الجزع ، ألسْتَ تذهب إلى من
 عبده وفررت بيدك إليه ؟ فقال : ويحك ! إني أسلك طريقاً لم أعرفه ، وأقدم
 على ربِّ لم أره .

١٥ ولما توفي سعيد بن أبي الحسن وجد عليه أخوه الحسن وجداً شديداً ،
 حزن سعيد بن أبي
 الحسن على أخيه
 فكلم في ذلك ، فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب !

وقال صالح المرِّي : دخلت على الحسن وهو في الموت ، وهو يكثر الاسترجاع ؛
 الحسن في
 احتضاره
 فقال له ابنه : أمثلك يسترجع على الدنيا ؟ قال : يا بني ، ما أسترجع إلا على نفسي
 التي لم أصب بمنلها قط .

٢٠ ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الأدبر وأصحابه ، بعث إليهم أكفانهم وأمر
 حُجْر بن الأدبر
 في موته
 بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليها . فلما قدّم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزع جزعا
 شديداً ، فقيل له : أمثلك يجزع من الموت ؟ فقال : وكيف لا أجزع وأرى سبفاً
 مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً .

البكاء على الميت

- إبراهيم الشعي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :
- فَلَيْنَ بَكِينَاهُ لِحَقِّ لَنَا . وَإِنَّ تَرْكُنَا ذَاكَ لِلصَّبْرِ
فَلَمِثْلِهِ جَرَّتِ الْعُيُونُ دَمًّا . وَلِمِثْلِهِ جَمَدَتْ فِلْمٌ كَجَرِّ
- الأحنف وبأكية مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها ، فقال له : دعها فإنها تندب عهدا قريبا وسفرا بعيدا .
- التي صلى الله عليه وسلم في وفاة ابنه إبراهيم فقالوا : لما توفي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه ؛ فسئل عن ذلك فقال : تَدْمَعُ الْعَيْنَانِ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ .
- ١٠ ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميتا فزجرهن عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعهن يا عمر ، فإن النفس مصابة ، والعين دامة والعهد قريب .
- التي صلى الله عليه وسلم وبأكيات من الأنصار قتل أحد
- ١٥ ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة لا بأكية له ذلك اليوم ، فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يبق لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتداء فيه البكاء على حمزة .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أن يشقَّ على صفيية ، مادفته حتى يُحْتَشَرَ من حواصل الطير ويطون السباع .
- ابن الخطاب حين نعى إليه ابن مقرن ولما نعى النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح : يا أسفا على النعمان .
- ٢٠ ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجل من بني عدى بن كعب ؛ فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال :
- « وَخَلَّفَتْ زَيْدًا نَائِبًا وَأَتَيْتَنِي ! »
- وقال عمر بن الخطاب : ما هبت الصبا إلا وجدت نسيم زيد .

وكان إذا أصابته مصيبة قال : قد فقدت زيدا فصبرت .

ولما توفى خالد بن الوليد أيام عمر بن الخطاب - وكان بينهما هجرة - امتنع عمر ووفاء خالد النساء من البكاء عليه ، فلما انتهى ذلك إلى عمر ، قال : وما على نساء بني المخيرة أن يُرِقْنَ من دمعهن على أبي سليمان ما لم يكن نفع ولا لقلقة .

وقال معاوية وذُكر عنده النساء : ما مَرَّضَ المرضَى ولا تَدَبَّ الموتى مثلهن .

وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمة :

لعلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً • منَ الوَجْدِ أوِ يَشْنِي شَجِيَّ البَلَابِلِ

فخلوت ، فبكيت ، فسوت .

للفرزدي

وقال الفرزدق في هذا المعنى :

ألم تَرَانِي يَوْمَ جَوِّ سُوْبِقَةٍ • بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ • بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

فَعِيدَ كَمَا اللهُ الَّذِي أَبْتَمَأَ لَهُ • أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا

حَبِيبَ دَعَاوِ الرَّمْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ • فَأَسْمَعْنِي سُقْبًا لَذَلِكَ دَاعِيَا

يقال : قَعِيدَكَ اللهُ ، وَقَعِيدَكَ اللهُ ، معناه : سألك اللهُ .

القول عند المقابر

قال بعضهم : خرجنا مع زيد بن علي نريد الحج ، فلما بلغنا النجاج وصرنا إلى

مقابرها ، التفت إلينا فقال :

لِكُلِّ أَناسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَأُهُمْ • فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ

فَمَا إِنْ تَزَالَ دَارُ حَيٍّ قَدْ أَخْرَبَتْ • وَقَبْرٌ بِأَفْءِ الْبُيُوتِ جَدِيدُ

فَهُمْ جِيرةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا مَرَارُهُمْ • فَذَانِ وَأَمَّا الْمُلْتَقَى فَعِيدُ

وقال مررت بيزيد الرقاشي وهو جالس بين المدينة والمقبرة ، فقالت له :

ما أجلسك هنا ؟ قال : أنظر إلى هذين العسكرين ، فعسكر يقذف الأحياء ، وعسكر

يلتقم الموتى ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل القبور الموحشة التي قد نطقوا بالخراب

فناؤُها ، ومُهَدَّ بالتراب بناؤُها ، فحلها مقرب ، وساكنها مقرب ؛ لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ؛ قد طعنهم بكلكلة البلي ، وأكلهم الجنادلُ والثرى .

٥ وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال : أما المنازلُ فقد سُكنت ، وأما الأموال فقد قُسمت ، وأما الأزواج فقد نُكحت ؛ فهذا خبر ما عندنا ، فليت شعري ما عندكم ؟ ثم قال : والذي نفسى بيده ، لو أذن لهم في الكلام لقالوا : إن خير الزاد التقوى .

١٠ وكان علي بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ؛ اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوزْ بعفوك عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً ، والحمد لله الذي منها خلقنا ، وإليها معادنا ، وعليها محشرنا ؛ طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل الحسنات ، وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله عز وجل .

١٥ وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

١٥ وكان الحسن البصرى إذا دخل المقبرة قال : اللهم رب هذه الأجساد البالية ، والوعظائم النخرة ، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أدخل عليها روحاً منك وسلاماً منا .

٢٠ وكان علي بن الفضل إذا دخل المقبرة يقول : اللهم اجعل وفاتهم نجاة لهم مما يكرهون ، واجعل حسابهم زيادةً لهم مما يحبون .

الوقوف على القبور وما بين الموتى

وأمرت لفظنا ، وبلغت عن ربك فسمعنا ، ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم لمعروا أنهم كاذبون ﴾ . قال : قلت فقلنا لأعرابي على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

جاهوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لَوْ جَدُّوا الله تَوَابًا رَحِيمًا) ، وقد
ظلمنا أنفسنا وجناتك فاستغفر لنا . فما بقيت عين إلا سالت .

فاطمة على قبر
أبيها صلى الله
عليه وسلم

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت :
إنا فقدناك فقد الأرض وإبلها * وغاب مدغيت عنا الوحي والكُتبُ
فليت قبلك كان الموت صادفنا هـ لما نُعيت وحالت دونك الكُتبُ

حماد بن سلية عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرعنا من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت على فاطمة ، فقالت : يا أنس ، كيف طابت
أنفسكم أن تحشوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ ثم بكّت
ونادت : يا أبتاه ! أجاب ربًا دعاه ؛ يا أبتاه ! من ربه ما أدناه ؛ يا أبتاه ! من ربه
ناداه ؛ يا أبتاه ! إلى جبريل نذعاه ؛ يا أبتاه ! جنّة الفردوس مأواه . قال : ثم
سكتت فما زادت شيئاً .

ابن مسعود على
قبر عمر بن
الخطاب

ولما دُفن عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، أقبل عبد الله بن مسعود وقد
فاته الصلاة عليه ؛ فوقف على قبره يبكي وبطرح رداءه ؛ ثم قال : والله إن فاتني
الصلاة عليك لا فاتني حسنُ الثناء ؛ أما والله لقد كنت سخيًا بالحق ، بخيلاً عن
الباطل ، ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ، ما كنت عياباً ولا مداحاً ؛
فجزاك الله عن الإسلام خيراً .

على بن أبي طالب
على قبر خباب

ووقف على بن أبي طالب رضی الله عنه على قبر خباب فقال : رحم الله
خباباً ! لقد أسلم راغباً ، وجاهد طائعاً ، وعاش زاهداً (١) ، وأبشلي في جسمه
فصبر (٢) ؛ ولن يُضيع الله أجرَ من أحسن عملاً .

الحسن على قبر على

ولما توفي على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، قام الحسن بن على رضی الله
عنها فقال : أيها الناس ، إنه قبض فيكم الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون ولم يدركه
الآخرون ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكثفه جبريل عن يمينه

(١) في بعض الأصول : « مجاهداً » .

(٢) في بعض الأصول : « أحوالاً » .

وميكائيل عن شماله ، لا يثنى حتى يفتح الله له ؛ ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعة درهم أعدّها لخادم له .

ابن السماك في
رثاء الطائي

عبد الرحمن بن الحسين عن محمد بن مصعب قال : لما مات داود الطائي تكلم ابن السماك فقال : إن داود نظر إلى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصر القلب بصر العين ، فكان لم ينظر ما إليه تنظرون ، وكانكم لم تنظروا إلى ما إليه ينظر ، فأتتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رأكم مفتونين مغرورين ، قد أذهلت الدنيا عقولكم ، وأماتت بجهل قلوبكم ، استوحش منكم ، فسكنت إذا نظرتُ إليه حسبه حيا وسط أموات ؛ يا دارد ، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ، أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتعبتها وإنما تريد راحتها وأخسدت المطعم وإنما تريد طيبه ، وأخسدت اللبس وإنما تريد لينه ، ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعذبتها قبل أن تعذب ؛ سجت نفسك في بيتك فلا يحدث لك ، ولا جليس معك ، ولا فراش تحتك ، ولا ستر على بابك ، ولا قلة يبرد فيها ماؤك ، ولا صحفة يكون فيها غداؤك وعشاؤك ؛ يا داود ، ما نشتهي من الماء بارد ، ولا من الطعام طيب ، ولا من اللباس لين ؛ بلى ، ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما رغبت وأملت ، فلما مت شهرك ربك بفضلك ؛ وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت من حصرتك علمت أن ربك قد أكرمك وشرّفك .

وقف الأحنف بن قيس على قبر أخيه فأنشد :

للاحنف على
قبر أخيه

فوالله لا أنسى قبلاً رزته ، بجانب قوتى ما مشيت على الأرض
بلى إنها تغفو الكلوم وإنما ، نوكل بالآدنى وإن جلاً ما يمضى

ووقف محمد بن الحنفية على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فخطبته العبرة ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد ، فلئن عزت حياتك فلقد هدت وفأنتك ، ولنعم الروح روح ضمه بدئك ، ولنعم البدن بدن ضمه كفئك ، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتكم

أكف الحق ، وربيت في حِجر الإسلام ، فطبتَ حياً وطبت ميتاً ، وإن كانت
أنفسنا غير طيبةٍ بفرافك ، ولا شاكّةً في الخيار لك .

عائشة على قبر
أبي بكر

ووقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت : نصّر الله وجهك ، وشكر لك صالح
سعيك ، فقد كنت للعالم مُدلاً بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعزّاً بإقبالك عليها
وئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزؤك ، وأعظم
المصائب بعده فقْدُك - إن كتاب الله ليعدُّ بحسن الصبر فيك ، وحسن العِوض
منك ؛ فأنا أتجزُّ موعودَ الله بحسن العزاء عليك ، وأستعيضه منك بالاستغفار
لك ؛ فعليك السلام ورحمة الله ، توديع غيرِ قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء
فيك اثم انصرفت .

رواه علي لأبي
بكر

لما قبض أبو بكر سُجِّي بثوب فارجت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم
كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء علي بن أبي طالب باكياً
مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر ، كنت والله
أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً . وأشدّهم يقيناً ، وأعظمهم غناءً ، وأحفظهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثهم على الإسلام ، وأحنّهم على أهله وأشبههم
برسول الله صلى الله عليه وسلم تُخلقا وفضلاً وهدياً وسمناً ، فجزاك الله عن الإسلام
وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً ، صدّقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته
حين بخلوا ، ووقت معه حين قعدوا ، سمالك الله في كتابه صديقاً ، فقال : « والذي
جاء بالصدق وصدق به ، يريد محمداً ويريدك ، كنت والله للإسلام حصناً ، وعلى
الكافرين عذاباً ، لم تُفلح حجّتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبُن نفسك ،
كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيه القواصف ، كنت كما قال رسول الله
ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلاً
في الأرض ، كثيراً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك
هواة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى
تأخذ الحق له ، فلا حرمتنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك .

وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية فقال : تالله إن كنت ما علمت
لِيُنطقك العلم ؛ وِيُسْكِنَكَ الحِلْم . ثم أنشأ يقول :

عبد الملك على
قبر معاوية

وما الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى • رزيتُه مالٍ أو فِراقُ حبيبٍ .

الهيثم بن عدى قال : لما هلك زياد استعمل معاوية الضحاك على الكوفة :

للضحاك في زياد

فلما دخلها سأل عن قبر زياد فدلَّ عليه ؛ فأناه حتى وقف به ثم قال :

أبا المُغيرةَ والدُنيا مُفجَّعةً • وإن من غرَّت الدنيا لَمغرورُ

قد كان عندك للمعروفِ معرفةً • وكان عندك للذكراء (١) تنكيرُ

لو خَلَدَ الحَيْرُ والإسلامُ ذا قَدَمٍ • إذا لَخَلَدَكَ الإسلامُ والحَيْرُ

والآياتِ لحارثة بن بدر يرثي زيادا .

المدائني قال : لما دَفنَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهه فاطمةً عليها السلام ،

لعلى في فاطمة

تمثل عند قبرها فقال :

لكلِّ اجْتِماعٍ من خَليلَيْنِ فُرقةً • وكل الذي دُونَ المِياتِ قَليلُ

وإن افتقادي واحداً بعد واحدٍ • دليلٌ علي أن لا يدومُ خليل

لما مات الحسن بن عليٍّ عليهما السلام ضربت امرأته فسقاطاً على قبره

امرأة الحسن
على قبره

وأقامت حولاً ثم انصرفت إلى بيتها ؛ فسمعت قائلاً يقول : أدركوا ما طلبوا !

فأجابه مجيب : بل ملأوا فانصرفوا .

ابن الكلبي قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحمت

نائلة على قبر
عثمان

عليه ثم قالت :

ومالٍ لا أبكي وتبكي صحابتي • وقد ذهبَت عنا فُضولُ أبي عمرو

ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد

خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي ؛ فدعت بفهر فوهمت فاها وقالت : والله

لا قَعَدَ مني رجلٌ مقعد عثمان أبداً !

(١) في بعض الأصول : للتنكير .

الرائون على
قبر الإسكندر

لما هلك الإسكندر : قامت الخطباء على رأسه ، فكان من قولهم : الإسكندر
كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أو عَظُ منه أمس !

لأبي الناهية
في ابن له

أخذ هذا المعنى أبو العتاهية . فقال عند دفنه ولدأ له :

كفى حَزَنًا بَدْفِنِكَ ثُمَّ إِنِّي ۝ نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا
وَكُنْتُ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ ۝ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعُظُ مِنْكَ حَيًّا

٥

لأبي ذر في
منه

وقف أبو ذر الهمداني على قبر ابنه ذر ، فقال : يا ذر ، شغلني الحزن لك عن
الحزن عليك ، فليت شعري ما قلت وما قيل لك ! ثم قال : اللهم إني قد وهبت لك
إسمائه إلي ، فهب له إسمائه إليك ! فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال : يا ذر ،
قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقننا ما نفعناك !

لابن سليمان
في مثله

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ؛
لحق رجائي وآمن خوفي .

١٠

لأعرابية في
أبيها

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن في الله تبارك وتعالى من
قديك عوضا ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصيبتك أسوة . ثم قالت :
اللهم نزل بك عبدك مُقْفَرًا من الزاد ، مُخْشَوِّشًا المهاد ، غنيا عما في أيدي العباد ،
فقيرا إلى ما في يديك يا جواد ، وأنت أي رب خير من نزل به المؤمنون ، واستغنى
بفضله المُقْتَلُونَ ، وولج في سعة رحمته المذنبون ؛ اللهم فليكن قرى عبدك منك
رحمتك ، ومهاده جنتك . ثم انصرفت .

١٥

لأعرابية في رثاء
ابنها

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباء لها ،
وبين يديها بُنْيٌ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصبته وسجته ، وقالت :
يا بن أخي . قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النظرة ،
أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقده ، والحلول بعفوره ، والمحالة بينه
وبين نفسه ! قال : وما يقطر من عينها دمة ، صبرا واحسابا . ثم نظرت إليه
فقال : والله ما كان ماله لبطنه ، ولا أمره لمرسه . ثم أنشدت :

٢٠

رَحِيبُ الذَّرَاعِ بَالِي لَا تَشْبِيهُهُ • وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعَا

وقف عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال : رحمك الله يا بُنَيَّ ،

عمر بن عبد
العزيز على
قبر ابنه

فلقد كنت ساراً مولوداً ، بازاً ناشئاً ؛ وما أحب أنى دعوتك فأجبتني !

توفى رجل كان مُسْرِفاً على نفسه بالذنوب ، فتجافى الناس جنازته ؛ فبلغ

ابن ذر وجنازة
جار له

عمر بن ذر خبره ؛ فأوصى إلى أهله أن خدوا في جهازه فإذا فرغتم فأذِنُونِي .

ففعَلُوا ، وشهده عمر بن ذر وشهده الناس معه ، فلما فرغ من دفنه وقف عمر

ابن ذر على قبره فقال : يرحمك الله أبا فلان ! فلقد صحبتُ عُمرَكَ بالتوحيد ؛

وعفرتُ الله وجهك بالسجود ، فإن قالوا : مذنب وذو خطايا ! فن منا غير مذنب

وغير ذى خطايا !

١٠ سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهي تقول : يا أبت مثلَ يومك

لجارية على قبر
أبيها

لم أره ! قال : الذى - والله - لم يرَ مثلَ يومه أبوك !

وسمع عمر بن عبد العزيز خصياً للوليد بن عبد الملك واقفاً على قبر الوليد وهو

خصى للوليد
على قبره

يقول : يا مولاي ، ماذا لقينا بعدك ! فقال له عمر : أما والله لو أذن له فى الكلام

لأخبر أنه لقي بعدكم أكثر مما لقيتم بعده .

١٥ وقف معاوية على قبر أخيه عتبة فدعا له وترحم عليه ، ثم النفث إلى من معه

معاوية على
قبر أخيه

فقال : لو أن الدنيا بُنيت على نسيان الأجنة ما نسيت عتبة أبداً .

المراثى

من رثى نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر

قال ابن قتيبة بلغنى أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره : يزيد

لابن خذاق

ابن خذاق فقال :

٢٠

هل للفتى من بنات الدهر من راتى • أم هل له من حمام الموت من واتى

قد رجولونى وما بالشعر من شعيت • وألبسونى ثياباً غير أخلاق

وطيَّبوني وقالوا أيُّما رجل ! • وأدرجوني كأنني طيُّ مخراقٍ
وأرسلوا فتيَّةً من خيرهم حسباً • ليُسَيِّدوا في ضريح القبر أطباقِي
وقسموا المالَ وأرفضت عوائدهم • وقال قائلهم ماتَ ابنُ خذَّاقِ !
هوَنَ عليك ولا تُولَعِ يا شفاق • فإنما مالنا للوارث الباقي
وقال ابن ذؤيب الهذلي يصف حفرة : ٥

مطأطأةٌ لم يَنْبِطوها وإنما • ليرضى بها فزأطها ، أم واحدٍ
قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا • إلى بطاء المشى عُبرَ السَّواعدِ
فكنتُ ذنوب البئر لما تلحبت • وأدرجتُ أكَفاني ووَسَدتُ ساعدي

لمروة بن حزام

وقال عمرو بن حزام لما نزل به الموت :

مَن كان من أخواني باكياً أبداً • فاليومَ ، إنى أرايَ مقبوضا ١٠
يُسْمَعُني فإني غيرُ ساهمه • إذا علوت رقابَ القومِ معروضا

الطرماح

وقال الطرماح بن حكيم :

فياربِّ لا تجعل وفاتي إن أتت • على شرجعٍ يُعلَى بدُكنِ المطارفِ
ولكنْ شهيداً ثاوياً في عصابة (١) • يُصابون في فجٍّ من الأرضِ خائفِ
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى • وصاروا إلى موعودِ ما في الصحائفِ ١٥
فأقتلُ قنصاً ثم يُرمَى بأعظمي • مُفترقةً أوصالها في التنايفِ
ويُصبحُ لحمي بطنَ طيرٍ مقلبهُ • بجوِّ السماءِ في نُسورِ عواكفِ

لابن الربيع

وقال مالك بن الربيع : يرثي نفسه ويصف قبره - وكان خرج مع سعيد
ابن عثمان بن عفان . لما ولي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن
يلبس خفه ، فإذا بأفعى في داخلها ، فلسعته ، فلما أحس بالموت استلقى على
قفاه . ثم أنشأ يقول : ٢٠

دعاني الهوى من أهل أودٍ وصحبي • يذِي الطَّبَسِينِ فالتفتُ ورائيا
فما راعني إلا سوابقُ عُبيرةٍ • تقنعتُ منها أن الأمامَ ردايا

(١) في بعض الأهل : ولكن أجزى يومى شهيداً وعصبة ، .

أَلَمْ تَرَنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى . وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانٍ غَازِيَا
 فَتَنَّهُ دَرَى حِينَ أَتْرُكُ طَائِعًا . نَبِيٌّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
 وَدَرُّ الْكَبِيرَيْنِ الَّذِينَ كَلَاهُمَا . عَلِيٌّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ قَدْ نَهَانِيَا
 وَدَرُّ الطَّبَّاءِ السَّاحِحَاتِ عَشِيَّةً . يُخْبِرُنِي أَنِّي هَالِكٌ مِنْ أَمَامِيَا
 ٥ تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ رَحْلِي . سِفَارُكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتُ أُمَّ مَالِكٍ . كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعْيِكَ بَاكِيَا
 إِذَا مِتُّ فَأَعْتَادِي الْقُبُورِ وَسَلِّي . عَلَيْهِنَ أَسْقِينِ السَّعَابِ النَّوَادِيَا
 تَرَى جَدًّا قَدْ جَزَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ . تُرَابًا كَسَحَقِ الْمَرْبَانِيَّ هَايَا
 فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَاحْفِرَا . بِرَأْيِي إِنْ مَقِيمٌ لِيَالِيَا
 ١٠ وَخَطًّا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَنَةِ مَضْجَعِي . وَرُدًّا عَلَى عَيْتِي فَضَّلْ رِدَائِيَا
 وَلَا تَحْسُدَانِي بَارِكْ اللَّهُ فِيكَا . مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تُوسِعَالِيَا
 خِذَانِي فُجْرَانِي بِيْرْدِي إِلَيْكَا . فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
 تَفَقَّدْتُ مِنْ يَمِينِي عَلَى فِلْمٍ أَجْد . سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرَّذِيئِيَّ بَاكِيَا
 وَأَدَمٌ غَزِيْبٌ يَحْمُرُ لِحَامَهُ . إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ الْمَوْتَ سَاقِيَا
 ١٥ وَبِالرَّمْلِ لَوْ يَعْلَمَنَّ عَلِيٌّ نَشْوَةَ . بِكَيْفَيْنِ وَفَدَّيْنِ الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا
 بِعَجُوزِي وَأَخْتَايَ اللَّتَانِ أُصِيبْنَا . بِمَوْتِي وَبِنْتُ لِي تَهْرِجُ الْبِوَاكِيَا
 لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي . لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
 تَحْمَلُ أَصْحَابِي عِشَاءً وَغَادِرُوا . أَخَا ثَقَفَةَ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا
 يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي . وَأَيْنَ مَكَانِ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

٢٠ وقال رجل من بني تغلب يقال له أفنون ، وهو لقبه ، واسمه ضريم بن معشر
 ابن ذهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب ، ولقي
 كاهنا في الجاهلية ، فقال له : إنك تموت بمكان يقال له الإلهة . فكث ماشاء الله ،
 ثم سافر في ركب من قومه إلى الشام فأتوها ، ثم انصرفوا فضلوا الطريق ،

لأننون في بكاء
 شه

فقالوا للرجل : كيف نأخذ؟ فقال : سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلهة - وإلهة قارة بالسماوة - فلما أتوها نزل أصحابه وأبى أن ينزل : فبينما ناقته ترتعى وهو راكبها إذ أخذت بمشفر ناقته حية ، فاحتكت الناقة بمشفرها فلدغت ساقه ، فقال لأخيه وكان معه ، واسمه معاوية : احضر لي فإني ميتٌ ثم تغنى قبل أن يموت يبكي نفسه :

لستُ على شيء ، فبروحن معاويا . ولا المشفقاتُ إذ تبعن الحوازيا
ولا خيرَ فيما كذب المرء نفسه . وتقواله للشئء ياليتَ ذا ليا
وإن أعجبتك الدهر حال من أمري . فدعه وواكل حاله واللباليا
يرحن عليه أو يُغَيِّرَنَّ ما به . وإن لم يكن في خوفه العيث وانيا
فقطاً معرضاً إن الحروف كثيرة . وإنك لا تُبقي بنفسك باقيا
لعمرك ما يدري أمرؤ كيف يتقى . إذا هو لم يجعل له الله واقيا
كفى حزناً أن يرحل الركبُ غدوةً . وأنزل في أعلى إلهة ثاويا
قال : فمات فدفنوه بها .

هدية العذرى

وقال هدية العذرى لما أيقن بالموت :

ألا عللاني قبل نوح النوايح . وقبل اطلاق النفس بين الجوايح
وقبل غدي يالهف نفسي على غدي . إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي بفيض دموعهم . وغودرتُ في الحدي على صفائح
يقولون هل أصلحتم لأخبيكم . وما الرمسُ في الأرض القواء بصالح

لمحمد بن بشير

وقال محمد بن بشير :

ويل لمن لم يرحم الله . ومن تكون النار مشواه
والويل لي من كل يوم أتى . يُذكرني الموت وأنساه
كأنه قد قيل في مجلس . قد كنت آتية وأغشاه :
صار البشيري إلى ربه . برحمتنا الله وإياه

ولما حضرت أبا العتاهية الوفاة ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، أوصى بأن يكتب على قبره هذه الآيات الأربعة :

لأن التمامية في آيات أوصى أن تكتب على قبره

أُذِنَ حَيًّا تَسْمَعِي • أَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجِعِي • فَأُخَذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عَشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً • ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجِعِي
لَيْسَ شَيْءٌ يَسْوِي التُّتِي • فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

وعارضه بعض الشعراء في هذه الآيات ، وأوصى بأن يكتب على قبره أيضا

لبعض الشعراء في معارضته

فكُتِبَتْ وَهِيَ :

أَصْبَحَ الْقَبْرُ مَضْجِعِي • وَتَحَلَّى وَمَوْضِعِي
صَرَخْتِي الْخُشُوفُ فِي الْإِل • تُرْبٍ يَأْذُلُ مَصْرَعِي
أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِي • مِنْ إِلَيْهِمْ تَطْلُعِي
مَتَّ وَخُدِي فَلَمْ يَمِتْ • وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي

١٠

ووجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبي نواس ثلاثة آيات ؛ فقيل إنها من

آيات قيل إنها لأبي نواس

قول أبي نواس ، وهي :

أَقُولُ لِقَبْرِ زُرْتِهِ مُتَلَثِّمًا • سَنَى اللَّهُ بَرْدَ الْعَفْوِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ
لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ الثَّرَى قَمَرًا الدُّجَى • وَشَمَسَ الضُّحَى بَيْنَ الصَّفَاخِ وَالْعَفْرِ
عَجِبْتُ لِعَيْنٍ بَعْدَهَا مَلَّتِ الْبُكَاءُ • وَقَلْبٍ عَلَيْهَا يَرْتَجِي رَاحَةَ الصَّبْرِ

١٥

الرياشي قال : وجدت تحت الفراش الذي مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب

لأبي نواس

فيها هذه الآيات :

يَا رَبُّ إِنَّ عَظَمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً • فَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْتَجِيكَ إِلَّا الْمُحْسِنُ • فِيمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرُمُ
أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا • فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ • وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسَلِّمٌ

٢٠

الحشنى قال : أخبرنا بعض أصحابنا عن كان يغشى مجلس الرباشى قال : رأيت
على قبر أبى هاشم الإيادى بواسط :

الموتُ أخرجنى من دار مملكتى • والموتُ أضرعنى من بعد تشرىفى
لله عبدُ رأى قبرى فأعبره • وخاف من دهره ريب التصارىف

• الأصمعى قال : أخذ يمدى يحيى بن خالد بن برمك فأوقفنى على قبر بالحيرة ،
فإذا عليه مكتوب :

إن بنى المنذر لما انقضوا • بحيث شاد البيعة الراهب
تذفع بالمسك محاريبهم • وعنبر يقطبه قاطب
والخبز واللحم لهم رهن • وقهوة راووقها ساكب
والقطن والكتان أثوابهم • لم يجلب الصوف لهم جالب
فأصبحوا قوتاً لدود الثرى • والدهر لا يبق له صاحب
كأما حياتهم لعبته • سرى إلى بين بها راكب

وقال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال .

الشيبانى قال : وجد مكتوباً على بعض القبور :

مَلَّ الأحبة زورقى فُجِيت • وسكنت فى دار البلى فسيت
الحى يكذب لا صديق ليئت • لو كان يصدق مات حين يموت
يا مؤنساً سكن الثرى وبقيت • لو كنت أصدق إذ بليت بليت
أو كان يعمى للبكاء مُفجِع • من طول ما أبكى عليك عميت

وقال محمد بن عبد الله :

وعما قليل أنت ترى باكياً لنا^(١) • سيضحك من يبكى ويُعرض عن ذكرى
ترى صاحبي يبكى قليلاً لفرقى • ويضعك من طول اللبالي على قبرى
ويحدث إخواناً وينسى مودتى • وتشغله الأحباب عنى وعن ذكرى

(١) فى بعض الاصول : • عناء قليل إن بكى لى لياليا .

من رثى ولده

لمن قولى فى ولدى :

بَلَيْتَ عِظَامِي وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ • وَالصَّبْرُ يَنْفَدُ وَالْبَكَاءُ لَا يَنْفَدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ • وَلِقَائِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مُوَعَدُ
• مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضَمَّنْتَهُ • لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُلْحَدُ
بِالْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا يَتَجَلَّدِي • هِيَهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزِينِ تَجَلَّدُ

ومن قولى فيه أيضاً :

وَإِكْبِدَا قَدْ قَطَّعْتُ كَيْدِي • وَحَرَّقَتْهَا لَوَاعِجِ الْكَيْدِ
مَامَاتِ حَتَّى لَمَيْتِ أَسْفَا • أَعْنَدُ مِنَ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
• يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدًّا • دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي يَدِي
وَنُورِي ظِلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى • مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
مَنْ كَانَ خَلَوْا مِنْ كُلِّ بَاقِعَةٍ • وَطَيَّبَ الرُّوحَ طَاهِرِ الْجَسَدِ
يَا مَوْتُ، يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ • لَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِيرِ
يَا مَوْتُهُ لَوْ أَقْلَتَ عَثْرَتَهُ • يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لَقَدِ
• يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ • لَكَانَ لَا شَكَّ بِيَضَةِ الْبَلَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيْتُ فِي الْعِنَانِ لَهُ • حَازَ الْعُلَا وَأَحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رُوْتَقَهُ • وَأَيُّ رُوحٍ سَلَّتْ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَّعَتْ مِنْ قَدِيمٍ • وَأَيُّ كَلْبٍ أَزَلَّتْ مِنْ عَضْدِ
يَا قَمْرًا أَجْعَفَ النُّسُوفُ بِهِ • قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدْدِ
• أَيُّ حَشَى لَمْ يَذْبُ لَهُ أَسْفَا • وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تُجْدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدَ • نُجِغْتَ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالْجَلْدَ
لَوْ لَمْ أَمِتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًّا • لِحَقِّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
بِالْوَعَةِ لَا يَزَالُ لَا يَعْجَمُهَا • يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَيْدِي

وقلت فيه أيضاً :

قصد المنونُ له فمات فقيداً • ومضى على صرْفِه الخطوبَ حميداً
 بأبي وأمي هالِكَا أفردتُه • قد كان في كلِّ العلوم فريداً
 سودُ المقابر أصبعت بيضا به • وغدت له بيضُ الضمائر سوداً
 لم نرْزه لما رزينا وحده • وإن استقلَّ به المنونُ وحيداً
 لكن رزينا القاسم بن محمد • في فضله والأسود بن يزيداً
 وابن المبارك في الرقائق مُخبراً^(١) • وابن المسيَّب في الحديث سعيداً
 والأخفشين فصاحةً وبلاغةً • والأعشىين روايةً ونشيداً
 كان الوحي إذا أردتُ وصيةً • والمستفاد إذا طلبتُ مفيداً
 ولي حفيظاً في الأذمة حافظاً • ومضى ودوداً في الوري مؤدوداً
 ما كان مثلي في الرزية والدُّ • ظفرت يده بمثله مولوداً
 حتى إذا بذَّ السوابق في العلا • والعلم ضمن شلوه مألوداً
 يامن يُفند في البكاء مؤلها • ما كان يسمع في البكا تَفنيداً
 تأبى القلوبُ المستكينة للآسى • من أن تكون حجارةً وحديداً
 إن الذي باد السرورُ بموته • ما كان حزني بعده ليبيداً
 ألان لما أن حويت مأراً • أعيت عدواً في الوري وحسوداً
 ورأيت فيك من الصلاح شماتلاً • ومن السَّحاج دلائلاً وشهوداً
 أبكى عليك إذا الحمامة طربت • وجه الصباج وغرَّدت تغريداً
 لولا الحياء وأن أزنُّ بيدته • مما يُعدده الوري تعديداً
 لجملت يومك في المنائح مأتماً • وجعلت يومك في الموالد عيداً

وقلت فيه أيضاً :

لايئت يُسكن إلا فارق السكنا • ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزناً

(١) في بعض الأصول : • معبراً .

لهنّ على ميّت مات السرورُ به • لو كان حيّاً لأحيا الدينَ والسُّننا
 وأما عليكَ أبا بكرٍ مُرَدِّدَةً • لو سكّنتَ ولهاً أو فطرتَ نَجْنا
 إذا ذكرتُك يوماً قلتُ وأحزنا • وما يردُّ عليكَ القولُ وأحزنا
 يا سيدي ومراحَ الروحِ في جَسدي • هَلّا دنا الموتُ مِنّي حينَ منك دنا
 حتى يعود بنا في قعرِ مُظليّة • لحدِّ وبلدنا في واحدٍ كفننا
 يا أطيّبَ الناسِ روحاً ضمّه بدنٌ • أستودِعُ اللهَ ذاكَ الروحَ والبدنا
 لو كنتُ أعطى به الدنيا معاوضة • منه لَمّا كانتِ الدنيا له ثمناً
 وقال أبو ذؤيب الهذلي ، وكان له أولاد سبعة فاتوا كلهم إلا طفلاً ،
 فقال يرثيهم :

لأبي ذؤيب في
 رثاء بنه

- ١٠ أمِنَ المنونِ ورِيهِ توجّع • والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجَزَعُ
 قالت أمانةُ ما لجِسْمِكَ شاحِباً • مُنذُ ابْتَدَلتَ ومثلُ مالِكٍ يَنْفَعُ
 أم ما لجِسْمِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً • إلا أقضَ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ
 فأجبتُها أن ما لجِسْمِي إنهُ • أودى نبيّ من البلادِ فودّعوا
 أودى نبيّ وأعقبوني حُسرةً • بعدَ الرُقَادِ وعبرةً ما تُقْلَعُ
 ١٥ سبقوا هوىً وأعقبوا لهواهُمُ • فتَحُرّموا ولكلِّ جنبٍ مَضْرَعُ
 فبقيتُ بعدهمُ بهيشِ ناصِبٍ • وإخالُ أني لاحقٌ مُسْتَشْبِعُ
 ولقد حرصتُ بأن أدايِعَ عنهمُ • وإذا المنيّةُ أقبلتُ فلا تُدْفَعُ
 وإذا المنيّةُ أنشبتُ أظفارها • ألفتِ كلَّ تميمَةٍ لا تُنْفَعُ
 فالعينُ بعدهمُ كأن حِدَاقها • سُملتُ بشوكِ فهي عوراً تدمعُ
 ٢٠ حتى كأن للحوادِثِ مَرَوّةً • بصفا المَترِقِ كلِّ يومٍ تُفْرَعُ
 وتجلدي لشامتين أريهمُ • أني لَرَيْبٍ إلهِرٍ لا أتَضَضَعُ

وله في طفله وقال في الطفل الذي بقي له :

والنفسُ راغِبَةٌ إذا وغَبَّتْها • وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وقال الأصمعي : هذا أبداع بيت قاله العرب .

لأعرابي في
رثاء بنيه

وقال أعرابي يرى بنيه :

أُسْكَنْ بطن الأَرْضِ لو يُقْبَلُ الفِدَا * فدينا وأعطينا بكم ساكني الظَّهْرِ
فيا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ * عليها نوى فيها مُقْبِياً إلى الحَشْرِ
وقاسمتني دهرى بِنِيَّ بشطره * فلما تقضى شطره مال في شطري
فصاروا دُبُوناً لِلْمَنَابِيا ولم يكن * عليهم لها دينٌ قِضُوهُ على عُسْرِ
كَأَنَّهُمْ لم يَعْرِفِ المَوْتَ غيرُهُم * فَشكَلْ على تُكَلِّ وقبرٌ إلى قَبْرِ
وقد كنتُ حَى الخوفِ قَبْلَ وفاتهم * فلما توفوا مات خوفي من الدهرِ
فله ما أعطى ولله ما حوى * وليس لِإِيامِ الرِّزِيَةِ كَالصَّبْرِ

لأعرابية في رثاء
ابنها

وقيل لأعرابية مات ابنها . ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه آمنى كل

فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده ا ثم أنشأت تقول :

مَنْ شاء بعدك فليمت * فعليك كنتُ أحاذِرُ

كنتِ السَّوادَ لناظِرِي * فعمى عليك الناظِرُ

ليت المنازلَ والدِّيارَ * رَ حفاثٍ ومقابرُ

إني وعيرى لا تحا * له حيثُ صرتَ لصائرُ

الحسن بن هاني

أخذ الحسن بن هاني معنى هذا البيت الأول ، فقال في الأميز :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لِمَا تطوى النيةَ ناظِرُ

وكنتُ عليه أحذرُ الموتَ وحده * فلم يبقَ لي شيءٌ عليه أحاذِرُ

لئن عمرتُ دورٌ بين لا أحبه * لقد عمرتُ من أحبِّ المقابرُ

لابن الأهم يرى
ابنائه

وقال عبد الله بن الأهم يرى ابناً له :

دعوتك يا بُنِيَّ فلم تُجِبني * فردت دعوتي بأساً علياً .

يموتك ماتت اللذاتُ مِنِي * وكانت حيةً مادمت حياً

فيا أسفا عليك وطولَ شوقي * إليك لو أن ذلك ردَّ شيئاً

وأصيب أبو العتاهية بآبن له فلما دفنه وقف على قبره وقال :

لأبي العتاهية
في رثاء إرماله

كني حُزناً يدفك ثم إني . نفضت تُرابَ قبرك من يديا

وكتت وفي حياتك لي عِظَات . فأنت اليوم أوعظُ منك حياً

ومات آبن لأعرابي فاشتد حزنه عليه ، وكان الأعرابي يكني به ، فقيل له :

لأعرابي في رثاء
ابنه

لو صبرت لكان أعظم لثوابك ! فقال :

بأبي وأُمِّي من عباتُ حنوطه . بيدي وفارقتي بماءٍ شبيه

كيف السُّلُو وكيف أنسى ذكره . وإذا دُعيتُ فإنما أدعى به

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً إلى بقيع الغرقد ، فإذا أعرابي بين

عمر بن الخطاب
وأعرابي فقد
إبنائه .

يديه ، فقال : يا أعرابي ، ما أدخلك دار الحق ؟ قال : ودیعة لی ها هنا منذ ثلاث

سنين . قال : وما ودیعتك ؟ قال : ابن لی حين ترعرع فقدته فأنا أندبه ! قال

عمر : أسمعنی ما قلت فيه . فقال :

يا غائباً ما توبُّ من سفرة . عاجلهُ موتهُ على صغره

يا قرة العين كنت لي سكيناً . في طول ليلى نعم وفي قصره

شربت كأساً أبوك شارها . لا بد يوماً له على كبره

أشربها والأنام كلهم . من كان في بدوه وفي حضره

فالحمد لله لا شريك له . الموت في حكمه وفي قدره

قد قسم الموت في الأنام فما . يقدر خلق يزيد في عمره

قال عمر : صدقت يا أعرابي ، غير أن الله خير لك منه !

الشياني قال : لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور ، اشتد عليه حزنه .

للمنصور وشعر
لطبع حين مات
ولده

فلما فرغ من دفنه التفت إلى الربيع فقال : يا ربيع ، كيف قال مطيع بن إياس

في يحيى بن زياد ؟ فأشد :

يا همل دواء لقلبي القرح . وللدموع النوارى السفح

(١) في بعض الأصول : يا همل بكر

راحوا يَبِيحِي ولو تطاوعني الـ • بأقدارُ لم تبتكر ولم يَرُج
ياخير من يَحْسُنُ البكاء به الـ • يومَ ومن كان أمسَ للمدح
قد ظفر الحزنُ بالسُرور وقد • ألمَّ مكرههُ من الفرج

لأعرابية تندب
ابنها

وقالت أعرابية تندب ابنا لها :

أَبْنَى غَيْبِكَ المَحَالُ المُلْعَدُ • إِمَّا بَعُدْتَ فَأَيْنَ مِنْ لَا يَبْعُدُ
أنت الذي في كلِّ مَسَى لَيْلَةٍ • تبلى وحزنك في الحشا يتجددُ

وقالت فيه :

لئن كنت لي لهوًا لعينٍ وقرّةً • لقد صرتُ سقمًا للقلوبِ الصَّحاحِ
وهوّنَ حُزني أن يومك مُدركي • وأنى غدًا من أهلِ تلك الضَّرائحِ

لأبي الخطار في
رثاء ابنه

وقال أبو الخطار يرثي ابنه الخطار :

ألا خبراني بارك الله فيكما • متى العهدُ بالخطار يَأفئانِ
فتى لا يرى نَوْمَ العشاءِ غَنِيمَةً • ولا يفتنى من صَوْلَةِ الحدثنانِ

لجربير يرثي ولده
سواده

وقال جربير يرثي ولده سواده :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم • كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالِي
ذاكُم سوادهُ يجلو مُقَلَّتِي لَحْمٍ • بازٍ يُصرِّصُ فوق الرقبِ العالِي
فارقتُه حينَ غَضَّ الدهرُ من بصري • وحينَ صرْتُ كعظمِ الرِّمَةِ البالي

لأبي الشغب في ابنه

وقال أبو الشغب يرثي ابنه شغبًا :

قد كان شغبٌ لو أن الله عمَّره • عِزًّا تُزَادُ به في عِزِّها مُضْرُ
ليت الجبالَ تداعت قبلَ مصرعه • دكًّا فلم يبقَ من أحجارِها حجْرُ
فارقتُ شغبًا وقد قوَّستُ من كبري • بِذَسِ الخليطانِ طولَ الحزنِ والكبرِ

لابن عبد الأعلى
في رثاء أيوب
ابن سليمان

ولما توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك في حياة سليمان ، وكان وليَّ عهده

وأكبرَ ولده ؛ رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصته ، فقال فيه :

ولقد أقولُ لذِي الشَّهَاتَةِ إِذْ رَأَيْ • جَزَعِي وَمَنْ يَذُقُ الحَوَادِثَ يَجْزَعُ

أُبَشِّرُ قَدَّ قَرَعَ الحَوَادِثُ مَرَوْتِي ۝ وَأَفْرَحُ بِمَرَوْتِكَ الَّتِي لَمْ تُفْرَجِ
 إِنْ عِشْتَ تُفَجِّعُ بِالْأَجْبَةِ كُلِّهِمْ ۝ أَوْ يُفَجِّعُوا بِكَ إِنْ بِهِمْ لَمْ تُفَجِّعِ
 أَيُّوبُ أَمِنْ يَشْمَتُ بِمَوْتِكَ لَمْ يُطِقْ ۝ عَنِ نَفْسِهِ دَفْعًا وَهَلْ مِنْ مَدْفَعٍ ؟
 الأصمعي عن رجل من الأعراب قال : كنا عشرة إخوة ، وكان لنا أخ يقال له

لأب فرثاء ابنه

حسن . فَنُعَى إِلَى أَيْدِنَا ، فَبَقِيَ سَتَيْنِ يَبْكِي عَلَيْهِ حَتَّى كَفَّ بَصْرَهُ ؛ وَقَالَ فِيهِ :

أَفْلَحْتُ إِنْ كَانَ لَمْ يَمُتْ حَسُنُ ۝ وَكَفَّ عَنِ الْبَكَاءِ وَالْحَزْنُ

بَلْ أَكْذَبَ اللهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا ۝ لَيْسَ لِتَكْذِيبِ قَوْلِهِ ثَمُنٌ

أَجُولُ فِي الدَّارِ لِأَرَاكَ وَفِي الدَّارِ أَنَا نَسْ جَوَارِهِمْ غَابِنٌ

بَدَلْتُهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنَّهُمْ ۝ كَانُوا وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مُدُنٌ

٢٠ قَدْ عَلِيُوا عِنْدَ مَا أَنَا فَرُهُمْ ۝ مَا فِي قِتَالِي صَدْعٌ وَلَا أُنْ

قَدْ جَسَّرُونِي فَمَا أَلَاؤُهُمْ ۝ مَا زَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِحْنٌ

فَقَدْ بَرَى الْجِسْمَ مُذُنُعِي لَنَا ۝ كَمَا بَرَى فِرْعَ تَبْعَهُ سَفْنٌ

فَإِنْ تَعِشْ فَأَلْمَتِي حَيَاتِكَ وَالسُّخْلُدُ وَأَنْتَ الْحَدِيثُ وَالْوَسْنُ

إِنْ تَحْيَ تَحْيَا بِخَيْرِ عَيْشٍ وَإِنْ ۝ تَمَضِ فَتَكُ السَّبِيلُ وَالسَّيْنُ

١٥ بَرِيدُكَ الْحَمْدُ وَالسَّلَامُ مَعًا ۝ فَكُلُّ حَيٍّ بِالْمَوْتِ مُرْتَهِنٌ

يَا وَيْحَ نَفْسِي إِنْ كُنْتَ فِي جَدَثٍ ۝ دُونَكَ فِيهِ التَّرَابُ وَالْكَفَنُ

عَلَى اللَّهِ إِنْ لَقَيْتُكَ مِنْ ۝ قَبْلِ الْمَيِّتِ الصَّبَامِ وَالْبُدُنِ

أَسْوَفُهَا حَافِيًا مُجَلَّلَةً ۝ أَذْمًا هِجَانًا قَدْ كَظَّهَا السَّمَنُ

فَلَا تُبَالِي إِذَا بَقِيَتْ لَنَا ۝ مِنْ مَاتَ أَوْ مِنْ لَمَّوْدَى بِهِ الزَّمَنُ

٢٠ كُنْتَ خَلِيلِي وَكُنْتَ خَالِصَتِي ۝ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنٌ

لَا خَيْرَ لِي فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكَ إِنْ ۝ أَصْبَحْتَ تَحْتَ التَّرَابِ يَا حَسَنُ

وقال أعرابي يرى ابنه :

لأعرابي في

رثاء ابنه

ولما دعوتُ الصبرَ بعدكُ والأيبي * أجااب الأسي طوعاً ولم يُجيب الصبرُ

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه • سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر
وقال أعرابي يرثى ابنه :

بني لئن ضللت جفونك بماثها • لقد قرحت منى عليك جفونك
دفتت بكفى بعض نفسى فأصبحت • وللنفس منها دافن ودافن

لابن عبد ربه
في طفل له

• وهذا نظير قولى فى طفل أصبت به :

على مثلها من فجعة خازك الصبر • فراق حبيب دون أوتيته الحشر
ولي كيد مشطورة فى يد الأسي • فتحت الثرى شطراً وفوق الثرى شطراً
يقولون لى صبر فؤادك بعده • فقلت لهم مالى فؤاد ولا صبر
فريح من الحمر الحواصل ما اكتسى • من الریش حتى ضمته الموت والقبر
إذا قلت أسلو عنه هاجت بلايل • يُجنددها فكر يُجندده ذكر
وأنظر حولى لا أرى غير قبره • كأن جميع الأرض عندى له قبر
أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتى • وليس سوى قبر الضريح لها وكر

١٠

لأعرابية فى
ولدها

وقالت أعرابية ترثى ولدها :

يا قرحة القلب والأحشاء والكيد • ياليت أمك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت فى كفن • مطياً للنسايا آخر الأبد
أيقنت بعدك أنى غير باقية • وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

١٥

لأعرابي فى
ابن له

توفى ابن لأعرابي فبكى عليه حيناً ، فلما هم أن يسلو عنه توفى له ابن آخر ،

فقال فى ذلك :

إن أبق من حزني هاج^(١) حزن • فقوادى ماله اليوم سكن
وكا تبلى وجوه فى الثرى^(٢) • فكذا يبلى عليهن الحزن

٢٠

(١) فى بعض الأصول : وجاء .

(٢) فى بعض الأصول : البلى .

وقال في ذلك :

عيون قد بكينك موجهات • أضر بها البكاء وما بيننا
إذا أتقن دمعاً بعد دمع • يراجعن الشنون فيستقينا

أبو عبيد البجلي قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر ، فقالت :

• أقمت أبكيه على قبره • من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار لي وحشة^(١) • قد ذل من ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا • إذا نزلت بي خطة لا أشاؤها
إذا نحن أبنا سالمين بأنفس • كرام رجت أمراً غاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها • تثوب ويبق ماؤها وحيائها
ولا ير إلا دون ما بر عامر • ولكن نفساً لا يدوم بقاؤها
هو أبي أمسي أجره لي وعزني • على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحسب أوجروا إن أبكي أكن • كباكية لم يُنحي ميتاً بكائها

الشيواني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام :

لهذيلية في راء
إخوة وابن

• فهلكوا جميعاً في الطاعون ؛ وكانت بكرًا^(٢) لم تتزوج ؛ فخطبها ابن عم له فتزوجها .
فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته ، فبنت نباتاً كأنما يمد بناصيته وبلغ ،
فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله ، فلم تشق لها
جيباً ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبت عليه
ساعة ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

• ألا تلك المصرة لا تدوم • ولا يبق على الدهر النعيم
ولا يبق على الحدنان غفر • بشاهقة له أم روم

(١) في بعض الأصول : ذا وحشة .

(٢) في بعض الأصول : بنتا .

ثم أكتبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها ، فدفنا جميعا .

لشيبانية في
حزنها على أهلها

خليفة بن خياط قال : ما رأيت أشد كمداً من امرأة من بني شيان ، قُتل
ابنها وأبوها وزوجها وأمه وعمتها وخالتها مع الضحاك الحروري ؛ فما رأيتها قط
ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيمهم :

مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّهَ الْحَزْنَ * وَلِنَفْسٍ مَالَهَا سَكُنُ

ظَعَنَ الْإِبْرَارُ فَانْقَلَبُوا * خَيْرُهُمْ مِنْ مَعْشِرٍ ظَعَنُوا

مَعْشَرٌ قَضَوْا نُحُوبَهُمْ * كُلُّ مَا قَدَّ قَدَمُوا حَسَنَ

صَبَرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ فَلَمْ * يَنْكَلُوا عَنْهَا وَلَا جَبُنُوا

فَتَيْةٌ بَاعُوا نَفْسَهُمْ * لَا ، وَرَبَّ الْبَيْتِ مَا غَبِنُوا

فَأَصَابَ الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا * مِنْهُ مَا بَعْدَهَا مَنْ

٥

١٠

وقال عبد الله بن ثعلبة يرثي ولدا له :

أَأَخِضُّ رَأْسِي أَمْ أَطِيبُ مَفْرِقِي * وَرَأْسُكَ مَرْمُوسٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ

نَسِيكَ مَنْ أَمَسَى يُنَاجِيكَ طَرْفَهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التَّرَابِ نَسِيبُ

غَرِيبُ وَأَطْرَافَ الْبُيُوتِ تُكَنُّهُ * أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ غَرِيبُ

لابن ثعلبة في
ولده

للعتبي في مثله

قال العتبي محمد بن عبيد الله يرثي ابنا له :

أَضْحَتُ بِخَدِّي لِلدَّمُوعِ رُسُومُ * أَسْفَاءَ عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُؤُومُ

وَالصَّبْرُ يُجَمِّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كَلِّهَا * إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

١٥

لأب في رثاء
ابنه

خرج أعرابي هارباً من الطاعون ، فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمات ؛

فقال أبوه يرثيه :

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً * مِنْ هَلَاكِ فَهَلَكُ

وَالْمَنَايَا رَصَدَ * لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّ * أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حِينَ تَلَقَى أَجَلَكَ

٢٠

لأبي العتاهية
في رثاء الأمين

لما قتل عبد الله المأمون أخاه محمد بن زبيدة ، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر
إلى أبي العتاهية يقول أياتا على لسانها للمأمون ، فقال :

ألا إن ربب الدهر يُدني ويُبعدُ . وللهر أيامٌ تُندم وتُخمدُ
أقولُ لربب الدهر إن ذهبَ يدُ . فقد بقيت والحمد لله لي يدُ
إذا بقى المأمونُ لي فالرشيدُ لي . ولي جعفرُ ، لم يهلكا ، ومحمد

وكتبت إليه من قوله :

لخير إمام قام من خير معشر . وأكرم بسام على عود منبر
كتبتُ وعيني تسهلُ دموعها . إليك ابن يعلى من دموعي "وتحجى
فجئنا بأدنى الناس منك قرابةً . ومن زلَّ عن كبدى فقلَّ تصبرى
أتى طاهرًا لا طهر الله طاهرًا . وما طاهرٌ في نفسه بمطهر
فأبرزنى مكشوفةً الوجه حاسرًا . وأثهبَ أموالى وخزبَ أدورى
وعزَّ على هارون ما قد لقيته . وما نأبى من ناقص الخلق أعور

فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحبها جزيل ، وكتب إليها يسألها القدوم
عليه ، فلم تأت في ذلك الوقت وقبلت منه ما وجه به إليها ؛ فلما صارت إليه بعد
ذلك قال لها : من قائل الأبيات ؟ قالت : أبو العتاهية . قال : ولم أمرت له ؟
قالت : عشرين ألف درهم . قال المأمون : وقد أمرنا له بمثل ذلك . واعتذر إليها
من قتل أخيه محمد ، وقال لها : لست صاحبه ولا قاتله . فقالت : يا أمير المؤمنين ،
إن لكما يوما تجتمعان فيه ، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله .

أبو شاس يرثى ابنه شاسا :

لأبي شاس في
رثاء ابنه

وربيتُ شاساً لرب الزمان . فله تريبتي والنصبُ
فلينك يا شاس فيمن بقي . وكنت مكانك فيمن ذهب

من رثى إخوته

الرياشي قال : صلى مُتَمِّمُ بنُ نُورَةَ الصُّبْحِ معَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ بِنُورَةَ
تعالى عنه ، ثم أنشد :

نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ • بَيْنَ ^(١)الْبُيُوتِ قَتَلَتْ يَابْنَ الْأَزْوَرِ
أَدْعَوْتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ • لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يُغْدِرِ
لَا يُضْمِرُ الْفَحْشَاءَ تَحْتَ رِدَائِهِ • حُلُوْ شِمَائِلُهُ عَضِيفُ الْمُنْزَرِ

قال : ثم بكى حتى سالت عينه العوراء . قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتله .
وقال متمم :

وَمُسْتَضْحَكٍ مَنِ ادَّعَى كَصَيْبِي • وَليْسَ أَخُو الشَّجْوِ الْحَزِينُ بِضَاحِكِ
يَقُولُ أَتَبْكِي مِنْ قُبُورِ رَأْيَيْهَا • لِقَبْرِ بَاطِرِافِ اللَّوِيِّ فَالِدِ كَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى ^(٢) • فَدَعْنِي فَهَذَا قَبْرُ مَالِكِ

وقال متمم يرثى أخاه مالكا ، وهي التي تسمى أم المراني :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكِ ^(٣) • وَلَا جِرْعَ مِمَّا أَلَمَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ غَيَّبَ الْمُنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ • فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
وَلَا بَرَمَا تُهْدِي النِّسَاءَ لِعِرْسِهِ • إِذَا الْقَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعَّقَعَا
تَرَاهُ كَنَصْلِ السِّيفِ يَهْزُؤُ اللَّئِي • إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِي الشُّؤْمَ مَطْمَعَا
فَعَبِيَّ هَلَا تَبْكِيَانِ لِمَالِكِ • إِذَا هَزَّتِ الرِّيحُ الْكَئِيفَ الْمُرْفَعَا ^(٤)
وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو بِأَشْعَثِ مُخَشِّلِ • كَفَرُخِ الْجُبَارِيِّ رَيْشُهُ قَدْ تَمَزَعَا
وَمَا كَانَ وَقَافَا إِذَا الْحَيْلُ أَحْجَمَتْ • وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشِيَةِ الْمَوْتِ مَفْزَعَا

(١) في بعض الأصول : تحت . .

(٢) في بعض الأصول : يبعث البكا . .

(٣) في بعض الأصول : مالكا . .

(٤) في بعض الأصول : الكئيب المزععا . .

- ولا بكهايم سيفه عن عدوه • إذا هو لاقى حاسراً أو مقنعا
 أبي الصبر آيات أراها وإنني • أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
 وإنني متى ما أذعُ باسمك لم تجب • وكنت حريبا أن تجيب وتُسَمِعا
 تحبته مني وإن كان نائما • وأمتى تراباً فوقه الأرض بلقعا
 فإن يكن الأيام فرقن بيننا • فقد بان محموداً أخى حين ودعا
 وعشنا بخير في الحياة وقبلنا • أصاب المنايا رطط كسرى وتبعا
 وكنا كندمانى جذيمة حقة • من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
 فلما تفرقنا كآنى وما لكأ • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
 فإشارف حنت حيناً ورجعت • أنينا فأبكى شجوها البرك أنجعا
 ولا وجد^(١) أظار ثلاث رواهم • رأين تجراً من حوارٍ ومصرعا
 بأوجد منى يوم قام بمالك • منادٍ فصيح بالفراق فأشعنا
 سقى الله أرضاً حلها قبر مالك • ذهاب الغواصي المدجنات فأمرعا

قيل لعمر بن بحر الجاحظ : إن الأصمى كان يسمى هذا الشعر أم المرأتى .

فقال : لم يسمع الأصمى :

- ١٥ أى القلوب عليكم ليس يصدع • وأى نوم " عليكم ليس يمتنع
 وقال الأصمى : لم يبتدى أحدٌ بمرثية بأحسن من ابتداء أوس بن حجر :
 أيتها النفس أجلى جزعا • إن الذى تحذرين قد وقعا
 وبعدها قول زميل :

أجارتنا من يجتمع يتفرق • ومن يك رهناً للحوادث يغاق

- ٢٠ قال ابن إسحاق ص - المغازى : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الصفراء - وقال ابن هشام : الأثيل - أمر على بن أبى طالب بضرب عنق النضر

رثاء أخت
النضر له

(١) فى بعض الأصول • ولا ذات • .

(٢) فى بعض الأصول • يوم • .

ابن الحارث بن كَلْدَةَ بن علقمة بن عبد مناف صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت أخته قتيبة بنت الحارث ترثيه :

يا راسكبا إن الإثيلَ مَظِنَّةٌ * من صبيح خامسةٍ وأنت موفِّقُ
أبلغ بها ميتاً بأنَّ تَحِيَّةً * ما إنْ تَزَالَ بها النجائبُ تخفِّقُ
مِنِّي إليك وعبرةٌ مسفوحةٌ * جادت بِوَأكفِها وأخرى تخنُقُ
هل يَسمَعُنِي النَّضْرُ إنْ نادَيْتُهُ * أم كيف يَسمَعُ ميت لا يَنطِقُ
أحمد يا خيرَ ضِنَّةٍ كريمةٍ * من قومِهِ والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضَرِّكَ لو مننتَ وربما * مَنّ الفتي وهو المَنيظُ المُحنَقُ
فالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنِ امْرَأَتِ قرابةٍ * وأحَقُّهُم إن كان عِتْقاً يُعتَقُ
ظَلَّتْ سيوفُ بني أيه تَنوُشُهُ * لله أرحامٌ هناك تشقُّقُ
صبراً يُقَادُ إلى المنيَّةِ مُتعباً * رَسَفَ المقيِّدِ وهو عانٍ مُوقِّقُ

قال ابن هشام : قال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشعر : لو بلغني

قبل قتله ما قتلته .

الأصمعي قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب في وجهها ، فقال : ما هذه الندوب يا خنساء ؟ قالت : من طول البكاء على أخوتي ا قال لها : أخواك في النار ا قالت : ذلك أطول الحزني عليهما ؛ إني كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار ، وأنشدت :

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فاتَ خَطْوَهَا * لَتُدْرِكُهُ يا لَهْفَ نَفْسِي على صَخْرِ
ألا نَكَلَتْ أمُّ الذين غَدَوْا به * إلى القَبْرِ ماذا يَحْمِلون إلى القَبْرِ

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضی الله تعالى عنها وعليها صدر من شعر قد استشعرته إلى جلدتها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته ا قالت : إن له معني دعائي إلى لباسه ؛ وذلك أن أبي زوجني سيد قومه ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفده ،

عمر بن الخطاب
والخنساء في
أخويتها

عائشة والخنساء
في صدر كانت
تلبسه

- ثم رجع في مالي فأنفده أيضاً ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخي صخر . قالت : فأتيناه قسم ماله شطرين ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال لي : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخي صخر ! قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين وخيرنا في أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تحيّرهم بين الشطرين ؟ فقال :

وَاللّٰهُ لَا أَمْنُهَا شِرَارَهَا ۝ فَلَوْ هَلَكْتَ قَدَدْتُ خِمَارَهَا

وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارِهَا ۝ وَهِيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَّتْنِي عَارَهَا

فَأَلَيْتُ أَلَا يَفَارِقُ الصِّدَارَ جَسَدِي مَا بَقِيَتْ .

- ١٠ قيل للخنساء : صيني لنا أخويك صخرًا ومعاوية . فقالت : كان صخر والله جنة الزمان الأغبر ، وذعاف الخيس الأحمر . وكان والله معاوية القائل والفاعل . قيل لها : فأيهما كان أسنى وأغبر ، قالت : أما صخر فجز الشتاء ، وأما معاوية فبرد الهواء . قيل لها : فأيهما أوجع وأجفع . قالت : أما صخر فجمر الكبد ، وأما معاوية فسقام الجسد ! وأنشأت :

للخنساء في
أخويها

- ١٥ أسدان مُحَمَّرًا الْمُخَالِبِ نَجْدَةً ۝ بَحْرَانِ فِي الزَّمَنِ الْغُضُوبِ الْأَمْرِ
قِرَانِ فِي النَّادِي ، رَفِيعًا مَحْتَدِي ۝ فِي لِمَجْدِ فِرْعَا سُوْدِدٍ مُتَخَيِّرِ
وقالت الخنساء ترى أخواها صخر بن الشريد :

- أَقْدَى بَعِيْنِكَ أُمٌ بِالْعَيْنِ عُوَارُ ۝ أُمٌ أَقْفَرْتُ^(١) إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ دَمْعِي لَذِكْرَاهُ^(٢) إِذَا خَطَرْتُ ۝ فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَدْرَارُ
فَالْعَيْنُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا ۝ وَدَوْنَهُ مِنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ أُسْتَارُ
٢٠ بُكَاءَ وَالْهَمَّ ضَلَّتْ أَلْفَيْهَا ۝ لَهَا حَنِينَانِ إِصْفَارُ وَإِكْبَارُ

(١) في بعض الأصول : ذرقت . .

(٢) في بعض الأصول : من ذكرى . .

ترعى إذا نسيت^(١) حتى إذا آذرت * وإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ
وإن صخرًا لنا تمُّ الهداةُ به * كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
حامي الحقيقةِ ، محمودُ الخليفةِ ، مهديُّ الطريقةِ ، نفاعٌ وضرارٌ
وقالت أيضاً :

ألا مالعيني ، ألا مالها * لقد أخصلَ الدمعُ مِرْبَاهَا
أمن بعد صخرٍ من آلِ الشريدِ حَلَّتْ به الأرضُ أنقالها
فأليتُ آسى على مالكِ * وأسألُ باكيةً مالها
وقممتُ بنفسى كلُّ الهمومِ * فأولى لنفسى أولى لها
سأحلُّ نفسى على خطة^(٢) * فأقما عليها وإقما لها

وقالت أيضاً : ١٠

أعينيُّ جودًا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخرِ الندى ؟
ألا تبكيان الجريءِ الجوادِ * ألا تبكيان الفتى السيدا ؟
طويلَ النجادِ رفيعِ العبا * د ، سادَ عشيرته أمردا
يحمُّله القومُ ما غالهم * وإن كان أصغرهم مولدا
جموعُ الضيوفِ إلى بابه * يرى أفضل الكسبِ أن يحمدا

وقالت أيضاً :

فما أدركتُ كفُّ امرئٍ مُتناولٍ * من المجدِ إلا والذي نلتَ أطولُ
وما بلغَ المهدونَ للندجِ غايةً * ولا جهدوا إلا الذي فيك أفضلُ
وما الغيثُ في جعدِ الثرى دَمَكِ الرِّبا * تبَعقُ فيها الوايلُ المتهللُ
فأفضلَ سيبا من يدريكِ ونعمةً * تجودُ بها ، بل سيبُ كفيك أجزلُ
من القومِ مغشيِّ الرواقِ كأنه * إذا سيمِ ضيحا خادرٌ متبسلُ

(١) في بعض الأصول : * ترتع ما غفلت . .

(٢) في بعض الأصول : * لأحل نفسى على حالة . .

شَرَبْتُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ ضَبَارِمَ • لَهُ فِي عَرِينِ الْغَيْلِ عَرِشٌ وَأَشْبَلُ

لأخت الوليد بن
طريف في رثائه

وقالت أخت الوليد بن طريف ترقى أباها الوليد بن طريف :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد العز إلا من التقي • ولا المال إلا من قناً وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرداء صليد • وكل رقيق الشفرتين حليف
فقدناه فقدان الربيع فليتنا • فديناه من ساداتنا بألوف
خفيف على ظهر الجراد إذا عدا • وليس على أعدائه بخفيف
عليك سلام الله وقمأ فاني • أرى الموت وقاعاً بكل شريف

وقال آخر يرثي آخاه :
لآخر في رثائه
أخيه

١٠ أخ طالما سرتني ذكره • فقد صرت أشجى إلى ذكره
وقد كنت أغدو إلى قصره • فقد صرت أغدو إلى قبره
وكننت أرائي غنياً به • عن الناس لو مدد في عمره
وكننت إذا جنته زائراً • فأمرى يَجُوز على أمره

وقالت الخنساء ترقى أباها صخرأ :

١٥ بكت عيني وعاودها قذاها • بموار فما تقضى كراها
على صخر وأي فتى كصخر • إذا ما الغاب لم تر أم طلاها
حلفت برب صهب مغملات • إلى البيت المحرم منهاها
لئن جزعت بنو عمرو عليه • لقد رزئت بنو عمرو فناها
له كف يشد بها وكف • تجود فما يحفت ثرى نداها
٢٠ ترى الشمم الفطارف من سليم • وقد بلت مدامعها لحاها
أحاميكم ومطعمكم تركتم • لدى غرباء منهم رجاءها
فن للضيف إن هبت شمال • مزرعة تناوئها صباها
وألجا بردها الأشوال حذباً • إلى الحجرات بادية كلالها

هنالك لو نزلت بياب صخره • قرى الأضياف شحما من ذراها
 وخيل قد دلفت لها بخيل • فدارت بين كبشها رحاها
 تكفكف فضل سابعة دلايص • على خيفانة خفيق حشاها

وقال كعب يرثي أخاه أبا المغوار :

الكعب في أبي
 المغوار

تقول سليمان : ما لجسمك شاحبا • كأنك يحميك الطعام^(١) طيب
 فقلت : شجون^(٢) من خطوبٍ تابعت • على كيارٍ والزمان يُريب
 لعمرى لئن كانت أصابت منية • أخى ، فالمايا للرجال شعوب
 فإني لباكيه ، وإني لصادق • عليه ، وبعض القائلين كذوب
 أخى ما أخى إلا فاحش عند بيته • ولا ورع عند اللقائ هيوب
 أخ كان يكفينى وكان يعينى • على نائبات الدهر حين تنوب
 هو العسل الماذى لنا وشيمة • وليث إذا لاقى الرجال قطوب
 هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
 كعالية الرمح الردينى لم يكن • إذا ابتدر الخير الرجل يخيب
 وداع دعا يا من يجيب إلى الندى • فلم يستجبه عند ذاك مجيب
 فقلت أذع أخرى وارفع الصوت ثانيا • لعل أبا المغوار منك قريب
 مجيبك كما قد كان يفعل إنه • بأمثاله رحب الذراع أريب
 وحدتئمان إنما الموت فى القرى • فكيف وهذى هضبة وكئيب
 فلو كانت الموتى تُباعُ آسريته • بما لم تكن عنه النفوس تطيب
 بعينى أو يمتنى يدي وخلتنى • أنا الغانم الجذلان حين يؤوب
 لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى • على يومه علق إلى حبيب
 أتى دون حلو العيش حتى أُممده • خطوب على آثارهن مكوب

(١) فى بعض الاصول : « الشراب » .

(٢) فى بعض الاصول : « نحول » .

فوالله لا أنساه ما ذرَّ شارِقٌ • وما اهتزَّ بي فرعُ الأراك قضيب
فإن تكن الأيامُ أحسنَّ مرةً • إلى لقد عادت لمن ذنوب

وقال امرؤ القيس يرثى إخوته :
لامرئ القيس
يرثى إخوته

ألا يا عينُ جودي لي شيننا • وبكى للملوكِ الداهينا
ملوكٌ من بني صخر بن عمرو • يُقادون العشيَّة يُقتلونا
فلم تغسل رءوسهم بسدرٍ • ولكن في النداء مُزملينا
فلو في يومٍ معركةٌ أُصيدوا • ولكن في ديارِ بني مَرينا
وقال الأبيرد بن المعذر الرياحي يرثى أخاه بُريداً :

للأبيرد في دماء
أخيه بريد

تطاول ليلى لم أئمه قلبنا • كأن فراشي حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمام نجومه • لَدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجرُ
تذكر علقِ بانٍ منا بنصره • ونائله يا حبذا ذلك الذكُن
فإن تكن الأيامُ فزقن بيننا • فقد عذرتنا في صحابته العُذر
وكنت أرى هجرًا فراقك ساعةً • ألا بل الموتُ النفرُ والهجرُ
أحقًا عبادَ الله أن لست لاقياً • بُريداً طوال الدهر ما لالا العُفر
فتى ليس كالفتيان إلا خيارهم • من القوم جزلٌ لا ذليلٌ ولا عُمر
قى إن هو استدنى تخرق في الغنى • وإن كان فقرٌ لم يؤدِّ مَتَنَه الفقر
وسامى جسيماَت الأمور فناها • على العسر حتى يدرك العسرة اليُسر
ترى القوم في العزائم ينتظرونه • إذا شئت رأى القوم أو حزبَ الأمر
فليتك كنت الحيُّ في الناس باقياً • وكنتُ أنا الميتَ الذي ضمَّه القبر
قى يشتري حُسنَ الثناء بماله • إذا السَّنةُ الشهباء قلَّ بها القطرُ
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغيطة • ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشر
لعمري نعم المرء عالى نعيه • لنا ابنُ عرين بعد ما جتج العصر
تمضت به الأخبار حتى تغلغات • ولم تنه الأَطباغُ عنا ولا الجُندرُ

١٠

١٥

٢٠

فلما نعى الناعى بُريداً تغولت • في الأرض فرطاً الحزن وأنقطع الظهر
 عساكرُ تغشى النفس حتى كأننى • أخو نشوة دارت بهامته الخمر
 إلى الله أشكو في بُريد مُصيبتى • وبشئ وأحزاناً يجيش بها الصدر
 وقد كنتُ أستعنى الإله إذا اشتكى • من الأجر لي فيه وإن سرّني الأجر
 وما زال في عيني بعدُ غشاوةً • وسمعى عما كنت أسمعهُ وقر
 على أنى أفتى الحياء وأتقى • شماتة أقدام عيونهم حُزر
 فحياك عنى الليلُ والصبحُ إذ بدا • وهوجٌ من الأرواح غُدوتها شهر
 سقى جدثاً لو أستطيع سقيته • بأودَ فرواه الرواعد والقطر
 ولا زال يُسقى من بلادِ ثوى بها • ثباتٌ إذا صاب الريحُ بها نضر
 حلفتُ بربِّ الرافعين أكفهم • وربِّ الهدايا حيث حلّ بها النحر
 ومجتمع الحجاج حيث تواقفت • رفاقٌ من الآفاق تمكبيرها جأر
 يمين امرئ آلى وليس بكاذب • وما في يمين بتّها صادقٌ ويزر
 لئن كان أمسى ابنُ المعنرِ قد ثوى • بُريدٌ كنعم المرء غيبهُ القبر
 هو المرءُ للمعروفِ والدين والندي • ومسرّ حرب لا كهائم ولا عُمر
 أقام ونادى أهله فتعمّموا • وصرّمت الأسبابُ واختلّف النجر
 فأى امرئٍ غادرتمُ في يويتكم • إذا هى أمست لونُ آفاقها حُمر
 إذا الشولُ أمست وهى حُذبٌ ظهورها • عجافاً ولم يُسمعَ لفعل لها هدر
 كثيرُ رمادِ القدرِ يغشى فئاؤه • إذا نودى الأيسارُ واحتضر الجزر
 قى كان يغلى اللحمُ نيناً ولحمه • رخيصٌ بكفيه إذا تنزلُ القدرُ
 يُقسّمهُ حتى يشيعَ ولم يكن • كآخرَ يُضحى من غيبته ذُخر
 قى الحى والأضياف إن رَوّحتهم • بليلٍ وزادُ السفرِ إن أرملَ السفرُ
 إذا أجهَدَ القومُ المطى وأدرجت • من الضمرِ حتى يبلغَ الحقبَ الضفرُ
 وخفتُ بقايا زادهم وواكأوا • وأكسفتُ بالَ القومِ مجهولةً قفر
 [٢٦ - ٢]

رأيت له فضلاً عليهم بقوة . وبالغفر لما كان زادهم العقر
 إذا القوم أمرُوا ليلهم ثم أصبحوا . غداً وهو ما فيه سقلاط ولا فتر
 وإن خشعت أبصارهم وتضاءلت . من الآين جلى مثل ما ينظر الصقر
 وإن جارة حلت إليه وفي لها . فبات ولم يهتك لجارته ستر
 عفيف عن السوءات ما التبت به . صليباً فما يلقى يعود له كسر
 سلكت سبيل العالمين فما لهم . وراء الذي لا فيت معدى ولا قصر
 وكل أمرئ يوماً مُلاقٍ حمامه . وإن باتت الدعوى وطال به العقر
 وأبليت خيراً في الحياة وإيما . ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشعر
 ليفدك مولى أو أخ ذو ذمامة . قليل الغناء لا عطاء ولا نصر

١٠

لشبل بن معبد البجلي :
 لشبل بن معبد
 البجلي

أتى دون حلو العيش حتى أمره . نكوب على آثارهن نكوب
 تابعن في الأحباب حتى أبدنهم . فلم يبق منهم في الديار قريب
 برتني صروف الدهر من كل جانب . كما ينبري دون اللحاء عسيب
 فأصبحت إلا رحمة الله مفرداً . لدى الناس صبراً والفؤاد كتيب
 إذا دز قرن الشمس عللت بالأسى . ويأوى إلى الحزن حين يثوب
 ونام خلي البال عني ولم أتم . كما لم يتم عارى الفناء غريب
 نصر به الأيام حتى كأنه . بطول الذي أعقبن وهو رقوب
 فقلت لأصحابي وقد قذفت بنا . نوى غربة عمن نحب شطوب
 متى العهد بالأهل الذين تركتهم . لهم في فؤادي بالعراق نصيب
 فأتك الطاعون من ذي قرابة . إليه إذا حان الإياب ثوب
 فقد أصبحوا لا دارهم منك غربة . بعيد ، ولا هم في الحياة قريب
 وكنت ترجى أن تثوب إليهم . فمالتهم من دون ذلك شعوب
 مقادير لا يُغفلن من حان يومه . لمن على كل النفوس رقيب

٢٠

سَقَيْنَ بِكَأْسِ الْمَوْتِ مِنْ حَانَ حَيْثُهُ . وَفِي الْحَيِّ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ ذُنُوبُ
 وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدٍ مِنْهَلٍ . عَلَى حَوْضِهِ بِالْبَالِيَاتِ نَهْبُ
 إِلَيْهِ تَنَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دَوْنَهُ . مِيَاهَ رَوَاهُ كُكُوهَنَ شَرُوبُ
 فَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضُ وَجْدِي أَنِّي . رَأَيْتِ الْمَنَايَا تَفْتَدِي وَتَوُوبُ
 وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّا . إِلَى أَجَلٍ تُدْعَى لَهُ فَتُجِيبُ
 وَإِنِ إِذَا مَا شَتَّتْ لَا قَيْتَ أُسُوءَ . تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ تَطِيبُ
 فَتَى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ . بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهُوَ حَرِيبُ
 وَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنِ أَهْلِ بَيْتِهِ . وَلَيْسَ لَهُ فِي الْغَابِرِينَ حَيْبُ
 مَتَى يُذَكَّرُوا يَفْرَحُ فَوَادِي لَذِكْرِهِمْ . وَتَسْجُمُ دَمُوعَ بَيْنَهُنَّ نَجِيبُ
 دَمُوعٌ مَرَاهَا الشَّجْوُ حَتَّى كَانَهَا . جَدَاوِلُ تَجْرَى بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
 إِذَا مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبَكَاءُ . فَوَادٍ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طَارُوبُ
 بَكَى شَجْوَهُ ثُمَّ ارْغَمَى بَعْدَ عَوَلِهِ . كَمَا وَاتَّرَتْ بَيْنَ الْحَنِينِ سُلُوبُ
 دَعَاهَا الْهَوَى مِنْ سَبَقِهَا فَهِيَ وَاللَّهِ . وَرَدَّتْ إِلَى الْآنَ فَهِيَ تَحُوبُ
 فَرَجَدِي بِأَهْلِي وَجَدُّهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ . شَبَابُ يَزِينُونَ النَّسْدِي وَمَشِيبُ

من رثت زوجها

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها رثت زوجها الزبير بن
 العوام ، وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل
 وتروى هذه الآيات لزوجته عاتكة التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً . يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ
 يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ . لَا طَائِثًا رَعِشَ الْجَنَانِ وَلَا الْبِدِ
 نِكَلَّتْكَ أُمَّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمَسْلِيًّا . حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

لبانة زوجة
 الأمين تربية

الهلالي قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ربيعة ، وكانت

من أجل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبن بها ، فقالت ترثيه :

أبكبك لا للنعيم والأُنس • بل للمعالي والرُح والفرس
يا فارساً بالعراء مُطرحاً • غانته قُواده مع الحرس
أبكى على سيّدٍ فُجعت به • أرملنى قبل لبلة العرس
أم من ليرى أم من لعائدة • أم من لذكر الإله في الغلس
من للحروب التي تكون لها • إن أضربت نارها بلا قبس

وقالت أعرابية ترى زوجها :

الأعرابية في
زوجها

كنّا كغصنين في جُرثومة بسقا • حيناً على خير ما ينمى به الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما • وطاب قنواهما وأستنظر الثمر
أخنى على واحد ريب الزمان وما • يُبقى الزمان على شيء ولا يذر
كنّا كأنجم ليل بينها قر • يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

١٠

الأصمعيّ قال : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية
على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحللى والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة
وصوت شجي ؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت : هل رأيت أتعجب من هذا ؟ قال :
لا والله ولا أحسبني أراه ! ثم قلت لها : يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زى
الحزن . فأنشأت تقول :

الأصمعيّ وجارية
على قبر زوجها

فإن تسألانى فم حُزنى فإنى • رهينة هذا القبر يا قتيان
وإنى لأستحبه ، والثربُ بيننا • كما كنت أستحبه حين يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى • مخافة يوم أن يسوءك شانى

٢٠

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بى • بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل • كأننى لست من أهل المصبات
أردت أتبعك فيما كنت أعرفه • أن قد تسرُّ به من بعض هياتى

فَنَ رَأَى رَأَى عِبْرَى مَوْلَهٗ ۝ عَجِيْبَةَ الزَّيِّ تَبْكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ
وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول :

هو وجارية
أخرى

خَدَى بِعَيْكَ خُشُونَةَ اللَّحْدِ ۝ وَقَلِيلَةَ لَكَ سَيِّدِي خَدَى
يَاسَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي بُوْغَاهُ ۝ عَمِيَتْ عَلَيَّ مَسَالِكُ الرُّشْدِ
أَسْمِعْ أَبُوكَ عَلَيَّ وَلَعَلَّنِي ۝ أَطْفَى بِذَلِكَ حُرْقَةَ الْوَجْدِ

من رثي جاريته

كان لمعلى الطائي جارية يقال لها وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرني
محمد بن وضاح ، قال : أدركتُ معلى الطائي بمصر وأعطى بجاريته وصف أربعة
آلاف دينار ، فباعها ؛ فلما دخل عليها قالت له : بعني يا معلى ! قال : نعم .
قالت : والله لو ملكتُ منك مثل ما تملك مني ما بعتك بالدنيا وما فيها ! فردَّ
الدينار واستقال صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ؛ فقال يرثيها :

يَا مَوْتَ كَيْفَ سَلَبْتَنِي وَصَفَا ۝ قَدَّمْتَهَا وَتَرَكْتَنِي خَلْمَا
هَلَّا ذَهَبَتْ بِنَا مَعَا فَلَقِدِ ۝ ظَفِرَتْ يَدَاكَ فَسُمْنِي خُسْفَا
وَأَخَذْتَ شِقَّ النَّفْسِ مِنْ بَدَنِي ۝ فَقَبْرَتَهُ وَتَرَكْتَ لِي النَّصْفَا
فَعَلَيْكَ بِالْبَاقِي بَلَا أَجْسَلِ ۝ فَالْمَوْتُ بَعْدَ وَقَاتِهَا أَغْنَى
يَا مَوْتُ مَا أَبْقَيْتَ لِي أَحَدًا ۝ لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى الْبَلِي وَصَفَا
هَلَّا رَحِمْتَ شَسَابَ غَانِيَةٍ ۝ رَبِّمَا الْعِظَامَ وَشَعْرَهَا الْوَحْفَا
وَرَحِمْتَ عَيْنِي ظَلِيَّةً جَعَلْتُ ۝ بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظِيرَ الْخُسْفَا
تُغْنِي إِذَا انْتَصَبْتُ فَرَاثِهِ ۝ وَتَظَلُّلِ تَرَعَاهُ إِذَا أَغْنَى
فَإِذَا مَشَى اخْتَلَفْتُ قَوَائِمَهُ ۝ وَقَتِ الرِّضَاعِ فَيَنْطَوِي ضَعْفَا
مُتَحِيرًا فِي الْمَشَى مُرْتَعِشًا ۝ يَخْطُو فَيَضْرِبُ ظِلْفَهُ الظَّلْفَا
فَكَانَهَا وَصَفًا إِذَا جَعَلْتُ ۝ نَحْوِي تَحِيرًا حَاجِرًا وَطَفَا

١٥

٢٠

- ياموت أنت كذا لكل أخى • إلف يصون ببره الإلفا
 خلّيتى فرداً و بنتَ بها • ما كنتُ قبلكُ حاملاً وكفا
 فَرَكْتها بالرغمِ فى جدثِ • للريحِ تنسفُ تربَه نَسفا
 دونَ المُقَطَّم لا ألْبَسها • من زينةِ قُرظا ولا شِنفا
 أسكنتها فى قعرِ مُظلمةٍ • بيتاً يُصافِحُ تَرْبُه السَّقفا
 بيتاً إذا ما زاره أحدٌ • عصفتُ به أيدى البلى عصفاً
 لا نلتقى أبداً مُعائنةً • حتى تقومُ لربنا صففا
 لبستُ ثيابَ الحُتفِ جاريةً • قد كنتُ ألبسُ دونها الحُتفا
 فكأنها والنفسُ زاهقةً • غصنٌ من الرِّيحانِ قد جفا
 ١٠ يا قبرُ أبقِ على محاسنها • فلقد حويتَ البرَّ والظرفا

لما هُزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له
 خلفها بالرملة :

مروان بن محمد
 وجارية له خلفها
 بالرملة

- وما زال يدعونى إلى الصدمأرى • فأبى ويثنيى الذى لك فى صدرى
 وكان عزيزاً أن تينى وبيننا • حجابٌ فقد أمسيتُ منك على عشر
 ١٥ وأنكاهما للقلبِ والله فأعلى • إذا آزددتُ مثلها فصرتُ على شهر
 وأعظمُ من هذين والله أنى • أعافُ بالآ نلتقى آخر الدهر
 سأبكيك لا مُستقبياً فيضِ عبرةٍ • ولا طالباً بالصبرِ عاقبة الصبرِ

وجدوا على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس أباتا ، ذكروا أن أبا نواس
 قالها ، وهى :

لأبى نواس يرثى
 جارية

- ٢٠ أقولُ لقبرِ زُرته مُثلثاً • سقى الله بردَ العفوى صاحبة القبرِ
 لقد غيَّبوا تحت الثرى قعرَ الدجى • وشمس الضحى بين الصفايح والفقيرِ
 عجتُ لعينٍ بعدها ملَّت البكا • وقلبٍ عليها يرْتجى راحة الصبرِ

الحبيب في مثله

وقال حبيب الطائي يرثي جارية أصيب بها :

جُفوفَ البلي أسرعت في الغُصن الرطبِ

وخطبَ الردى والموت أبرحتَ من خطبِ

لقد شِرتُ في الشرق بالموت غادةً • تبدلتُ منها غربةً الدار في القرب

وألبسني ثوباً من الحزن والأسى • هلالٌ عليه نسج ثوبٍ من الثرب

وكنتُ أرجى القرب وهي بعيدة • فقد نُقلتُ بعدى عن البعد والقرب

أقول وقد قالوا آسراحت لموتها

من الكرب روح الموت شرٌّ من الكرب

لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتها • لها منزلٌ بين الجوانح والقلب

١٠ وقال يرثيها :

ألم تراني خلّيتُ نفسي وشأتها • ولم أحفلُ^(١) الدنيا ولا حدثاتها

لقد خوَّفني النائبات صروفها • ولو أمّنتني ما قبلتُ أمانها

وكيف على نار الليالي مُعرّس • إذا كان شيب العارضين دُخانها

أصبتُ بخودٍ سوف أغبر بعدها • حليف أسى أبكى زماناً زمانها

عنان من اللذات قد كان في يدي • فلما قضى الإلف استردت عنانها

منعتُ المها هجرى فلا مُحسِناتها • أريد ولا يهوى فؤادي حسانها

يقولون هل يبكي الفتي الحريدي • إذا ما أراد اعتاض عشرأ مكانها

وهل يستعيبُ المرء من خمسين كفه • ولو صاغ من حُرّ اللجين بنانها

١٥ وقال أعرابي يرثي امرأته :

٢٠ فوالله ما أدرى إذا الليل جنّني • وذكرنيها أينما هو أوجعُ

أمنفصل عنه ترى أم كريمة • أم العاشقُ النابي به كلُّ مضجع

(١) في بعض الاصول : • ولم أشتك • •

لأعرابي يرثي
امرأته

الوراق يرى
جارية

وقال محمود الوراق يرى جاريته نشو :

وَمُنْتَصِحٌ يُرَدِّدُ ذِكْرَ نَشْوِيٍّ ۝ عَلَى عَمْدٍ لِيَبْعَثَ لِي أَكْتِنَابًا
أَقُولُ - وَعَدًّا - مَا كَانَتْ تَسَاوِي ۝ سَيَحْسَبُ ذَلِكَ مَنْ خَلَقَ الْحَسَابَا
عَطِيَّتَهُ إِذَا أَعْطَى سُرُورًا ۝ وَإِنْ أَخَذَ الَّذِي أَعْطَى أَنَابَا
فَأَيُّ النَّعْمَتَيْنِ أَعْمُ نَفْعًا ۝ وَأَحْسَنُ فِي عَوَاقِبِهَا إِيَابَا
أَنْعَمْتَ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا ۝ أَمْ الْآخَرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابَا
بِلِ الْآخَرَى وَإِنْ تَزَلْتُ بِحَزْنٍ ۝ أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ أَحْسَابَا

٥

أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد
المحبة لها ؛ فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته
الجارية في نومه فأنشدهته هذه الآيات .

محب وجارية
له ماتت

١٠

جَاءَتْ تَزُورُ وَسَادِي بَعْدَ مَا دُفِنْتُ ۝ فِي النَّوْمِ أَلِيمٍ خِذَا زَانَهُ الْجِيْدُ
فَقَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي قَدْ نُعِيتَ لَنَا ۝ فَكَيْفَ ذَا وَطَرِيقَ الْقَبْرِ مَسْدُودُ
قَالَتْ هُنَاكَ عِظَامِي فِيهِ مُلْحَدَةٌ ۝ تَنْهَشُ مِنْهَا هَوَامُ الْأَرْضِ وَالِدُودُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ قَدْ جَاءَتْكَ زَائِرَةً ۝ فَأَقْبِلْ زِيَارَةَ مَنْ فِي الْقَبْرِ مَلْحُودُ

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشدهم . فما بقي بعدها إلا أياما

١٥

يسيرة حتى لحق بها .

من رثي ابنة

قال البحترى في ابنة لأحد بني حميد :

للبحترى في ابنة
الحميدي

ظَلَمَ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَأَسَاءَ ۝ فَعَزَاءُ بَنِي حُمَيْدٍ عِزَاءُ
أَنْفُسٍ مَا تَزَالُ تَفْقَدُ فَقْدًا ۝ وَصُدُورٌ مَا تَبْرَحُ الْبُرْحَاءُ
أَصْبَحَ السِّيفُ دَاهِكُمْ وَهُوَ الدَّاءُ ۝ الَّذِي مَا يَزَالُ يُعِي الدَّوَاءُ
وَأَتَّحَى الْقَتْلُ فِيكُمْ فَبِكَيْنَا ۝ بِدَمَاءِ الدَّمِوعِ تَلِكِ الدَّمَاءُ

٢٠

يا أبا القاسم المقسم في النجدة والجود والندی أجزاء
 والهزبر الذي دارت الحزب • ببه صرف الردى كيف شاه
 الأسى واجب على الحرأما • نية حزة وإما رياء
 وسفاهة أن يجزع الحزما • كان حتماً على العباد قضاء
 أنبكي من لا يُنازل بالسيف مشيحاً ولا يهز اللواء
 والفتى من رأى^(١) القبور لمن طا • ف به من بناته الأكفاء
 ليس من زينة الحياة كعد • الله منها الأموال والأبناء
 قد ولدن الأعداء قدما وورثن التلاد الأفاصى البعداء
 لم يشد ترين^(٢) قيس تميم • علة بل حمية وإباء
 وتغشى مهلهل الذل فيهن وقد أعطى الأديم حياء
 وشقيق بن فاتك حذر العا • ر عليهن فارق الدهناء
 وعلى غيرهن أحزن يعقو • ب وقد جاءه بنوه عشاء
 وشعيب من أجلهن رأى الوحدة ضعفاً فاستأجر الأنبياء
 وتلفت إلى القبائل فانظر • أمهات ينسبن أم آباء
 وأستزل الشيطان آدم في الجنة لما أغرى به حواء
 ولعمري ما العجز عندي إلا • أن تبيت الرجال تبكى النساء

مراى الأشراف

قال حسّان بن ثابت يرئى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ،

رضوان الله عليهم :

ثلاثة برزوا بسبقتهم • نصرتهم ربهم إذا نشروا

٢٠

(١) في بعض الاصول : ولا يرى ، .

(٢) في بعض الاصول : كثرهن ، .

عاشوا بلا فُرقةٍ حياتهم • واجتمعوا في المماتِ إذ قهروا
فليس من مسلمٍ له بَصْرٌ • يُنكرهم فضاهم إذا ذكروا

وقال حسان يرثي أبا بكرٍ رضى الله عنه :

وله في رثاء
أبي بكر

إذا تذكَّرتُ شجوراً من أخى ثقة • فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعد لها • بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني آئينٍ والمحمود مشهده • وأول الناس طراً صدق الرُسلا
وكان حب رسول الله قد علوا • من البرية لم يعدل به رجلا

وقال ^(١) يرثي عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

١٠ عليك سلامٌ من أميرٍ وباركت • يدُ الله في ذلك الأديم الممزق
فمن يجر أو يركب جناحي نعامه • ليذكر ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها • نوافج في أكامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته • بكفى سببتي أزرق العين مطرق

وقال يرثي عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وله في رثاء
عثمان

١٥ من سره الموتُ صرفاً لا مزاج له • فلياتٍ ماسره في دار عثمانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا • مادمتُ حياً وما سُميت حسانا
باليث شعري وليت الطير تخبرني • ما كان شأن علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم • الله أكبر يا نارات عثمانا
ضحوا بأشبط عنوان السجود به • يُقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال الفرزدق في قتل عثمان رضى الله تعالى عنه :

الفرزدق في
رثاء عثمان

٢٠ إن الخلافة لما أظمنت ظعنث • من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
صارت إلى أهلها منهم ووارثها • لما رأى الله في عثمان ما اتهمكوا
السافكي دمه ظلما ومعصية • أى دم لا هُدوا من غيرهم سفكوا

(١) في نسبة هذا الشعر لحسان خلاف .

السيد الحميري
في رثاء علي

وقال السيد الحميري يرثى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويذكر
يوم صفين :

إني أدين بما دان الوصي به . وشاركتُ كفه كفي بصيفينا
في سفك ما سفكت . نها إذا احتضروا . وأبرز الله للقسط الموازين
تلك الدماء معاً يارب في عنقي . ثم اسقني مثلها أمين آمينا
أمين من مثلهم في مثل حالهم . في فتية هاجروا لله سارينا
ليسوا يريدون غير الله ربهم . نعم المراد توخاه المريدونا
أنشد الرياشي لرجل من أهل الشام يرثى عمر بن عبد العزيز رضي الله
تعالى عنه :

قد غيب الدآفنون الأحد إذ دفنوا . يدبر سمعان قسطاس الموازين
ولم يكن همهم عينا يفجرها . ولا النخيل ولا ركض البرادين
أقول لما أتاني نعي مهلكه . لا تبعدن قوام الملك والدين

الفرزدق في
رثاء عبد العزيز
بن مروان

وقال الفرزدق يرثى عبد العزيز بن مروان :

ظلوا على قبره يستغفرون له . وقد يقولون تارات لنا العبر
يقبلون تراباً فوق أعظمه . كما يقبل في المتحوجة الحجر
لله أرض أجنته ضريحتها . وكيف يُدفن في الملعودة القمر
إن المنابر لا تعاض عن ملك . إليه يشخص فوق المنبر البصر

الجريري في رثاء عمر
بن عبد العزيز

وقال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا . يا خير من حج بيت الله وأعتمرا
حملت أمراً عظيماً فاصطبرت له . وسرت فيه بحكم^(١) الله يا عمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفة . تبكي عليك نجوم الليل والقمر

(١) في بعض الاصول : وقت فيه بأمر الله . .

- قال جرير يري الوليد بن عبد الملك :
 إن الخليفة قد وارت شمائله * غبراء ملحودة في جوطها زور
 أمسى^(١) بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر
 كانوا جميعاً فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمر
- وقال غيره يري قيس بن عاصم المنقري :
 عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء أن يترحمها
 تحية من ألبسته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلماً
 وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بليان قوم تهدما
- وقال أبو عطاء السندی يري يزيد بن عمر بن^(٢) هبيرة لما قتل بواسط :
 ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود
 عشية راح الدافنون وشققت * جيوب بأیدی ماتم وحود
 فإن تك مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود
 وإنك لم تبعد على متعهد * بلى إن من تحت التراب بعيد
- وقال منصور النمرى يري يزيد بن مزيد :
 متى يبرد الحزن الذي في قوادنا * أبا خالد من بعد أن لا تلاقيا
 أبا خالد ما كان أذهى مصيبة * أصابت معداً يوم أصبحت ثاويها
 لعمرى لئن سراً الأعدى وأظهروا * شاماتا لقد سرؤا بربعك خالياً
 وأوتار أقوام لديك لويتها * وزرت بها الأجداث وهي كما هيا
 نعزى أمير المؤمنين ورهطه * بسيف لهم ما كان في الحرب نايها
 على مثل ما لاقى يزيد بن مزيد * عليه المنايا فائق إن كنت لاقيا
 وإن تك أفتته الليالي وأوشكت * فإن له ذكراً سيفي اللياليا

(١) في بعض الاصول : « أضحى » .

(٢) في بعض الاصول : « إبراهيم بن هبيرة » .

وقال :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغيضت * فحسبك مني ما نتجرت الجوامح
 كأن لم يميت حتى سواك ولم تقم * على أحد إلا عليك النوائح
 لئن حسنت فيك المرائي وذكركها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح
 ٥ فإنا من رزء وإن جلّ جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

للأعجم يرقى
 المغيرة

وقال زياد الأعجم يرقى المغيرة بن المهلب :

إن الشجاعة والسماحة ضمنا * قبرا بمرّو على الطريق الواضح
 فإذا مررت بقبره فاعقر به * كورم الهجان وكلّ طرفٍ سابح
 وانضح جوانب قبره بدمائها * ولقد يكون أخوا ديم وذبايح
 ١٠ والآذ لما كنت أكمل من مشي * وأوترّ نابك عن شبّاة القارج
 وتكاملت فيك المروءة كلّها * وأعدت ذلك بالفعال الصالح

للدهلي في
 رثاء للتوكل

للدهلي من مراثيه للتوكل :

لا حزن إلا أراه دون ما أجد * وهل كنّ فقدت عيناى مُفتقد
 لا يبعدن هالك كانت منبته * كما هوى من عطاء الزية الأسد
 لا يدفع الناس ضيما بعد ليلهم * إذ لا تمُدّ على الجاني عليك يد
 ١٥ لو أن سني وعقلي حاضران له * أبليتّه الجهد إذ لم ييله أحد
 هلا أته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والأبطال تجتلد^(١)
 فخرّ فوق سرير الملك مُنجدا * لم يحمه ملكه لما أنقضى الأمد
 قد كان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرساد^(٢) الفقى رصد
 وأصبح الناس فوضى يعجبون له * ليثا صريعا تنزى حوله النقد
 ٢٠ علّتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك إلا الواحد الضمد

(١) في بعض الأصول تطرد .

(٢) في بعض الأصول أنصار .

جاءوا لدنيا عظيم يسعدون بها • قدستموا بالذي جاؤا وماسوا •
 ضجت نساؤك بعد العزحين رأت • خذا كريماً عليه قارث جيد
 أضحي شهيدُ بنى العباس موعظةً • لكل ذي عزة في رأسه صيد
 خليفة لم ينل ما ناله أحد • ولم يصنع مثله روح ولا جسد
 ٥ كم في أديمك من فوها هادرة • من الجوائم يغلي فوقها الزبد
 إذا بكيت فإن الدمع مُتهمل • وإن ونيت فإن القول مطرد
 قد كنت أسرف في مالي ويخلف لي • فعلتني الليالي كيف أقصد
 لما اعتقدتم أناساً لأحلوهم لهم • ضعتم وضيعتم من كان يُعتقد
 فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم • حتمكم السادة المركوزة الحشد
 ١٠ قوم هم الجذم والأنساب تجمعكم • والمجد والدين والأرحام والبلد
 قد وتر الناس طراً ثم قد صمتوا • كما ما كان ما يتلونه رشد
 إذا قريش أرادوا شد ملكهم • بغير قعطان لم يبرح به أود
 من الألى وهبوا للمجد أنفسهم • فما ينالون ما نالوا إذا جدوا

لبعض الشعراء وقال آخر :

١٥ وفتى كأن جبينه بدر الدجا • قامت عليه نوادب وروامس
 غرس الفسيل مؤملاً لبقائه • قما الفسيل ومات عنه الغارس

لابن يعفر وقال الأسود بن يعفر :

٢٠ ماذا أومل بعد آل محرق • تركوا منازلهم وبعد إباد
 أهل الخوزنق والسدير وبارق • والقصر ذي الشرفات من سنداد
 نزلوا بأنقرة يسيل عليهم • ماء الفرات يحيى من أطواد
 جرت الرياح على محل ديارهم • فكأنما كانوا على ميعاد
 ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة • في ظل ملك ثابت الأوتاد
 فإذا النعيم وكل ما يلهى به • يوماً بصير إلى بلى ونقاد

وقال عبيد بن الأبرص :

لعبيد بن
الأبرص

يا حارِ مَراحٍ من قومٍ ولا ابتكروا • إلا وللوتِ في آثارهم حادي
يا حارِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ • إلا تقربُ آجالاً لِمِعادِ
هل نحن إلا كأرواحٍ يُمرُّ بها • تحتَ الترابِ وأجسادَ كأجسادِ

٥ لما مات أسماء بن خارجة الفزاري قال الحجاج : ذلك رجل عاش ما شاء ،
ومات حين شاء .

لبعض الشعراء
فيه

وقال فيه الشاعر :

إذا مات ابنُ خارجةَ بنِ زَيْدٍ • فلا مطرت على الأرض السماء
ولا جاء البريدُ بغيرِ جيشٍ • ولا حملت على الطَّهرِ النساءُ
فيومٍ منك خيرٌ من رجالٍ • كثيرٍ عندهم نعمٌ وشاء

١٠

لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

أمسعودُ هل غاداك يومٌ بفرحة • وأمسيتَ لم تعرض لها الترحاتُ
وهل نحن إلا أنفسٌ مستعارة • تمرُّ بها الرُّوحاتُ والغدواتُ
بكيتَ وأعطتكَ البكاءُ مصيبةً • مضتْ وهي فردٌ ما لها أخواتُ
كأنك فيها لم تكن تعرفِ العزا • ولم تعتمدْ غيرك النكباتُ
سقى الضاحكُ الوسمى أعظمَ حفرةً • طواها الردى في اللحدِ وهي رفاتُ
أرى بهجةَ الدنيا رجيحَ دوائرٍ • لمن اجتمعَ مرةً وشتاتُ
طوى أيدي المعروفِ مصرعُ مالك • فهنَّ عن الآمالِ منقبضاتُ

١٥

وقال أيضاً ^(١) :

أما القبورُ فإنهن أوانسٌ • بجوارِ قبركِ والديارِ قبورُ
عمت فواضله وعمٌ مُصابه ^(٢) • فالتناسُ فيه كلهم مأجورُ

٢٠

(١) ينسب هذا الشعر للثيمى فى رثاء منصور بن زياد

(٢) فى بعض الاصول : • عمت مصيبته وعم ملاكه .

رذت صنائعه إليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

وقال أشجع بن عمرو السلي يرثي منصور بن زياد :

لأشجع فإين
زياد

يا حُفْرَةَ الْمَلِكِ الْمُؤَمَّلِ رَفْدُهُ * مَا فِي ثَرَاكِ مِنَ النَّدى وَالْحَيْرِ ؟

لَا زَلَّتْ فِي ظِلِّينِ ظِلٌّ سَحَابَةٍ * وَطَفَاءٌ دَانِيَةٌ وَظِلٌّ حُجُورِ

وَسَقَى الْوَلِيَّ عَلَى الْعِهَادِ عِرَاصَ مَا * وَالْآكِ مِنْ قَبْرِ وَمِنْ مَقْبُورِ

يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أَنْجَحَتْ حِمَى النَّدى * وَفَجَعَتْهُ بَوْلِيهِ الْمَذْكُورِ

يَا يَوْمَهُ أَعْرَبْتَ رَاحِلَةَ النَّدى * مِنْ رِبْهَا وَحَرَمْتَ كُلَّ قَفِيرِ

يَا يَوْمَهُ مَاذَا صَنَعْتَ بِمُرْمِلِ * يَرْجُو الْغَنَى وَمُكْبَلِ مَأْسُورِ

يَا يَوْمَهُ لَوْ كُنْتَ جَنَّتَ بِنُصْحِهِ * فَجَمَعْتَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَقْبُورِ !

١٠ اللَّهُ أَوْصَالَ تَقْسَمَهَا السَّبِيلِ * فِي اللَّحْدِ بَيْنَ صَفَائِحِ وَصُخُورِ

عَجِبَا لِحَسَةِ أَذْرُعِ فِي خَمْسَةٍ * غَطَّتْ عَلَى جَبَلِ أَشْمٍ كَبِيرِ

مَنْ كَانَ يَمَلَأُ عَرْضَ كُلِّ تَنُوقَةٍ * وَارَاهُ حَوْلًا مَأْجِدَ مَحْفُورِ

ذَلَّتْ بِمَصْرَعِهِ الْمَكَارِمُ وَالنَّدى * وَذُبَابُ كُلِّ مُهْتَدٍ مَأْثُورِ

أَقَلَّتْ نَجُومُ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَمَا * طَلَعَتْ بِنُورِ أَهْلَةٍ وَبُدُورِ

١٥ لَوْلَا بَقَاءُ مُحَمَّدٍ لَصَدَّعْتَ * أَكْبَادُنَا أَسْفَاءً عَلَى مَنْصُورِ

أَبَى مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صَفَائِهَا * وَمَضَى لَوْقَتِ حِمَامِهِ الْمَقْدُورِ

أَصْبَحْتَ مَهْجُورًا بِحُفْرَتِكَ الَّتِي * بُدِّلَتْهَا مِنْ قَصْرِكَ الْمَعْمُورِ

بَلَيْتُ عِظَامِكَ وَالصَّفَاحُ جَدِيدَةٌ * لَيْسَ الْبَيْلِيُّ لِفِعَالِكَ الْمَشْهُورِ

إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقَد تَرَى * سَكَنًا لِعُودِي مِنْبَرٍ وَسُرِيرِ

٢٠ وقال يرثي محمد بن منصور :

وله فإين
منصور

أَنْعَى قَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ * مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ

أَنْعَى قَى مَصِّ الثَّرَى بَعْدَهُ * بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ

فَاتْلَمْ الْمَجْدُ بِهِ ثَلَاثَةً * جَانِبُهَا لَيْسَ بِمَسْدُودِ

أنعى ابن منصور إلى سيده • وأيدٍ ليس برعسديد
 وأشعثٍ يسعى على صبية • مثل فراخ الطير مجهود
 وطارقٍ أعيا عليه القري • ومسلم في القيد مضمفود
 اليومُ تُخشى عثراتُ الندى • وعدوةُ البخيل على الجود
 أورده حوضاً عظيم الشأى • في المجد يومٌ غيرُ محفود
 كلُّ امرئٍ يجرى إلى مدةٍ • وأجلى قد خُطَّ معدود
 سينطقُ الشعرُ بأيامه • على لسانٍ غيرِ معفود
 فكلُّ مفقودٍ إلى جنبه • وإن تغالى غيرُ مفقود
 يا وافردي قومهما إن من • طلبتُما تحت الجلاميد
 طلبتُما الجودَ وقد صمته • محمدٌ في بطن ملحود
 فاتكُما الموتُ بمعروفه • وليس ما فاتَ بمردود
 يا عضدًا للمجدِ مفتوقة • وساعدًا ليس بمعضود
 أو هن زنديها وأكبأهما • قرعُ المنايا في العناديد
 وهدتِ الركنَ الذي كان بال • أُمس عماداً غيرَ مهدود

٥

١٠

١٥ وقال حبيب الطائي يرثي خالد بن يزيد بن مزيد :
 لاصاني في رثاء
 خالد بن يزيد

أشيبانُ لاذك الهلالُ بطالع • علينا، ولا ذاك الغمامُ بدايد
 أشيبانُ عمَّت نارها من رزية • فاثتكي وجداً إلى غيرِ واجد
 فاجانبُ الدنيا بسهل ولا الضحى • بطلقٍ ولا ماء الحياة يبارد
 فيا وحشة الدنيا وكانت أنيسة • ووحدّة من فيها بمصرع واحد

٢٠ وأنشد أبو محمد التيمي^(١) في يزيد بن مزيد :
 التيمي في يزيد
 ابن مزيد

أحقاً أنه أودى يزيد • فبين أيها الناعى المشيد

(١) في بعض الاصول « اللبي » .

- أندرى من نعت^(١) وكيف فاهت * به شفتاك وارك الصعيد
أحامي الملك والإسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تמיד
تأمل هل ترى الإسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بني زار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * يدريها وهل يخضر عود
أما هددت لمصرعه زار * بلى ، وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه * طريف المجد والمجد التليد
وهدد العز والإسلام لما * ثوى وخليفة الله الرشيد
لقد أوتى ربيعة كل نحس * لمهلكه وغيت السعود
وأصلت الأسننة من قناها * وأشرعت الرماح لمن يكيد
نعي يزيد إن لم يبق بأس * غداة مضى وإن لم يبق جود
نعي أبي الزبير لكل يوم * عبوس الوجه زينته الحديد
أودى عصمة الباري يزيد * وسيف الله والغيث الحميد
فمن يحمى حمى الإسلام أم من * يذب عن المكاره أو يذود
ومن يدعو الأنام لكل خطب * يخاف وكل معضلة تؤود
ومن تجلى به الغمرات أم من * يقوم بها إذا أعوج العنود
ومن يحمى الخبيس إذا تعابا * بجيلة نفسه البطل النجيد
وأين يوم منتجع ولاج * وأين تحط أرحلها الوفود
لقد رزئت زار يوم أودى * عميداً ما يقاس به عميد
فلو قبل الفداء فداء منا * بمهجته المسود والمسود
أبعد يزيد تخزن البواكي * دموعاً أو تصان لها حدود
أما بالله لا تنفك عني * عليه بدمعها أبداً تجود

(١) في بعض الاصول : * ابن لي كيف قلت . .

وإن تجمد دموع لثيم قوم • فليس لدمع ذى حسب جهود
 وإن يك غاله حسب فأودى • لقد أودى وليس له نديد
 وإن يعثر به دهر لما قد • يفادى من مخافته الأسود
 وإن يهلك يزيد فكل حتى • فربس للنية أو طريد
 فإن يك عن خلود قد دعت • ما بره فكان لها الخلود
 فأودى أمرؤ أودى وأبقى • لواريه مكارم لا تبيد
 ألم تعلم أخى أن المنايا • غدرن به وهن له جنود
 قصدن له وكن يحدن عنه • إذاما الحرب شب لها الوقود
 فهلا يوم يقدمها يزيد • إلى الأبطال والخيلاں جيد
 ولولا قى الختوف على سواء • للآقاها به حتف عنيد
 أضراب الفوارس كل يوم • ترى فيه الختوف لها وعيد
 فن يرضى القواطع والعوالى • إذا ما هزها فرغ شديد
 لتبيك قبة الإسلام لما • وهت أطنأها ووهى العمود
 لبيك مرهق يتلوه خيل • إبالة^(١) وهو نجدول وحيد
 ويبيك خامل ناداك لما • تواكله الآقارب والبعيد
 ويبيك شاعر لم يبق دهر • له نساء وقد كسد القصيد
 تركت المشرفية والعوالى • محلاة وقد حان الورود
 وغادرت الجياد بكل لغز • عواطل بعد زينتها ترود
 فإن تصيح مسلة فما • تنفيذها الجزيل وتستفيد
 ألم تك تكشف الغمرات عنها • عوايس والوجوه البيض سود
 أصيب المجد والإسلام لما • أصابك بالردى سهم شديد
 لقد عزى ربيعة أن يوما • عليها مثل يومك لا يعود

•

١٠

١٥

٢٠

(١) فى بعض الاصول : • أباسل •

ومثلك من قصدن له المنايا • بأسهما وهن له جنود
 فيالدهر ما صنعت يدها • كأن الدهر منها مُستفيد
 سقى جدّاً أقام به يزيد • من الوسمى بسام رعود
 فإن أجزع لمهلكه فاني • على التكببات إذا ودى جليل
 ليذهب من أراد فلست آسى • على من مات بعدك يا يزيد

وقال مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة :

لابن أبي حفصة
 في رثاء معن

زار ابن زائدة المقابر بعدما • ألفت إليه عرى الأمور نزار
 إن القبائل من نزار أصبحت • وقلوبها أسفاً عليه حرار
 ودت ربيعة أنها قسمت له • منها فعاش بشطرها الأعمار
 فلا بكنن فتى ربيعة مادجا • ليل بظلمته ولاح نهار
 لا زال قبر أبي الوليد تجوده • بعهادها وبوبلها الأمطار
 قبر يضم مع الشجاعة والندى • حلما يخالطه نقي ووقار
 إن الرزية من ربيعة هالك • ترك العيون دموعهن غزار
 رحب السرادق والضياء جبينه • كالبدر شق ضياءه الإسفار
 لهما عليك إذا الطعان يمارق • ترك القنا وطواهن قصار
 خلى الأعتة يوم مات مشيع • بطل اللقاء مجزب مغوار
 يمسي ويصبح معلماً تذكي به • نار بمعترك وتخمّد نار
 مهما يمر فليس يرجو نقضه • أحد وليس لنقضه إمرار
 لو كان خلفك أو أمامك هائباً • أحداً سواك لها بك المقدار

وقال يرثيه :

بكي الشام معنًا يوم خلى مكانه • فكادت له أرض العراقين رجف
 نوى القائد الميمون والذائد الذي • به كان يرعى الجانب المتخوف
 أتى الموت معنًا وهو للعرض صائر • وللجد مبتاع وللدال متلف

وما مات حتى قَدَّته أمورُها • ربيعة والحَيان قيس وخِنْدِفُ
وحتى فشا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ • أيادُ له بالضرِّ والنفع تُعرَفُ
وكم من يدٍ عندي لِمَعْنٍ كريمةٍ • سأشكرُها ما دامتِ العينُ تطرِفُ
بكنه الجيادُ الأعوجيةُ إذ تَوَى • وحنَّ مع التَّبَعِ الوشيجِ المثقَّفِ
وقد غَنِيَتْ ربح الصِّبا في حياته • قبولاً فأَمَسَتْ وهي نكباءُ حَرَجَفِ

٥

وقال أبو الشيبص يرثي هارون الرشيد ويمدح ابنه محمد بن زيدة الأمين :

لأن الشيبص في
رثاء الرشيد
ومدح الأمين

جرت جَوَارٍ بالسعدِ والنحسِ • فنحن في وحشةٍ وفي أنسِ
العين تبكي والسُّنُّ ضاحكةٌ • فنحن في مأتمٍ وفي عُرْسِ
يُضحِكُنَا القائمُ الأمينُ ويُسَكِّينَا وفاةُ الإمامِ بالأمسِ
بدرانٍ بدرٍ أضْحَى بِيَعْدَادٍ في السُّخْدِ وبدرٍ بِطُوسٍ في الرُّمَسِ

١٠

وأشدد العتبي :

العتبي

والمرءُ يجمعُ ماله مستهتراً • فرحاً وليس بأكلٍ ما يجمعُ
ولياً يَبِينُ عليك يوماً مرةً • يُسكى عليك مُقنَعاً لا تسمعُ

للغداني في ابن
ظبيان

وقال حارثة بن بدر الغداني يرثي زياد بن ظبيان :

صلى الإلهُ على قبرٍ وطهره • عند الثَّوْبَةِ يُسقى فوقه المورُ
زَفَتْ إليه قريشُ نعشَ سيدِها • فتمَّ كلُّ الثَّقَى والبرِّ مقبورُ
أبا المَغِيرَةِ والدُّنيا مغيرةٌ • وإنَّ مَنْ عَرَّتِ الدنيا كَمَغْرورِ
قد كان عندك للعروفِ معرفةً • وكان عندك للتكبيرِ تنكيرُ
لو خَلَدَ الخَيْرُ والإسلامُ ذا قَدَمٍ • إذا لَخَدَكَ الإسلامُ والخيرُ
قد كنتَ تَحْشَى وتُعْطِي المَالَ من سعةٍ • إن كان يَبْتُكُ أضْحَى وهو مهجورُ

١٥

٢٠

وقال نهار بن تَوْسِعَةَ يرثي المهلب :

لابن تَوْسِعَةَ في
رثاء المهلب

ألا ذهبَ النزوُّ المقربُ للنبيِّ • ومات الددى والحزمُ بعد المهلبِ
أقام يَمْرُو الرُّوذِ رَهْنٌ ضريحه • وقد غُيِّبَا عن كلِّ شرقٍ ومغربِ

وقال المهلهل بن ربيعة : يرثي أخاه كليب بن وائل ؛ وكان كليب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرة صوته :

للمهلهل فرثاه
كليب

ذهب الخيار من المعاشير كلهم • وأستبب بعدك يا كليب المجلس
وتناولوا من كل أمر "عظيمة" • لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقال عبد الصمد بن المغزل يرثي سعيد بن سلم :

لابن المغزل
في رثاء سعيد
ابن سلم

كم يتيم جبرته بعد يتم • وعديم نعشته بعد عديم
كل ما غص بالحوادث نادى • رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال ابن أخت تأبط شراً يرثي خاله تأبط شراً الفهمي ؛ وكانت هذيل قتلته :

لابن أخت
تأبط شراً
يرثي خاله

إن بالشعب الذي دون سلع • لقتيلاً دمه ما يطل

قذف العباء على وولى • أنا بالعباء له مستقل

ووراء الدار مني ابن أخت • مصع عقده ما تعل

مطرق يرشح موتاً كما أطرق أفعى ينفث السم صل

خبر ما نابنا مضملاً • جل حتى ذق فيه الأجل

بزني الدهر وكان غشوما • بأبي جاره ما يذل

شامس في القر حتى إذا ما • ذكت الشعري فبرد وظل

يابس الجنين من غير يؤس • وندي الكفين شهم مدل

ظاعن بالحزم حتى إذا ما • حل حل الحزم حيث يحل

وله طعمان أرى وشرى • وكلا الطعمين قد ذاق كل

رائح بالمجد غاد عليه • من ثياب الحمد ثوب رقل

أفتح الراحة بالجوود جواداً • عاش في جدوى يديه المقل

مسيل في الحمى أحوى رقل • وإذا يغزو فيسمع أزل

يركب الهولَ وحيداً ولا يصحبه إلا اليماني الأفلُ
 فاحسوا أنفاس يومِ فلما هوموا رُعْثَمَ فاشمعلوا
 كلُّ مايض قد تردى بمايض ه كَسْنَا البرق إذا ما يُسلُ
 فلن فُلَّتْ هُذَيْلٌ شِبَاهُ ه لِمَا كَانَ هُذَيْلًا يَفُلُ
 وبما أبركها في مُنَاخ ه جَعَجَعِ يَنْقَبُ مِنْهُ الْأَظْلُ
 صليتُ مِنْهُ هُذَيْلٌ يَحْرَقِي ه لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُوا
 يُنْهَلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا ه تَهَلَّتْ كَانَتْ لَهَا مِنْهُ عَلُ
 تَضَعُكَ الضَّبْعُ لِقَتْلِ هُذَيْلٍ ه وَتَرَى الذَّنْبَ لَهَا يَسْتَهَلُ
 عِاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانَا ه تَنْخَطَّامُ فَمَا تَسْتَنْقَلُ
 وَقُتُّوا هَجَّجُوا ثُمَّ اسْرُوا ه لِيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَلُّوا
 فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو ه إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لِحَلُ

وقال أمية بن أبي الصلت يرثى قتلى بدر من قريش :

أَلَا بِكَيْتٍ عَلَى الْكِرَامِ ه مِ بَنِي الْكِرَامِ أَوْلَى الْمَادِحِ
 كَبُكَ الْحَمَامِ عَلَى فُرُو ه عِ الْأَيْكَ فِي الْعَصَنِ الْجَوَانِحِ
 يَبْكِينَ حَرَى مَسْتَكِينَاتٍ يَرْحَنُ مَعَ الرَوَانِحِ
 أَمْنَاهُنَّ الْبَاكِيَا ه تِ الْمُعْوِلَاتِ مِنَ النَّوَانِحِ
 مِنْ يَبْكُهُمْ يَبْكِي عَلَى ه حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلَّ مَادِحِ
 مَنْ ذَا يَبْدُرِ فَالْعَقْنُفَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَعَجَجِ
 شُحِطِ وَشُبَّانِ بَهَا ه لَيْلِ مَعَاوِرِ وَحَاوِحِ
 أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى ه وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَانِحِ
 أَنْ قَدْ تَفَيَّرَ بَطْنُ مَكَّةَ فَهِيَ مُوَحَّشَةُ الْأَبَاطِحِ
 مِنْ كُلِّ بَطْرِيقٍ لِبَطْرِيقٍ نَقِيَّ اللَّوْنِ وَاضِحِ
 رُغْمُوصِ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ وَجَانِبِ الْخَرَقِ فَاتِحِ

لابن أبي الصلت
 يرثى قتلى بدر

ومن السراطة الحلاء . جملة الملازمة المناجح
القائلين الفاعلين الأمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالأنافح
نقل الجفان مع الجفا * ن إلى جفان كالمناضح
ليست بأصفار لمن * يعفو ولا رخ رحارج
للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح
وهب المتين من المتين إلى المتين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤ * بل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا * م مزينة وزن الرواجح
كتناقل الأبطال بالقسطاس في الأيدي المواخ
لله درُّ بنى على * أئيم منهم وناكح
إن لم يُغيروا غارة * شعواء تُحجر كل ناع
بالمقربات المبعدا * ت الطامحات مع الطوامح
مرداً على جردٍ إلى * أسدٍ مُكالبه كوالح
ويلاق قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح
بزهاء ألفٍ ثم ألفٍ بين ذى مدنٍ وراح
الضارين التقديمية بالمهتدة الصفايح

اسم بن هارون روى الاخفش لسهل بن هارون :

ماللحوادث عنك منصرف * إلا بنفس مالها خلف

فكانها رامٍ على حنق * وكانى لسهامها هدف

دهرٌ سررتُ به فأعقبنى * حزنأ به ما عشت ألتقف^(١)

(١) في بعض الأصول : جريانة ما عشت ألتقف .

فأبك الذئب ولى لهلكه . عنك السرور وحلف الأسف
 إذ لا يرد عليك ما أخذت . منك الحوادث دمة تكف
 قبراً بمختلف الرياح ، به . من لست أبلغه بما أصف
 أنس الثرى بمحله وله . قد أوحش المستأنس الألف
 فالصبر أحسن ما اعتصمت به . إذ ليس منه لدى منتصف

٥

وقال فروة بن نوفل الحروري ، وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج ويقولون : والله لنحرقنهم ولنفعلن ولنفعلن . فقال في ذلك فروة بن نوفل ، وكان من الخوارج :

ما إن نبألى إذا أروأخنا قبضت . ماذا فعلتم بأجساد وأبشار
 تجرى المعجزة والنيران بينهما . والشمس والقمر السارى بمقدار
 لقد علمت وخير العلم أنفعه . أن السعيد الذى ينجو من النار

١٠

وقال يرى قومه :

هم نصبوا الأجساد للنبل والقنا . فلم يبق منها اليوم إلا رميمها
 تظل عتاق الطير تحجل نحوهم . يُعلنان أجساداً قليلاً نعيمها
 لطاف براها الصوم حتى كأنها . سيوف إذا ما الخيل تدمى كلومها

١٥

التعازي

قال عبد الرحمن بن أبي بكر لسليمان بن عبد الملك يعزبه في ابنه أيوب ، وكان ولى عهد وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين ، إنه من طال عمره فقد أحبته ، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه : فلو لم يكن في ميزانك لسكنت في ميزانه

لابن أبي بكر
 يعزى سليمان
 في ابنه

وكتب الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزبه في ابنه عبد الملك :

٢٠

وعرضت أجراً من فقيه ، فلا يكن . فقبلك لا بأنى وأجرُك يذهب

العبي قال : قال عبد الله بن الأهم : مات لي ابن وأنا بمكة ، فجذعت عليه جزءاً شديداً ؛ فدخل عليّ ابن جُريج يعزيني ، فقال لي : يا أبا محمد ، أسلُ صبراً واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسيانا كما تسلو البهائم .

لابن جريج يعزى
ابن الأهم

وهذا الكلام لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه يُعزى الأشعث بن قيس في ابن له ، ومنه أخذ ابن جريج ؛ وقد ذكره حبيب في شعره فقال :

وقال عليّ في التّعازي لِأشعث ه وخافَ عليه بعضَ تلكَ المآثمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً ه فَتُوجِرَ أُمُّ تَسْلُو سُلُوَ الْبِهَائِمِ

أتى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه لأشعث يعزیه عن ابنه ، فقال : إن تحزن فقد استحققت ذلك منك ألرحم ، وإن تصبر فإن في الله تحلفاً من كل هالك ، مع أنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزیعت جرى عليك القدر وأنت آثم .

علي والأشعث
في وفاة ابنه

وعزى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فبه يعمل من أحسب ، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبةٌ إلا ومعها أعظمُ منها ، من طاعة الله فيها أو معصيته بها .

لابن السماك
يعزى رجلاً

الأصمعي قال : عزى صالحُ المزني رجلاً بابنه ، فقال له : إن كانت مصيبتك لم تُحدث لك موعظةً ، فمصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك ؛ واعلم أن التهنئة على آجلِ الثواب أولى من التعزية على عاجلِ المصيبة .

لصالح المري
في مثله

العبي قال : عزى أبي رجلاً فقال : إنما يستوجب على الله وعده من صبر لحقه ، فلا تجمع إلى ما فجعت به الفجیعة بالأجر ، فإنها أعظم المصيبين عليك ، ولكل اجتماع فرقة إلى دار الحلول .

لوالد العبي في مثله

عزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بُني له صغير ؛ فقال : عوضك الله منه ما عوضه الله منك .

لابن عباس يعزى
عمر في ابن له

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا عزى قوماً قال : عليكم بالصبر

لعلي في الزوا.

فإن به يأخذ الخازم ، وإليه يرجع الجازع .

وكان الحسن يقول في المصيبة : الحمد لله الذي آجرنا على ما لو كلفنا غيره .
لحسن في المصيبة
لعجزنا عنه .

كتاب تعزية

٥ أما بعد : فإن أحق من تعزى ، وأولى من تأسى وسلّم لأمر الله ، وقيل
تأديبه في الصبر على نكبات الدنيا وتجرع غمص البلوى - من تنجز من الله
وعده ، وفهم عن كتابه أمره ، وأخلص له نفسه ، وأعترف له بما هو أهله ،
وفى كتاب الله سلوة من فقد كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه ، وأزى من كل
فقيد وإن عظمت اللوعة به : إذ يقول الله عز وجل : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
١٠ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وحيث يقول : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ والموت سبيل الماضين والغابرين ، ومورد الخلائق أجمعين ،
وفى أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة ، وأحسن الأسوة ، فهل أحدٌ منهم
إلا وقد أخذ من فجاج الدنيا بأجزل الإعطاء ، ومن الصبر عليها بأحساب الأجر
١٥ فيها بأوفر الأنصاء .

فُجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم ، وكان ذخر الإيمان ، وقرّة
عين الإسلام ، وعقب الطهارة ، وسليل الوحي ، وتبج الرحمة ، وحضن الملائكة ،
وبقية آل إبراهيم واسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى عامة الأنبياء والمرسلين
فعمت الثقلين مصيبته ، وخصت الملائكة رزيته . ورضى صلى الله عليه وسلم من
٢٠ فراقه بثواب الله بدلا ، ومن فقدانه بموعوده عوضاً ؛ فشكر قضاءه واتبع
رضاه ؛ فقال : « يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسخطُ الرب ، وإنا بك
يا إبراهيم لمحزونون ١ »

وإذا تأمل ذو النظر ما هو مشغٍ عليه من غير الدنيا ، وانتصح نفسه

وفكره في غيرها ينتقل الأحوال ، وتقارب الآجال ، وانقطاع يسير هذه المدة .
ذلت الدنيا عنده ، وهانت المصائب عليه ، وتسهلت الفجائع لديه ، فأخذ للأمر
أهبة ، واستعد للموت عدته ؛ ومن صحب الدنيا بحسن الروية ، ولاحظها بعين
الحقيقة ، كان على بصيرة من وشك زوالها .

- ٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : **أَذْكُرُوا الْمَوْتَ فَإِنَّهُ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُنْعَصُ الشَّهَوَاتِ** . وليس شيء مما أقتصت إلا وقد جعلك الله مقدماً في العلم به ؛
ولعمري إن الخطب فيما أصبت به لعظيم ، غير أن معوضه من الأجر والثوبة
عليه بحسن الصبر ، يهزنان الرزية وإن ثقلت ، ويسهلان الخطب وإن عظم ؛
فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين ، وقربة^(١)
١٠ الشاكرين ، وجعلك من المرصين قولاً وفعلًا ، الذين أعطاهم الحسنى ، ووقفهم
للصبر والتقوى .

محمد بن الفضل عن أبي حازم قال : مات عتبة بن عياض بن غنم الفهري ،
فعرى رجل أباه فقال : لا تجزع عليه فقد قتل شهيداً ، فقال : وكيف أجزع على
من كان في حياته زينة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

وعزاء عتبة بابه

- ١٥ ابن الغار قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل ، قال : سمعت الأصمعي يقول :
دخلت على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزعاً على أخيه محمد بن سليمان ،
فأنشدته بيتين ، فما برحت حتى دعا بالمائدة ، فقلت للأصمعي : ما هما ؟ فسكت ،
فسأله ؛ فقال : أتدرى ما قال الأحوص ؟ قلت : لا أدري . قال : قال الأحوص :

عزاء الأصمعي
لجعفر بن سليمان
في أخيه

قَدْ زَادَهُ كَلْفًا بِالْحُبِّ إِذْ مَنَعَتْ . أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

- ٢٠ قال أبو موسى : والآيات لأراكة الثقي يرثي بها عمرو بن أراكة ويُعرى
نفسه ، حيث يقول :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ مَاضِي * بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الْجِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ

(١) في بعض الاصول : « ومزيد الشاكرين » .

لَتَسْتَنْفِدُنْ ماءَ الشُّونِ بِأَسْرِهِ * وَإِنْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ تَبِيجِ الْبَحْرِ
تَبِيْنٌ فَإِنْ كَانَ الْبِكَاءُ رَدًّا هَالِكًا * عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بِبُكَائِكَ عَلَى عَمْرٍو
فَلَا تَبِيْكَ مَيْتًا بَعْدَ مَوْتِ أَحِبَّةٍ * عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

أبو عمر بن يزيد قال : لما مات أخو مالك بن دينار ، بكى مالك ، وقال :
يا أخى ، لا تقر عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار ؛ ولا أعلم ذلك
حتى ألحق بك !

وقالت أعرابية ورأت ميتاً يدفن : جاني الله عن جنبه الثرى ، وأعانه
على طول البلى .

وعزى أعرابي رجلاً فقال : أوصيك بالرضا من الله بقضائه ، والتنجز لما
وعد به من ثوابه ؛ فإن الدنيا دار زوال ولا بد من لقاء الله .

وعزى أيضاً رجلاً فقال : إن من كان لك في الآخرة أجراً ، خير لك ممن
كان لك في الدنيا سروراً .

وجزع رجل على ابن له ، فشكا ذلك إلى الحسن ، فقال له : هل كان ابنك
يغيب عنك ؟ قال : نعم ؛ كان مغيبه عنى أكثر من حضوره . قال : فتركه غائباً ،
فإنه لم يغيب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة .

وعزى رجل نصراني مسلماً ، فقال له : إن مثلي لا يعزى مثلك ، ولكن انظر
ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه .

وكان على بن الحسين رضى الله عنه في مجلسه وعنده جماعة ؛ إذ سمع ناعية
في بيته ؛ فنهض إلى منزله فأسكتهم ، ثم رجع إلى مجلسه ، فقالوا له : أمن حدث
كانت الناعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت
نطيع الله فيما نحب ، ونحمده على ما نكره .

تعزية : التمس ما وعد الله من ثوابه بالتسليم لقضائه ، والانتهاؤ إلى أمره ؛
فإن ما فات غير مستدرك .

وعزى موسى المهدي إبراهيم بن سلم على ابن له مات ، فجزع عليه جزعاً

شديداً ، فقال له : أيسركَ وهر بليّة وفتنة ، وبحزنك وهر صلوات وبرحة .

سفيان الثوري ، عن سعيد بن جبير قال . ما أعطيت أمة عند المصيبة
لاين جبير
ما أعطيت هذه الأمة من قولها : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ . ولو أعطيتها
أحد لاعطيها يعقوب حيث يقول : ﴿ يا أسفا على يومئذ ! وابيضت عيناهُ من
الحزنِ فهو كظيم ﴾ .

وعزى رجلٌ رجلاً بابنٍ له فقال له : لو ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب
لرجل يعزى
رجلاً
ابنك وهو فرعك ؛ فما بقاء من ذهب أصله وفرعه .

تعازي الملوك

العنبي قال : عزى أكرمُ بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب على أخيه ،
لأكرم يعزى
ابن هند
فقال له : أيها الملك ، إن أهل هذه الدار سَفَرُوا لِيَجْلُونَ عَقَدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ،
وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام
معك من سيظعن عنك ويدعك ؛ واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة
وشاهد عدل ، فجعلك بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكمته . واليوم : غنيمة وصدق ،
أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته . وغد : لا تدري من
أهله ، وسيأتيك إن وجدك ؛ فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ؛ وقد
مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ واعلم أن أعظم
من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

لما هلك أمير المؤمنين المنصور ، قدمت وفود الأمصار على أمير المؤمنين
فيهاك المنصور
المهدي ، وقدم فيهم أبو العيناء المحدث ؛ فتقدم إلى التعزية فقال : آجر الله
أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له ؛ فلا
مصيبة أعظم من مصيبة إمام والد ، ولا عقبى أفضل من خلافة الله على أوليائه ؛
فأقبل من الله أفضل العطية ، واصر له على أعظم الرزية .

ولما مات معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد غائب ، صلى عليه الضحاک

ان قيس الفهري ، ثم قدم يزيد من يومه ذلك ؛ فلم يقدم أحد على تعزيتيه حتى
دخل عليه عبد الله بن همام السلولى ، فقال :

أصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ ۝ واشكُرَ حِباءَ الذى بالمُلْكِ حابِيا
لا رِزءَ أعظمُ فى الأقوامِ فدَعَلِوا ۝ نَمَّا رَزِمْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْبَا
أصبحتَ راعِيَّ أهلِ الأرضِ كُلِّهم ۝ فأنْتَ ترعاهُمُ وآلَهُ يرعاكَ
وفى مُعاويةِ الباقى لنا خَلْفٌ ۝ إذا نُعيتَ ولا نَسَمَعُ بِمُعاكَ
فافتح الخطباءُ الكلامَ .

عزى شبيب بن شبة المنصور على أخيه أبى العباس فقال : جعل الله ثوابَ
مارزمتَ به لك أجراً ، وأعقبك عليه صبراً ، وختم ذلك لك بعافية تامة ، ونعمة
عامة ؛ فثواب الله خيرٌ لك منه ، وما عند الله خيرٌ له منك ، وأحق ما صبر عليه
ماليس إلى تغييره سبيل .

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخلفاء يعزّيه : إن أحقَّ من عرف حقَّ الله
فيما أخذ منه ، من عرف نعمته فيما أبقي عليه . يا أمير المؤمنين ، إن الماضى
قبلك هو الباقى لك ، والباقي بعدك هو المأجور فيك ، وإن النعمة على الصابرين
فيما ابتلوا به أعظم منها عليهم فيما يُعافون منه

ودخل عبدُ الملك بن صالح دارَ الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين
قد أصيب الليلة بآفةٍ له ووُلِدَ له آخرٌ ! فلما دخل عليه قال سرك الله يا أمير المؤمنين
فيما ساءك . ولا ساءك فيما سرك ، وجعل هذه هذه ، مشوبةً على الصبر ، وجزاءً
على الشكر .

ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزّيها بابنها الفضل بن سهل فقال :
يا أُمَّة ، إنك لم تفقدى إلا رؤيته ، وأنا ولدك مكانه ! فقالت : يا أمير المؤمنين ،
إن رجلاً أفادنى ولداً مثلك لجديرٌ أن أجزع عليه .

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إن عبد الملك
كان عبداً من عبيد الله ، أحسن الله إليه وإلى فيه : أعاشه ماشاء وقبضه حين شاء
بعد موت ولده

وكان - ماعلت - من صالحى شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحريراً للخير ، وأعوذ بالله أن يكون لى حجة أخالف فيها حجة الله ، فإن ذلك لا يحسن فى إحسانه لى ، وتتابع نعمه على ، ولأعلن ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ؛ قد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه .

- ٥ دخل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك وقد توفى ابنه أيوب فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يقول : من أحب البقاء - ولا بقاء - فليوطن نفسه على المصائب .

عزاه زياد
لسليمان بن
عبد الملك فى ابنه

لما مات معاوية دخل عطاء بن أبى صينى على يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين أصبحت وزمت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ؛ فاحتسب على الله أعظم الرزية وأشكره على أحسن العطية .

لعطاء يعزى
يزيد فى معاوية

- ١٠ عزى محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، أعيد لما ترى عذة تكن لك جنة من الحزن ويسترا من النار ا فقال عمر : هل رأيت حزنا يُحتج به ، أو غفلة يذنبه (١) عليها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو أن رجلا ترك تعزية رجل لعله وانتباهه لكنته ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

لابن الوليد يعزى
عمر بن عبد العزيز
فى ابنه

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزاه ، فلم يرد عليه شيئاً ؛ ثم دنا إليه آخر فعزاه فلم يرد عليه شيئاً ، فلما رأى الناس ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه ؛ فلما بلغ الباب أقبل على الناس بوجهه وقال : أدركت الناس وهم لا يعزون بامرأة إلا أن تكون أمًا ، انقلبوا رحيم الله .

عمر بن عبد العزيز
فى وفاة أخته

- ٢٠ وُجد فى حائط من حيطان تبغ مكتوباً :

أَصْبِرْ لِدَهْرِ نَالٍ مِنْهُ . كَ فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
فَسَرِّحْ وَحُزْنَ مَرَّةً . لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا الشُّرُورُ

لبعض الشعراء
فى التعزية

(١) فى بعض الأصول : • يؤنب • •

وهذا نظير قول العتاني :

وقائلة لما رأته مُسَهَّداً ۞ كأن الحشا منى تلذعه الجمرُ
أباطنُ داءٍ أم جوى بك قاتلٌ ۞ فقلتُ الذي بي ما يقومُ له صبرُ
تفرقُ آلافٌ وموتٌ أحبُّ ۞ وفقد ذوى الأفضالِ قالت كذا الدهرُ

لابن طاهر يعزى
التوكل في ابنة

٥ كُتِبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ يَعِزُّهُ بِابْنِ لَهُ :

إِنِّي أَعَزِّبُكَ لِأَنِّي عَلَى ثِقَةٍ ۞ مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ
لَيْسَ الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ ۞ وَلَا الْمُعَزَّى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينِ

لأبي عبيدة

وقال أبو عبيدة :

فإن أشك من ليلى بجرجان طوله ۞ فقد كنت أشكو منه بالبصرة القصرُ
وقائلة ماذا نأى بك عنهم ۞ فقلت لها : لا علم لي فسلي القدرُ

١٠

الحكيم يعزى
لسليمان بن عبد
الملك في ابنة

وقال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أصيب بابنه أيوب : يا أمير المؤمنين
إن مثلك لا يوعظ إلا بدون علمه ؛ فإن رأيت أن تقدم ما أخرت العجزة فترضى
ربك وتريح بدنك من حسن العزاء والصبر على المصيبة ، فأفضل .

للحسن يعزى عمر
ابن عبد العزيز

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزّيه في ابنة عبد الملك بيت شعر : وهو :

وعوّضت أجراً من فقيد فلم يكن ۞ فقيدك لا يأتي وأجرك يذهبُ

١٥

للاسكندر يعزى
أمه عن فقده

ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه أن أصنع طعماً يحضره الناس
ثم تقدم إليهم أن لا يأكل منه محزون . ففعلت : فلم يبسط أحد إليه يده :
فقالت : ما لكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ،
وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب ، فقالت : مات والله ابني أو ما أوصى
إليّ بهذا إلا ليعزيني به !

٢٠

لسهل بن هارون
في التعزية

وكان سهل بن هارون يقول في تعزيتيه : إن أجر التهنة بأجل الثواب أو جب

من التعزية على عاجل المصيبة .

كِتَابُ الْيَسِيْمَةِ

فِي النَّسَبِ وَفَضَائِلِ الْعَرَبِ

قال أحد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النوادب والمرأى ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النسب الذي هو سبب التعارف ، وسُلم إلى التواصل ؛ به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القرية . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، ومن لم يعرف الناس لم يُعَدَّ من الناس .

وفي الحديث : تعلموا من النسب ما تعرفون به أحسابكم وتصلون به أرحامكم .

وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كنييط السواد : إذا سئل أحدكم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا .

أصل النسب

قال معاوية . صالح ، عن يحيى بن سعيد بن المسيب ، قال : ولد نوح ثلاثة أولاد : سام وحام ويافث ؛ فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والنبط ، وولد يافث الترك والصقالبة وبأجوج ومأجوج .

أصل فريش

كانت فريش تدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين في بني كنانة ، فجمعهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن الك ، من كل أوب إلى البيت ؛ فسُموا فريشا . والنقريش : التجميع . وسُمي عي بن كلاب

بُجَمَّعَا ، فقال فيه الشاعر :

قَصَى أبوكم مَن يُسَمَّى بُجَمَّعًا ۝ به جمع الله القبائلَ مِن فِهْرٍ

وقال حبيب :

غدوا في نواحي نَعَشِهِ وكأَنما ۝ قريشُ قريشُ يومَ ماتَ بجمَعُ

- ٥ يريد بجمع قصي بن كلاب ، وهو الذي بنى المشعر الحرام ، وكان يقوم^(١) عليه أيام الحج ؛ فسما الله مشعرا ، وأمره بالوقوف عنده . وإنما جمع قصي إلى مكة بنى فهر بن مالك ، فجُزِمُ قريش كلها فهُرُ بن مالك ؛ فما دونه قريش وما فوقه عرب مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر ؛ وأما قبائل قريش فإنها تنتهي إلى فهر بن مالك لا تتجاوزُه ، وكانت قريش تسمى آل الله ، وجيران الله ، وسكان الله .

لعبد المطلب في
قومه

وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نحنُ آل الله في ذِمَّتِهِ ۝ لم نزلْ فيها على عهدِ قَدَمِ
إنَّ للبيتِ لربًّا مانِعًا ۝ مَن يُرِذُ فيه يَأْتِمُ يُخْتَرَمُ
لم نزلْ لله فينا حُرْمَةً ۝ يَدْفَعُ اللهُ بها عَنَّا النَّقَمَ

- ١٥ وقال الحسن بن هاني في بعض بني شيبه بن عثمان الذين بأيديهم مفتاح الكعبة :
إذا أَشْتَعَبَ الناسَ البيوتَ فَأَتَمُّ ۝ أولو الله والبيتِ العتيقِ المحرَّمِ

لأن نواس في
مدح بني شيبه

نسب قريش

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : تسمية من انتهى إليه الشرف

من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام ، عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : هاشم ،

٢٠ وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدي ، وجمح ، وسهم .

بنو هاشم

فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب ، يسق الحجاج في الجاهلية ،

وبقي له ذلك في الإسلام .

(١) في بعض الأصول : « يسرج » .

- بنو أمية : ومن بني أمية : أبو سفيان بن حرب ، كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حيت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه .
- بنو نوفل : ومن بني نوفل : الحرث بن عامر ، وكانت إليه الرقادة ، وهي ما كانت تُخرجه من أموالها وترقد به مُنقطع الحاج .
- بنو عبد الدار : ومن بني عبد الدار : عثمان بن طلحة ، وكان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال والندوة أيضاً في بني عبد الدار .
- بنو أسد : ومن بني أسد : يزيد بن زَمعة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة : وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإن وافقه وآام عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعواناً ؛ واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف .
- بنو تميم : ومن بني تميم : أبو بكر الصديق ، وكانت إليه في الجاهلية الأشناق ، وهي الديات والمغرم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأهضوا حمالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه .
- بنو مخزوم : ومن بني مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والأعنة : فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ؛ وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب .
- بنو عدى : ومن بني عدى : عمر بن الخطاب ، وكانت إليه السفارة في الجاهلية : وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب ، بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به .
- بنو جمح : ومن بني جمح : صفوان بن أمية ، وكانت إليه الأيسار ، وهي الأزالام ؛ فكان لا يُسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي يتسرون على يديه .
- بنو سهم : ومن بني سهم : الحرث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموا لآلهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية، وهي: السقاية، والعمارة، والعقاب، مكارم قريش
والرفادة، والسدانة، والحجابة، والندوة، والاراء، والمشورة، والأشناق، والقبه،
والأعنة، والسفارة، والأيسار، والحكومة، والأموال المحجرة - إلى هؤلاء
العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت في أوليتهم، يتوارثون ذلك كإبراً
عن كابر: وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم؛ وكان كل شرف من شرف الجاهلية
أدرکه الإسلام فوصله، فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان
النفر في بني هاشم.

فأما السقاية فمعروفة، وأما العمارة فهو ألا يتكلم أحد في المسجد الحرام
يهجر ولا رفك ولا يرفع فيه صوته، وكان العباس ينههم عن ذلك.

وأما حلوان النفر، فإن العرب لم تكن تملكُ عليها في الجاهلية أحداً، فإن
كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة، فمن خرجت عليه القرعة أحضروه، صغيراً
كان أو كبيراً. فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو
صنير فأجلسوه على المجن.

أبو الطاهر أحمد بن كثير بن عبد الوهاب قال: حدثني أبو ذكوان عن أحمد
بن يزيد الأنطاكي أنه سمع المأمون يقول لأبي الطاهر الذي كان على البحرين: من
أى قريش أنت؟ قال: من بني أسامة بن لؤي، فقال المأمون: ما سمعنا لأسامة
ابن لؤي نسباً في بطوننا العشرة، لو عَلِمْنَا به على بُعده منا لكننا به بررة.

فضل بني هاشم وبني أمية

قيل لعلي بن أبي طالب: أخبرنا عنكم وعن بني أمية. فقال: بنو أمية أغدرُ
وأمكر وأفجر، ونحن أصبَح وأفصح وأسمح.

وسأل رجل الشَّعْبِيَّ عن بني هاشم وبني أمية، فقال: إن شئت أخبرتك ما قال
علي بن أبي طالب فيهم. قال: أخبرني. قال: أما بنو هاشم فأطعمها للطعام،
وأضربها للهِام؛ وأما بنو أمية فأبعدوا حِلماً وأطابها للأمر الذي لا يُنال فينالونه.

ولمساوية قيل للمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بني هاشم . قال : بنو هاشم أشرف واحداً ،
وتحسب أشرف عدداً ، فما كان إلا كلاً ولا ، حتى جلاؤا بواحدة بذت الأولين
والآخرين . يريد النبي صلى الله عليه وسلم . وبقوله : أشرف واحداً : عبد المطلب
ابن هاشم .

الرشيد وأموى الرياشي عن الأصمعي قال : تصدى رجل من بني أمية لهارون الرشيد فأنشده :
يا أمين الله إني قائلٌ * قولَ ذي فهمٍ وعِلْمٍ وأدبٍ
عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشمًا * ومهما بعدُ لِأثمٍ ولِأبٍ
فاحفظ الأرحامَ فينا إنما * عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطلب
لكم الفضلَ علينا ، ولنا * بكمُ الفضلَ على كلِّ العربِ
فأحسن جائزته ووصله .

١٠

سفيان الثوري يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خَلَقَ الخَلْقَ
فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وجعلهم أفرأقاً فجعلني في خير فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلني
في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت . فأنا خيركم بيتاً وخيركم نسبا .
وقال صلى الله عليه وسلم : كلُّ سببٍ ونسبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا
سببي ونسبي .

١٥

جماعة بني هاشم بن عبد مناف

وجماعة قريش

عبد المطلب بن هاشم ولده عشرة بنين ، منهم : عبد الله أبو محمد صلى الله
عليه وسلم ، وأبو طالب ، والزيد ، وأهم فاطمة بنت عمرو المخزومية . والعباس ،
وضرار ، أمهما نائلة النمرية . وحزرة ، والمقوم ، أمهما هالة بنت وهيب .
وأبو لهب ، أمه لبي خزاعة . والحارث ، أمه صفية من بني عامر بن صعصعة .
والغيداق ، أمه خزاعية .

٢٠

جماعة بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

- وهو أمية الأكبر : حرب بن أمية ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ،
وعمر ، وأبو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العنابس ، والعاص ، وأبو العاص ،
والعيص ، وأبو العيص ؛ وهؤلاء يقال لهم الأعياص ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان ،
وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ومنهم سعيد بن العاص بن أمية ،
ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .

جماعة بني نوفل

- الحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومطعم بن نوفل ، ومنهم عدى بن الحيار
ابن نوفل ؛ ومنهم شافع بن ظرب بن عمرو بن نوفل ؛ وهو كاتب المصاحف
لعمر بن الخطاب ؛ ومسلم بن قرطة ، قتل يوم الجمل .

جماعة بني عبد الدار

- عثمان بن طلحة ، صاحب الحجابة ؛ وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة ؛ والحارث
ابن علقمة بن كعدة ، كان رهينة قريش عند أبي يكسوم ؛ والنضر بن الحرث بن
علقمة بن كعدة ، بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبواً ،
أمر علي بن أبي طالب فقتله يوم الأثيل .

جماعة بني أسد بن عبد العزى

- منهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وأمه صفية ابنة عبد المطلب ، ويزيد
ابن زمة بن الأسود صاحب المشورة ؛ وأبو البختری ، واسمه العاص بن هشام
ابن الحرث بن أسد ؛ وورقة بن نوفل بن أسد ، هو الذي أدرك الإيمان بعقله
وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى تيم بن مرة

منهم أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو بن عبد الله بن معمر ،
وعبد الله بن جدعان ، وعلي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، والمهاجر بن فهد بن
عمر بن جدعان ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير .

جماهير مخزوم بن مرة

- منهم المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ،
وعبد الرحمن بن الحرث ، وعمرو بن حُرَيْث ، وأبو جهل بن هشام بن
المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ،
وعبد الله بن المهاجر ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وإسماعيل بن هشام بن
المغيرة — ولى المغيرة المدينة وضرب سعيد بن المسيب — ومنهم سعيد بن المسيب
ابن أبي وهب الفقيه .

جماهير عدى بن كعب

- منهم : عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من
أصحاب حراء ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولى الكوفة
لعمر بن عبد العزيز ، وسراقة بن المعتصم ، والنحام بن عبد الله بن أسيد ،
والنعمان بن عدى بن النضلة ، استعمله عمر على ميسان ، وعبد الله بن مطيع ،
وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حذافة ، وكان قاضيا لعمر بن العاص
بمصر : فقتله الخارجي وهو يظنه عمرو بن العاص ، وقال فيه : أردت عمراً
وأراد الله خارجة !

جماهير جمع

منهم : صفوان بن أمية ، من الأثولة ثلوثهم ، وأمية بن خلف ، قتل يوم

بدر ؛ وأبى بن خلف ؛ ومحمد بن حاطب ؛ وجميل بن معمر بن حذافة ؛ وأبو عزة وهو عمرو بن عبد الله ؛ وأبو محذورة ، مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بني سهم

الحرث بن قيس ، صاحب حكومة قريش ؛ وعمرو بن العاص ؛ وقيس بن عدى ؛ وخنيس بن حذافة ، ومنبه ؛ ونيبه ، ابنا الحجاج ؛ ومنهم العاصم بن منبه ، قُتل مع أبيه ، قتله عليّ وأخذ سيفه ذا الفقار ، فصار إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير عامر بن لوى

منهم : سهيل بن عمرو ، من المؤلفة قلوبهم ؛ ومنهم ابن أبي ذئب الفقيه ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ؛ وحويطب بن عبد العزى ، من المؤلفة قلوبهم ؛ وعبد الله بن مخزومة ، بدرى ؛ ونوفل بن مساحق ؛ وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، الفقيه ؛ وعبد الله بن أبي سرح ، بدرى ؛ ومنهم ابن أم مكتوم ، مؤذن النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير بني محارب بن فهر بن مالك

منهم : الضحّاك بن قيس الفهري ، وحبيب بن مسلمة .

جماهير بني الحارث بن فهر بن مالك

منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، أمين هذه الأمة ؛ وسهيل ؛ وصفوان ، ابنا وهب ؛ وعياض بن غنم بن زهير ؛ وأبو جهم بن خالد ؛ وبنو الحرث . هؤلاء من المطيبين الذين تحالفوا وغمّسوا أيديهم في حفنة فيها طيب .

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش

بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك ، وهم قريش الظواهر لأنهم

نزّلوا حول مكة وما والاها^(١) .

فن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، من المهاجرين الأولين .

ومن بنى مُحارب بن فهر : الضحاك بن قيس الفهري ، صاحب مرج راهط .

- ٥ وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة ، وهم البطون العشرة التي ذكرناها قبل هذا الباب .

ومن بطون قريش

بنو زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي . منهم وهب بن عبد مناف بن زهرة ، أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عبد الرحمن بن

- ١٠ عوف ، خال النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم بنو حبيب بن عبد شمس ؛ ومنهم عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، صاحب العراق ؛ ومنهم بنو أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه علة ، فيقال لهم العبلات ؛ وبنو عبد العزى بن عبد شمس ، منهم أبو العاص بن الربيع ، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج ابنته التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : « وليكنّ أبا العاص لم يُدَمِّمْ صِهْرَهُ » ؛ ومنهم بنو المطلب بن عبد مناف ؛ ومنهم محمد بن ١٥ إدريس الشافعي .

ومن بنو نوفل بن عبد مناف : المطعم بن عدي .

ولعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف يقول أبو طالب :

فيا أخوتنا عبد شمس ونوفلاً هـ أعيدُ كما أن تبُعنا بيننا حرباً

- ٢٠ وولد أمية الأكبر : العاص ، وأبا العاص ، والعيص ، وأبا العيص ، فهؤلاء يقال لهم الأعياص ، وحرباً وأبا حرب ، وهذه البطون التي ذكرنا كلها من قريش ليست من البطون العشرة التي ذكرناها أولاً وذكرنا جماهيرها .

(١) في بعض الأصول : « نزّلوا حول مكة وليست لهم » .

فضل قريش

قال النبي عليه السلام : الأئمة من قريش . وقال : قدموا قريشا ولا تقدموها :
لنبي صلواته
عليه وسلم
ولما قُتل النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف ، قال : « لا يُقتل قرشي
صبراً بعد اليوم ، يريد أنه لا يكفر قرشي فيقتل صبراً بعد هذا اليوم .

٥ الأصمعي قال : قال معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السجاء :-
معاوية وأصحابه
يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن رئة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ،
وتيامنوا عن شذشنة تغلب ، ليست فيهم غنمة قضاة ، ولا طمطمانية حير .
قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين ، [قريش] . قال : صدقت ! فمن
أنت ؟ قال : من جرم . قال الأصمعي : جرم فصحاء العرب .

١٠ قدم محمد بن عمير بن عطاردي في نيف وسبعين راكباً ، فاستزارهم عمرو بن
عتبة ، قال : فسمعتة يقول : يا أبا سفيان ، ما بال العرب تطيل كلامها وأتم
تقصرونها معاشر قريش ؟ فقال عمرو بن عتبة : بالجندل يُرمَى الجندل ، وإن
كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ، ويُكتفى بأولاه ويُستثنى بأخراه ، يتحدر
تحدر الزلال على الكبد الحزى ، ولقد نقصوا وأطال غيرهم فما أخلوا (١) ،
١٥ ولله أقوام أدركتهم كأنما خلقتوا لتحسين ما قبحت الدنيا ، سهلت ألسنتهم كما
سهلت عليهم أنفاسهم ، فابتدلوها أموالهم ، وصانوا أعراضهم ، حتى ما يجد الطاعن
فيهم مطعنا ، ولا الملاح مزيدا ، ولقد كان آل أبي سفيان مع قلتهم كثيرا منه
نصيبتهم ، ولله در مولاهم حيث يقول :

وضع الدهرُ فيهم شفرتيه . فضى سائلا وأمسوا شعوبا

٢٠ شفرتان والله أفنتا أبدانهم ، وأبقنا أخبارهم ، فتركناهم حديثا حسنا في الدنيا ،
ثوابه في الآخرة أحسن ، وحديثا سيئا في الدنيا ، ثوابه في الآخرة أسوأ ،
فيامو عوذا بمن قبله موعوظاً به من بعده ، اربح نفسك إذا خسرها غيرك .

(١) في بعض الأصول : « ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد . »

قال : فظننت أنه إن أراد أن يعلمه أن قريشاً إذا شاءت أن تتكلم تكلمت .

العنبي قال : شهدتُ مجلس عمرو بن عتبة وفيه ناس من القرشيين ، قشأحوا في مواريت وتجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال : إن لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال ، وأفعالا تخضع لها رقاب الأقوال ، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكلّ عنها الشفار المشعوذة ؛ ولو احتفلت الدنيا ما تزينت إلا بهم ، ولو كانت لهم ضاقت عن سعة أخلاقهم ؛ وإن قوما منهم تخلقوا بأخلاق العوام فصار لهم رفق باللؤم ، وخرق في الحرص ولو أمكنهم لقاسموا الطير في أرزاقها ؛ إن خافوا مكروهاً تعجلوا له الفقر ؛ وإن عجّلت لهم النعم أخروا عنها الشكر ، أولئك أنضاء فكرة الفقر ، وبجزة حملة الشكر .

ابن عتبة
وقرشيون
تشأحوا

قال أبو العيناء الهاشمي : جرى بين محمد بن الفضل وبين قوم من أهل الأهواز . ١٠
كلام ، فلما أصبح رجع عنه ؛ فقالوا له : ألم تقل أمس كذا وكذا ؟ قال : تختلف الأحوال إذا اختلفت الأحوال .

محمد بن الفضل
وقوم

ودخل محمد بن الفضل على والي الأهواز فسمعه يقول : إذا كان الحق استوى عندى الهاشمي والنبطي . فقال محمد بن الفضل : لئن استوت حالتهما عندك فما ذلك بزائد النبطي زيتة ليست له ، ولا ناقص الهاشمي قدرأ هو له ، وإنما يلحق النقص المسوي بينهما !

بينه وبين والي
الأهواز

العنبي قال : قال عمرو بن عتبة : اختصم قوم من قريش عند معاوية فنعوا الحق ، فقال معاوية : يامعشر قريش ، ما بال قوم لا يتم يصلون بينهم ما انقطع ، وأنتم لعلات تقطعون بينكم ما وصل الله ، وتباعدون ما قرب ؟ بل كيف ترجون لغيركم وقد عجزتم عن أنفسكم ؟ تقولون كفانا الشرف من قبلنا ؛ فعندها لزمتمكم الحجة ؛ فاكفوه من بعدكم كما كفاكم من قبلكم ، أو تعلقون أنكم كنتم رقاعا في جنوب العرب ، وقد أخرجتم من حرم ربكم ، ومُنعمت ميراث أيكم وبلدكم ، وأخذ لكم ما أخذ منكم ؛ وسماكم باجتماعكم اسماً به أبانكم من جميع العرب ، وردّ به كيد العجم ، فقال جل ثناؤه : (لإيلاف قريش إيلافهم) فارغبوا

لابن عتبة ينصح
قرشيين

في الائتلاف أكرمكم الله به ، فقد حذرتمكم الفرقة نفسها ، وكفى بالتجربة واعظا .

مكان العرب من قريش

النبى صلى الله
عليه وسلم

يحيى بن عبد العزيز ، عن أبي الحجاج رياح بن ثابت ، عن بكر بن خنيس ،
عن أبي الأحوص ، عن أبي الحصين ، عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان ، والجؤجؤ لا ينض إلا بالجناحين .

لماوية

قال عمرو بن عتبة : ما استدز لعمى كلام قط فقطعه ، حتى يذكر العرب بفضل
أو يوصى فيهم بخير . ولقد أنشده مروان ذات يوم للنابغة حيث يقول :

فهم درعى التي استلأمتُ فيها • إلى يوم النّسار وهم مجنّى

فقال معاوية : ألا إن دروع هذا الحى من قريش إخوانهم من العرب ،
المتشابهة أرحامهم تشابك حلق الدرع ، التي إن ذهبت حلقه منه فرقت بين أربع ؛
ولا تزال السيوف تكره مذاقة لحوم قريش ما بقيت دروعها معها ، وشدت
نطقها عليها ، ولم تفك حلقها منها ؛ فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جزرا .

لابن عتبة في
معاوية

العتي عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال : عفت النساء أن يلدن مثل عمى ؛
شهدته يوما وقد قدمت عليه وفود العرب ، فقضى حوائجهم وأحسن جوائزهم ؛

فلبا دخلوا عليه ليشكروا سبقتهم إلى الشكر ، فقال لهم : جزاكم الله بامعشر العرب

عن قريش أفضل الجزاء ؛ بتقدمكم إياهم في الحرب ، وتقديمكم لهم في السلم ،

وحقنكم دماءهم بسفكها منكم ؛ أما والله لا يؤثر عليكم غيركم منهم إلا حازم

كريم ، ولا يرغب عنكم منهم إلا عاجز لثيم ؛ شجرة قامت على ساق ، فنفرع أصلا

واجتمع أصلها ، عضد الله من عضدها ، فبالها كلمة لو اجتمعت ، وأيدياً لو اتلفت

ولكن كيف يا صلاح ما يريد الله إفساده ؟

فضل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو الحجاج رياح بن ثابت ، قال : حدثنا بكر

ابن خنيس ، عن أبي الأحوص ، عن أبي الحصين ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألتكم الجرائح فاسألوا العرب ؛ فإنها تعطى لثلاث خصال : كرم أحسابها ، واستحياء بعضها من بعض ، والمواساة لله . ثم قال : « من أبغض العرب أبغضه الله .

لابن الكلبي

ابن الكلبي قال : كانت في العرب خاصة عشر خصال لم تكن في أمة من الأمم : خمس منها في الرأس ، وخمس في الجسد ؛ فأما التي في الرأس : فالفرق ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنثار ، وقص الشارب ؛ وأما التي في الجسد : فتقليم الأظفار ، ونف الإبط ، وحلق العانة ، والحتان ، والاستنجاء ؛ وكانت في العرب خاصة ، القيافة ؛ لم يكن في جميع الأمم أحد ينظر إلى رجلين أحدهما قصير والآخر طويل ، أو أحدهما أسود والآخر أبيض ، فيقول : هذا القصير ابن هذا الطويل ، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض ، إلا في العرب .

لابن المقفع

أبو العيناء الهاشمي عن القعذمي عن شبيب بن شيبه قال : كما وقوفاً بالمربد ، وكان المربد مآلف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع ، فبششنا به وبدأناه بالسلام ، فرد علينا السلام ، ثم قال : لو ملتم إلى دار نيزوز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ؛ فعودتم أبدانكم تهديد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ؛ فإن الذي تطلبونه لم تقفأوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تناهوه ؛ فقبلنا وملنا ؛ فلما استقر بنا المكان قال لنا : أي الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس . فقلنا : فارس . فقال : ليسوا بذلك ؛ إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، وليث فيهم عقد الأمر ؛ فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم بنفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طرفة . قلنا : الهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خلق الله . قلنا : الترك . قال : كلاب ضالة (١) . قلنا : الجزر . قال : بقر سائمة . قلنا : فقل . قال : العرب . قال : فضحكنا .

(١) في بعض الأصول : مختلصة .

قال : أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتني حظي من النسبة ، فلا يفوتني حظي من المعرفة ؛ إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ؛ أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ؛ يجود أحدهم بقوته ، ويفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ؛ أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ؛ فلم يزل حياؤه الله فيهم وحياتهم في أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فمن وضع حقه خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ؛ ودفع الحق باللسان أكبت للجنان .

ذو الرمة وعبد
أسود

ذكر الأصمعي عن ذي الرمة قال : رأيت عبداً أسوداً لبني أسدٍ قدم علينا من شق النيامة ، وكان وحشياً ؛ لطول تغربه في الإبل ، وربما كان لقي الأكرة فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رأني سكن إليّ ، ثم قال لي : يا غيلان ، لعن الله بلاداً ليس فيها عربيّ ، وقائل الله الشاعر حيث يقول :

حُرُّ الثَّرَى مُسْتَغْرَبُ التُّرَابِ

ومارأيت هذه العرب في جميع الناس إلا مقدار القرحة في جلد الفرس ؛ ولولا أن الله رق عليهم فجعلهم في حشاه ؛ لطمست هذه العجبان آثارهم ، والله ما أمر الله نبيه بقتلهم إلا لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم إلا لتركها لهم . الأكرة : جمع أكار ، وهم الجرّاث . وقوله : جعلهم في حشاه ، أي : استبطنهم . يقول الرجل للعربي إذا استبطنه : خبانك في حشاي وقال الراجز :

وصاحب كالنمل الممدّ جعلته في رقعته من جلدي

وقال آخر :

لقد كنت في قوم عليك أشجة هـ يجبّك إلا أن ما طاح طامح

يُودُونَ لَوْ خَاطَبُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ * وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفْسُ مِنَ الشَّعَائِحِ

علماء النسب

أبو بكر
وابن الميِّب

كان أبو بكر رضى الله عنه نساباً ، وكان سعيد بن المسيب نساباً ، وقال له رجل : أريد أن تعلمنى النسب ، قال : إنما تريد أن تساب الناس :

أبو بكر
وبعض القبائل

- ٥ عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر ، حتى رُفِعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلِمَ . قَالَ عَلِيٌّ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقَدِّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَابًا . فَقَالَ : مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : مِنْ رَيْبَةَ . قَالَ : وَأَيُّ رَيْبَةَ أَنْتُمْ ، أَمِنْ هَامَتِهَا [أَمْ مِنْ لِهَازِمِهَا] ؟ قَالُوا : مِنْ هَامَتِهَا الْعَظْمَى . قَالَ : وَأَيُّ هَامَتِهَا الْعَظْمَى أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : ذُهِلَ الْإِكْبَرُ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : ١٠ فَمَنْكُمْ عَوْفُ بْنُ مَحَلْمٍ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : لَا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَمَنْكُمْ جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةِ الْحَامِي الذَّمَارُ ، وَالْمَانِعُ الْجَارُ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَمَنْكُمْ أَخْوَالُ الْمَلُوكِ مِنْ كِنْدَةَ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَمَنْكُمْ أَصْهَارُ الْمَلُوكِ مِنْ لَحْمٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَلَسْتُمْ ذُهِلًا الْإِكْبَرُ ، أَنْتُمْ ذَهَلُ الْأَصْغَرِ . فَقَامَ إِلَيْهِ غَلَامٌ مِنْ شَيْبَانَ حِينَ بَقَلَ وَجْهَهُ ، يُقَالُ لَهُ دَغْغَلٌ ، فَقَالَ :

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ * وَالْعِبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تُحْمَلُهُ

- يا هذا ، إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكنمك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش ؟ قال : بخ بخ ! أهل الشرف والرياسة : فمن أى قريش أنت ؟ قال : من ولد تميم بن مرة . قال : أمكنت والله الراى من سواء الشجرة . ٢٠ أفنكم قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ الَّذِي جَمَعَ الْقَبَائِلَ فَسَمَّى مَجْمَعًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أفنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْتَنُونَ عَجَافٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فنكم شيبه الحد ، عبد المطلب ، مطعم طير السماء ، الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟

قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الغلام :

صَادَفَ دَرُّ السَّبِيلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ ۚ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصُدُّعُهُ

قال : فتبسم النبي عليه السلام : قال علي : فقلت له : وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على بائنة . قال : أجل : قال : مامن طامة إلا وفوقها أخرى ، والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذو شجون .

دغفل وقوم من الأنصار

قال ابن الأعرابي : بلغني أن جماعة من الأنصار وقفوا على دغفل النسابة بعد ما كف ، فسلخوا عليه ، فقال : من القوم ؟ قالوا : سادة اليمن . فقال : من أهل مجدها القديم ، وشرفها العميم ، كندة ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم الطوال قسبا المدحسون نسبا ، بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم أقودها للزحوف ، وأخرقتها للصفوف ، وأضرُّها بالسيوف ، رهط عمرو بن معديكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم أحضرها قراء ، وأطيبها فناء ، وأشدّها لقاء رهط حاتم بن عبد الله [الطائي] ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم الغارسون للنخل ، والمطعمون في المحل ، والقائلون بالعدل ، الأنصار ؟ قالوا : نعم .

ابن شيبان وقوم من العرب

مسئلة بن شبيب ، عن المنقري ، قال : ذكروا أن يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس قال : خرجتُ حاجًّا ، حتى إذا كنت بالمحصب من منى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب ، مع كل رجل منهم محجن ، ينحون الناس عنه ويوسعون له ؛ فلما رأيتُه دنوتُ منه ؛ فقلت : بمن الرجل ؟ قال : رجل من مهرة ، بمن يسكن الشحر . قال : فكرهته ووليت عنه ، فناداني من ورائي : مالك ؟ فقلت . لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك . قال : إن كنت من كرام العرب فسأعرفك . قال : فكررت عليه راحلتي ، فقلت : إني من كرام العرب . قال : فمن أنت ؟ قلت : من مضر . قال : فمن الفرسان أنت أم من الأرحاء ؟ فعليت أنه أراد بالفرسان قيسا ، وبالأرحاء خندقا ؛ فقلت : بل من الأرحاء . قال : أنت امرؤ من خندف ؟ قلت : نعم . قال : من الأرنبة

- أنت أم من الجاجم ؟ فعلت أنه أراد بالأرنية خزيمه ، وبالجمجمة بني أد بن طابحة ؛
قلت : بل من الجمجمة . قال : فأنت امرؤ من بني أد بن طابحة ؟ قلت : أجل ؛
قال : فمن الدواني أنت أم من الصميم ؟ قال : فعلت أنه أراد بالدواني الرباب
ومزينة ، وبالصميم بني تميم ؛ قلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من بني تميم .
٥ قلت : أجل . قال : فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين ، أو من إخوانهم
الآخرين ؟ فعلت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد مناة ، وبالأقلين ولد الحارث ،
وإخوانهم الآخرين بني عمرو بن تميم ؛ قلت : من الأكثرين ، قال : فأنت إذاً
من ولد زيد ، قلت : أجل ؛ قال : فمن البحور أنت أم من الجُدود أم من الثماد ؟
فعلت أنه أراد بالبحور بني سعد ، وبالجدود بني مالك بن حنظلة ، وبالثماد
بني امرئ القيس بن زيد ؛ قلت : بل من الذرى . قال : فأنت من مالك بن حنظلة .
١٠ قلت : أجل . قال : فمن اللهاب أنت أم من الشعاب أم من اللصاب ؟ فعلت
أنه أراد باللهاب مجاشعا ، وبالشعاب نهشلا ، وباللصاب بني عبد الله بن دارم ؛
فقلت له : من اللصاب . قال : فأنت من بني عبد الله بن دارم ؟ قلت : أجل .
قال : فمن البيوت أنت أم من الزوافر ؟ فعلت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة ،
وبالزوافر الأحلاف ؛ قلت : من البيوت . قال : فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة
١٥ ابن زرارة بن عدس ، وقد كان لأبيك امرأتان ، فأيهما أمك ؟

قول دغفل في قبائل العرب

- دغفل وزباد
المهيم بن عدى عن عوانة قال : سأل زياد دغفلا عن العرب ، فقال :
الجاهلية ليمن ، والإسلام لمضر ، والفينة بينهما لريعة . قال : أخبرني عن مضر ؛
٢٠ قال : فاخِرُ بكنانة ، وكأثر بتميم ، وحارب بقيس ؛ ففيها الفرسان والأنجاد ؛
وأما أسد ففيها دل وكبر .
دغفل ومعاوية
وسأل معاوية بن أبي سفيان دغفلا فقال له : ما تقول في بني عامر بن صعصعة ؟
قال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء ؛ قال : فما تقول في بني أسد ؟ قال : عاقه قاقه ،
فصحاء كاقه . قال : فما تقول في بني تميم ؟ قال : حجر أخشن ، إن صادفته آذاك ،

وإن تركته أعفاك . قال : فما تقول في خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ! قال :
فما تقول في اليمن ؟ قال : شدة وإباء .

قال نصر بن سيار :

إنا وهذا الحيّ من يمن لنا ، عند الفخار أعزّة أكفاء
قوم لهم فينا دماء جنة ، ولنا لديهم أجنة ودماء
وربيعة الأذئاب فيما بيننا ، لا لهم لنا سلم ولا أعداء
إن ينصرونا لا نعز بنصرهم ، أو يتخذونا فالسما سماء

مفاخرة يمن ومضر

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك - وهما عند هشام بن
عبد الملك - فقال له خالد : قل . فقال الأبرش : لنا ربع البيت - يريد الركن
اليمني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة .
قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا
الخليفة المؤمل .

قال الأبرش : لا فاخرت مضر يا بعدك !

ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ، فقضروا عنده بقديهم
وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال
أمير المؤمنين [وأهله] ؛ قال : لا بد أن تقول . قال : وما [عنى أن] أقول لقوم
يا أمير المؤمنين هم بين حائك برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ؛ دل عليهم هدهد ،
وملكهم امرأة ، وغرقهم فارة ؛ فلم يثبت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج

الحشني يرفعه إلى أنس ، قال : تفاخرت الأوس والخزرج ؛ فقالت الأوس :
منا غسيل الملائكة حنظلة الراهب ، ومنا عاصم بن ثابت بن الأفلح الذي حمت .

لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين حزيمة بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد ابن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب سيد القراء ؛ ومنا الذي أيده الله بروح القدس في شعره ، حسان ابن ثابت .

البيوتات

- قال أبو عبيدة في كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مروان في سمرة علماء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فانفقوا على خمسة آيات : بيت بني معاوية الأكرمين في كندة ، وبيت بني جشم بن بكر في تغلب ، وبيت ابن ذى الجدين في بكر ، وبيت زُرارة بن عدس في تميم ، وبيت بني بدر في قيس - وفيهم الأحرز بن مجاهد التغلبي ، وكان أعلم القوم ، فجعل لا يخوض معهم فيما يخوضون فيه ؛ فقال له عبد الملك : مالك يا أحرز ساكتا منذ الليلة ؟ فوالله ما أنت بدون القوم علما . قال : وما أقول ؟ سبق أهل الفضل في فضلهم أهل النقص في نقصانهم ، والله لو أن للناس كلهم فرسا سابقاً لكانت غرته بنو شيبان فقيم الإكثار . وقد قال المسيب بن علس :

علماء النذب في
حضرة عبد الملك

تبيت الملوك على عتبتها . وشيخان إن عتبت نعبت
فكالتشهد بالراج أخلاقهم . وأحلامهم منها أعذب
وكالمسك ترب تقاماتهم . وترب قبورهم أطيب

بيوتات مضر وفضائلها

- قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن مضر . فقال : كنانة جُجِمَتْها وفيها العينان ، وأسدُّ لسانها ، وتميم كاهلها . وقالوا : بيت تميم ، بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة ، وبيت قيس ، فزاره ومركزه بنو بدر ؛ وبيت بكر بن وائل شيبان ، ومركزه بنت بنو ذى الجدين .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

لبعضهم

وقال معاوية للكلي حين سأله عن أخبار العرب . قال : أخبرني عن أعز العرب
فقال : رجل رأيت يباب قبه فقسم النوى بين الحليفين أسد وغطفان معا . قال :
ومن هو ؟ قال : حصن بن حذيفة بن بدر . قال : فأخبرني عن أشرف بيت في
العرب . قال : والله إني لأعرفه وإني لأبغضه ! قال : ومن هو ؟ قال بيت زرارة
ابن عدس . قال : فأخبرني عن أفصح العرب . قال : بنو أسد .

والمجتمع عليه عند أهل النسب . وفيما ذكره أبو عبيدة في التاج ، أن أشرف
بيت في مضر غير مدافع في الجاهلية ، بيت بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن
زيد مناة بن تميم .

وقال النعمان بن المنذر ذات يوم ، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل ،
ودعا ببردئى محرق . فقال : لِيَلْبَسْ هذين البردين أكرمُ العرب وأشرفهم حسبا
وأعزهم قبيلة . فأحجم الناس ؛ فقام الأحمير بن خلف بن بهدلة بن عوف بن
كعب بن سعد بن زيد مناة ، فقال : أنا لهما ! فأترز بأحدهما وارتندي بالآخر ؛
فقال له المنذر : ما حجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار كلها في مضر .
ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة . قال : هذا أنت في أصلك ؛
فكيف أنت في عشيرتك ؟ قال : أنا أبو عشرة ، وعم عشرة ، وأخو عشرة ،
وخال عشرة ! قال : فهذا أنت في عشيرتك ؛ فكيف أنت في نفسك ؟ فقال :
شاهدُ العين شاهدي . ثم قام فوضع قدمه في الأرض . وقال : من أزالها فله من
الإبل مائة ! فلم يقم إليه أحد ولا تعاطى ذلك . فبه يقول الفرزدق :

فما تم في سعدٍ ولا آلِ مالكٍ . غلامٌ إذا ماسيل لم يتهدلِ

لهم وهبَ النعمانُ بردئى مُحرقٍ . بمجدٍ معدٍ العديد المحصل

ومن بيت بهدلة بن عوف كان الزبرقان بن بدر ، وكان يسمى سعد بن
زيد مناة بن تميم أسعد الأكرمين . وفيهم كانت الإفاضة في الجاهلية في عطارذ بن
عوف بن كعب بن سعد ، ثم في آل كرب بن صفوان بن عطارذ . وكان
إذا اجتمع الناس أيام الحج بمتى لم يبرح أحد حتى يجوز آل صفوان ومن

ورث ذلك عنهم ، ثم يمر الناس أرسالا . وفي ذلك يقول أوس بن مغراء
السعدي :

ولا يريمون في التعريف موقفهم * حتى يُقال أجزوا آل صفوانا
ما تطلع الشمس إلا عند أولنا * ولا تغيب إلا عند آخرانا

قال الفرزدق :

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا * وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

بيوتات اليمن وفضائلها

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأجد نفسَ ربكم من قبيل اليمن »

لأنني صلى الله
عليه وسلم

معناه والله أعلم : أن الله ينفس عن المسلمين بأهل اليمن ؛ يريد الأنصار .

ولذلك تقول العرب : نفسني فلان في حاجتي ، إذا رَوَّح بعض ما كان يُعْمه من
أمر حاجته .

وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة

لابن عباس

ركنُها ومن الشرف صميمها .

وقال عمر بن الخطاب : من أجود العرب ؟ قالوا : حاتم طي ، قال :

وامر بن الخطاب

فن فارسها ؟ قالوا : عمرو بن معديكرب . قال : فن شاعرُها ؟ قالوا :

امرؤ القيس بن حجر . قال : فأى سيفها أقطع ؟ قالوا : الصمصامة . قال : كنى

بهذا غمراً لليمن .

وقال أبو عبيدة : ملوك العرب حير ، ومقاولها غسان ولحم ، وعددها

لأبي عبيدة

وقرسانها الأزدي ، ولسانها مذحج ، وريحانها كندة ، وقربشها الأنصار .

وقال ابن الكلبي : حير ملوك وأرادف الملوك ، والأزد أسد ، ومذحج الطعان

لابن الكلبي

وهمدان أحلاس الخيل ، وغسان أرباب الملوك .

ومن الأزدي الأنصار ، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ،

وهم أعز الناس أنفسا ، وأشرفهم همما ؛ لم يودوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك .

وكتب إليهم أبو كرب تُبِعَ الآخِرِ يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا
أَنْ يَغْزَوْهُمْ ؛ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ :

الْعَبْدُ تَبِعَكُمْ يُرِيدُ قِتَالَنَا ، وَمَكَانُهُ بِالْمَنْزِلِ الْمُنْتَدَلِّي
إِنَّا أَنَاسٌ لَا نَنَامُ بِأَرْضِنَا * عَضَّ الرَّسُولُ يَنْظُرُ أُمَّ الْمُرْسَلِ

٥ قال : فغزاهم أبو كرب ، فكانوا يحاربونه بالنهار ، ويُقرونه بالليل ، فقال
أبو كرب : ما رأيتُ قوماً أكرمَ من هؤلاء ؛ يحاربوننا بالنهار ، ويُخرجون لنا
العشاء بالليل ! ارتحلوا عنهم . فارتحلوا .

للنبي صوابه
عليه وسلم

ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ سَيِّئِ مَا هُوَ : أَيْ بَلْدٌ أَمْ رَجُلٌ أَمْ امْرَأَةٌ ؟ فَقَالَ : بَلْ
رَجُلٌ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةٌ ، فَسَكَنَ الْبَيْنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ ، وَالشَّامُ أَرْبَعَةٌ . أَمَا الْيَمَانِيُّونَ ،
١٠ فَكَنْدَةُ وَمَذْحِجٌ وَالْأَزْدُ وَأَنْصَارٌ وَحَمِيرٌ وَالْأَشْعَرِيُّونَ . وَأَمَا الشَّامِيُّونَ فَلنَحْمٌ وَجَذَامٌ
وَعَسَانٌ وَعَامِلَةٌ .

ابن لهيعة قال : كَانَ أَبُو هَرِيرَةَ إِذَا جَاءَ الرَّسُولُ سَأَلَهُ مَنْ هُوَ ؟ فَإِذَا قَالَ
مَنْ جَذَامٌ ، قَالَ : مَرْجَبًا بِأَصْهَارِ مُوسَى وَقَوْمِ شَعِيبٍ .

١٥ ابن لهيعة عن بكر بن سواده ، قَالَ : أَتَى رَجُلٌ مِنْ مَهْرَةَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ، قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَهْرَةَ . قَالَ : ﴿ وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ .

وقال ابن لهيعة : قَبْرُ هُودٍ فِي مَهْرَةَ .

تفسير القبائل والعمائر والشعوب

٢٠ قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : الشَّعْبُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَبِيلَةِ ، ثُمَّ الْعِمَارَةُ ، ثُمَّ الْبَطْنُ ، ثُمَّ الْفَخْدُ
ثُمَّ الْعَشِيرَةُ ، ثُمَّ الْفَصِيلَةُ .

وقال غيره : الشُّعُوبُ الْعِجْمُ ، وَالْقَبَائِلُ الْعَرَبُ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْقَبِيلَةِ
قَبِيلَةٌ ، لِتَقَابُلِهَا وَتَنَاطُرِهَا ، وَأَنْ بَعْضُهَا يَكْفِي بَعْضًا ، وَقِيلَ لِلشَّعْبِ شَعْبٌ لِأَنَّهُ

انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة ؛ وقيل لها عمائر ، من الاعتبار والاجتماع ، وقيل لها بطون ، لأنها دون القبائل ، وقيل لها أغخاذ ، لأنها دون البطون ، ثم العشيرة ؛ وهي رهط الرجل ، ثم الفصيلة وهي أهل بيت الرجل خاصة . قال الله تعالى : ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

تفسير الأرحاء والجماجم

لأبي عبيدة

وقال أبو عبيدة في التاج : كانت أرحاء العرب سنا ، وجاجها ثمانية ، فالأرحاء الست ، بمضر منها اثنتان ، ولريعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، واللنان في مضر : تيم بن مرة ، وأسد بن خزيمه ، واللنان في اليمن : كلب بن وبرة ، وطئ بن أدد . وإنما سُميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دُوراً ومياها لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ، ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب ، وذلك قليل منهم .

وقيل للجماجم جماجم ، لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها ، فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكثف باسمه معروف بموضعه .

١٥

والجماجم ثمان : فاثنتان منها في اليمن ، واثنتان في ربيعة ، وأربع في مضر فالأربع التي في مضر : اثنتان في قيس ، واثنتان في خندف ، ففي قيس : غطفان وهو ازن ، وفي خندف : كنانة وتيم ، والتي في ربيعة : بكر بن وائل وعبد القيس ابن أفضى ، والتي في اليمن : مذحج - وهو مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ - وقضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ .

٢٠

ألا ترى أن بكرا وتغلب ابني وائل قبيلتان متكافئتان في العدد والعدد ؟ فلم يكن في تغلب رجالٌ شہرت أسماءهم حتى انتسب إليهم واجتزئ بهم عن تغلب ، فإذا سألت الرجل من بني تغلب لم يجتزئ حتى يقول تغلبي . ولبكر

رجال قد اشتهرت أسماءهم حتى كانت مثل بكر ، فمنها شيبان وعجل ويشكر وقيس
وحنيفة وذهل .

ومثل ذلك عبد القيس ، ألا ترى أن عنزة فوقها في النسب ليس بينها وبين
ربيعة إلا أب واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة ، فلا يجتزئ الرجل منهم إذا سئل
• أن يقول : عنزي ؟

والرجل من عبد القيس ينسب شيبانيا وجرميا وبكريا .

ومثل ذلك أن ضبة بن أدم تميم لا يجتزئ الرجل منهم أن يقول : ضبي .
والتميمي قد ينسب فيقول : منقري ، وهجيمي ، وطهوي ، وربوعى
ودارمي ، وكلي .

١٠ وكذلك الكنانى ينسب فيقول : لبثي ، ودؤلي ، وضرمي ، وفراسي ، وكل
ذلك مشهور معروف .

وكذلك الغطفاني ينسب فيقول : عدي ، وذياني ، وفزاري ، ومري ،
وأشجعي ، وبغيضي .

وكذلك هوازن منها : ثقيف ، والأعجاز ، وعامر بن صعصعة ، وقشير ،
١٥ وعقيل ، وجعدة .

وكذلك القبائل من يمن التي ذكرنا .

فهذا فرق ما بين الجاهم وغيرها من القبائل ، والمعنى الذي به سميت جماجم .
وجرات العرب أربعة ، وهم : بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن
كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عدي بن بغيض ، وإنما قيل لها الجرات لاجتماعهم ،
٢٠ والجرة : الجماعة ، والتجمير : التجميع .

أسماء ولد نزار

قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخثني : لما احتضر نزار بن معد بن
سفيح وعميد
مبرات نزار
عدنان ، ترك أربعة بنين : مضر وربيعة ، وأمار ، وإباد ، وأوصى أن يقسم .

ميراثهم بينهم سطيح الكاهن ؛ فلما مات نزار ، صفهم سطيح بين يديه ، ثم أعطاهم على الفراسة ؛ فأعطى ربيعة الخيل ، ويقال له ربيعة الفرس . وأعطى مضر الناقة الحمراء ، فيقال له مضر الحمراء . وأعطى أنماراً الحمار . وأعطى إباداً أثاث البيت . قال : فقيل لسطيح : من أين علمت هذا العلم ؟ قال : سمعته من أخي حين سمعته من موسى يوم طور سيناء .

الأصمعي قال : أخبرني شيخ من تغلب ، قال أردقني أبي ، فلما أحمر رفع عقيرته فقال :
شعر لبيعة ابن نزار

- رَأَتْ سِدْرَةَ مِنْ سِدْرِ حَوْمَلٍ فَابْتَلَتْ . بِهِ يَتَّهَانُ أَنْ لَا تُعَاذِرَ رَامِيَا
إِذَا هِيَ قَامَتْ فِيهِ قَامَتْ ظِلِيلَةً . وَأُذْرَكُ رَوْقَاهَا الْغُصُونِ الدَّوَانِيَا
تَطَّلَعُ مِنْهُ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى . تَطَّلَعُ ذَاتِ الْخِذْرِ تَدْعُو الْجَوَارِيَا
ثم قال : أتدرى من قائل هذه الآيات يابني ؟ قلت : لا أدري . قال : قالها ربيعة بن نزار . فقلت : وما يصف ؟ قال : البقرة الوحشية .

أنساب مضر

- وَلَدَ مُضَرَ بْنَ نَزَارٍ : الْيَأْسُ ، وَالنَّاسُ ، وَهُوَ عَيْلَانُ . أُمُّهُمَا الرَّبَابُ بِنْتُ حَيْدَةَ بْنِ مَعَدٍ ، فَوَلَدَ النَّاسُ - الَّذِي هُوَ عَيْلَانُ بْنُ مُضَرَ - قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ .
وَوَلَدَ الْيَأْسُ بْنُ مُضَرَ : عَمْرًا . وَهُوَ مَدْرَكَةُ ، وَعَامِرًا ، وَهُوَ طَابِجَةُ . وَعَمِيرًا ، وَهُوَ الْقَمْعَةُ ، وَيُقَالُ إِنَّ الْقَمْعَةَ هُوَ أَبُو خَزَاعَةَ .
وَأُمُّهُمْ خَنْدَفُ ، وَهِيَ لَيْلَى بِنْتُ حُلْوَانَ بْنِ عَمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ ؛
لِجَمِيعِ وَلَدِ الْيَأْسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ مِنْ خَنْدَفٍ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُمْ خَنْدَفُ لِأَنَّهَا
أُمُّهُمْ وَإِلَيْهَا يُنْسَبُونَ ، لِجَمِيعِ وَلَدِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ ؛ قَيْسُ ، وَخَنْدَفُ .
وَمِنْ بَطُونِ خَنْدَفٍ : بَنُو مَدْرَكَةَ بْنِ الْيَأْسِ بْنِ مُضَرَ ، وَهُمْ : هَذِيلُ بْنُ مَدْرَكَةَ ،
وَكَنَانَةُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ ، وَأَسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ ، وَالهُونُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ
مَدْرَكَةَ . [وَمِنْ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ أَرْبَعُ عَشَاةٍ : بَنُو كَاهِلٍ وَصَعْبٍ وَعَمْرُو وَدُودَانَ ؛

فن دودان : بنو عمرو بن دودان ، قبيلة [: وهم وجوه بني أسد .

ومن بني طابخة بن اليأس بن مضر : ضبة بن أد بن طابخة ، ومزينة : وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة ؛ والرباب بنو أد بن طابخة ، وهم عدى ، وتميم ، وثور ، وعكل ، وإنما سميت الرباب لأنها اجتمعت وتحالفت فكانت مثل الرابطة ؛ ويقال إنهم إذا تحالفوا وضعوا أيديهم في جفنة فيها رُب ، وصوفة ؛ وهو الربيط بن الغوث بن أد بن طابخة ؛ وكانوا أصحاب الإجازة ، ثم انتقلت في بني عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ؛ وتميم بن مرة بن أد بن طابخة .

لجميع قبائل مضر يجمعها قيس وخندف ؛ وقد تنسب ربيعة في مضر ؛ وإنما هم إخوة مضر ؛ لأن ربيعة بن نزار ، ومضر بن نزار .

بطون هذيل وجماهيرها

منهم لحيان بن هذيل ، بطن ؛ وكُخاعة بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وحريث ابن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وكاهل بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصبيح بن كاهل ، بطن ؛ وكعب بن كاهل ، بطن .

١٥ فن بنى صاهلة : عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرًا . ومن بنى صبيح بن كاهل : أبو بكر الهذلي الفقيه ، ومنهم صخر بن حبيب الشاعر ، الذي يقال فيه صخر الغي ، وأبو بكر الشاعر ، واسمه ثابت بن عبد شمس . ومنهم : أبو ذؤيب الشاعر ، وهو خويلد بن خالد . وبطون هذيل كلها لا يُنسب إلى شيء منها ، وإنما يُنسب إلى هذيل ؛ لأنها ليست جمجمة .

بطون كنانة وجماهيرها

٢٠ كنانة بن خزيمه بن مدركة ، منهم قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة ؛ ومنهم بكر ابن عبد مناة ، بطن ؛ وحديج بن ليث بن بكر بن عبد مناة ، بطن ؛ وغفار بن مُليل ابن ضمرة بن بكر ، بطن - منهم أبو ذر الغفاري صاحب النبي عليه الصلاة والسلام

- ومدلج بن مرة بن عبد مناة ، بطن - منهم سراقه بن [مالك بن] جشم المدلجي الذي تصور إبليس في صورته يوم بدر وقال لقريش : إني جائر لكم - وبنو مالك ابن كنانة ، بطن - منهم جذل الطعان ، وهو علقمة بن أوس بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن كنانة . ومن ولد جذل الطعان ، ربيعة بن مكرم ، وهو أشجع بيت في العرب ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وَدِدْتُ وَاقِعَهُ لَوْ أَنَّ لِي بِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْكُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ بِنِ ثَعْلَبَةٍ . ومن بني الحارث بن مالك بن كنانة ، منهم العملس ، وهو أبو ثمامة الذي كان ينسئ الشهور حتى أنزل الله فيه ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ : وبنو مخدج بن عامر بن ثعلبة ، بطن ؛ وبنو ضمرة في كنانة الأحابيش ، منهم البراض بن قيس الذي يقال فيه « أفك من البراض » ، ومن بني كنانة الأحابيش ، منهم مبدول وعوف وأحر وعون ؛ ومن بني الحارث بن عبد مناة : الحليس بن عمرو بن الحارث ، وهو رئيس الأحابيش يوم أحد ؛ ومن بني سعد ايث : أبو الطفيل عامر بن وائلة ، ووائلة بن الأسقع ، كانت له صحبة مع النبي عليه الصلاة والسلام ؛ ومن بني حدج بن ليث : نصر بن سيار صاحب خراسان ؛ ومن بني ضمرة بن بكر : عمارة بن مخشى - الذي عاقده النبي عليه الصلاة والسلام على بني ضمرة .

بطون أسد وجماهيرها

- أسد بن خزيمة بن مبركة بن اليأس بن مضر ؛ منهم دودان الذي يقول فيه امرؤ القيس :
- قَوْلًا لِدُودَانَ عَيْدِ الْعَصَا هـ مَا غَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ ا
- ومنهم : كاهل بن عمرو بن صعب ، وحلة ؛ فأما بنو حلة فأفانهم امرؤ القيس ابن حجر بأبيه ؛ ومنهم غنم بن دودان ، وثعلبة بن دودان ؛ ومنهم قعيس بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ؛ ومنهم بنو الصيذاء بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم قعس بن طريف بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم جحوان بن قعس ، ودثار ، ونوفل ، ومنقذ ، وهو حنظل ، بنو قعس ؛ فمن بني جحوان طليحة

ابن خويلد الأبدى ؛ ومن بني الصياد شيخ من عميرة القائد ، والصامت بن الأقم الذي قتل ربيعة بن مالك أبا لبيد بن ربيعة الشاعر يوم ذى علق .
وفي بني الصياد يقول الشاعر :

يا بني الصياد ردوا فرسى * إنما يفعل هذا بالذليل

ومن بني قعيس : العلاء بن محمد بن منظور ، ولى شرطة الكوفة ؛ ومنهم ذؤاب بن ربيعة الذي قتل عتبية بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، ومنهم : قيصة ابن برمجة ، ومنهم بشر بن أبي خازم الشاعر ؛ ومن بني سعد بن ثعلبة بن دودان : سويد بن ربيعة ، وعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن شاس أبو عرار ، والكميت ابن زيد ؛ ومنهم : ضرار بن الأزور صاحب المختار ؛ ومنهم بنو غاضرة بن مالك ابن ثعلبة بن دودان ؛ ومن بني غاضرة زر بن حبيش الفقيه ، ومنهم الحسحاس ابن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحسحاس ؛ ومن أسد بنو غنم بن دودان ؛ ومنهم زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم أيمن بن خريم الشاعر ، والأقيشر الشاعر ؛ ومن بني كاهل بن أسد علباء بن الحرث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأفلتنهن علباء جريضا * ولو أدركته صفير الوطاب

الهون بن خزيمه بن مدركة

منهم القارة ، وهم عائذة وبيثع ، بنو الهون بن خزيمه بن مدركة ؛ والقارة أرمى حتى في العرب ، ولهم يقال :

* قد أنصف القارة من راماما *

فهذه قبائل بني مدركة بن اليأس ، وهي : هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمه بن مدركة ، وأسد بن خزيمه بن مدركة ، والهون بن خزيمه بن مدركة .

ومن قبائل طابخة بن اليأس

بطون ضبة وجماهيرها

- ضبة بن آذ بن طابخة بن اليأس : ولد ضبة بن آذ سعدا وسُعَيْدًا وباسلا ، وله المثل الذي يقال فيه : « أسعد أم سعيد » فقتل سُعيد ولم يعقب ؛ ولحق باسل بأرض الديلم ؛ وتزوج امرأة من أرض العجم ، فولدت له الديلم . فيقال إن باسل ابن ضبة أبو الديلم . وفي ذلك يقول أبو بَجير يَعِيب به العرب :

رَعَمْتُمْ بَأْنَ الْهِنْدِ أَوْلَادُ خِنْدِفٍ • وَيَدْنُكُمْ قُرْبَى وَبَيْنَ الْبَرَابِرِ
وَدَيْلَمٍ مَنْ نَسَلِ ابْنِ ضَبَّةَ بَاسِلِ • وَبُرْجَانَ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ
فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادًا وَاحِدٍ • وَصَارُوا سِوَاءً فِي أَصُولِ الْعُنَاصِرِ
بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَمْلَاقُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ • وَأَوْلَى بِقُرْبَانَا مُسْلُوكُ الْأَكَابِرِ

- ١٠ فن بن سعد بن ضبة : بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .
وبنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .
وبنو زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر ، بطن . وبنو عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .

- ١٥ ومنهم : عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة ، وبنو ثعلبة بن سعد بن ضبة .
فن بن كوز : المسيب بن زهير بن عمرو ، ومن بني زهير : عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ، وكان سيداً مطاعاً ، وولد له عبد الحارث ، وحصين ، وعمرو ، وأدهم ، وذبيجة ، وعامر ، وقيصة ، وحنظلة ، وخيار ، وحارث ، وقيس ، وشيبة ، ومنذر ، كل هؤلاء شريف قد رأس ورَّيَع - يعني قد أخذ المربع - وكان الرئيس إذا غم الجيش معه أخذ الرَّيَع .

- ٢٠ ومن ولد الحصين بن ضرار : زيد الفوارس ، وله يقول الفرزدق :
زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ • وَأَبُو قَيْصَةَ وَالرَّئِيسُ الْأَوَّلُ
الرئيس الأول : محمَّد بن سُويط ربيع ضبة وتميم والرباب .

ومن بنى زيد الفوارس : ابن شبرمة القاضي . ومن بنى عائذة بن مالك .
 شِرْحَاف بن المثلّم - الذى قتل عمارة بن زياد العبسى . ومن بنى السيد بن مالك :
 زيد بن حصين ، ولى أصهبان . وعبد الله بن علقمة الشاء الجاهلى . ومنهم
 عميرة بن اليثربى قاضى البصرة ، وهو الذى قتل علباء و مد الجلى . وقال فى
 قتلها يوم الجمل :

إنى أنا عُمَيْرَةُ بن اليثْرِيبِيِّ * قَتَلْتُ عِلْبَاءَ وَهِنْدَ الْجَلِيِّ

ومن بنى ثعلبة بن سعد بن ضبة : عاصم بن خليفة بن يعقل ، الذى قتل
 بسطام بن قيس .

مزينة

مزينة : بنو عمرو بن أد بن طابخة بن اليأس ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة
 ١٠ كلب بن وبرة . منهم : النعمان بن مقرن ، ومنهم معقل بن سنان بن نبیثة صاحب
 النبى عليه الصلاة والسلام ، وزهير بن أبى سلمى الشاعر ، ومعن بن أوس الشاعر .
 ومنهم إياس بن معاوية القاضى . وإنما مزينة كلها بنو عثمان وأوس بن عمرو
 ابن أد بن طابخة ، وفى ذلك يقول كعب بن زهير :

١٥ متى أَدْعُ فى أَوْسٍ وَعُثْمَانَ تَأْتِي * مَسَاعِيرُ قَوْمٍ كُلُّهُمْ سَادَةٌ دِعْمٌ .
 هُمُ الْأَسْدُ عِنْدَ الْبَاسِ وَالْحَشْدُ فى الْقَرَى * وَهُمْ عِنْدَ عَقْدِ الْجَارِ يَوْفُونَ بِالذَّمِّ

الرباب

وهم : عدى ، وتميم ، وثور ، وعُكَل ؛ وإنما سميت هذه القبائل الرباب ،
 لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رُب ؛ وقال بعضهم : إنما سموا الرباب
 ٢٠ لأنهم إذا تحالفوا جمعوا أقداحا ، من كل قبيلة منهم قدح ، وجعلوها فى قطعة آدم ،
 وتسمى تلك القطعة الربة ، فسموا بذلك الرباب .

فمن بنى عدى بن عبد مناة بن أد بن طابخة : ذو الرمة الشاعر ، وهو غيلان
 ابن عقبة . ومن بنى تميم بن عبد مناة : عمر بن لجأ الشاعر الذى كان يهاجى جريرا :

ومن بنى عكل بن عبد مناة : النمر بن تولب الشاعر ؛ ومن بنى ثور بن عبد مناة :
سفيان الثوري الفقيه . فهذه الرباب ، وهم بنو عبد مناة .

صوفة

- هم بنو الغوث بن مر بن أذ بن طابخة ، وفيهم كانت الإجازة في الجاهلية :
• هم كانوا يدفعون بالناس من عرفات ، ثم انتقلت الإجازة في بنى عطار بن عرف
ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ فمن الغوث شرحبيل بن عبد العزى
الذى يقال له شرحبيل بن حسنة .

بطون تميم وجماهيرها

- تميم بن مر بن أذ بن طابخة بن اليأس بن مضر . كان لميم ثلاثة أولاد :
زيد مناة ، وعمرو ، والحارث بن تميم .

فمن الحارث بن تميم : شقرة ، واسمه معاوية بن الحارث بن تميم ؛ وإنما
قيل له شقرة لبيت قاله ، وهو :

وقد أجمِلُ الرُّمَحَ الأَصَمَّ كُعبَته * به من دمَاءِ القومِ كَالشَّقِرَاتِ

والشقرات : هي شقائق النعمان ، شبه الدماء بها في حرمتها .

- ومن بنى شقرة : المسيب بن شريك الفقيه ، ونصر بن حرب بن مخزومة .
ومن عمرو بن تميم : أسيد بن عمرو بن تميم ، ومنهم أكرم بن صيني حكيم
العرب ، وأبو هالة زوج خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن حجر
الأسدي الشاعر ، وحنظلة بن الربيع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام الذى
يقال له حنظلة الكاتب .

بنو العنبر بن عمرو بن تميم

- منهم سوار بن عبد الله القاضى ، وعبيد الله بن الحسن القاضى ، وعامر بن
قيس الزاهد . ومنهم : بنو دُعَّة بنت مِغْنَجِ التي يقال فيها : « أحق من دعة » ؛

وهي من إيراد بن نزار تزوجها عمرو بن جندب بن العنبر ، فولدت له بني الهَجَمِ
ابن عمرو بن تميم ، ويقال لهم الحبال .

بنو مازن بن عمرو بن تميم ، منهم : عباد بن أخضر ، وحاجب بن ذبيان
الذي يعرف بحاجب الفيل ، ومالك بن الرّيب الشاعر ؛ ومنهم : قطري بن الفُجاءة
صاحب الأزارقة ، وسَلْم وأخوه هلال بن أحوز .

الحبّاطات

وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وذلك أنّ أباهم الحارث أكل طعاماً فحبط
منه ، أي ورم بطنه . منهم : عباد بن الحصين من فرسان العرب ، كان على شرطة
مصعب بن الزبير .

غيلان وأسلم وحرماز

بنو مالك بن عمرو بن تميم

فبن بنو غيلان - أبو الجرباء ، شهد يوم الجمل مع عائشة ، وقتل يومئذ . ومن
بنو حرماز : سُمرة بن يزيد . كان من رجال البصرة في أول ما نزلها الناس .

بنو سعد بن زيد مناة بن تميم

الأبناء ، وهم ستة من ولد سعد بن زيد مناة ، يقال لهم : عبد شمس ، ومالك
وعوف ، وعُوافة ، وجشم ، وكعب .

فبنو سعد بن زيد مناة ، وأولاد كعب بن سعد ، يسمون مُقاعس والأجارب
إلا عمراً وعوفاً ابني كعب .

فبن بنو عبد شمس بن سعد : تُمَيْلَة بن مُرّة صاحب شرطة إبراهيم بن عبد الله
ابن الحسن . وإبراهيم بن قتادة ، حامل الدييات في حرب الازد لتميم - وهو ابن
أخت الأحنف بن قيس - وعَبْدَة بن الطيب الشاعر . وِحْمان ، وهو عبد العزى
ابن كعب بن سعد .

الأجارب

هم بطنان في سعد ، وهم : ربيعة بن كعب بن سعد ، وبنو الأعرج كعب بن سعد . وفيهم يقول أحمر بن جندل :

ذُوداً قليلاً تلحق الحلائب * يَلْحَقُنَا حِمَانُ والأجارب

- ٥ فن بنو الأجارب : حارثة بن قدامة ، صاحب شرطة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وعمرو بن جرموز ، قاتل الزبير بن العوام .
- مقاعس : هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . ومن أنفاذ مقاعس : منقر بن عبيد بن مقاعس ؛ منهم قيس بن عاصم سيد الوبر ، وعمرو بن الأهم ، وخالد بن صفوان بن عمرو بن الأهم ، وشيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو ابن الأهم . ومن بنو عبيد بن مقاعس ، وهم إخوة منقر : الأحنف بن قيس ؛ وسلامة بن جندل ، والسليك بن سلكة رجلى العرب ، ويقال له الرئبال ، كان يُغير وحده . ومنهم عبد الله بن صفار الذي تُنسب إليه الصُفْرية . وعبد الله بن إباح الذي تُنسب إليه الإباضية . فهذه مقاعس وجماهيرها .

بنو عطاردين عوف

- ١٥ ابن كعب بن سعد
- منهم : كرب بن صفوان بن حُباب . صاحب الإفاضة ، إفاضة الحاج يدفع بهم من عرفات ، وله يقول أوس بن مغراء :
- ولا يريمون في التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ * حتى يقال أجزوا آل صفوانا

قريع بن عوف

- ٢٠ ابن كعب بن سعد
- منهم الأضبط بن قريع رئيس تميم يوم ميظ ، وبنو لاي بن أنف الناقة الذين مدحهم الخطيئة ، فقال فيهم .
- قَوْمٌ هُمُ الأنف والأذنان غيرُهُم * وَمَنْ يَسُوْى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

ومنهم أوس بن مَعْرَاء الشاعر . وهذا أشرف بطن في تميم .

بهدة بن عوف

ابن كعب بن سعد

منهم الزبرقان بن بدر ، واسمه حصين . ومنهم الأحيمر بن خلف بن بهدة ،
صاحب بردى محرق ، والذي يقول فيه الفرزدق :

فيا أبتة عبد الله وآبئة مالك هـ ويا بنت ذى البردين والفرس النهدي

جشم بن عوف بن كعب بن سعد

يقال لبني جشم وعطارد وبهدة : الجذاع .

حنظلة بن مالك الأحق

بن زيد مناة

البراجم خمسة من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهم : غالب ، وعمرو ،
وقيس ، وكلفة ، وظلّيم ، بنو حنظلة بن مالك الأحق بن زيد مناة بن تميم . منهم
عميرة بن ضابئ الذي قتله الحجاج .

يربوع بن حنظلة

ابن مالك بن زيد مناة بن تميم

من ولده رياح بن يربوع بن حنظلة . منهم : عتاب بن ورقاء الرياحي وإلى
أصبهان وأحد أجواد الإسلام ، ومطر بن ناجية الذي غلب على الكوفة أيام
ابن الأشعث . ونُجيم بن وثيل الشاعر . والحارث بن يزيد ، صاحب الحسن بن
علي . وأبو الهندي الشاعر ، واسمه أزهر بن عبد العزيز ؛ ومعقل بن قيس صاحب
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والأيبرد بن قرة .

عدانة بن يربوع ، منهم : وكيع بن أبي سؤد ، وطارئة بن بدر وكان
فارساً شاعراً .

ثعلبة بن يربوع ، منهم مالك ومتمم ابنا نوبرة ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ،
الذي يقال صياد الفوارس .

وبنو سَلِيط بن يربوع ، منهم : المساور بن رثاب .

كليب بن يربوع ، منهم : جرير بن الخطفي الشاعر .

٥ العنبر بن يربوع ، منهم : سجاح بنت أوس التي تبتأت في تميم .

زيد بن مالك ، وكعب الضراء بن مالك ، ويربوع بن مالك بن حنظلة بن

مالك بن زيد مناة : أمهم العدوية ، وبها يعرفون . يقال لهم بنو العدوية .

طهية ، وهم بنو أبي سُود بن مالك ، وعوف بن مالك . أمهم طهية بها

يعرفون ، ويقال لبني طهية وبني العدوية : الجار .

١٠ ومن بني طهية بنو شيطان . ومنهم دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛

فولد دارم بن مالك : عبدالله ، ومجاشع ، وسدوس ، وخَيْرِي ، ونهشل ، وجرير وأبان ومناف

فن ولد عبدالله بن دارم : حاجب بن زرارة بن عُدُس بن عبد الله بن دارم . وهلال

ابن وكيع بن بشر ، وهو بيت بني تميم وصاحب القوس . ومحمد بن جُبَيْر بن عطار .

مجاشع بن دارم . منهم : الفرزدق الشاعر ، والأقرع بن حابس ، وأعين بن

١٥ ضبيعة بن عقال ، والحُتات بن يزيد ، والحارث بن شُرَيْح بن زيد صاحب خراسان ،

والبغيث الشاعر - واسمه خِدَاش بن بشر - والأصبغ بن نباتة ، صاحب علي .

نهشل بن دارم . منهم : خازم بن خزيمه قائد الرشيد ، وعباس بن مسعود

الذي مدحه الحطيئة ، وكثير عزة الشاعر ، والأسود بن يعفر الشاعر .

أبان بن دارم . منهم : سورة بن بحر - كان فارساً - صاحب خراسان ،

٢٠ وذو الحِزْق بن شُرَيْح الشاعر .

سدوس بن دارم ، وهؤلاء قد بادوا .

وربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعه بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ،

وربيعة بن مالك بن حنظلة : يقال لهم : الربائع .

- فمن ربيعة بن حنظلة : أبو بلال الخارجي ، واسمه مرداس بن جدير .
ومن ربيعة بن مالك بن زيد مناة : علقمة بن عبدة الشاعر ، وأخوه شأس .
ومن ربيعة بن مالك بن حنظلة : الحنيف بن السجف .
جشيش بن مالك - وأمه حطى ، على مثال حبلى ، وبها يعرفون - منهم :
حصين بن تميم الذى كان على شرطة عبيد الله بن زياد . ويقال لجشيش وربيعة
ودارم وكمب بنى مالك بن حنظلة بن مالك : الحشاب . انقضى نسب الرباب
وضبة ومزينة وتمام .

بطون قيس وجماهيرها

- نسب قيس بن عيلان بن مضر ، قيس بن الناس ، وهو عيلان بن مضر .
فمن بطون قيس : عدوان وفهم ابنا عمرو بن قيس بن عيلان ، وأمهما جديلة .
بنت مدركة بن اليأس بن مضر ، نسبوا إليها .
فمن عدوان : عامر بن الظرب حاكم العرب بمكاذ ، ومنهم أبو سيارة ، وهو
عميلة بن الأعزل . ومنهم تأبط شرًا ، وهو ثابت بن عميثل .
غطفان بن قيس عيلان - وأعصر بن سعد بن قيس بن عيلان .
فمن بطون غطفان : أشجع بن ريث بن غطفان ، وأشجع بن ريث بن غطفان ؛
منهم : نصر بن دهمان . وكان من المعمرين ، عاش مائتي سنة ، ومنهم فروة بن نوفل .
عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهى إحدى جمرات العرب ، منهم :
زهير بن جذيمة ، كان سيد عبس كلها حتى قتله خالد بن جعفر الكلبي ؛ وابنه
قيس بن زهير فارس داحس ؛ وعنترة الفوارس ؛ والحطيتة ؛ وعروة بن الورد ؛
والربيع بن زياد ، وإخوته الذين يقال لهم الكلمة ؛ ومروان بن زنباع الذى يقال
له مروان القرظ ، وخالد بن سنان الذى ضيعه قومه .
ذيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم : فزارة بن ذيسان بن بغيض ،

وفيهم الشرف ؛ ومنهم حذيفة بن بدر ؛ ومنهم منظور بن زِيَّان بن سيار ، وعمر
ابن هُبيرة ، وعدى بن أُرطاة .

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ؛ منهم هَرَم بن سنان المرّي الجواد الذي
كان يمدحه زُهَيْر ؛ ومنهم زياد النابغة الشاعر ؛ ومنهم الحارث بن ظالم الذي يقال
فيه « أَمْنَع من الحارث » ؛ ومنهم : شَيْب بن البرصاء ، وأرطاة بن سُهَيْة ، وعقيل
بن عُلْفة المرّي ، وابن مَيّادة الشاعر ، ومسلم بن عقبة صاحب الحرة ، وعثمان بن
حيان ، وهاشم بن حَرَملة . الذي يقول فيه الشاعر :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمَ بْنَ حَرَمَلَةَ ه . يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

والشماخ الشاعر ، وأخوه مُرَزْد . ابنا ضرار .

ومن بطون أعصر : غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن الناس بن مُضَر .
منهم طفيل الخيل . وقد رُبِعَ غنياً ومنهم : مرثد بن أبي مرثد ، شهد بدرا .

بَاهِلَةٌ

هم بنو معن بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة ، وهم : قتيبة ووائل وأود
وجأوة ، أمهم باهلة ، وبها يعرفون ، منهم : حاتم بن النعمان . وقتيبة بن مسلم ،
وأبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسليمان بن ربيعة ، وآله
أبو بكر الصديق ، وزيد بن الحباب .

بنو الطفاوة بن أعصر

وهم : ثعلبة وعامر ومعاوية ؛ أمهم الطفاوة وإليها ينسبون ، وهم إخوة غني
ابن أعصر ؛ فهذه غطفان .

٢٠ بنو خصفة بن قيس بن عيلان

محارب بن زياد بن خصفة بن قيس بن عيلان ، منهم الحكم بن منيع الشاعر ،
وبقيع بن صفار الشاعر الذي كان يهاجى الأخطل . وولد محارب : ذهل وغمم ؛

وهم الأبناء ؛ والخضير ، وهم بنو مالك بن محارب .

سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة . منهم : العباس بن مرداس ، كان فارساً شاعراً ، وهو من المؤلفات قلوبهم ؛ والفجاءة الذي أحرقه أبو بكر في الردة .
ومنهم : صخر ومعاوية . ابنا عمرو بن الحارث بن الشريد ، وهما أخوا خنساء ؛
وخفاف بن عمير الشاعر ، ونُبَيْشَةَ بن حبيب قاتل ربيعة بن مكرم ، ومُجاشع بن مسعود من أهل البصرة ، وعبد الله بن خازم صاحب خراسان .

بنو ذكوان وبهز وبهته بنو سليم

منهم : أبو الأعور السلي صاحب معاوية ، وعمير بن الحباب قائد قيس ،
والجحاف بن حكيم . فهذه بطون سليم ومحارب .

قبائل هوازن

هم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

منهم سعد بن بكر بن هوازن ، وفيهم استرضع النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن - منهم مالك بن عوف النَّصْرِي قائد المشركين يوم حنين .

جشم بن معاوية بن بكر ، منهم : دُرَيْد بن الصَّمَّة فارس العرب .

ثقيف ، وهو قَيْس بن مُنْبَه بن بكر بن هوازن . منهم : مسعود بن مُعْتَب ، والمختار بن أبي عبيد . ومنهم : عُرْوَة بن مسعود عظيم القرينين ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن أم الحكم .

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

فن بطون عامر : بنو هلال بن عامر بن صعصعة ، منهم : ميمونة زوج النبي

عليه الصلاة والسلام ، ومنهم عاصم بن عبد الله صاحب خراسان ، ومُحَمَّد بن ثور الشاعر ، وعمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر فارس الضحيا ؛ ومن ولده

خالد وحرمة ابنا هُوذة ، صَبيَا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وِخْدَاش بن زهير .
 نمير بن عامر بن صعصعة . منهم : الراعى الشاعر ، وهو عُبَيْد بن حصين ،
 وهمام بن قبيصة ، وشريك بن نُجَاشة الذى دخل الجنة فى الدنيا فى أيام عمر
 ابن الخطاب .

- ٥ بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
 وهم ستة بطون ، منهم عَقِيل بن كعب ، رهط توبة بن الحَمَيْر صاحب ليلى
 الأخيلية . منهم : بنو المنتفق .
 بنو الحريش بن كعب ، رهط سعيد بن عمر ، ولى خراسان ، وهو صاحب
 رأس خاقان .

- ١٠ بنو العجلان بن كعب
 رهط تميم بن مقبل الشاعر .
 ومنهم بنو قُشَيْر بن كعب ، رهط مالك بن سلة الذى أسر حاجب بن ذرارة .
 ومنهم : بنو جمدة بن كعب ، رهط النابغة الجعدى ، وهو أبو ليلى ؛ فهذه
 بطون كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

- ١٥ ومن أنخاذ ربيعة بن عامر بن صعصعة : كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛
 منهم المحلَّق بن حَنَم بن شَدَاد . ومنهم زُفَر بن الحارث الكلابى ، ويزيد بن الصَّعِق ،
 ووكيع بن الجراح الفقيه .
 جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، منهم الطَّفِيل . فارس
 قَرَزَل ، وعامر بن الطَّفِيل ، وعلقمة بن عُلَاثة ، وأبو بَرَاء عامر بن مالك
 ملاعب الأستة .

- ٢٠ الضباب بن كَلَّاب ، منهم : شَمِير بن ذى الجوشن .
 هؤلاء بنو عامر بن صعصعة .

بنو سلول

هم بنو مرة بن صعصعة ، نسبوا إلى أمهم سلول .
 غاضرة ، وهم غالب بن صعصعة ، ومالك ، وربيعة ، وغُوْبِضْرَة ، وحات ،
 وعبد الله ، - وهما عادية - وعوف ، وقيس ، ومُساور ، وسيار ، وهو عَمْرِيَّة .
 ٥ لُوْذَان ، وِجْحُوش ، وِجْعَاش ، وعوف ؛ وهم الوَقْفَة ، بنو معاوية بن
 بكر بن هوازن .

بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، يقال لهم : الأبناء .
 هذا آخر نسب مضر بن نزار .

نسب ربيعة بن نزار

١٠ ولد ربيعة بن نزار : أسد ، وضبيعة ، وعائشة ، وهم باليمن في مراد ، وعمرو ،
 وعامر ، وأكلب ؛ وهم رهط أنس بن مدرك .
 فن قبائل ربيعة : نزار .

ضبيعة بن ربيعة بن نزار - وفيهم كان بيت ربيعة وشرفها . ومنهم الحارث
 الأضخم ، حكم ربيعة في زهرة ، وفيه يقول الشاعر :

١٥ قلوبُ الظلامَةِ من وائلٍ • تزد إلى الحارثِ الأضخَمِ
 فهما يشأُ يأتِ منه السَّدَادُ • وهما يشأُ منهمُ يَنْضَمُ

ومنهم المنلّس ، وهو جرير بن عبد المسيح الشاعر ، صاحب طارقة بن العبد .
 الذي يقول فيه :

أودى الذي علقَ الصحيفةَ منها • ونجا حذارَ حِمَامِهِ المنلّسُ

٢٠ ومنهم المسيّب بن علس الشاعر . ومنهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر .
 وكان المرقش الأكبر عمّ المرقش الأصغر ، والمرقش الأصغر عم طارقة بن العبد
 ابن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .

عزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، له ولدان : يقدّم ويذكر ، فنهما تفرقت

عَنْزَةَ ؛ فَمَنْ يَذْكَرُ : بَنُو جِلَّانَ بْنِ عَتِيكَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ يَذْكَرَ ، وَبَنُو هِزَّانَ بْنِ صُبَّاحَ بْنِ عَتِيكَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ يَذْكَرَ ، وَبَنُو الدُّوَلِ بْنِ صُبَّاحَ بْنِ عَتِيكَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ يَذْكَرَ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَسْرَوْا حَاتِمَ طَيْئٍ وَكَعْبَ بْنَ مَامَةَ وَالْحَارِثَ بْنَ ظَالِمَ ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمَ :

- أبلغ سرّاة بنى غيظٍ مُغلغلةً . أنى أقتم في هِزّانَ أرباعاً .
ومنهام كِدام بن حيان من بنى هُميم ، كان من خيار التابعين ، وكان من خيار أصحاب عليّ ، ولها يقول عبد الله بن خليفة :

يا أَخَوَيَّ مِنْ هُمَيْمٍ هُدَيْتِنَا . وَيُسِّرْتِنَا لِلصَّالِحَاتِ فَأَبْشِرَا

- ١٠ ومن بنى يقدم عَنزَةَ ، سيد بنى بغيض الشاعر ، وعمران بن عصان الذي قتله الحجاج بدير الجماجم .

عبد القيس بن أفضى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وُلد لعبد القيس :
أفضى واللُّبُّؤ . وولد لأفضى : عبد القيس وشَنُّ ولُكَيْز .

- ١٥ اللُّبُّؤ بن عبد القيس : منهم رثاب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضبيب ، كان ممن وحّد الله في الجاهلية ، وسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقد عبد القيس ، وكان يُسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحُجَّاج بن عبد الله :

وَمِمَّنَا الَّذِي بِالْبَعِثِ يُعْرَفُ نَسْلُهُ . إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ جَدَّ بِالْقَطْرِ

رِثَابٌ وَأَنْتَى لِلْبَرِيَّةِ كَأَهَا . يَمِثِلُ رِثَابٍ حِينَ يُنْخَطِرُ بِالسُّمْرِ

- ٢٠ لُكَيْزُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ ، مِنْهُمْ بَنُو نُكْرَةَ بْنِ لُكَيْزِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ . مِنْهُمْ الْمُزَّقُ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ شَأْسُ بْنُ نَهَارِ بْنِ أَسْرَجِ الَّذِي يَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوَلَا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ . وَإِلَّا فَأَدْرِ كُنِّي وَمَا أُنزِقِ

وَصُبَّاحُ بْنُ لُكَيْزٍ . مِنْهُمْ : كَعْبُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ ، وَكَانَ مِنْ وَفْدِ عَلِيٍّ

النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وبنو غنم بن وديعة بن لُكَيْز ، منهم حكيم بن جَبَلَة صاحب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفيه يقول :

دعا حكيم دعوة سَمِيعَة ٥ نال بها المنزلة الرفيعة

وبنو جَذِيمَة بن عوف بن بكر بن أنمار بن وديعة بن لُكَيْز ، منهم الجارود العندي ، وهو بشر بن عمرو .

وعَصْر بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن وديعة بن لُكَيْز ، منهم : عمرو بن مَرْجُوم الذي يمدحه المنلّس .

وبنو حُطَمَة بن محارب بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لُكَيْز ، إليهم تنسب الدروع الحطمية .

وعامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لُكَيْز ، منهم مَهْزَم بن الفِزْر ، الذي يقول فيه الجِرْمَازِي :

يَحْمِلُنَ بِالْمَوْمَاءِ بَحْرًا يَجْرِي ٥ العَامِرِ بن المِهْزَمِ بن الفِزْرِ

العُمُور من عبد قيس : الدَّيْل وعَجَل ومَحَارِب ، بنو عمرو بن وديعة بن لُكَيْز . فمن بني الدَّيْل : سُحَيْم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعد بن أبي وقاص .

ومن بني محارب : عبد الله بن همام بن أمريئ القيس بن ربيعة ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بني عجل : صعصعة بن صُوحان ، وزيد بن صُوحان ؛ من أصحاب علي ابن أبي طالب رضی الله عنه . فهذه عبد القيس وبطونها وجاهيرها .

النمر بن قاسط

النمر بن قاسط بن هَنْب بن أفضى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار . فمن ولد النمر بن قاسط : تيم الله ، وأوس مناة ، وعبدُ مناة ، وقاسط ، ومُنْبَه ، بنو النمر بن قاسط .

أوس مائة بن العمر ، منهم صُهيب بن سنان بن مالك ، صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . كان أصابه سبب في الروم ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله بن جُدعان فأعتقه ؛ وقد كان النعمان بن المنذر استعمل أباه سناناً على الأبلّة . ومنهم : سُمران بن أبان ، الذي يقال له مولى عثمان بن عفان .

- ٥ ومن تيم الله : الضَّحَّيَّان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شيبان ، وإمّا سمى الضَّحَّيَّان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم ، وقد ربيع ربيعة أربعين سنة . وأخوه عوف بن سعد ، ومن ولده ابن القرية البلخ ، واسمه أيوب ، ابن زيد ، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج . ومنهم ابن الكيس النسابة ، وهو عُبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس . فهذا النمر بن القاسط .

تغلب بن وائل

١٠

تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . فن بطون تغلب : الأراقم ، وهم : جشم ، وعمرو ، وثعلبة ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب ؛ وإمّا سمو الأراقم لأن عيونهم كعيون الأراقم .

- ١٥ ومن بطون تغلب : وكليب وائل الذي يقال فيه : « أعز من كليب وائل » ، وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ؛ وأخوه مهلهل بن ربيعة . ومن بني كنانة بن تيم بن أسامة : لإس بن عَيْنان بن عمرو بن معاوية ، قاتل عُمَيْر بن الحباب ، وله يقول زفر بن الحارث :

ألا يا كلبُ غيرك أرجفوني . وقد ألصقت خدك بالثرابِ

- ٢٠ ألا يا كلبُ فانتشيري وضحّي . فقد أودى عُمَيْرُ بن الحبابِ

رِمَاحُ بني كِنانة أقصدتني . رِمَاحُ في أعاليها اضطرابُ "

ومن بني حارثة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب : الهذيل بن هيرة ، وهو الذي

تقول فيه تهبشة بنت الجراح البهراني تُعيرُ قضاة :

إذا ما معشرٌ شربوا مُداماً • فلا شربتُ قضاةً غيرَ بَوَالِ
فإِذَا أن تُقَرِّدُوا الخيلَ شُعْثاً • وإِذَا أن تدينوا لِلْهُذَيْلِ
'وتتخذوه كالنعمانِ رَبّاً • وتُعطوه خراجَ بنى الدُمَيْلِ

الدُمَيْلِ : ابن الحُم .

ومن عدى بن معاوية بن غم بن تغلب : فارس العصا ، وهو الأخنس
ابن شهاب .

ومن بنى القَدْو كس بن عمرو بن الحارث بن جشم : الأخطل الشاعر النصراني
ومنه : قبيصة بن والقي ، له هجرة ، قتله شيب الحروري ، وكان جواداً كريماً ،
فقال شيب حين قتله : هذا أعظمُ أهل الكوفة جفنة ! قال له أصحابه : أتطرى
المنافقين ؟ فقال : إن كان منافقاً في دينه فقد كان شريفاً في دنياه .

ومن الأوس بن تغلب : كعب بن جُعيل . الذي يقول فيه جرير :

وسُميت كعباً بِشَرِّ العِظَامِ • وكان أبوك يُسمى الجَمَلِ
وكان محلكَ مِن • وائلِ • محلَّ القَرَادِ مِن آتِ الجَمَلِ

فهذه تغلب ، ليس لها بطون يُنسب إليها كما يُنسب إلى بطون بكر بن
وائل ، لأن بكرأ جمجمة ، وتغلب غير جمجمة .

بكر بن وائل

القبائل من بكر بن وائل : يشكر بن بكر بن وائل ، وعجل ، وحنيفة -
ابنا الجُيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل - ، وشيدان وذهل وقيس بنو ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وأمههم البرشاء من تغلب .

يشكر بن بكر

منهم الحارث بن حِلْزَة الشاعر ، ومنهم شهاب بن مَذْعُور بن حِلْزَة ، وكان

من علماء الأنساب ؛ ومنهم سُويد بن أبي كاهل الشاعر .

عجل بن لجيم

منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، كان سيد بني عجل يوم ذي قار ؛ ومنهم
الفرات بن حيان ، له حُجبة مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم إدريس بن معقل
جَدُّ أبي دُلف ؛ ومنهم شِبابة بن المعتمر بن لقيط ، صاحب الديوان ؛ ومنهم الأغلب
الراجز ؛ ومنهم أبجر بن جابر بن شريك ، وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

حنيفة بن لجيم

ولد له الدَّيْل ، وعدى وعامر . فمن بني الدَّيْل بن حنيفة : قتادة بن مسلة ،
كان سيداً شريفاً ؛ ومنهم ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلة ، ومنهم : هُوْدَة بن
علي بن ثمامة ، الذى يقول فيه أعشى بكر :

مَنْ يَرَى هُوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّئِدٍ . إِذَا نَعَصَبَ فَوْقَ النَّجَاحِ أَوْ وَضَعَا

ومن بني الدليل بن حنيفة : شمر بن عمرو ، الذى قتل المنذر بن ماء السماء
يوم عين أباغ ؛ ومنهم بنو هِفَّان بن الحارث بن ذهل بن الدليل ، وبنو عُبيد بن
ثعلبة ، ويربوع بن ثعلبة بن الدليل . وبنو أبي ربيعة فى شيبان ، سيدهم هانئ
ابن قيصة .

شيبيان بن ثعلبة بن عكابة

منهم جَسَّاس بن مرة بن ذهل بن شيبيان ، قاتل كليب بن وائل ؛ وهام بن
مرة بن ذهل بن شيبيان ؛ وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وهو ذو الجدين ،
وابنه إسطام بن قيس ، فارس بنى شيبيان فى الجاهلية ، وقد ربيع الثَّهَلين واللهازم
اثني عشر مِرباعاً ومنهم : هانئ بن قيصة بن هانئ بن مسعود بن المُزدَلِفِ عمرو بن
أبي ربيعة بن ذهل بن شيبيان ، الذى أجار عيال النعمان بن المنذر وماله عن
كسرى ، وبسببه كانت وقعة ذي قار ، ومنهم مَصْتَمَلَة بن هُبيرة ، كان سيداً شريفاً ،

وفيه يقول الفرزدق :

وبيت أبي قابوس مصقلة الذي • بئى بيت مجدٍ اسمه غير زائل

وفيه يقول الأخطل :

دع المغمر لا تُقتل بمصرعه • وسلِّ بمصقلة البكرى ما فعلاً

بمُتلفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا • يُعنفُ النفسَ فيما فاته عذلاً

إنَّ ربيعةً لا تنفكُ سالحةً • مادافعَ الله عن حوبائك الأجلأ

ومن ذهل بن شيان : عوف بن محلم الذى يقال فيه : « لا حُرَّ بوادى

عوف » والضحاك بن قيس الخارجى ، والمثنى بن حارثة ، ويزيد بن رزيم ؛

ومنهم الغضبان بن القبيعثرى ، ويزيد بن مسهر أبو ثابت ، الذى ذكره الأعشى ؛

والخوفزان ، وهو الحارث بن شريك ، ومطر بن شريك ؛ ومن ولده : معن بن

زائدة ؛ وشيبب الحرورى .

ذهل بن ثعلبة بن عكابة

منهم : الحارث بن وعلة ، وكان سيداً شريفاً ، ومن ولده : الحُضين بن المنذر

ابن الحارث بن وعلة صاحب راية ربيعة بصفين مع على بن أبي طالب رضى الله

تعالى عنه ، وله يقول على :

لَمَنْ رَايَةٌ سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا • إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُضَيْنٌ تَقَدَّمَا

ومنهم القعقاع بن شور بن النعمان ، كان شريفاً ؛ ومنهم دَعغل بن حنظلة

العلامة ، كان أعلم أهل زمانه . وهؤلاء من بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة ،

أهمهم رِقاش ، وإليها يُنسبون ، ومنها يقال : الحُضين بن المنذر بن الحارث

ابن وعلة الرقاشى .

قيس بن ثعلبة بن عكابة

منهم الحارث بن عباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن حارثة ؛ كان على جماعة بكر

ابن وائل يوم قِضة ، فأسر . هلهل بن ربيعة وهو لا يعرفه نخلي سبيله . ومنهم :

مالك بن مسمع بن شيان بن ثعلبة ، يُكنى أبا عَسَّان . ومنهم الأعمشي ، أعشى بكر ، وهو من بني تيم اللات من قيس بن ثعلبة بن عكابة ؛ ومن بني تيم اللات أيضا : مطر بن فضة ، وهو الجعد بن قيس ، كان شريفاً سيداً ، وهو الذي أمر خاقان الفارسي بالقادسية ، ومن ولده عُبيد الله بن زياد بن ظبيان .

سدوس

من شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، منهم : خالد بن المصمر ومجزأة بن ثور ، وآخره شقيق بن ثور ، وابن أخيه سُويد بن منجوف بن ثور ، وعمران بن حطان .

اللسازم

وم : عنزة بن أسد بن ربيعة ؛ وعجل بن لجيم . وتيم الله . وقيس ابنا ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل ، وم حلفاء .

والذهلان : شيان وذهل ، ابنا ثعلبة بن عكابة . وأم عجل بن لجيم يقال لها حذام ، وفيها يقول لجيم :

إذا قالت حذام فصدقوها • فإنَّ القولَ ما قالت حذام

انقضى نسب ربيعة بن نزار .

إياد بن نزار

ولد إياد بن نزار : زُهراً ودُعْمياً ونِماراً وثعلبة . فولد نِماراً الطَّمَّاح ، ولهم يقول عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ بني الطَّمَّاح عنا • ودُعْمياً فكيف وجدتمونا

وولد زُهْر بن إياد حذافة ، رهط أبي دُواد الشاعر .

وأما أثمار بن نزار بن معد ، فلا عقب له إلا ما يقال في بحيلة وختم ، فإنه يقال إنهما أبنا أثمار بن نزار ، وتأتي ذلك بحيلة وختم ويقولون : إنما تزوج إراش بن عمرو بن العوث بن أخي الأزد بن العوث ، سلامة بنت أثمار ، فولدت له

أثمار بن إراش ، فنحن ولده . وقال حسان بن ثابت ؛

• وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنَ مُحَرَّقٍ •

أراد بالعنقاء : ثعلبة بن عمرو مُزَيْقِيَاءَ ، سُمِّيَ بالعنقاء لطول عنقه ؛ ومحرَّق هو الحارث بن عمرو مزَيْقِيَاءَ ، وكان أول الملوك أحرق الناس بالنار ؛ والولادة التي ذكرها حسان ، أن هنداً بنت الخزرج بن حارثة كانت عند العنقاء ، فولدت له ولده كلهم ؛ وكانت أختها عند الحارث بن عمرو . فولدت له أيضا .
انقضى نسب بني نزار بن معد .

القبائل المشتبهة

- الدُّثْلُ في كنانة ؛ والدُّثْلُ بن حنيفة في بكر بن وائل ، منهم : قتادة بن سلة ، وهوذة بن علي ، صاحب الناج الذي يمدحه أعشى بكر بن وائل . ١٠
- سُدُوسٌ ؛ في ربيعة ، وهو سدوس بن شيبان بن بكر بن وائل ، منهم : سويد ابن منجوف ؛ وسدوس ، مرفوعة السين ، في تميم ، وهو سدوس بن دارم .
- مُحَارِبُ بن فهر بن مالك في قريش ؛ ومحارب بن خفصة في قيس ؛ ومحارب ابن عمرو بن وداعة في عبد القيس .
- غَاضِرَةٌ في بني صعصعة بن معاوية ؛ وغاضرة في ثقيف . ١٥
- تَيْمٌ بن مُرَّةٍ في قريش رهط أبي بكر ، تيم بن غالب بن فهر في قريش أيضا ، وهم بنو الأدرم ؛ وتيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة في مضر ؛ وتيم بن ذهل في ضبة ؛ وتيم في قيس بن ثعلبة ؛ وتيم في شيبان .
- تَيْمٌ الله بن ثعلبة بن عكابة ؛ وفي النمر بن قاسط ، وتيم الله في ضبة .
- كَلَابٌ بن مرة في قريش ؛ وكلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة في قيس . ٢٠
- عَدِيُّ بن كعب من قريش ، رهط عمر بن الخطاب ؛ وعدي بن عبد مناة من الزبابة ، رهط ذي الرمة ؛ وعدي في فزارة ؛ وعدي في بني حنيفة .
- ذَهَلٌ بن ثعلبة بن عكابة ؛ وذهل بن شيبان ؛ وذهل بن مالك في ضبة .

ضَيْعَة فِي ضَبَّة ؛ وَضَيْعَة فِي عَجَل ؛ وَضَيْعَة فِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَهَمْ رَهْطُ الْأَعَشَى .

مَازَن فِي تَيْم ؛ وَمَازَن فِي قَيْسِ عَيْلَانَ ، وَهَمْ رَهْطُ عُبَيْدِ بْنِ غَزْوَانَ ؛ وَمَازَن فِي صَعَصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ؛ وَمَازَن فِي شَيْبَانَ .

٥ سَهْم فِي قَرِيشٍ ؛ وَسَهْم فِي بَاهَلَةَ .

سَعْدُ بْنُ ذِيانٍ ؛ وَسَعْدُ فِي بَكْرٍ فِي هَوَازِنَ ، أَظْأَرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَسَعْدُ فِي عَجَلٍ ؛ وَسَعْدُ بْنُ زَيْدِ مَنَاةَ فِي تَيْمٍ .

جُثْمُ فِي مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ ، وَجُثْمُ فِي ثَقِيفٍ ، وَجُثْمُ فِي الْأَرَاقِمِ .
بَنُو ضَمْرَةَ فِي كِنَانَةَ ، وَبَنُو ضَمْرَةَ فِي قَشِيرٍ .

١٠ دُودَانَ فِي بَنِي أَسَدٍ ، وَدُودَانَ فِي بَنِي كَلَابٍ .

سُلَيْمٌ فِي قَيْسِ عَيْلَانَ ، وَسُلَيْمٌ فِي جُدَامٍ مِنَ الْيَمَنِ .

جَدِيدَلَةُ فِي رَيْبَعَةَ ، وَجَدِيدَلَةُ فِي طَيْئٍ ، وَجَدِيدَلَةُ فِي قَيْسِ عَيْلَانَ .

الْحَزْرَجِيُّ فِي الْأَنْصَارِ ، وَالْحَزْرَجِيُّ فِي النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ .

وَأَسَدُ بْنُ حُزَيْمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ ، وَأَسَدُ بْنُ رَيْبَعَةَ بْنِ نَزَارٍ .

١٥ شَقِيرَةُ فِي ضَبَّةَ ، وَشَقِيرَةُ فِي تَيْمٍ .

رَيْبَعَةُ : رَيْبَعَةُ الْكَبْرَى ، وَهِيَ رَيْبَعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ ، وَيَلْقَبُ رَيْبَعَةَ

الْجَوْعَ ، وَرَيْبَعَةَ الْوَسْطَى ، وَهِيَ رَيْبَعَةُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ ؛ وَرَيْبَعَةَ

الصَّغْرَى ، وَهِيَ رَيْبَعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَمُّ الْآخَرِ .

مفآخرة ريبعة

٢٠ قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خَبِرُونِي عَنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِيهِمْ أَشَدُّ النَّاسِ ، وَأَسْحَى النَّاسِ ، وَأَخْطَبُ النَّاسِ ، وَأَطْوَعُ النَّاسِ فِي قَوْمِهِ ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَأَحْضَرُهُمْ جَوَابًا . قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا نَعْرِفُ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ فِي قَرِيشٍ . قَالَ : لَا . قَالُوا : فَنِي حَمِيرٍ وَمَلُوكَهَا .

عبد الملك
وبعض جلسائه

قال : لا . قالوا : فني مضر . قال : لا . قال مصقلة بن رُقَيْة العبدى : فهي إذا
 في ربيعة ونحن هم . قال : نعم . قال جلساؤه : ما نعرف هذا في عبد القيس إلا
 أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم : أما أشد الناس لحكيم بن جَبيل ، كان
 مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقطعت ساقه فضمَّها إليه حتى مر به الذى
 قطعها فرماه بها فجذله عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله واتكأ عليه ، فر به الناس
 فقالوا له : يا حكيم ، من قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا . وأنشأ يقول :

ياساقُ لا تراعى . إنَّ معى ذراعى . أحمى بها كُراعى

وأما أسخى الناس ، فعبد الله بن سَوار ، استعمله معاوية على السند ، فسار
 إليها في أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار ، فيطعم الناس ؛
 فبينما هو ذات يوم إذ أبصر نارا ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ،
 اعتل بمض أصحابنا فاشتبهى خبيصاً فعملنا له . فأمر خبازَه أن لا يطعم الناس
 إلا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم !
 فسمي مُطعم الخبيص .

وأما أطوع الناس في قومه ، فالجارود بِشْر بن العلاء ؛ إنه لما قبض
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتدت العرب ، خطب قومه فقال :
 أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حيٌّ لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ،
 فن ذهب له في هذه الرِّدة دينارٌ أو درهمٌ أو بعيرٌ أو شاةٌ فله على مثلاه ؛ فما خالفة
 منهم رجل .

أما أحضر الناس جوابا فصعصة بن صُوحان ، دخل على معاوية في وفد
 أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ؛ قدِمتم أرض الله المقدسة ؛
 منها المنشر وإليها المحشر ، قدمتم على خير أمير ، يبرّ كبيركم ويرحم صغيركم ؛ ولو أن
 الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلما عقلاء ؛ فأشار الناس إلى صعصة ، فقام
 لحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية

إنا قدمنا الأرض المقدسة : فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدر الناس
إلا أعمالهم ؛ وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها ولا يضر
بعدها مؤمننا ؛ وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلاء عقلاء ،
فقد ولدتم خير من أبي سفيان : آدم صلوات الله عليه ؛ فمنهم الحلیم والسفيه ،
والجاهل والعالم .

وأما أحلم الناس [فالأشج العبدى] ، فإن وفد عبد القيس قدموا على النبي
صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم وفيهم الأشج ، فقزقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهر أول عطاء فرقه في أصحابه ؛ ثم قال : يا أشج ، أدن منى . فدنا منه ، فقال :
إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة ، والحلم . وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم
شاهدا ؛ ويقال : إن الأشج لم يفضب قط .

جمرات العرب

وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ؛ وبنو الحارث بن كعب بن علة بن جلد ؛
وبنو ضبة بن أد بن طابخة ؛ وبنو عيس بن بغيض . وإنما قيل لهذه القبائل جمرات
لأنها تجمعت في أنفسها ولم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير : التجميع ؛ ومنه قيل :
جمرة العقبة ، لاجتماع الحصى فيها ؛ ومنه قيل : لا تجمروا المسلمين ففتنوم
وتفتنوا نساءهم . يعنى : لا تجمروهم في المغازى .

وأبو عبيدة قال في كتاب التاج أطفئت جمرتان من جمرات العرب : بنو ضبة
لأنها صارت إلى الرّباب مخالفتها ؛ وبنو الحارث ؛ لأنها صارت إلى مذبح مخالفتها ؛
وبقيت بنو نُمير إلى الساعة لم تحالف ولم يدخل بينها أحد .

وقال شاعرهم يرد على جرير :

نُميرٌ جَمْرَةُ العرب التي لم . تزل في الحرب تَلتهب التّهابا
وإني إذ أُسبُّ بها كُلياً . فتحت عليهم للخُشف بابا
فلولا أن يقال هجا نُميراً . ولم نسمع لشاعرها جوابا

رَغِبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كَلْبِ بْنِ وَكَيْفَ يُشَامِ النَّاسَ الْكِلَابَا

أَنَسَابُ الْيَمِينِ

قحطان بن عابر - وعابر . هو هود النبي صلى الله عليه وسلم - ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمَك بن مَثُوشَلَخ بن أَخْنُوخ - وهو إدريس النبي عليه السلام - ابن يَرْد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث - وهو هبة الله - ابن آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم .

فولد قحطان : يعرب - وهو المرعف - وسبأ ، والمسلم ، والمرداد ، وودقلى ، وتكلا ، وأبيال ، وعوبال ، وأزال ، وهودرام ، وهو جرم ، وأوفير ، وهويلا ، وروح ، وإرم ، وتوبت ؛ فهؤلاء ولد قحطان فيما ذكر عبد الله بن ملاذ .
وقال الكلبي محمد بن السائب : ولد قحطان : المرعف - وهو يعرب - ، ولأى ، وجابر ، والمتلس ، والعاصى ، والمنخشم ، وعاصب ، ومعوذ ، وشيم ، والقطامى ، وظالم ، والحارث ، ونباتة . فهناك هؤلاء إلا ظالم ، فإنه كان يغزو بالجيوش .

وقال الكلبي : ولد قحطان أيضا : جرهما ، وحضرموت . فمن أشرف حضرموت بن قحطان : الأسود بن كبير ، وله يقول الأعشى قصيدته التي أولها :
* ما بكاء الكبير بالاطلال *

ومنهم مسروق بن وائل ، وفيه يقول الأعشى :

قالت قبيلة : من مدححت فقلت : مسروق بن وائل

فولد يعرب بن قحطان يشجب ؛ وولد يشجب سبأ . وولد سبأ حيرا ، وكهلان ، وصيفيد ، وبشرا ، ونصرا ، وأفلح ، وزيدان ، والعود ، ورثما ، وعبد الله ، ونعمان ، ويشجب ، وشدادا ، وربيعة ، ومالكا ، وزيدا . فيقال لبنى سبأ كلهم : السبئيون ، إلا حيرا وكهلان . فإن القبائل قد تفرقت منهما . فإذا سألت الرجل : من أنت ؟ فقال : سبئي . فليس بحميري ولا كهلاني .

حمير

حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فولد حمير بن سبأ : مالكا
والهميسع ، وزيدا ، وأوسا ، وعرييا ، ووائلا ، ودرمييا ، وكهلان ، وعميكرب ،
ومسروحا ، ومرة : رهط معديكرب بن النعمان القيل الذي كان يحضرموت .

- فمن بطون حمير : معدان بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن
ابن عريب . وملحان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن
وائل ، رهط عامر الشعبي الفقيه . وعِدَاد بن ملحان : وشيبان في همدان . فمن
كان منهم باليمن فهو حميري ، ويقال له شيباني .

- ومن بطون حمير : شرعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس . وإليه
١٠ تنسب الرماح الشرعية .

ومن بطون حمير : الدرون ، وقد يقال لهم الأذواء . وأيضا . رممد ، فمنهم :
بنو فهد ، وعبدكلال ، وذو كلاع - وهو يزيد بن النعمان ، وهو ذو كلاع الأكبر .
يقال : تكأع الشيء . إذا تجمّع - وذو رعين ، وهو شراحيل بن عمرو القائل :

فإن تك حمير غدرت وخانت * فعديرة الإله لذي رعين

- ١٥ ذو أصبح : واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث . وهو أول من
عملت له السياط الأصحية . ومن ولده : أبرهة بن الصباح كان ملك تهامة ، وأمه
ريحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحبشة . وابنه أبو شمر ، قُتل مع علي بن
أبي طالب يوم صفين . وأبو رُشد بن كُريب بن أبرهة ، كان سيد حمير بالأمم
زمن معاوية . ومنهم يزيد بن مفرغ الشاعر .

- ٢٠ ذو يزن ، واسمه عامر بن أسلم بن زيد بن الغوث بن قطن بن عريب .
ومنهم : النعمان بن قيس بن سيف بن ذي يزن الذي نفي الحبشة عن اليمن - وجاء
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى حلة بيضاء بعشرين قلوفا ،
بأعضائها إلى ذي يزن - وإلى ذي يزن تنسب الرماح اليزنية .

ذو جدن : وهو عَلس بن الحارث بن زيد بن الغوث ، ومن ولده علقمة بن شراحيل . ذو قَيْفان الذي كانت له صمصامة عمرو بن معديكرب ، وقد ذكره عمرو في شعره حيث يقول :

وَسَيْفٌ لِابْنِ ذِي قَيْفَانَ عِنْدِي ، تَخَيَّرَ فَضَّلَهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

٥ حَضُورُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ .
وهم في همدان .

١٠ فن حَضُور : شُعَيْبُ بْنُ ذِي مِهْزَمٍ ، النَّبِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ قَوْمُهُ . فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
بُخْتَنَصَرَ فَقَتَلَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَاصْطَلَّتْ حَضُورٌ ؛ وَيُقَالُ : فِيهِمْ نَزَلَتْ :
(فَلْيَا أَحْسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرْكُضُوا وَآرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ
فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لِغَلْمِكُمْ تُسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَزَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ) فيقال إن قبر شُعَيْبِ هَذَا النَّبِيِّ فِي جَبَلٍ
بِالْيَمَنِ فِي حَضُورٍ يُقَالُ لَهُ ضَيْنٌ ، لَيْسَ بِالْيَمَنِ جَبَلٌ فِيهِ مَلْحٌ غَيْرُهُ ، وَفِيهِ فَكَهَّةُ الشَّامِ ،
وَلَا تَمُرُّ بِهِ هَامَةٌ مِنَ الْهَامِ .

الأوزاع

١٥ وهم : مرثد بن زيد بن زُرعة بن سبأ بن كعب ، وهم في همدان إلا جُرَشُ
ابن أسلم بن زيد بن الغوث ، الأصغر بن أسعد بن عوف .
شجيج بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو .
وصبغ بن سبأ ، الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن تَبَعٌ ، وهو أسعد
أبو كرب .

التبابعة

٢٠ تُبَعُ الْأَصْغَرُ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبٍ ، وَاسْمُهُ تَبَانُ بْنُ مَلِكِيكَرْبٍ ، وَهُوَ تَبَعُ الْأَكْبَرِ
ابن قيس بن زيد بن عمرو ، ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار .

وتبع بن الرائس بن قيس بن صيفي . وملك بكر بن تبع الأكبر ، يكنى
أبا مالك ، وله يقول الأعشى :

وخان الزمانُ أبا مالكٍ ، وأى أمرئٍ لم يُخنهُ الزمنُ

ومن بني صيفي بن سبأ : بلقيس ، وهي بلقمة بنت آل شَرخ بن ذي جدن

ابن الحارث بن قيس بن سبأ الأصغر .

ومنهم : حمير التبابعة . وهم تسعة ، منهم تبع الأصغر ، وتبع الأكبر ؛ ومنهم

الثمانية ، وهم ثمانية رهط ولاة اليهود بعد الملوك ؛ وهم الثمانية ، أربعة آلاف ؛

والقبيل الذي يكلم الملك فيسمع كلامه ولا يكلم غيره ؛ ومنهم أبو فرقيش بن

قيس بن صيفي الذي افتتح إفريقية فسميت به ، ويومئذ سُميت البرابرة ؛ وذلك

أنهم قالوا إنه قال لهم : ما أكثر بربرتكم .

قضاة

هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حخير ، وأسم

قضاة : عمرو .

فمن قبائل قضاة وبطونها وجاهيرها : كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان

ابن عمران بن الحاف بن قضاة ؛ وذلك أن وبرة ولد له : كلب ، وأسد ،

ونمر ، وذئب ، وتغلب ، وفهد ، وضبع ، وذئب ، وسيد ، وسرحان . فمن أشراف

كلب : الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، وهو الذي تزوج عثمان بن

عفان ابنته نائلة بنت الفرافصة ؛ ومنهم زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله

ابن كنانة .

ومن أسلافهم في الإسلام دحية بن خليفة الكلبي ، وهو الذي كان جبريل

عليه السلام ينزل في صورته .

ومنهم حسان بن مالك بن جذيمة .

ومن قضاة : القين بن جسر بن شيب اللات بن أسد بن وبرة ؛ فمن أشراف

القین : دَعَج بن كُثَيْف ، وهو الذي أسر سِنان بن حارثة المرّي ؛ ومنهم نَدِيمَا
جَدِيمة ، وهما مالك وعقيل ابنا فارح ، ولهما يقول المُنخَل :

ألم تَعْلَى أن قد تَفَرَّقَ قَبْلَنَا * خَلِيلَا صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلُ

ومنهم سعد بن أبي عمر وكان سيد بني القين ورئيسهم .

ومن قضاة : تَنُوخ ، وهم ثلاثة أبطن : منهم بنو تيم الله بن أسد بن وبرة ،

ومنهم مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن ثعلبة بن مالك بن فهم ،
ومنهم أذينة الذي يقول فيه الأعشى :

أزالَ أذِينَةَ عَن مُلْكِهِ * وَأَخْرَجَ مِنْ قَصْرِه ذَا يَزَنَ

ومن بني قضاة : جَرْم وهو عمرو بن عِلَاف بن حُلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاة ، وإلى عِلَاف تنسب الرجال العلافية ، وقال الشاعر :

« بَجُوفِ عِلَافِي وَنِطْعٍ وَنُتْرُقٍ »

ومن جَرْم : الرَّعْل بن عُرْوَة وكان شريفًا ، ومنهم عِصَام بن شُهْبَر بن الحارث

وكان شاعرًا شجاعًا ، وله يقول النابغة :

فَأَنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولِي * وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

وله قيل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا * وَعَلَّتُهُ الْكِرَّةُ وَالْإِقْدَامَا

وجعلته مَلِكًا هَمَامًا

ولجرم أربعة من الولد : قدامة ، وجدة ، ومِلْكَان ، ونَاجِيَة ؛ فن بني قدامة :

كِنَانَة بن صَرِيم الذي كان يُهاجى عمرو بن معد يكرب ، ووَعْلَة بن عبد الله بن

الحارث الذي قتل الحارث بن عبد المَدَان .

ومنهم بنو شَن ، وهم باليمامة مع بني هِزَان بن عَنزَة ؛ ومنهم أبو قَلَابَة الفقيه

عبدُ الله بن زيد ؛ والمساور بن سَوَار ، ولي شرطة الكوفة لمحمد بن سليمان .

ومن بني جُدَة بن جَرْم : بنو رَاسِب ، وهم بنو الخزرج بن جددة بن جرم .

ومن قضاة : سَالِح ، وهو عمرو بن حُلوان ، بن عمران .

ومن بني سعد بن سَليح : الضَّجَاعَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَلُوكَ الشَّامِ قَبْلَ غَسَّانَ .
ومن بني النمر بن وبرة نُحَاشِينَ ، منهم أبو ثعلبة الحُشَينِي صاحب النبي صلى الله
عليه وسلم .

ومن بني النمر بن وبرة : غاضرة وعاتية ابنا سليم بن منصور .

- ٥ ومن بني أكم بن النمر : مَشْجَعَةُ بن الغوث : منهم معاوية بن حِجار ، الذي
يقال له ابن قارب ، وهو الذي قتل داود بن هبولة السليحي ، وكان ملكا .
بِهْرَاءُ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ : فولد بهراء : أهود ، وقاسطا ، وعبدة
وقسراً ، وعدنيا ، بطون كلها .

- ومنهم قيس وشيب ، بطنان عظيمان ، ومنهم المقداد بن عمرو صاحب النبي
١٠ صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود ؛ لأن الأسود بن
عبد يغوث كان تبناه ، وقد انتسب المقداد إلى كندة ؛ وذلك أن كندة سبته في
الجاهلية فأقام فيهم وانتسب إليهم .

- ومن قُضَاعَةَ : بَيْلِيُّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ : منهم المجدد بن ذناب
قاتل أبي البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى في يوم بدر
وهو يقول :
١٥

بَشْرٌ يَبْتَمُّ مَنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِيُّ هـ أَوْ بَشْرٌ يَمِثُّهَا مَنِ أَبِي

أَنَا الَّذِي أَزْعَمُ أَصْلِي مَنْ بَيْلِي هـ أَضْرِبُ بِالْهَنْسِدِيِّ حَتَّى يَنْثَنِي

وفيهم بنو إراشة بن عامر ؛ منهم كعب بن عُجْرَةَ الأنصاري صاحب النبي عليه
الصلاة والسلام ، وسهل بن رافع صاحب الصاع .

- ٢٠ وفيهم بنو العجلان بن الحارث : منهم ثابت بن أرقم شهد بدرًا وهو الذي
قتله طلحة في الردة .

ومنهم بنو وائلة بن حارثة أخى بني عجلان : منهم النعمان بن أعصر ،
شهد بدرًا .

ومن قضاة : مَهْرَة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وهو الذي
تنسب إليه الإبل المهرية .

ومهم : كرز بن روعان . من بني المذم الذي صار إلى معديكرب بن جبلة
الكندي ، وهو الذي يقول :

تَقُولُ بُنَيْتِي لِمَا رَأَيْتِي . أَكْكَ عَلَيْهِمْ وَأَذُبُ وَحْدِي

لَعَمْرُكَ إِنَّ وَنَيْتَ الْيَوْمَ عَنْهُمْ . لَتَسْتَقْلِبَنَّ مَصْرُوعًا بَخْرَدَ

ومهم ذَهَبَن بن قِرْضِم بن العَجِيل ، وهو الذي كان وفد إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وكتب له كتاباً وردّه إلى قومه .

جُهَيْتَة بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . منهم : سُويد بن
عمرو بن جذيمة بن سبرة بن حُديج بن مالك بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن مضر
ابن مالك بن عطفان بن قيس بن جهينة ، وكان شريفاً .

ومن قضاة : تَهْد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . منهم
الصَّعْق ، وهو جُشْم بن عمرو بن سعد ، وكان سيد نهد في زمانه ، وكان قصيراً
أسود دميماً ، وكان النعمان قد سمع شرفه فأتاه ؛ فلما نظر إليه نبت عنه عينه ،
فقال : « تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه » . فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال
ليست بمسوك يُستقى فيها الماء ، وإنما المرء بأصخريه : قلبه ولسانه ، إذا نطق
نطق ببيان ، وإن صال صال بجنان . قال : صدقت ! ثم قال له : كيف عليك
بالأمور ؟ قال : أبغض منها المقبول ، وأبزم المسعول ، وأحبلها حتى تحول ،
وليس لها بصاحب ، من لم ينظر في العواقب .

ومهم : ودعة بن عمرو صاحب بسبَس ، طليعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
عُدْرَة بن سعد هُدَيْم بن زيد بن لَيْث ؛ منهم خالد بن عَرَفْطَة ، ولاء سعد
ابن أبي وقاص ميمنة الناس يوم القادسية . ومنهم عُرْوَة بن حزام صاحب عفرأه
ومهم رَزَاح بن ربيعة أخو قُصَيٍّ لأمه ، وهو الذي أعان قُصَيًّا حتى غلب على
البيت . ومنهم جميل بن عبد الله بن معمر بن تَهِيك صاحب بئينة .

وبنو الحارث بن سعد . إخوة عُدرة .
فهؤلاء بطون قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة . وهؤلاء أولاد
جمير بن سبأ .

كهلان بن سبأ

٥ الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .
فن قبائل الأزد : الأنصار ، والأوس ، والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن
عمرو بن عامر ، وأمهما قبيلة .

هؤلاء الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة - وهو العنقاء - ابن عمرو بن
ثعلبة - وهو المزيقيا - ابن عامر ، وهو ماء السماء .

١٠ فن بطون الأوس والخزرج وجماهيرها : عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس
- وهم بنو السبيعة ، بها يعرفون - وهم عوف [وحبيب] وثعلبة ولوذان ،
بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . منهم : عاصم بن ثابت
ابن أبي الأفلح الذي تحمت لحمه الدبر ، والأحوص [بن محمد] بن عبد الله الشاعر ،
١٥ وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأبو سفيان الحارث ، بدرى . وأبو مليل
ابن الأزعر ، بدرى .

حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، منهم : سويد بن الصامت
قتله المجذّر بن زياد في الجاهلية ، فوثب ابنه على المجذّر فقتله في الإسلام ، فقتله
النبي عليه الصلاة والسلام .

٢٠ عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .
منهم : سعد بن معاذ الذي اهتز لموته العرش ، بدرى ، حكم في بني قريظة والنضير ،
وعمر بن أمية بن معاذ ، شهد بدرًا وقتل يوم أحد . والحارث بن أذس ، شهد
بدرًا وقتل يوم أحد ، وعمار بن زياد قتل يوم بدر ، وأسيد بن الحضير بن سمالك ،

شهد العقبة وبدراً : وريعة بن زيد شهد العقبة وبدراً .

ريعة بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك
ابن الأوس . منهم : رفاعة بن قيس ، قتل يوم أحد . وسلبة بن سلامة بن وقش ،
شهد بدراً وقتل يوم أحد . وأخوه عمرو بن سلامة ، قتل يوم أحد ، ورافع بن
يزيد ، بدرى .

زَعُورًا بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . منهم :
مالك بن التيهان أبو الهيثم ، نقيب بدرى عقي ؛ وأخوه عتبة^(١) بن التيهان ، بدرى
قتل يوم أحد .

خطمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس . منهم : عدى بن خرشة ،
وعمر بن خرشة ، وأوس بن خالد ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وعبد الله
ابن يزيد الأنصاري ، ولى الكوفة لابن الزبير .

واقف : هو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . منهم : هلال بن
أمية ، وعائشة بن نمير الذى ينسب إليه بئر عائشة بالمدينة ، وهرم بن عبد الله السلى
ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . ومنهم : سعد بن خيشمة بن الحرث ، بدرى
عقي نقيب ، قتل يوم أحد .

عامرة : هم أهل رايخ بن مرة بن مالك بن الأوس . منهم : وائل بن زيد بن
قيس بن عامرة ، وأبو القيس بن الأسلت .

الخزرج

فن بطون الخزرج : النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج : غنم بن مالك بن
النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . منهم : أبو أيوب خالد بن زيد ، بدرى .
وثابت بن النعمان ؛ وسراقة بن كعب ؛ وعمارة بن حزم ؛ وعمرو بن حزم ؛ بدرى
عقي ؛ وزيد بن ثابت صاحب القرآن والفرائض ؛ بدرى ؛ ومعاذ ومعوذ وعوف

(١) ويروى «عتيك» ،

- بنو الحارث بن رفاعه . وأمههم عفراء ، بها يعرفون ، شهدوا بدرًا ؛ وأبو أمامة أسعد بن زرارة ؛ نقيب عقبى بدرى ؛ وحارثة بن النعمان ، بدرى .
- مبدول : اسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج .
منهم : حبيب بن عمرو ، قتل يوم اليمامة ، وأبو عمرة ، وهو بشير بن عمرو ، قتل مع علي بن أبي طالب بصفين . والحارث بن الصمة ، بدرى . وسهل بن عتيك ، بدرى .
- حُدَيْلَة : هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . أمه حديلة وبها يعرفون . منهم : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن معاوية . وأبو حبيب بن زيد ، بدرى .
- ١٠ مَعَالَة : هو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار . منهم : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام شاعر النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو طلحة وهو زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام .
- ملحان بن عدى بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : سُليْم بن ملحان ، وحرام بن ملحان ، بدريان ، قتلا يوم بدر معونة .
- ١٥ غَنَم بن عدى بن النجار . منهم : صِرْمَة بن أنس بن صرمة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . ومحرز بن عامر ، بدرى . وعامر بن أمية ، بدرى ، قتل يوم أحد . وأبو حكيم وهو عمرو بن ثعلبة ، بدرى . وأبو خارجة وهو عمرو ابن قيس ، بدرى . وابنه سبرة أبو سليط ، بدرى . وثابت بن خنساء ، بدرى . قتل يوم أحد ، وأبو الأعور وهو كعب بن الحرث ، بدرى . وأبو زيد أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبنو الحسحاس الذين ذكروهم حسان في قوله :

• ديارٌ من بني الحسحاس قفرُ •

مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن زيد ، قطع

مسيلة جسده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليه ؛ وعبد الرحمن بن كعب من الذين تولوا وأعيهم تفيض من الدمع ، بدرى . وقيس بن أبي صعصعة ، بدرى . وغزيرة بن عمرو ، عقي .

- ٥ بنو الحارث بن الخزرج . منهم : عبد الله بن رواحة الشاعر ، بدرى عقي نقيب . وخلاد بن سويد ، بدرى ، قتل يوم قريظة . وسعد بن الربيع ، بدرى عقي نقيب ، قتل يوم أحد . وخارجة بن زيد ، بدرى عقي نقيب قتل يوم أحد . وابنه زيد بن خارجة الذى تكلم بعد موته . وثابت بن قيس بن شماس ، خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم اليمامة وهو على الأنصار ؛ وبشير بن سعد ، بدرى عقي . وأبو النعمان بن بشير . وزيد بن أرقم . وابن الأطنابة الشاعر .
- ١٠ ويزيد بن الحارث الشاعر ، بدرى . وأبو الدرداء وهو عويمر بن زيد . وعبد الله بن زيد الذى أرى الأذان . وسبيع بن قيس ، بدرى . وعامر بن كعب الشاعر .
- بنو خُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . منهم : أبو مسعود عقبة بن عمرو ، بدرى عقي . وعبد الله بن الربيع ، بدرى . وأبو سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك .
- ١٥ بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج . منهم سعد بن عبادة بن دُليم ، كان من النقباء ، وهو الذى دعا إلى نفسه يوم سقيفة بني ساعدة . والمنذر بن عمرو ، بدرى عقي نقيب ، قتل يوم بئر معونة . وأبو دجانة وهو سَمَّاك بن أوس بن جرشة . وقيس ابن سعد . وأبو أسيد وهو مالك بن ربيعة قتل يوم اليمامة . ومسيلة بن مخلد . سالم بن عوف بن الخزرج . منهم : الرَّمَق بن زيد الشاعر ، جاهلى . ومالك ابن العجلان بن زيد بن سالم سيد الأنصار الذى قتل الفِطْيُون .
- ٢٠ القوقل : هو عَم بن عمرو بن عوف بن الخزرج . منهم : عبادة بن الصامت ، بدرى نقيب . ومالك بن الدُّخْشُم ، بدرى . والحارث بن خزيمة ، بدرى .
- بنو يياضة بن عامر بن زُرَيْق . منهم : زياد بن لبيد ، بدرى . وفروة بن عمرو ، بدرى عقي . وخالد بن قيس ، بدرى . وعمرو بن النعمان رأس الخزرج

يوم بعث . وابنه النعمان صاحب راية المسلمين بأحد .

العجلان بن زيد بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ ومن
بني العجلان : عبد الله بن فضلة بن مالك بن العجلان البدرى ، قتل يوم أحد .
وعياش بن عباد بن فضلة . ومُليل بن وبرة ، بدرى . وعصمة بن الحصين بن وبرة
بدرى . وأبو خيثمة ، وهو مالك بن قيس .

الْحَبْلِي : وهو سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ سمي
الحبلى لعظم بطنه . منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ؛ وابنه
عبد الله بن عبد الله ، شهد بدرًا وقتل يوم اليمامة . وأوس بن خولى ، بدرى .

بنو زريق بن عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج .

١٠ منهم : ذكوان بن عبد قيس ، بدرى عقبى قتل يوم أحد . وأبو عباد سعد بن
عثمان ، بدرى . وعُتْبَةُ بن عثمان بدرى . والحريث بن قيس ، بدرى . وأبو عياش بن
معاوية فارس جُلُوة ، بدرى . ومسعود بن خَلْدَةَ ، بدرى . ورفاعة بن رافع ،
بدرى . وأبو رافع بن مالك ، أول من أسلم من الأنصار .

بنو سَلَةَ بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج . منهم :

١٥ جابر بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . ومعاذ بن الصَّمَّة ، بدرى .
وخراش بن الصمة ، شهد بدرًا بفرسين . وعُتْبَةُ بن أبي عامر ، بدرى . ومعاذ بن
عمرو بن الجحوح ، بدرى ، وهو الذى قطع رجل أبي لهب . وأخوه معوذ بن
عمرو ، قتل يوم بدر . وأبو قتادة واسمه النعمان بن ربيع . وكعب بن مالك
الشاعر وأبو مالك بن أبي كعب الذى يقول :

٢٠ لَعَمْرُ أَيْهَا مَا تَقُول حَلِيلَتِي ۚ إِذَا فَرَّ عَنْهَا مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ

وبشر بن عبد الرحمن ؛ والزبير بن حارثة ؛ وأبو الخطاب وهو عبد الرحمن

ابن عبد الله ؛ ومعن بن وهب - هؤلاء الخمسة شعراء - وعبد الله بن عتيك ، قاتل
ابن أبي الحقيق . هذا نسب الأنصار .

خزاعة

هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ؛ وإنما قيل لهم خزاعة ؛
لأنهم انخزعوا من ولد عمرو بن عامر في إقبالهم من اليمن ؛ وذلك أن بني مازن
من الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد - نزل بنو مازن على ماء بين زيد
ورمع يقال له غسان ؛ فمن شرب منه فهو غساني ؛ وأقبل بنو عمرو فانخزعوا من
قومهم فزولوا مكة ؛ ثم أقبل أسلم ومالك وملكان بنو أفضى بن حارثة فانخزعوا ،
فسموا خزاعة ، واقترق سائر الأزد ، فالأنصار وخزاعة وبارق والهجن وغسان ؛
كأها من الأزد ، فجميعهم بن عمرو بن عامر ، وذلك أن عمرو بن عامر ولد له حفنة
والحارث وهو محرق ، لأنه أول من عذب بالنار ، وتعلبة العنقاء ، وهو أبو الأنصار ،
وحارثة ، وهو أبو خزاعة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووداعة ، وهو في
همدان ، وعوف ، وذهل ، وهو وائل ، وعمران . فلم يشرب أبو حارثة ولا
عمران ولا وائل من ماء غسان ، فليس يقال لهم غسان .

بطون من خزاعة

حليل بن حُبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . وهو كان صاحب
البيت قبل قريش ، منهم المحترش بن حليل بن حبشية - الذي باع مفتاح الكعبة
من قصي بن كلاب - ، وهلال بن حليل ، وكرز بن علقمة - الذي قفا أثر النبي
صلى الله عليه وسلم حتى دخل النار ، وهو الذي أعاد معالم الحرم في زمن معاوية
فهو إلى اليوم - ، وطارق بن باهية الشاعر .

قير بن حُبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . فمن بني قير : بُسر
ابن سفيان الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجلجلة بن عمرو الذي
ذكره أبو الكنود في شعره ، ومن ولده قيصة بن ذؤيب بن جلجلة ، ومالك بن
الهيثم بن عوف .

كليب بن حُبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة ؛ منهم : السفاح

ابن عبد مناة الشاعر ، وخرّاش بن أبي أمية حليف بني مخزوم ، وهو الذي حُجِمَ^(١) النبي عليه الصلاة والسلام .

ضاطر بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : حفص ابن هاجر الشاعر ، وقرة بن إياس الشاعر . وكان ابنه يحيى بن قرة سيد قومه . وطلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز بن الحدادية الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو .

حرام بن عمر بن حبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم أكرم ابن أبي الجون ، وسلطان بن صرد بن الجون ، ومعتب بن الأكوخ الشاعر . وأم معبد : وهي عاتكة بنت خُطَيْف التي نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم في مهاجرته إلى المدينة .

١٠ غاضرة بن عمرو بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : عمران بن حصين صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وسعيد بن سارية ، ولى شرطة علي بن أبي طالب . وأبو جمعة جند كثير عزة . وجعدة وأبو الكنود ابنا عبد العزى .

١٥ مليح بن خزاعة ، منهم : عبد الله بن خلف ، قتل مع عائشة يوم الجمل . وأخوه سليمان بن خلف ، كان مع علي يوم الجمل ، وابنه طلحة بن عبد الله ابن خلف يقال له طلحة الطلحات ، وهو أجود العرب في الإسلام ، وعمرو بن سالم الذي يقول :

لَا أُمُّ إِي نَاشِدُ مُحَمَّدًا ۝ حَلَفَ أَيْنَا وَأَيْبِهِ الْأَتْلَدَا

ومنهم كثير عزة الشاعر ، كنيته أبو عبد الرحمن .

٢٠ عدى بن خزاعة . منهم : بديل بن ورقاء الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، وابنه عبد الله بن بديل ، ونافع بن بديل ، قتل يوم بدر . ومحمد بن ضرة كان شريفا ، والحبيسان بن عمرو الذي

(١) في بعض الأصول : حلق .

جاء يقتل أهل بدر إلى مكة وأسلم بعد ذلك .

سعد بن كعب بن خزاعة ؛ منهم : مطرود بن كعب الذي رثى بني عيذ مناف ، وعمرو بن لَحْمِيق صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وأبو مالك القائد وهو أسد ابن عبد الله ؛ والحصين بن فضلة ، كان سيد أهل تهامة ، مات قبل الإسلام ؛ والحرث بن أسد ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

المُصْطَلِق بن سعد بن خزاعة ؛ منهم جُورِيَّة بنت الخزرج زوج النبي عليه الصلاة والسلام .

وإخوة خزاعة وهم ينسبون في خزاعة : أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو ابن عامر ؛ منهم : بريدة بن الحُصَيْب صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . وسَلَنَةُ ابن الأكوخ صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومَلِكَان بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر . ومنهم ذو الشمالين ، وهو عمير بن عبد عمرو ، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومالك بن الطَّلَاطِلَة ، كان من المستهزئين من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونافع بن الحارث ولي مكة لعمر بن الخطاب .

مالك بن أفضى بن عمرو بن عامر ؛ منهم : عويمر بن حارثة ؛ وسليمان بن كُثَيْب ، من نُقباء بني العباس ، قتله أبو مسلم بخراسان .

سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : جَرَهْد ابن رِزَاح كان شريفًا ، وأبو بردة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . فرغت خزاعة .

بارق والهجن

ولد عدى بن حارثة بن عامر : سعدا - وهو بارق - ، وعمراً - وهم الهجن -

خزاعة وبارق والهجن : من بني حارثة بن عمرو بن عامر .

فن بارق : سراقه بن مرداس الشاعر وجعفر بن أوس الشاعر ، ومنهم
النعمان بن نحيصة ، جاهلي شريف . وبارق والهجن لا يقال لهما غسان ؛ وغسان
ماء بالمشلل ، فن شرب منه من الأزدي فهو غساني ، ومن لم يشرب منه فليس بغساني ؛
وقال حسان :

• إنا سألتَ فإنا مُعشَّرٌ نُجِبُ . الأزْدُ نِسبتنا والماءُ غان

ومن الهجن : عرجة بن هرثمة الذي جند الموصل ، وعداده في بارق ؛ ومنهم
ربعة وملادس وثلعة وشيبب وألمع ، بنو الهجن .

حُجر بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن
الأزد ؛ ومنهم : أبو شجرة بن حجنة ، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم :
• صيفي بن خالد بن سلة بن هرثيم .

والعتيك : هو ابن الأزدي عمران بن عمرو ؛ منهم : المهلب بن أبي صفرة ،
واسم أبي صفرة ظالم بن سراقه ؛ وجديع بن سعيد بن قبيصة . ومن العتيك :
عمرو بن الأشرف ، قتل مع عائشة يوم الجمل ؛ وابنه زياد بن عمرو ، كان
شريفاً ؛ وثابت قطنه الشاعر . ويقال إن العتيك : ابن عمران بن عمرو بن
• أسد بن خزيمه . فهؤلاء بنو عمران بن عمرو بن عامر ؛ وهم : الحجير ،
والأزد ، والعتيك .

ومن بطون الأزد :

بنو ماسجة بن عبد الله بن مالك بن النصر بن الأزد ، إليهم تنسب القسي
الماسجية ، كان أول من رمى بها بنو زهران بن كعب بن الحارث بن كعب
• ابن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد . ومنهم : حمزة بن رافع ؛ وفيهم :
بنو النمر بن عثمان بن النصر بن هوازن ؛ ومنهم : أبو الكنود صاحب
ابن مسعود ، قتل يوم الفجار ؛ وأبو الجهم بن حبيب ، كان والياً لآبي جعفر :

وأبو مرثد ، وهو حذيفة بن عبد الله ، صاحب رأيهم يوم رستم ، والحارث بن حصيرة الذي يحدث عنه ، ومخلد بن الحسن ، كان فارساً بخراسان .

وقهَم بن زهران بطن وحُدان بطن ، وزيادة بطن : ومَعْوَلَة ، بنو شمس ابن عمرو بن غم بن غالب بن عثمان بن نصر بن هوازن .

٥ فمن بني حُدان : صبرة بن شيان ، كانت رأس الأزد يوم الجمل ، وقتل يومئذ .

ومن بني مَعْوَلَة بن شمس : الجُلندي بن المُستكين صاحب عثمان ، وابنه جيفر . وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جيفر وعبيد ابني الجلندي ، ومنهم

١٠ الغطريف الأصغر والغطريف الأكبر من بني دهمان بن نصر بن زهران ، ومنهم سبالة ، وحدروج ، ورسن بنو عمرو بن كعب بن الغطريف ، بطون كلهم ، وبنو جَعِثمة بن يشكر بن ميسر بن صعب بن دهمان .

بنو راسب بن مالك بن مبدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، منهم : عبد الله ابن وهب ذو الثففات ، رئيس الخوارج ، قتله علي بن أبي طالب يوم النهروان . ومن الناس من ينسب بني راسب في قُضاعة .

١٥ ثُمالة ، وهو عوف بن أسلم بن أبحر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وثُمالة منزلم قريب من الطائف ، وهم أهل روية وعقول ، ومنهم : محمد بن يزيد النحوي المعروف بالبرد صاحب الروضة ، وقال فيه بعض الشعراء :

سألنا عن ثُمالة كلِّ حَيٍّ . فقال القائلون ومن ثُمالة

٢٠ فقلتُ : محمد بن يزيد منهم ، فقالوا الآن زدت بهم جهالة

بنو لُهب بن أبحر بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أعْيَف كلِّ حَيٍّ في العرب - العائف : الذي يزجر الطير - ولهم يقول كثير عزة :

تيممتُ لُهباً أبغى العلمَ عندهم . وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لُهبِ

دوس

دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ، ومنهم حُمة بن الحارث بن رافع ، كان سيد دوس في الجاهلية ، وكان لأخى العرب ، وهو مُطيم الحاج بمكة ، ومنهم أبو هريرة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، واسمه عُمير بن عامر . ومنهم جَذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وجهضم بن عرف بن مالك ابن فهم بن غنم بن دوس ، ومنهم الجراميز ، جمع جرموز ، والقراديس ، جمع قردوس ، والقامل ، جمع قسمة ، والأشقر ، جمع أشقر ، وهم بنو عائذ بن دوس ، وفيهم يقول الأعمى :

قالوا الأشاقر تهجومك فقلت لهم . ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

وهم من الحسب الزاكي بمنزلة . كطُحلب الماء لا أصل ولا ورق

١٠ لا يكبرون وإن طالَّت حياتهم . ولو يبول عليهم ثعلبُ غرقوا

عك بن عدنان بن عبد الله بن زهران . وعك أخو دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران عند من نسبهم إلى الأزدي ، ومن قال غير ذلك ، فهو عك ابن عدنان أخو معد بن عدنان . وفي عك : قرن ، وهو بطن كبير ، منهم مقاتل ابن حكيم ، كان من نقباء بني هاشم بخراسان .

غان

١٥ غسان ، وهم بنو عمرو بن مازن ، وفيهم : صريم ، وبنو نقيل ، وهم الصبر ، سُموا بذلك لصبرهم في الحرب ، وفي بني صريم شقران وتمران ابنا عمرو بن صريم ، وهما بطنان في غسان .

بنو عترة

٢٠ وبنو عترة بن عمرو بن عرف بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزدي . منهم : الحارث بن أبي شمر الأعرج ، ملك غسان الذي يقال فيه الجفني ، وليس بجفني ولكن أمه من بني جفنة . ومن بني عمرو بن مازن : عبد المسيح ابن عمرو بن ثعلبة صاحب خالد بن الوليد ، ومنهم عبد المسيح الجُهيد ، ومنهم سطيح الكاهن ، وهو ربيعة بن ربيعة .

ومن بني غسان : بنو جفنة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة

ابن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ؛ ومنهم : مُلوك غسان بالشام ، وهم سبعة وثلاثون ملكا ، ملكوا ستماية سنة وست عشرة سنة إلى أن جاء الإسلام .

بجيلة ، وهم عبقر والغوث وصهيب ، ووداعة وأشهل ؛ نُسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العثيرة ؛ وهم بنو أنمار بن إراس بن عمرو بن الغوث ، أخو الأزد بن الغوث . منهم : جَرير بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان يُقال لجرير : يوسف هذه الأمة ؛ لحسنه . وفيهم يقول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكت بجيلة * نعم الفتى وبئست القبيلة

ومنهم : الضبين بن مُضر الذي وقع بيني كنانة ، ومنهم القاسم بن عُقيل أحد بني عائذة بن عامر بن قُداد . كان شريفا . وهو الذي ابتداء منافرة بجيلة وقضاة .

وفي بجيلة قيس بن عبقر منهم : خالد بن عبد الله القسري صاحب العراق . ومنهم بنو أحس ، وهم بنو علقمة بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو ابن الغوث ؛ وبنو زيد بن الغوث بن أنمار ؛ وبنو دهن بن معاوية بن أسلم ابن أحس رهط عمار الدهني .

ومن قبائل بجيلة : هُدم ، وهديم ، وأحس ، وعادية ، وعدية ، وقينان ، وعُرينة بن زيد .

خنعم - هو : خنعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخى الأزد ابن الغوث . فتي خنعم : عفرس ، وناهس ، وشهران ، فيها الشرف والعدد .

فن بنو شهران : بنو قُعاقة بن عامر بن ربيعة ؛ منهم : أسماء بنت حميس ، ومالك بن عبد الله الذي قاد خيل خنعم إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ربيعة بن عفرس : نُفيل بن حبيب دليل الحبشة على الكعبة ، وهو القاتل :

وكاهمُ يُسائل عن نُفيل . كأنَّ عليَّ للحُبشان دينا

وما كانت دلائلهم يزيين . ولكن كان ذلك على شينا
فإنك لو رأيت ولم تراه . لدى جنب المحصب مارأينا
إذا لم تفرحى أبداً بشيء . ولم تأسى على ما فات عينا
حدث الله إذ أبصرت طيراً . وحصب حجارة ترمى علينا

- ومن خشم : عثمت بن قحافة ، وهو الذى هزم همدان وسدحج . وله
يقول الشاعر :

وجرثومة لم يدخل الذل وسطها . قرية أنساب كثير عديها
ململمة فيها فوارس عثمت . بنوه وأبناء الأقيصر جديها
ومنهم حمران الذى يقول :

- أقسمت لا أموت إلا حراً . وإن وجدت الموت طعماً مرّاً
أخاف أن أخدع أو أغرّاً
ويقال إن خشم اسمه أفتل ، وإنما خشم جعل كان لهم نسبوا إليه .

همدان

- وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد
ابن كهلان ؛ فولدت همدان ؛ حاشداً وبكيلاً ؛ ومنهما تفرقت همدان .
فن بطون همدان شيام ، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد .
ومنهم ناعط وهو ربيعة بن مرثد بن حاشد بن جشم بن حاشد . ومنهم وداعة
ابن عمرو بن عامر ، وهط مسروق بن الأجدع ؛ ومن الناس من يزعم أنه وداعة
ابن عمرو بن عامر بن الأزد ، ولكنهم انقسموا إلى همدان
وهو همدان ؛ بنو السبيع بن الصعب بن معاوية بن كبير بن مالك بن جشم
ابن حاشد ؛ منهم : سعيد بن قيس بن زيد بن حرب بن معديكرب بن سيف بن عمرو
السبيعي ؛ ومن بنى ناعط ؛ الحارث بن حميرة الذى يمدحه أعشى همدان بقوله :
إلى ابن حميرة تخدي بنا . على أنها القاص الضمر

ومن بنى بكيل بن جشم بن خوان بن نوف بن همدان : بنو جَوْب - وهم الجويون - ابن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دؤمان بن بكيل .
 وبنو أرحب بن دُعَام بن مالك بن معاوية بن صعب . وبنو شاكر ، وهم أبو ربيعة ابن مالك بن معاوية بن صعب ، وهم الذين قال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته . وكان إذا رآهم تمثل بقول الشاعر :

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مُغلقةً . ومثلُ همدانِ سئى فتحة البابِ

كالهندوانى لم تُفَلِّلْ مضارِبُهُ . وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرٌ وجابِ

وقال فيهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

لِهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزيّنُهُم . وبأسٌ إذا لاقوا وحسُنُ كلامِ ١٠

فلو كنتُ بوأباً على بابِ جَنَّةٍ . لقلتُ لِهمدانَ أدخلوا بسلامِ

ومن أشرف همدان : مالك بن حريم الدَّلَاني ، وكان فارساً شاعراً ؛ ومنهم محمد بن مالك الحَيَوَانِي ، وكان يُجِير قريشاً في الجاهلية على اليمن ؛ وفي همدان : جشم ، وهم رهط أعشى همدان ؛ وفيهم خيوان ، وهو مالك بن زيد بن جشم بن حاشد ؛ وفيهم دألان بن سابقة بن ناشج بن دافع ؛ منهم مالك بن حريم الذي يقول :

وكنْتُ إذا قومٌ غزَوِي غزَوِيهِمْ . فهل أنا في ذا يا لِهمدانَ ظالمٌ

متى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارِماً . وأنفأ حِمياً تجتدبكِ المظالمُ

ومنهم : أرحب بن دُعَام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دؤمان بن بكيل .
 منهم : أبو رُهم بن مُطعم الشاعر ، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بن خمسين ومائة سنة .

وفي همدان : إلهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك ، ومنهم : حَوْشب .

قتل بصفين مع معاوية .

كِنْدَةَ

كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن
عريب بن زيد بن كهلان .

فن بطون كندة : الرائش بن الحارث بن معاوية بن كندة ؛ منهم : شريح بن
الحارث القاضى ؛ ومنهم معاوية الأكرمين الذى مدحهم الأعدى ؛ ومنهم الأشعث
ابن قيس بن معديكرب ؛ والصباح بن قيس وشرحبيل بن السمط ، ولى حصص ؛
وحجر بن عدى الأديب صاحب على ، وهو الذى قتله معاوية صبغاً .

ومنهم : بنو مرة بن حجر ، لهم مسجد بالكوفة ؛ ومنهم : الأسود بن الأرقم ؛
وبزيد بن فروة الذى أجاز خالد بن الوليد يوم قطع نخل بنى وليعة ؛ وفى كندة
معاوية الولادة . سُمى بذلك لكثرة ولده ؛ ومنهم حجر الفرد ، سُمى بذلك لجوده ،
وأهل اليمن يُسمون الجواد : الفرد ، ومنهم معاوية مقطّع النجد ، كان لا يتقلد أحد
معه سيفاً إلا قطع نجاده .

فن بنى حجر الفرد الملوك الأربعة : مخوس ، ومشرح ، وجند ، وأبضعة ؛
وأختهم العمزدة ، بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن حجر الفرد ؛ وهم
الذى يقول فيهم الشاعر :

نَحْنُ قَتَلْنَا بِالنَّجْدِ أَرْبَعَةَ مَخُوسٍ مِشْرَحًا وَجَنْدًا أَبْضَعَهُ

ومن بنى امرئ القيس بن معاوية : رجاء بن حيوة الفقيه ، وامرؤ القيس
ابن السمط . ومن أشرف بنى الحرث بن معاوية بن ثور : امرؤ القيس الشاعر
ابن حجر بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن
ثور ؛ وهم ملوك كندة ؛ ومنهم : حجر بن الحارث بن عمرو ، وهو ابن أم قظام
بنت عوف بن محلم الشيباني .

ومن بطون كندة : السكاسك والسكون . ابنا أشرس بن كندة ؛ ومنهم
معاوية بن حديج ؛ قاتل محمد بن أبى بكر ؛ ومنهم الجون بن يزيد ، وهو أول

- من عقد الحلف بين كندة وبين بكر بن وائل ؛ ومنهم حُصَيْن بن نَمِير السَّكُونِي ،
صاحب الجيش بعد مُسلم بن عُقْبَةَ صاحب الحرّة .
- ومن السَّكُون : تَجِيْب ؛ وهما عدى وسعد ابنا أشرس بن شيبب بن السَّكُون
وأمهما تَجِيْب بنت ثوبان بن مذحج ، إليها ينسبون .
- ٥ فن أشراف تَجِيْب : ابنُ غزالة الشاعر ، جاهلي ، وهو ربيعة بن عبد الله ؛
وحارثة بن سلة ، كان على السَّكُون يوم مُحَيَّاة ، وهو يوم اقتتلت معاوية بن كندة
وكنانة بن بشر الذي ضرب عثمان يوم الدار .
- والسَّكاسك بن أشرس بن كندة ، منهم الصَّحَّاح بن رَمَل بن عبد الرحمن ؛ وُحَوَيَّ
ابن مانع الذي زعم أهلُ الشام أنه قتل عمار بن ياسر ؛ ويزيد بن أبي كبشة صاحب
١٠ الحجاج . انقضى نسب كندة .

مذحج

- ومن بني أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان : مالك بن أدد ، وهو مَذْحِج وطِيئ بن أدد
والأشعر بن أدد .
- ١٥ وقال ابن الكلبي : إن مذحج بن أدد هو ذو الأنعام ، وله ثلاثة نفر : مالك
ابن مذحج وطِيئ بن مذحج والأشعر بن مذحج .
- فن قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛ وولده الحكم بن سعد
العشيرة ، وهو قبيل كبير ؛ منهم الجراح بن عبد الله الحكمي ، قتله أترك أيام
عمر بن عبد العزيز ، وهم موالي أبي نواس . وفي بعضهم يقول :
- ٢٠ ياشقيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكْمِهِ نِمْتَ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَسْمِ
- وإنما سمي سعد العشيرة ؛ لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده
ثلثمائة رجل ؛ ومنهم عمير بن بشر ، ومنهم بُندقة بن مَظَّة .
- ومن بطون سعد العشيرة : جَعْف بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛

وصعب بن سعد العشيرة ، دخل في جُحف وجزء بن سعد العشيرة فمن ولد جزء بن سعد العدل ، والجد ؛ وكان العدل على شُرطة تبع ، وكان إذا أراد قتل رجل قال : يُجعل على يدي عدل . وهو قولُ الناس : فلان على يدي عدل ، إذا كان مشرفاً على الهلاك .

- ٥ ومن أشرف جُحف : أبو سبرة ، وهو يزيد بن مالك ؛ كان وقد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له ؛ ومنهم شراحيل بن الأصهب ، كان أبعَد العرب غارة كان يغزو من حضرموت إلى البلقاء في مائة فارس من بني أبيه ؛ فقتله بنو جعدة فبه يقول نابغة بنى جعدة .

- أَرَحْنَا مَعْدَاً مِنْ شَرَا حَيْلٍ بَعْدَ مَا هَ أَرَاهَا مَعَ الصُّبْحِ الْكَوَاكِبِ مَطْهَرَا
١٠ وَعَلَقَمَةَ الْحَرَابِ أَدْرَكَ رَكْعَتَنَا هَ بِيْدِي الرَّمْثِ إِذْ صَامَ النَّهَارَ وَهَجْرَا
وعلقمة الحزاب كان رأس بنى جحف بعد شراحيل . ومن بنى جحف : زحر ابن قيس صاحب علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومنهم الأشعر بن أبي حوران الذى يقول فيه :

- أُرَيْدُ دُعَاءَ بَنِي مَازِنٍ هَ وَرَاقَ الْمُعَلَى بِيَاضُ اللَّيْلِ
١٥ خَلِيلَانَ مُخْتَلَفَ بَيْنِنَا هَ أُرَيْدُ الْعَلَاءِ وَيَبْنِي السَّمَنِ
ومنهم : عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْفَانِكِ الْجَمْعِي .

- ومن بنى سعد العشيرة : أود ؛ وزُيَيْدُ ، واسمه منبّه ؛ وهما ابنا صعب بن سعد العشيرة وزُيَيْدُ الأصغر ، وهو منبه الأصغر بن ربيعة بن سلة بن مازن بن ربيعة بن زُيَيْدُ بن صعب بن سعد العشيرة . ومنهم : أبو المغراء الشاعر ، ومنهم الزعافر وهو عامر بن حرب بن سعد بن منبّه بن أود ، ومنهم عبد الله بن إدريس الفقيه ، ومنهم الأفوه الشاعر ، واسمه صلاة بن عمرو ، ومنهم : بنو رمان بن كعب بن أود ، من ولده عافية بن يزيد القاضى ، وبنو قرن لهم مسجد بالكوفة .
زُيَيْدُ بْنُ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ . واسمه منبّه وهو زيد الأكبر . من

ولده زُيد الأصغر ، وهو زيد بن ربيعة بن سلة بن مازن بن ربيعة بن زيد ابن صعب .

ومن بني زيد الأصغر : عمرو بن معد يكرب ، وعاصر بن الأصقع الشاعر ، ومعاوية بن قيس بن سلة ، وهو الأفكل ، وكان شريفاً ، وإنما سمي الأفكل لأنه كان إذا غضب أردد ؛ ويقال : الأفكل من بني زيد الأكبر . ومنهم : الحارث ابن عمرو بن عبد الله بن قيس بن أبي عمرو بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن زيد الأصغر . فهذه سعد العشيرة .

ومن مذحج : جنب ، وصداء ، ورهاء ؛ فن بنى جنب : مُنبه ، والحارث ، والغلي وشيخان ، وشمران ، وهفان . فهؤلاء الستة - وهم جنب - بنو يزيد بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد ؛ وإنما قيل لهم جنب ؛ لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة ؛ وحالفت صداء بنى الحارث بن كعب . فن جنب أبو طيبان الجنبى الفقيه . ومنهم : معاوية الخير بن عمرو بن معاوية صاحب لواء مذحج . وهو الذى أجاز مهلهل بن ربيعة التغلبى على بكر بن وائل ، فتزوج ابنة مهلهل . وفى ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب وائل :

هان على تغلبٍ بما لقيتُ * أختُ بنى الأكرمين من جُشم

أنكحها فقدُها الأراقم في * جنبٍ وكان الجباء من آدمِ

لو بأباتين جاء يخطبُها * رُمْل ما أنف خاطبٍ بدمِ

وقوله : وكان الجباء من آدم ، أى إنه ساق إليها فى مهرها قبة من آدم .

صداء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد ، وهم حلفاء

بنى الحارث بن كعب بن مذحج .

رهاء بن مُنبه بن علة بن جلد بن مالك . ومنهم : هزان بن سعيد بن قيس

بن سرح ، كان من أشرف أهل الشام .

بنو الحارث بن كعب بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد ، وهو بيت

بنو الحارث

مذحج . منهم : زَعْبِل ، بطن في بني الحارث ، وهو الذي يقال فيه : لا يكلم زَعْبِل .
 وكان شريفا . ومنهم الْمُحَجَّل بن حَزْن . ومنهم بنو حماس بن ربيعة . منهم النجاشي
 واسمه قيس بن عمرو . وفيهم بنو المَعْقِل بن كعب بن ربيعة . ومنهم مَرْتَد ومُرَيْد
 ابنا سلة بن المعقل ، قيل لهم المرائد . ومنهم المأمون بن معاوية اجتمعت عليه
 ٥ مذحج ومُزاحم بن كعب . ومنهم اللجلاج ، وأخوه مُسهر الذي فقأ عين عامر بن
 العُفَيْل يوم فَيْف فَيْف الريح ، وعبد يَعُوث بن الحارث الشاعر قتيل التيم يوم
 الكلاب ، وهو القاتل :

أقول وقد شَدُوا لسانِي بِذِئْبَةٍ ٥ أليال تيمٍ أطلقوا من لسانيا

وتَضَحَك مني شَيْخَةٌ عَبْشِيمِيَّةٌ ٥ كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

١٠ ومنهم بنو قُنان بن سَلَة . منهم : الحُصَيْن ذو العَصَة بن مَرْتَد بن شَداد بن
 قُنان ، وهو رأس بني الحارث ، عاش مائة سنة ، وكان يقال لبنيه : فوارس الأرباع ،
 قتله همدان ؛ من ولده : كَثِير بن شهاب بن الحُصَيْن .
 ومنهم : محمد بن زُهرة بن الحارث .

وفي بني الحارث بن كعب : الضَّبَاب ؛ منهم هند بن أسماء الذي قتل

١٥ المُنْشَر الباهلي .

وفيهم : بنو الدَّيَّان . فيهم زياد بن النضر صاحب علي . والربيع بن زياد ،
 ولي خراسان أيام معاوية . والناطقة الشاعر ، واسمه يزيد بن أبان . هؤلاء
 بنو الحارث بن كعب .

الضَّبَاب في بني الحارث بن كعب : مفتوحة الضاد ، وفي عامر بن صعصعة :

٢٠ مكسورة الضاد .

ومن بطون مذحج : مُسَلِيَة بن عامر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك . فولد

مسلية

مُسَلِيَة ، كناية وأسدا : منهما تفرقت مسلية .

كناية وأسدا ابنا مُسَلِيَة . فمن بني كناية بن مسلية : بنو صُبَيْح وعلبة ابنا ناشرة ،

بنو حبابة

وأمهما حُبابة بها يعرفون . منهم أبي بن ربيعة بن صُبْح الذي يقول له عمرو بن معد يكرب :

تَمَنَّانِي لِيَقْتُلَنِي أَبِي * وَدَدْتُ وَأَيْنَا مَنِي وَوَدَادِي^(١)

ومن بني حُبابة : عامر بن إسماعيل القائد ، وابن الحُبابة الشاعر ، جاهلي ومن
 • مذحج النَّخَع بن عمرو بن عُلَّة بن جَلْد بن مالك بن أدد .

فمن بطون النَّخَع : عمرو ، بطن ؛ وصُهبان ، بطن ؛ ووَهْبيل ، بطن ؛ وعامر ،
 بطن ؛ وجَذيمة ، بطن ؛ وحارثة ، بطن ؛ وكعب ، بطن .

فمن بني جَذيمة سعد بن مالك بن جلد بن النَّخَع : الأشر ، واسمه مالك بن
 الحارث ؛ وثابت بن قيس بن أبي المُنْعَق .

ومن بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع : إبراهيم بن يزيد الفقيه ، والحجاج
 ابن أُرطاة .

ومن بني وَهْبيل بن سعد بن مالك بن النَّخَع : سِنان بن أنس الذي قتل الحسين
 ابن علي ؛ وشريك بن عبد الله القاضي .

ومن بني صُهبان بن سعد بن مالك بن النَّخَع : كميل بن زياد صاحب علي بن
 أبي طالب ، قتله الحجاج .

وفي النَّخَع : جُشم ، وبكر . فمن بني جُشم : العُريان بن الهيثم بن الأسود .
 ومن بني بكر بن عوف بن النَّخَع : يزيد بن المكفف . وعلقمة بن قيس .
 وأخوه أبي بن قيس ، قُتل مع عليّ بصفين . وأخوهما يزيد بن قيس . وابنه
 الأسود بن يزيد العابد .

ومن مَذحج : عَنَس بن مالك بن أدد . فولد عَنَس : سعداً الأكبر ،
 وسعداً الأصغر ، ومالكا ، وعمرا ، ومخامرا ، ومعاوية ، وعَربيا ، وعَتِيكا ،
 وشهابا ، والقَريّة ، وياما .

(١) في بعض الاصول : * نَمَامَةٌ قَفْرَةٌ بَغْتِ الْمَيْضَاءِ .

فمن بنى مالك بن عَنَس : الأسود بن كعب الذي تنبأ باليمن .

ومن بنى يام بن عَنَس : عمار بن ياسر صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومن بنى سعد الأكبر : الأسود بن كعب : تنبأه سعد الأكبر ، وكان كاهناً .

ومن أشرف عَنَس : عامر بن ربيعة ، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم

٥

وهو حليف لقريش .

ومن بطون مذحج : مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ، ويسمى يُحَابِر .

سراد

فمن بطون مراد : ناجية وزاهر وأنعم . فمن بنى ناجية بن مراد : فروة بن

مُسيك ، كان والياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نَجْران .

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث . ومنهم أويس

١٠ القَرَنِي بن عمرو بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عَصْوَان بن قَرْن بن

رُدْمان بن ناجية بن مراد ، وهو الذي يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه :

يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر . وكان من التابعين ، وقد أتى عمر بن

الخطاب رضي الله عنه .

وفي ناجية بن مراد : بنو عَطِيف بن عبد الله بن ناجية ، ويقال إنهم من

١٥ الأزد . وهاتئ بن عُرْوَة المقتول مع مُسلم بن عقيل .

وفي ناجية بن مراد : بنو جمل بن كنانة بن ناجية ، منهم : هند بن عمرو ،

قتله عمرو بن البثر بن يوم الجمل ، وقال في ذلك :

إِنِّي لَمَنْ يَجْهَلُنِي ابْنَ الْيَثْرِبِيِّ هـ قَتَلْتَ عِلْبَاءَ وَهَنْدَ الْجَمَلِيَّ

وَابْنًا لَصَوْحَانَ عَلِيٍّ دِينَ عَلِيٍّ

٢٠ ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث ، وهو قيس

بن مكشوح .

طِي

هو طِي بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان أخو مذحج ،

ويقال ابن مذحج في رواية ابن الكلبي؛ فولد طيئ الغوث وفطرة والحارث .

فن بطون طيئ : جديلة وهم بنو جندب وبنو حور ، وأمهما جديلة وبها يعرفون ، وهي جديلة طيئ . فأما بنو حور بن جديلة فسهليون وليسوا من الجبليين ، وأما بنو جندب بن جديلة فهم من الجبليين ، وفيهم الشرف والعدد ، وفيهم الثعالب ، وهم بنو ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب .

فن بنو ثعلبة بن جدعاء : المعلى بن تيم بن ثعلبة بن جدعاء ، عليه نزل امرؤ القيس بن حجر الشاعر ؛ إذ قتل أبوه حجر بن الحارث ، وقال في المعلى :

كأني إذ نزلتُ على المعلَى • نزلتُ على البواذخ من شَمَامِ

فما مَلِكُ العِراقِ على المعلَى • بمقتدِرٍ ولا مُلِكُ الشَّامِ

أقرَّ حشا امرئ القيسِ بن حُجرٍ • بنو تيمٍ مصايحُ الظلامِ

فسمي بنو تيم بن ثعلبة : مصايح الظلام .

فن ثعلبة بن جدعاء : الحر بن مشجعة بن النعمان ، كان رئيس جديلة يوم مسيلة الكذاب ؛ ومنهم أوس بن حارثة بن لام سيد طيئ ؛ ومنهم حاتم بن عبد الله الجواد ؛ وابنه عدى بن حاتم ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة وأجلسه عليها وجلس هو على الأرض . قال عدى : فأرمت حتى هداني الله للإسلام ، وسرّني ما رأيت من إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي بني عمرو بن الغوث بن طيئ : ثعل ، بطن ، ونبهان ، بطن ؛ وبولان ، بطن ؛ وسلامان ، بطن ؛ وهني ، بطن .

فن هني ؛ إياس بن قبيصة ؛ وأبو زيد الشاعر ، واسمه حرملة بن المنذر . ومن بني سلامان ؛ بنو بختر ، بطن طيئ ، ومن بني بختر معرض بن صالح ، اجتمعت عليه جديلة والغوث .

ومن بني ثعل : عمرو بن عبد المسيح ، كان أرمى العرب ، وإياه يعني امرؤ القيس بقوله :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ هـ مَخْرَجٌ كَفَيْهِ مِنْ قُتْرَةٍ

وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس ومائة سنة ، فأسلم .
ومن بني ثعل : أبو حنبل الذي يعد في الأوفياء نزل به امرؤ القيس ومدحه
ومنهم زيد الخيل ، وقد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه زيد الخير ، وقال :
« ما بلغتني عن أحدٍ إلا رأيتُهُ دون ما بلغتني ، إلا زيد الخيل » .
وفي طيبي : سدوس . وهي مضمومة السين ، والتي في ربيعة مفتوحة السين .

الأشعر

هو الأشعر بن أدد أخو مذحج - ويقال : ابن مذحج ، في رواية ابن الكلبي -
فولد الأشعر : الجماهر ، والأرغم ، والأدغم ، والأنعم ، وجُدَّة ، وعبد شمس ،
وعبد الثريا .

١٠

فمن بطون الأشعرين : مُرَاطة ، وُصْنامة ، وأسد ، وسهلة ، وعُكابة ،
والشراعبة ، وعُسامة ، والدعاج .

١٥

ومن أشرف الأشعرين : أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، صاحب
النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم مالك بن عامر بن هاني بن خِفاف ، وقد على
النبي صلى الله عليه وسلم وشهد القادسية ، وهو أول من عبر دجلة يوم المدائن ،
وقال في ذلك :

امضُوا فَإِنَّ الْبَحْرَ بِحَرْ مَأْمُورٌ هـ وَالْأَوَّلُ الْقَاطِعُ مِنْكُمْ مَأْجُورٌ

قَدْ خَابَ كِسْرَى وَأَبْوَةٌ سَابُورٌ هـ مَا تَصْنَعُونَ وَالْحَدِيثُ مَأْثُورٌ

وابنه سعد بن مالك ، كان من أشرف أهل العراق ، ومنهم : السائب ابن مالك ،
كان على شرطة المختار وهو الذي قَوَّى أمره ؛ ومنهم : أبو مالك الأشعري ، وزوجه
النبي عليه الصلاة والسلام إحدى نساء بني هاشم وقال لها : « ما رضيت أن زوجتكَ
رجلا هو وقومه خيرٌ مما طلعت عليه الشمس » ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام :
« يا بني هاشم ، تزوجوا الأشعريين وتزوجوا إليهم ؛ فإنهم في الناس كحصرة المسك »

٢٠

وكالاترج الذي إن شمته ظاهراً وجدته طيباً ، وإن آخبرت باطنه وجدته طيباً .
فهؤلاء بنو أدد ، وهم مذحج وطبي والاشعر ، بنو أدد بن زيد بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان .

لخم

٥ هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد . فولدت لخم : جزيلة ،
ونمارة ؛ ومنهما تفرقت بطون لخم .

فن بنو نمارة : بنو الدارى ، وهو هاني بن حبيب بن نمارة . منهم تميم
الدارى صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

١٠ وفي نمارة الأجود ، وهم بنو مازن بن عمرو بن زياد بن نمارة رهط الطرماح
ابن حكيم الشاعر ؛ ويقال إن الطرماح من طي . ومنهم : قصير بن سعد صاحب
جذيمة الأبرش .

ومن بنو نمارة : ملوك الحيرة اللخميون . رهط النعمان بن المنذر بن امرئ
القيس بن النعمان .

١٥ وفي جزيلة بن لخم بطون كثيرة ، منهم : إراش ، وحجر ، ويشكر وأدب ،
وخالفة - وهو راشدة - وعتم ، وجديس ، بطن عظيم .

وفي جزيلة بن لخم أيضاً العمرط ، وفيهم عباد الحيرى منهم رهط عدى
ابن زيد العبادى . وفيهم بنو منارة ، وفيهم جدس بن إدريس بن جزيلة بن لخم
منهم مالك بن ذعر بن حُجر بن جزيلة بن لخم ؛ يقال إنه الذى أستخرج يوسف
ابن يعقوب - صلوات الله وسلامه عليه - من الجب .

جذام

٢٠ هو جذام بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد . فولد جذام حراماً وحشماً ؛
ومنهما تفرقت جذام .

فبنو حشم بن جُذام : بنو عتيب بن أسلم بن خالد بن شنوءة بن تَدْيِيل
ابن حشم بن جُذام ، وهم الذين يُنسبون في بني شيان .

وفي حرام بن جُذام بنو غَطَفان ، وأقصى ، ابنا سعد بن إياس بن حرام ؛
وفيها عدد جُذام وشرفها ؛ ويقال إن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عِيلان
هو هذا .

فبنو أقصى بن سعد : رَوْح بن زَباع ، وزير عبد الملك بن مروان ؛
وقيس بن زيد ، وقد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بني غَطَفان بن سعد : عَبَس ، وفضرة ، وأبامة ، وعبدة ، وحرَب ،
ورَيْث ، وعبد الله ، بطون كلهم ؛ فانتسب ريث وعبد الله في غَطَفان بن قيس ،
وغيرهم في جُذام

عاملة

هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب
ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ولد الحارث الزهدَ ومعاوية وأمهما
عاملة بنت مالك بن ربيعة بن قضاة ، فنسبا إلى أمهما ؛ ويقال عاملة هو
الحارث نفسه .

فبنو معاوية بن عاملة : شَعْل ، وسَلْب ، وعَجَل ، بطون كلهم .
فبنو أشراف عاملة قوال بن عمر ؛ وشهاب بن برهم ، وكان سيداً ؛ وهمام
ابن معقل ، وكان شريفاً مع مسلمة بن عبد الملك ؛ ومنهم عَدِي بن الرقاع الشاعر ؛
ومنهم قُمَيْس الذي أمر عدى بن حاتم الطائي فأخذه منه شُعيب بن الربيع
الكلبي فأطلقه بغير فداء .

فهؤلاء بنو عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب
ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ وهم لحم وجُذام وعاملة ، بنو عدى بن الحارث ؛
وكندة بن عُمَيْر بن عدى بن الحارث .

خولان

هو خولان بن عمرو بن يعقوب بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد . فولد
خولان : حبيبا ، وعمراً ، والأصهب ، وقيسا ، ونبنا ، وبكراً ، وسعدا ؛ منهم
أبو مسلم عبد الرحمن بن مشكم الفقيه .

جرهم

هو من القبائل القديمة ، وهو جرهم بن يقطن بن عابر . وعند عابر تجتمع يمن
ومضر ؛ لأن مضر كلها بنو فالغ بن عابر ، واليمن كلها بنو قحطان بن عابر .

حضر موت

هو ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث
ابن حيدان بن قصى بن عريب بن زهير بن أيمن بن المميسع بن حمير .
منهم : ذو مَرَحَب ، وذو نَحْو ؛ ومنهم الأعدل ؛ ومنهم : بنو مَرْتَد ،
وبنو ضَجْع ، وبنو حُجْر ، وبنو رَحَب ، وبنو أقرن ، وبنو قَلِيان .

قول الشعوية وهم أهل التسوية

ومن حجة الشعوية على العرب أن قالت : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية ،
وأن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد .

واحتجنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون إخوة ، تكافأ دماؤهم
ويسمى بذقتهم أدنامهم وهم يدُّ على مَنْ سِوَاهُمْ . وقوله في حجة الوداع ، وهي
خطبته التي ودع فيها أمته وختم نبوته : «أيها الناس ، إن الله أذهب عنكم نخوة
الجاهلية وفخرها بالآباء . كلُّكم لآدمَ وآدمُ من تراب ، ليس لعربيٍّ على عجميٍّ
فضلٌ إلا بالتقوى»

وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافقٌ لقول الله تعالى :

- (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) فَأَبْتُمْ إِلَّا نَفْرًا وَقَلْتُمْ لَا تُسَاوِينَا الْعَجْمُ وَإِنْ تَقَدَّمْتَنَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ صَلَّيْتَ حَتَّى تَصِيرَ كَالْحَنِيِّ ، وَصَامْتَ حَتَّى تَصِيرَ كَأَوْتَارٍ ، وَنَحْنُ نَسَاحِكُكُمْ وَنَجْبِيكُمْ إِلَى الْفَخْرِ بِالْآبَاءِ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أُيِّتُمْ إِلَّا خِلَافَهُ ، وَإِنَّمَا نَجْبِيكُمْ إِلَى ذَلِكَ لِاتِّبَاعِ حَدِيثِهِ وَمَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَرَدُّ عَلَيْكُمْ حُجَّتُكُمْ فِي الْمَفَاخِرَةِ ، وَنَقُولُ : أَخْبَرُونَا إِنْ قَالَتْ لَكُمْ الْعَجْمُ هَلْ تَعْمَدُونَ الْفَخْرَ كُلَّهُ أَنْ يَكُونَ مُلْكًا أَوْ نَبْوَةً ؟ فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مَلِكٌ قَالَتْ لَكُمْ : وَإِنْ لَنَا مَلُوكُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنَ الْفِرَاعَةِ وَالْمَسَارِدَةِ وَالْعِمَالِقَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ ، وَهَلْ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَلِكِ سُلَيْمَانَ الَّذِي تُخَّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالطَّيْرُ وَالرِّيحُ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِثْلُنَا ؟ أَمْ هَلْ كَانَ لِأَحَدٍ مِثْلُ مَلِكِ الْإِسْكَانْدَرِ الَّذِي مَلَكَ الْأَرْضَ كُلِّهَا وَبَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَمَغْرِبَهَا وَبَنَى رَدْمًا مِنْ حَدِيدٍ سَاوَى بِهِ بَيْنَ الصُّدَقَيْنِ ، وَبِحُجْنٍ وَرَأَاهُ خَلْفًا مِنْ النَّاسِ تَرَبَّى عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ كُلِّهَا كَثْرَةً ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَا أُجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ فليس شيءٌ أدلَّ على كثرة عددهم من هذا ، وليس لأحدٍ من ولد آدمٍ مثل آثاره في الأرض ؛ ولو لم يكن له إلا منارة الإسكندرية التي أسسها في قعر البحر وجعل في رأسها مرآة يظهر البحر كله في زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز : مِنْ مَلِكِ الْأَمْلاَكِ الَّذِي هُوَ ابْنُ أَلْفِ مَلِكٍ ، وَالَّذِي تَحْتَهُ بِنْتُ أَلْفِ مَلِكٍ ، وَالَّذِي فِي مَرْبِطِهِ أَلْفُ فَيْلٍ ، وَالَّذِي لَهُ نَهْرَانِ يَنْبَتَانِ الْعُودَ وَالْقُوهَ وَالْجُوزَ وَالْكَافُورَ ، الَّذِي يَوْجَدُ رِيحَهُ عَلَى آثْنَى عَشْرَ مِيلًا - إِلَى مَلِكِ الْعَرَبِ الَّذِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا . أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُرَدْتُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى رَجُلٍ يَعْلَمُنِي الْإِسْلَامَ وَيُوقِفُنِي عَلَى حُدُودِهِ وَالسَّلَامَ .

٢٠

وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْفَخْرُ إِلَّا بِنَبْوَةٍ فَإِنَّ مَنَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ قَاطِبَةً مِنْ لَدُنِ آدَمَ مَا خَلَا أَرْبَعَةً : هُودًا وَصَالِحًا وَإِسْمَاعِيلَ وَمُحَمَّدًا ؛ وَمَنَا الْمُصْطَفَوْنَ مِنَ الْعَالَمِينَ : آدَمَ وَنُوحَ ، وَهُمَا الْعَنْصُرَانِ اللَّذَانِ تَفْرَعُ مِنْهُمَا الْبَشَرُ : فَتَحْنُ الْأَصْلَ وَأَتَمُّ الْفَرْعِ ، وَإِنَّمَا أَتَمُّ غَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِنَا ، فَقُولُوا بَعْدَ هَذَا مَا شِئْتُمْ

وادّعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض [لها] ملوك
تجمعها ، ومدائن تضمها ، وأحكام تدين بها ، وفلسفة تنتجها ، وبدائع تفتقها
في الأدوات والصناعات : مثل صنعة الديباج ، وهي أبداع صنعة ؛ ولعب
الشطرنج ، وهي أشرف لعبة ، ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة
رطل ؛ ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون ، والأسطرلاب الذي
يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودوران الأفلاك ، وعلم الكسوف
[وغير ذلك من الآثار المتقنة] ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم
قواصيا ، ويقمع ظالمها ، وينهى سفيها ؛ ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ،
ولا أثر في فلسفة ، إلا ما كان من الشعر وقد شاركها فيه العجم ، وذلك
أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض ؛ فما الذي تفخر به العرب على
العجم ؟ وإنما هي كالذئب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ،
ويغير بعضها على بعض ، فرجالها مؤثقون في حلق الأسر ، ونساؤها سبايا
مردفات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريح استنقذن بالعشى وقد وطئن
كما توطأ الطريق المهيع ، فخر بذلك شاعر فقال :

وَأَلْحَقُ رَكْبَ " الْمُرْدَفَاتِ عَشِيَّةً

فقبل له : ويحك ! وأي فخر لك أن تالحق بالعشى وقد نكح وأمتهن ؟

وقال جرير يعير بني دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وَبَرَحْرَحَانَ غَدَاةً كَبَلَّ مَعْبَدَهُ • نَكِحْتَ نِسَاؤَكُمْ بِغَيْرِ مَهْوَرٍ

وقال عنتره لامرأته :

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ • إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكْعَلِي وَتَخْضِي

وَأَنَا أَمْرُؤٌ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنَوَةٌ • أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَابِ وَأَجْنَبُ

وَيَكُونُ مَرَكَبُكَ الْقَعُودُ وَرَحْلُهُ • وَأَبْنُ النِّعَامَةِ عِنْدَ ذَلِكَ مَرَكَبِي

(١) في بعض الأصول : ، وأوثق عند .

أراد بابن النعمان : باطن القدم .

وسبى ابن هبولة الغسانی امرأة الحارث بن عمرو الكندي . فلحقه الحارث فقتله وارتجع المرأة وقد كان بال منها ، فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله ، فما اشتمت النساء على مثله ! فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما حتى قطعاهما ؛ وقال في ذلك :

كلُّ أُنثى وإن بدالك منها • آية الودِّ عهدُها خبتَ عورُ

إنَّ من غزاه النساءُ بوذٍ • بعد هندٍ لجاهلٍ مغرورٍ

وسبت بنو سليم ربيعة أخت عمرو بن معديكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :

١٠ أمِن ربيعة الداعي السميعُ • يُورِثني وأصحابي هجوع

وفيها يقول :

إذالم تستطعُ أمراً فدعهُ • وجاوزهُ إلى ما تستطعُ

وأغار الحوفزان على بني سعد بن زيد مناة ، فاحتمل الزرقاء من بني ربيع ابن الحارث ، فأعجبته وأعجبها ؛ فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم ، فاستنقذها وردّها إلى أهلها بعد أن وقع بها .

١٥

فهذا كان شأن العرب والعجم في جاهليتها . فلما أتى الله بالإسلام كان للعجم شطر الإسلام ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الأحمر والأسود من بني آدم ، وكان أول من تبعه حز وعبد واختلف الناس فيهما ، فقال قوم : أبو بكر وبلال ، وقال قوم : عليٌّ وصهيب .

٢٠ ولما طعن^(١) عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيباً على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس وقيل له : استخلف . فقال : ما أجد من^(٢) استخلف . فذكر له الستة من أهل حراء ، فكلهم طعن عليه ، ثم قال : لو أدرك سالمًا مولى

(١) في بعض الأصول : احتضر .

(٢) في بعض الأصول : لا إخالني من .

أبي حذيفة حيا لما شككت فيه . فقال في ذلك شاعر العرب :

هذا ضُهِيبٌ أمَّ كلُّ مُهاجِرٍ * وَعَلَا جَمِيعَ قِبَائِلِ الْأَنْصَارِ
لَمْ يُرَضْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَصَلَاتِنَا * وَهُمْ الْهَدَاةُ وَقَادَةُ الْأَنْخِيَارِ
هَذَا وَلَوْ كَانَ الْمُتَرَمَّ سَالِمٌ * حَيًّا لَنَالَ خِلَافَةَ الْأَمْصَارِ
مَا بَالُ هُنْدِي الْعُجْمِ تَحْيَا دُونَنَا * إِنَّ الْغُرَى لِنِي عَمَّى وَخَسَارِ

وقال بُجَيْرٌ يَعْبُرُ الْعَرَبَ بِاخْتِلَافِهَا فِي النَّسَبِ وَاسْتِلْحَاقِهَا لِلْأَدْعِيَاءِ :

زَعَمْتُمْ بَأَنَّ الْهِنْدَ أَوْلَادُ خَنْدِيفٍ * وَبَيْنَكُمْ قُرْبَى وَبَيْنَ الْبَرَابِرِ
وَدَيْلِمٌ مِنْ نَسْلِ ابْنِ صَبَّةٍ بَاسِلٍ * وَبُرْجَانٌ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ
فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادَ وَاحِدٍ * وَصَارَ وَاسِوَاءٌ فِي أُصُولِ الْعُنَاصِرِ
بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَمْلَاكُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ * وَأَوْلَى بِقُرْبَانَا مُلُوكُ الْأَكَاكِرِ
أَتَطْمَعُ فِي صِهْرِي دَعِيًّا مُجَاهِرًا * وَلَمْ تَرَ سِتْرًا مِنْ دَعِيٍّ مُجَاهِرِ
وَتَشْتُمُّ لَوْ مَا رَهْطَهُ وَقَبِيلَهُ * وَتَمْدَحُ جَهْلًا طَاهِرًا وَأَبْنَ طَاهِرِ
وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا الشَّعْرَ ثَانِيًا فِي كِتَابِ النِّسَاءِ وَالْأَدْعِيَاءِ وَالنَّجِيَاءِ .

وقال الحسن بن هانيء على مذهب الشعوية :

وَجَاوَزْتُ قَوْمًا لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ * أَوْ اصِرُّ إِلَّا دَعْوَةٌ وَبُطُونُ
إِذَا مَا دَعَا بِأَسْمَى الْعَرِيفِ أَجْبَنَهُ * إِلَى دَعْوَةٍ مِمَّا عَلَى يَهُونِ
لِأَزْدِ عِمَانَ بِالْمُهَلَّبِ نَزْوَةٌ * إِذَا أَفْتَخَرِ الْأَقْوَامِ ثُمَّ تَلَيْنِ
وَبَكَرٌ يَرَى أَنَّ النَّبُوَّةَ أُنْزِلَتْ * عَلَى مَسْمَعٍ فِي الْبَطْنِ وَهُوَ جَنِينِ
وَقَالَتْ تَمِيمٌ لَا تَرَى أَنَّ وَاحِدًا * كَأَحْنَفِنَا حَتَّى الْمَمَاتِ يَكُونِ
فَلَا لُمْتُ قَيْسًا بَعْدَهَا فِي قَتِيلَةٍ * إِذَا أَفْتَخَرُوا إِنْ الْفَخَارُ فَنُونِ^(١)

(١) في بعض الأصول : « الحديث شجون » .

ردّ ابن قتيبة على الشعوبية

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب :

- وأما أهل التسوية فإن منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث ،
فقتضوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ وإلى قول
النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع : أيها الناس ، إن الله قد
أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء . ليس العربي على عجمي نغراً إلا بالتقوى ،
كلكم لآدم وادم من رب . وقوله : المؤمنون متكافؤاً دماؤهم ، ويسعى بذمتهم
أدناهم ، وهم يد على من سواهم . وإنما المعنى في هذا أن الناس كلهم من المؤمنين
سواءً في طريق الأحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة .

- لو كان الناس كلهم سواءً في أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة ،
لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ؛ فإمعن قوله
صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله صلى الله عليه
وسلم : أقلبوا ذوى الهيئات عثراتهم . وقوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم :
هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول : لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساؤوا
هلكوا . تقول : لا يزالون بخير ما كان فيهم أشرف وأخيار ، فإذا جملوا كلهم
جملة واحدة هلكوا .

- وإذا ذمت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الخمار . وكيف يستوى
الناس في فضائلهم والرجل الواحد لا تستوى في نفسه أعضاؤه ولا تتكافأ
مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ، وللرأس الفضل على جميع البدن
بالعقل والحواس الخمس . وقالوا : القلب أمير الجسد . ومن الأعضاء خادمة ،
ومنها مخدومة .

قال ابن قتيبة : ومن أعظم ما ادعت الشعوية فخرهم على العرب بآدم عليه السلام
وبقول النبي عليه الصلاة والسلام : لا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ .
ثم فخرهم بالأنبياء أجمعين وأنهم من العجم غير أربعة : هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم
الصلاة والسلام ؛ واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا
وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
ثم فخرُوا بإسحاق بن إبراهيم ، وأنه لِسَارَةَ ، وأن إسماعيل لآمة تسمى هاجر .
وقال شاعرهم :

فِي بِلْدَةٍ لَمْ تَصِلْ عُكْلٌ بِهَا طَنْبًا هـ وَلَا خِبَاءً ، وَلَا عَكٌّ وَهَمْدَان

وَلَا الْجَزْمِ وَلَا بَهْرَاءَ مِنْ وَطَنِ هـ لَكِنَّمَا لِبْنِي الْأَحْرَارِ أَوْطَان

أَرْضُ يُبْنَىٰ بِهَا كَسْرَىٰ مَسَاكِنَهُ هـ فَسَا بِهَا مِنْ بَنِي اللَّخْنَاءِ إِنْسَان هـ ١٠

فبنو الأحرار عندهم : العجم ؛ وبنو اللخناء عندهم : العرب ؛ لأنهم من ولد
هاجر وهي أمة ، وقد غلطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء
إنما اللخناء من الإماء الممتهنة في رعي الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنما أخذ من
اللخن ، وهو نبت الريح ؛ يقال : لَحِنَ السَّقَاءُ ، إِذَا تَغَيَّرَ رِيحُهُ ؛ فَأَمَّا مِثْلُ هَاجِرِ
الَّتِي طَهَّرَهَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَارْتَضَاهَا لِلخَلِيلِ فَرِاشًا ، وَلِلطَّيِّبِينَ إِسْمَاعِيلَ وَمُحَمَّدٍ
أُمَّا ، وَجَعَلَهُمَا سَلَالَةً - فَهَلْ يَجُوزُ لِمُلْجِدٍ فَضْلًا عَنْ مُسْلِمٍ أَنْ يُسَمِّيَهَا لَخْنَاءً ١٥٠

رد الشعوية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس
وتفاضلهم ، والسيد منهم والمسود .

٢٠
إننا نحن لانكر تباين الناس ولا تفاضلهم ، ولا السيد منهم والمسود ، والشريف
والمشروف ؛ ولكننا نزع أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأبائهم ولا بأحسابهم ؛
ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعدهم ؛ ألا ترى أنه من كان
دنى الهمة ، ساقط المروءة ، لم يشرف وإن كان من بني هاشم في ذؤابتها ، ومن

أمية في أرومتها ، ومن قيس في أشرف بطن منها ؛ إنما الكريم من كُرِّمت أفعاله ،
والشريف من شُرِّفت همته ؛ وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : إذا
أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله في قيس بن عاصم : هذا سيدُ أهل الوبر . إنما
قال فيه لسودده في قومه بالذنب عن حريمهم ، وبذله رَفَدَه لهم ؛ ألا ترى أن عامر
ابن الطفيل كان في أشرف بطن في قيس يقول :

وإني وإن كنت ابن سيِّدِ عامرٍ هـ وفارسها المشهور في كلِّ موكب
فما سوَّدتني عامرٌ عن ورائتي هـ . أبي الله أن أُنمِّو بأيمٍ ولا أبِ
ولكنني أحمي حِمَامًا وأتقى هـ إذاها وأرسي من رماها بمنكبِ

وقال آخر :

١٥ إنا وإن كُرِّمت أوائلنا هـ لسنا على الأحساب تُسَكِلُ
تَبني كما كانت أوائلنا هـ تَبني وتَفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة : لأُقْضَيْنَ بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي
ولا يردّها أحد بعدى : أيما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم ، فلا لؤم عليه ،
وأيما رجل ادعى كرمًا دونه لؤم فلا كرم له .

١٥ ومثله قول عائشة أم المؤمنين : كل كرم دونه لؤمٌ فاللؤم أولى به ، وكل لؤم
دونه كرمٌ فالكرم أولى به . تعنى بقولها ، أن أولى الأشياء بالإنسان طبايع نفسه
وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوليته ، وإن لؤمت فلا ينفعه كرم أوليته .

وقال الشاعر :

نفس عصامٍ سوِّدتُ عصامًا هـ وعلَّته الصكر والإقداما

٢٥ وصيِّرته مليكا هُمَامًا

وقال آخر :

ماليَ عقلي وهمتي حسبي هـ ما أنا موالي ولا أنا عربي
إن أنتمي مُنَّمٍ إلى أحد هـ فإنتي مُنَّمٍ إلى أدبي

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ما سمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي نلت بها هذا المقعد منك ! قال : صدقت !

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : حَسَبُ الرَّجُلِ مَالُهُ ، وَكِرْمُهُ دِينُهُ .

٥ وقال عمر بن الخطاب : إن كان لك مال فلك حَسَبٌ ، وإن كان لك دين فلك كِرْمٌ .

١٠ وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب ؛ إنه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوية ، فنقض في آخره كل ما بنى في أوله ؛ فقال في آخر كلامه : وأعدل القول عندي أن الناس كلهم لآب وأُم ، خلقوا من تراب ، وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في جري البول ، وطراً عليهم الأقدار ؛ فهذا نسبهم الأعلى الذي يرتدع به أهل العقول عن التَّعْظُم والكبرياء ، والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فنقطع الأنساب ، وتبطل الأحساب ، إلا من كان حسبه التقوى ، أو كانت مائتته طاعة الله .

قول الشعوية في مناكح العرب

١٥ قالت الشعوية : إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد نكاح ولا استبراء من طمك ، فكيف يدرى أحدهم من أبوه . وقد نخر الفرزدق بنى ضبة حين يبتزُّون العيال في حروبهم في سبيته سبواها من بني عامر بن صعصعة فقال :

فَظَلَّتْ وَظَلُّوا يَرْكَبُونَ هَبِيرَهَا هـ . وليس لهم إلا عواليهم يُسْتَر

٢٠ والهبير : المطمئن من الأرض ؛ وإنما أراد هاهنا فرجها .

وهو القائل في بعض ما يفخر به :

ومنا التَّيْمِيُّ الذي قام أَيْرُهُ هـ ثلاثين يوماً ثم زادها عَشْرًا

باب المتعصبين للعرب

قال أصحاب العصبية من العرب : لو لم يكن منا على المولى عتاقة ولا إحسان إلا استنقأنا له من الكفر وإخراجنا له من دار الشرك إلى دار الإيمان كما في الأثر : إن قوماً يقادون إلى حظوظهم بالسراجير . كما قال : عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل .

على أنا تعرضنا للقتل فيهم ؛ فمن أعظم عليك نعمة من قتل نفسه لحياتك ؟ فأنه أمرنا بمقاتلكم ، وفرض علينا جهادكم ورغبنا في مكانتكم .

وقدم نافع بن جبير بن مطعم رجلاً من أهل الموالى يصلى به ، فقالوا : له في ذلك ؛ فقال : إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه .

وكان نافع بن جبير هذا إذا مرت به جنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا قرشي ؛ قال : واقوماه ؛ وإذا قالوا : عربي ؛ قال : وابلدناه ؛ وإذا قالوا : مولى ؛ قال : هو مال الله ، يأخذ ما شاء ويدع ما شاء .

قال : وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار ، أو كلب أو مولى .

وكانوا لا يكتونهم بالسكنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ، ولا يمشون

في الصف معهم ، ولا يتقدمونهم في الموكب ، وإن حضروا طعماً قاموا على رؤسهم ، وإن أطمعوا المولى لسنته وفضله وعلمه أجلسوه في طرف الخوان ؛ لئلا يخفى على الناظر أنه ليس من العرب ، ولا يدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب ، وإن كان الذي يحضر غريباً ؛ وكان الخاطب لا يخاطب المرأة منهم إلى أبيها ولا إلى أخيها ، وإنما يخاطبها إلى موالها ؛ فإن رضى زوج وإلا ردت ، فإن زوج الأب والآخر بغير رأى مواله ففسخ النكاح ، وإن كان قد دخل بها كان سفاح غير نكاح .

وقال زياد : دعا معاوية الأحنف بن قيس وسمرّة بن جندب فقال إني رأيت

هذه الخراء قد كثرت ، وأراها قد طعنت على السلف ، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ؛ فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة

السوق وعمارة الطريق ؛ فما ترون؟

فقال الأحنف : أرى أن نفسي لا تطيب ؛ أخى لأمى وخالى وسولاي ، وقد شاركناهم وشاركونا في النسب . فظننت أني قد قتلت عنهم ؛ وأطرق .

فقال سمرة بن جندب : اجعلها إلى أيها الأمير ، فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه .
فقال : قوموا حتى أنظر في هذا الأمر .

قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف ، وأتيت أهلي حزينا ؛ فلما كان بالنداة أرسل إليّ ، فعلبت أنه أخذ برأبي وترك رأى سمرة .

وروى أن عامر بن عبد القيس في نسكه وزهده وتقشفه وإخباته وعبادته كلمه حمران مولى عثمان بن عفان عند عبد الله بن عامر صاحب العراق في تشنيع عامر على عثمان وطعنه عليه ، فأنكر ذلك ، فقال له حمران : لا كثر الله فينا مثلك ؛ فقال له عامر : بل كثر الله فينا مثلك اقليل له : أيدعوك عليك وتدعوك ؟ قال : نعم ، يكسحون طارقنا ، ويخزرون خفافنا ، ويحوكون ثيابنا . فاستوى ابن عامر جالسا ، وكان متكئا ، فقال : ما كنت أظنك تعرف هذا الباب ، لفضلك وزهادتك . فقال : ليس كل ما ظننت أني لا أعرفه ، لا أعرفه .

وقالوا : إن خالد^(١) بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما توجه أخاه عبد العزيز إلى قتال الأزارقة ، هزموه وقتلوا صاحبه مقاتل بن مسمع ، وسبوا امرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود العبدي ، فأقاموها في السوق حاسرة يادية المحاسن ، وغالوا فيها^(٢) وكانت من أكل الناس كالا وحسنا ، فتزايدت فيها العرب والموالي وكانت العرب تزيد فيها على العصبية ، والموالي تزيد فيها على الولاء ، حتى بلغت العرب عشرين ألفا ، ثم تزايدوا فيها حتى بلغت تسعين ألفا ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها بالسيف فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطرى بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفا من

(١) في بعض الاصول : أمية بن خالد .

(٢) في بعض الاصول : فاعترضوها وقلبوها .

بيت المال وقتل أمة من إمام المؤمنين . فقال له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
إني رأيت هؤلاء الإسماعيلية والإسحاقية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات
واحمرت الحدق ، فلم يبق إلا الخبط بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً في جنب
ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة . فقال قطرى : خَلُّوا عنه ، عين من عيون
الله أصابتها . قالوا : فأقذ منه . قال : لا أقيد من وزَّعه الله . ثم قدم هذا العبدى
بعد ذلك البصرة ، فإذا النعمان بن الجارود يستجديه بذلك السبب ، فوصله وأحسن إليه .
قال : أبو عبيدة : مر عبد الله بن الأهمم بقوم من الموالي وهم يتذاكرون
النحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده . قال أبو عبيدة : لبتة سمع
لحن صفوان وخاقان ومؤمل بن خاقان .

١٠ الإصمعي قال : قدم أبو مهدية الأعرابي من البادية فقال له رجل : أبا مهدية
أتتوضئون بالبادية ؟ قال : والله يا ابن أخي لقد كنا نتوضأ فكفينا التوضئة
الواحدة ثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه الخمراء - يعنى الموالي -
فجمعت تليق آستاهها بالماء كما تلاق الدواة .

ونظر رجل من الأعراب إلى رجل من الموالي يستنجى بماء كثير ، فقال له :

١٥ إلى كم تغسلها ويالك ! أتريد أن تشرب بها سويقا !
وكان عقيل بن عُلفَةَ المُرِّي أشدَّ الناس حِمِيَّةً في العرب ، وكان ساكناً في
البادية ، وكان يُصهر إليه الخلفاء ؛ وقال لعبد الملك بن مروان وخطب إليه ابنته
الجرباء : جنبني هجناء ولدك . وهو القاتل :

كُنَّا بَنُو غَبْظِ رَجَالٍ فَأَصْبَحَتْ . بَنُو مَالِكِ غَيْظًا وَصِرْنَا لِمَالِكِ

٢٠ لِحَى اللَّهِ ذَهْرًا ذَعْدَعِ الْمَالِ كُلَّهُ . وَسَوْدُ أَشْبَاهِ الْإِمَاءِ الْعَوَارِكِ

وقال ابن أبي ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان جاتراً (١) شديد العصبية :

من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن . قال : ثم من ؟ قلت :

محمد بن سيرين . قال : فما هما ؟ قلت : موليان .

(١) في بعض الأصول : « ديانا » .

- قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ،
وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار . قال : فما هؤلاء ؟ قلت موالى .
- فتغير لونه ، ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأى ، وابن أبي الزناد ،
قال : فما كانا ؟ قلت من الموالى .
- ٥ فارتد وجهه ، ثم قال : فمن كان فقيہ اليمن ؟ قلت : طاوس ، وابنه وهمام بن
منبه . قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى .
- فانتفخت أوداجه فانتصب قاعداً ، [ثم] قال : فمن كان فقيه خراسان ؟
قلت : عطاء بن عبد الله الخراساني . قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى .
- فازداد وجهه تربداً واسود أسوداً حتى خفته ، ثم قال : فمن كان فقيه
١٠ الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى .
- فازداد تعيظاً وحنفاً ؛ ثم قال : فمن كان فقيه الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن
مهران . قال : فما كان ؟ قلت : مولى .
- قال : فتنفس الصعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قلت : فوالله لولا
خوفه لقلت : الحكم بن عيينة ، وعمار بن أبي سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر ،
١٥ فقلت : إبراهيم ، والشعبي . قال : فما كانا ؟ قلت : عريان . قال : الله أكبر !
وسكن جأشه .
- وذكر عمرو بن بحر الجاحظ ، في كتاب الموالى والعرب : أن الحجاج لما
خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ، ولقي مالتى من قراء أهل العراق
وكان أكثر من قائله وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل
٢٠ البصرة ؛ فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم
ويفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتعاندوا ، فأقبل على الموالى وقال : أتم علوج
وعجم ، وقراكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وصيرهم كيف شاء ،
ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجه إليها ؛ وكان الذي تولى
ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل بن لجيم ، يقال له خراش بن جابر ؛

وقال شاعرهم :

وَأَنْتَ مَنْ نَقَشَ الْعِجْلِي رَاحَتَهُ * وَفَرَّ شَيْخُكَ حَتَّى عَادَ بِالْحَكْمِ

يريد : الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج على البصرة .

وقال آخر ، وهو يعني أهل الكوفة ، وقد كان قاضيهم رجلاً من الموالي

يقال له : نوح بن دزاج :

إِنَّ الْقِيَامَةَ فِيهَا أَحْسَبُ اقْتَرَبْتُ * إِذْ كَانَ قَاضِيَكُمْ نُوحُ بْنُ دَزَاجٍ

لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَجَّاجُ مَا بَقِيَتْ * صَحِيحَةٌ كَفُهُ مِنْ نَقِشِ حَجَّاجٍ

وقال آخر :

جَارِيَةٌ لَمْ تَذِرْ مَا سَوَّقُ الْإِبِلُ * أَخْرَجَهَا الْحَجَّاجُ مِنْ كِنِّ وَظَلِّ

١٠ لو كان عمرو وشاهد أو ابن جبل^(١) * ما نُقِشَتْ كِفَاكَ مِنْ غَيْرِ جَدَلٍ

ويروى أن أعرابياً من بني العنبر دخل على سوار القاضي فقال : إن أبي مات

وتركني وأخأ لي - وخط خطين - ثم قال : وهجينا - ثم خط خطاً ناجية - فكيف

يقسم المال ؟ فقال له سوار : ها هنا وارث غيركم ؟ قال : لا . قال : فالمال

بينكم أثلاثاً . قال : ما أحسبك فهمت عني ، إنه تركني وأخى وهجينا ، فكيف

١٥ يأخذ المهجين كما أخذ أنا وكما يأخذ أخى ؟ قال : أجل . فنضب الأعرابي ثم أقبل

على سوار فقال : ما علمت والله ، إنك قليل الخالات بالدهناء . قال سوار :

لا يضرني ذلك عند الله تعالى شيئاً .

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ ويليه - إن شاء الله تعالى

الجزء الرابع . وأوله : كتاب المسجدة : في كلام الأعراب

فهرس الجزء الثالث من العقد الفريد

صفحة	صفحة
٢٠	كتاب الجوهرة : في الأمثال
كانت باطلا . الدعاء بالخير . تغيير الإنسان صاحبه بعديه .	لابن عبد ربه
٢١	٣ أمثال رسول الله ﷺ
الدعاء على الإنسان	٥ أمثال روتها العلماء
٢٢	ابن بشير على منبر الكوفة
رى الرجل غيره بالمعضلات . المكر والحلافة	ابن الزبير وأهل العراق
اللهو والباطل . خلف الوعد	مثل في الرياء
٢٣	٦
اليمين الغموس	مثل في الرياء
أمثال الرجال وأختلاف نعوتهم	فخ الإسرائيلي والمصفورة
في الرجل المبرز في الفضل . الرجل النبيه الذكر	٧
الرجل العزيز يعز به الذليل . الرجل الصعب .	إسرائيلي وقبرة . من أمثال الهند
النجد يلقى قرنه	٨
٢٤	من ضرب به المثل من الناس
الآريب الداهي التنبيه بلا منظر ولا سابقة	من يضرب به المثل من النساء
الرجل العالم التحرير	٩
الرجل المجزب	ما تمثلوا به من البهائم
٢٥	١٠
الذب عن الحرم . الصلة والقطيعة . الرجل	ما يضرب به المثل من الحيوان
ياخذ حقه قسراً . الإطراق حتى تصاب الفرصة	١١
الرجل الجلد المصحح . الذل بعد المز . الانتقال	أمثال أكرم بن صيق وبرزجرهم الفارسي
من ذل إلى عز	١٤
٢٦	ومن أمثال العرب
تأديب الكبير . الذليل المستضعف . الذليل	في حفظ اللسان
يستعين بأدل منه . الاحق المائق	١٥
٣٠	إكثار الكلام وما يتقى منه . في الصمت .
الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان .	القصدي المدح
الواهن العزم الضعيف الرأي	١٦
٣١	صدق الحديث . من أصاب مرة وأخطأ مرة
الذي يكون ضاراً ولا نفع عنده . الرجل يكون	١٧
ذا منظر ولا خير فيه . أمثال الجماعات وحالاتهم	سوء المسألة وسوء الإجابة . من صمت ثم نطق
من اجتماع الناس وأقراقتهم . المتساويان في	بالفهاة . المعروف بالكذب يصدق مرة .
الخير والشر	المعروف بالصدق يكذب مرة . كتمان السر
٣٢	١٨
الفاضلان وأحدهما أفضل . الرجل يرى لنفسه	انكشاف الأمر بعد اكتتاه . إبداء السر
فضلا على غيره . المكافأة	الحديث يتذكر به غيره .
	١٩
	العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يديه .
	الاعتذار في غير موضعه . التعريض بالكناية
	المن بالمعروف الحمد قبل الاختبار .

صفحة	صفحة
٤٩	الأمثال في القرين
الرجل بما يعنيه . قلة الاكثرات قلة اهتمام الرجل بصاحبه .	التعاطف بين ذوى الأرحام
٥٠	٣٣ من أمثالهم في التحنن على الاقارب حماية القريب وإن كان مبغضاً
الجشع والطمع . الشره إلى الطعام . الغلظ في القياس .	٣٤ إعجاب الرجل بأمله . تشبيه الرجل بأبيه . تحاسد الاقارب .
٥١ وضع الشيء في غير موضعه . كفران النعمة . التبذير . التهمة .	٣٥ قولهم في الاولاد . الرجل يؤتى من حيث أمن
٥٢ تأخير الشيء وقت الحاجة إليه . الإساءة قبل الإحسان . البخل .	٣٦ الأمثال في مكارم الأخلاق
٥٣ الجبن . الجبان يراود بما لا يفعل الاستغناء بالحاضر عن الغائب . المقادير .	الحلم . العفو عند المقدرة
٥٤ الرجل يأتي إلى حنفته . لا يقال للجاني على نفسه جالب الشر على أهله . تصرف الدهر	٣٧ المساعدة وترك الخلاف . مداراة الناس . مفاكهة الرجل أهله .
٥٥ الأمر الشديد المعضل . هلاك القوم .	٣٨ اكتساب الحمد واجتناب الادم . الصبر على المصائب . الحض على الكرم .
٥٦ إصلاح مالا صلاح له صفة العدو . البخيل يعتمل بالسر اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل . البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه .	٣٩ الكريم لا يجرد . القناعة والدعة . الصبر على المكاره تحمده العواقب .
٥٧ موت البخيل وماله وافر . البخيل يعطى مرة طلب الحاجة المتذرة .	٤٠ الاتضاع بالمال . المتصافيان . خاصة الرجل من يكسب له غيره .
٥٨ الرضا بالبعض دون الكل . التنوق في الحاجة استتمام الحاجة .	٤١ المروءة مع الحاجة . المال عند من لا يستحقه الحض على الكسب .
٥٩ المصاظة في الحاجة . تعجيل الحاجة . الحاجة تمسك من وجهين . من منع حاجة فطلب أخرى . الحاجة يحول دونها مانع .	٤٢ الخبير بالأمر البصير به الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه . انتحال العلم بغير آتته .
٦٠ اليأس والحزبية . طلب الحاجة في غير موضعها طلب الحاجة بعد فوتها .	٤٣ من يوصى غيره ويبنى نفسه . الاخذ في الامور بالاحتياط . الاستعداد للأمر قبل نزوله
٦١ الرضا من الحاجة بتركها . من طلب الزيادة فانتقص . الخلاه بالحاجة .	٤٤ طلب العافية بمسألة الناس . توسط الامور .
٦٢ لإرسالك في الحاجة من تشق به . قضاء الحاجة قبل السؤال . الانصراف بحاجة تامة مقضية تجديد الحزن بعد أن يبكي منه .	٤٥ الإجابة بعد الإجمام . مدافعة الرجل عن نفسه . قولهم في الانفراد .
٦٣ جامع أمثال الظلم . الظلم من نوعين .	٤٦ من ابتلى بشيء مرة مخافة أخرى . اتباع الهوى الحذر من العطب .
	٤٧ حسن التدبير والنهي عن الخرق . المشورة . الجد في طالب الحاجة .
	٤٨ التأني في الأمر . سوء الجوار . سوء المرافقة .

صفحة	صفحة
٨٦	٦٤
بين سلمان وأبي الدرداء . أبو موسى وعاصم	من يزداد غمًا على غمه . المغبون في تجارته .
ابن عبد القيس . من عمر بن عبد العزيز إلى ابن	مرعة الملامة .
حبيوة . من عمر بن الخطاب إلى ابن غزوان	٦٥
مواعظ الآباء للأبناء . لقمان يوصي ابنه .	الكريم يتضمنه اللئيم . الانتصار من الظلم .
٨٨	الظلم ترجع عاقبته على صاحبه . المضطر إلى
لعلى بن الحسن يوصي ابنه .	القتال . المأخوذ بذنب غيره .
٨٩	٦٦
لعبد الملك يوصي بنيه .	المتبرئ من الشيء . سوء معاشرته الناس . الجبان
٩٠	وما ينم من أخلاقه .
من عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله . ومن	٦٧
على إلى ابنه الحسن .	إفلات الجبان بعد إشفاته .
٩٣	٦٨
مقامات العباد عند الخلفاء .	الجبان يهدد غيره . تصرف الدهر . الاستبداد
مقام صالح بن عبد الجليل . مقام رجل من	بالنظر عن الضمير .
العباد عند المنصور	٦٩
٩٦	تقى المال عن الرجل . إذالم يكن في الدار
مقام الأوزاعي بين يدي المنصور .	أحد . اللقاء وأوقاته .
٩٧	٧٠
كلام أبي حازم سليمان بن عبد الملك .	في ترك الزيارة .
٩٨	٧١
مقام ابن السماك عند الرشيد .	استجهال الرجل ونفى العلم عنه . أمثال مستعملة
٩٩	في الشعر .
كلام عمرو بن عبيد عند المنصور . خبر سفيان	
الثوري مع أبي جعفر .	
١٠٠	
كلام شبيب بن شبة للهدى . من كره الموعظة	
لبعض ما فيها من الفاظ أو الحرق .	
١٠١	
المأمور وواظ . راهب وضالون في سفرهم	
١٠٢	
باب من كلام الزهاد وأخبار العباد .	
١٠٣	
أبو الدرداء وزوجه . لابن دينار في قحط .	
١٠٤	
لأبي حنيفة في أيوب السخيتاني . بين ابن واسع	
وابن دينار . بشر بن منصور على فراش الموت .	
١٠٥	
كيف يكون الزهد .	
١٠٦	
صفة الدنيا .	
١٠٧	
لنبي صلى الله عليه وسلم . لابن مسعود .	
للمسيح عليه السلام .	
١٠٨	
لنوح عليه السلام . لقمان . لابن الحنفية .	
١٠٩	
لأبي العتاهية .	
١١٠	
لرشيد . لابن عبد ربه .	
١١١	
لابراهيم بن آدم . لشعبي .	

كتاب الزمردة في المواعظ والزهد

٧٦	لنبي صلى الله عليه وسلم .
٧٧	لابن عباس في كلام لعلي . حكيم بيباب
	بعض الملوك .
٧٨	مواعظ الأنبياء عليهم السلام .
٨٠	من وحي الله تعالى إلى أنبيائه .
٨١	المسيح عليه السلام . موسى عليه السلام .
٨٢	يوسف عليه السلام .
	مواعظ الحكماء
٨٣	للحسن . كلمات أربع للعرب والعجم . وصية
	أبي بكر لعمر . الحسن وابن الأهم .
٨٤	لحكيم يعظ قوما . لأبي الدرداء .
٨٥	لحكيم يهظ رجلا . الرشيد وابن السماك .

مكتبة جرت بين الحكماء

الحسن وعمر بن عبد العزيز

صفحة	صفحة
١٣٣	١١٢
النهى عن كثرة الضحك .	قولم في الخوف . لابن عباس وعلى رضى الله
١٣٤	عنهما . عمر بن عبد العزيز في مرضه .
الهي عن خدمة السلطان وإتيان الملوك .	١١٣
لابن الخطاب . بين زياد وأصحابه .	لعلى رضى الله عنه . لفضيل بن عياض .
١٣٥	لمر بن ذر .
من كلية ودمنة . لابن عبد ربه .	١١٤
١٣٦	قولم في الرجاء .
القول في الملوك . للأصمى . لمبداقه بن الحسن .	١١٥
١٣٧	معاوية عند الموت . لأعرابي في دعائه .
بلاء المؤمن في الدنيا . كتمان البلاء إذا نزل .	١١٦
١٣٨	قولم في التوبة . للمسيح عليه السلام . لعلى
الفتاة . للنبي صلى الله عليه وسلم . لقيس بن	رضى الله عنه . ابن العلاء في عابد .
عاصم . لسعد بن أبي وقاص .	١١٧
١٣٩	لابن عبد ربه . لابن عباس .
ابن أبي حازم . للبحترى . عبد الملك وعروة	١١٨
ابن أذينة .	المبادرة بالعمل الصالح للنبي صلى الله عليه وسلم
١٤٠	لابن المبارك .
النبي صلى الله عليه وسلم . للحسن . لابن عبد ربه	١١٩
لمحمود الوراق .	العجز عن العمل .
١٤١	١٢٠
ليكر بن حماد لابن أبي حازم .	لعلى رضى الله عنه . لابن السماك الحسن ورجل
١٤٢	قولم في الموت
للأضبط بن قريع لمسلم بن الوليد . لكثوم العتابي	١٢١
١٤٣	بين النبي ﷺ وابن الخطاب . لآبي العتاهية
لابن عباس . لعلى بن أبي طالب . للمسيح عليه	لمر بن عبد العزيز . يعقوب عليه السلام .
السلام . لمحمود الوراق .	١٢٢
١٤٤	لامية بن أبي الصلت . لاصبع بن الفرج .
ليونس بن حبيب . لخالد بن صفوان بين	لصريح القزاني .
حكيمين . بين الأصمى وأعرابية .	١٢٣
١٤٥	للسلتان العبدى . لآبي العتاهية .
الرضا بقضاء الله .	١٢٤
١٤٦	لابن عبد ربه .
للفضيل بن عياض . الرشيد وبطريق هرقة	١٢٥
لآبي العتاهية . لابن عمر في وفاة زيد بن حارثة	لآبي الأسود .
الحسن وابن الأهم في مرضه .	١٢٦
١٤٧	لعدي بن زيد . لحريث بن جبلة .
هشام بن عبد الملك حين حضرته الوفاة .	١٢٧
نقصان الخير وزيادة اشر	قولم في الطاعون
لمعاذ بن جبل .	عمر بن الخطاب وابن الجراح في طاعون
المزلة عن الناس	وقع بالشام .
لنبي صلى الله عليه وسلم .	١٢٨
١٤٨	ابن وهب وابن الزيات . ابن الزيات وابن
لقمان يهظ ابنته . لابراهيم بن آدم . لابن	أبي دواد .
عبيد . لايوب السخيتاني . لابن أبي حازم	١٣٠
١٤٩	من أحب الموت ومن كرهه .
إنجاب الرجل بعلمه .	١٣١
١٣٢	لنبي ﷺ وعبد الله بن عمر .
لابن الخطاب . معاوية وبعض الرجال .	التجدد .
لمحمود الوراق .	١٣٣
	لنبي صلى الله عليه وسلم .
	البكاء من خشية الله عز وجل .

صفحة	صفحة
١٦٤	١٥٠
عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة . الحجاج وموت ابنه محمد . عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك مسلة بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في إحتضاره . ارسول ﷺ في قبضه .	تواضع ابن سيرين . للنبي ﷺ انما يفظ ابنه للأشمت في تخفيف الصلاة . بين طاهر ابن الحسين والمروزي .
١٦٥	١٥١
عائشة مع أبيها في احتضاره . عمر مع أبي بكر في احتضاره .	لمحمود الوراق . لمساور الوراق . للفضال لابي عثمان المذني .
١٦٦	١٥٢
لمعاوية في احتضاره . عمرو بن العاص في احتضاره الجزع من الموت	أبو العتاهية ومتصوف .
١٦٧	١٥٣
لابن عياض . حزن سعيد بن أبي الحسن على أخيه . الحسن في احتضاره . حجر بن الأدبر في موته .	الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس . لعائشة في النبي ﷺ .
١٦٨	١٥٤
البكاء على الميت	عمر بن ذر ودعاء له . لعروة بن الزبير في مناجاته دعاء داود . من دعاء يوسف .
لابراهيم الاحنف وبأكية . للنبي ﷺ في وفاة ابنة ابراهيم ، النبي ﷺ وبأكيات من الانصار . النبي ﷺ وبأكيات قتلى أحد ابن الخطاب حين لمي إليه ابن مقرن . ابن الخطاب حين لمي إليه زيد آخره .	١٥٥ من دعاء علي بن الحسين . دعاء للفضيل بن عياض . دعاء لابن مسعود .
١٦٩	١٥٦
عمر و وفاة خالد . لمعاوية في الفناء . لابن عباس . للفرزدق . القول عند المعابر . لزيد بن علي . للرقاشي .	كيف يكون الدعاء . دعاء النبي ﷺ وأبي بكر وعمر
١٧٠	١٥٧
لعلي . للنبي صلى الله عليه وسلم . للحسن البصري لابن الفضل . لاعرابي على قبر الرسول ﷺ لماطمة على قبر أبيها ﷺ . ابن مسعود على قبر عمر بن الخطاب . علي بن أبي طالب على قبر خباب . الحسن على قبر علي .	الدعاء عند الكرب . الكلمات التي تلتق آدم من ربه اسم الله الأعظم
١٧١	١٥٨
ابن الصالح في رثاء الطائي . للأحنف على قبر أخيه عائشة على قبر أبي بكر . رثاء علي لأبي بكر . عبد الملك على قبر معاوية . للضحاك في زياد لعلي في فاطمة . امرأة الحسن على قبره . نائلة على قبر عثمان .	١٥٨ الاستغفار دعاء المسافر ١٥٩ الدعاء عند الدخول على السلطان . لابن عباس المنصور وجعفر بن محمد
١٧٢	١٦٠
عائشة على قبر أبي بكر . رثاء علي لأبي بكر . عبد الملك على قبر معاوية . للضحاك في زياد لعلي في فاطمة . امرأة الحسن على قبره . نائلة على قبر عثمان .	١٦٠ الدعاء على الطعام . الدعاء عند الأذان . الدعاء عند الطيرة . الساعة التي يستجاب فيها الدعاء والتعويد .
١٧٣	١٦١
عائشة على قبر أبي بكر . رثاء علي لأبي بكر . عبد الملك على قبر معاوية . للضحاك في زياد لعلي في فاطمة . امرأة الحسن على قبره . نائلة على قبر عثمان .	١٦١ كتاب الدرّة
١٧٤	١٦٢
عائشة على قبر أبي بكر . رثاء علي لأبي بكر . عبد الملك على قبر معاوية . للضحاك في زياد لعلي في فاطمة . امرأة الحسن على قبره . نائلة على قبر عثمان .	١٦٢ في النوادب والتعاضد والمرأى لابن عبد ربه لابن ذر . القول عند الموت .
	١٦٣
	١٦٣
	بين أبي بكر وطلحة . لمعاذ في احتضاره . لعمر بن عتبة في مثله لابن الخطاب في مثله الأسواري وأزادمرد في احتضاره .

صفحة	صفحة
١٩٢	١٧٥
لأبي العتاهية في رثاء الأمين . لأبي شمس في رثاء ابنه .	الرائون على قبر الاسكندر لأبي العتاهية في ابن له لأبي ذر في مثله لابن سليمان في مثله . لاعرابية في أيها . لاعرابية في رثاء ابنها .
١٩٣	١٧٦
من رثى إخوته . لمة م بن نويرة .	عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه . ابن ذر وجنازة جار له . لجارية على قبر أيها .
١٩٤	١٧٧
رثاء أخت المنذر له .	لعروة بن حزام . للطرماح . لابن اريب .
١٩٥	١٧٨
عمر بن الخطاب والحفساء في أخويها . عائشة والحفساء في صدار كانت تلبسه .	لافنون في بكاء نفسه .
١٩٦	١٧٩
للخفا في أخويها .	لهدية المنذرى محمد بن بشير .
١٩٨	١٨٠
لاخت اولىد بن طريف في رثائه . لآخر في رثاء أخيه .	لأبي العتاهية في أبيات أوصى أن تكتب على قبره لبعض الشعراء في معارضته . أبيات قيل إنها لأبي نواس . لأبي نواس .
١٩٩	١٨١
لكعب في أبي المغوار .	أبيات على قبر الإيادي . أبيات على قبر محمد بن عبد الله .
٢٠٠	١٨٢
لامرئ القيس يرثى إخوته ، للأبيد في رثاء أخيه بريد	من رثى ولده .
٢٠٢	١٨٤
لشبل بن معبد البجلي	لأبي ذؤيب في رثاء بنيه . وله في طفله .
٢٠٣	١٨٥
من رثت زوجها	لأعرابي في رثاء بنيه . لاعرابية في رثاء ابنها للعسن بن هاني . لابن الاهم يرثى ابنه له .
لاسماء في الزبير . لبانة زوجة الأمين ترميه لاعرابية في زوجها . الاصمعي وجارية على قبر زوجها .	١٨٦
٢٠٥	١٨٧
من رثى جاريته . الاصمعي وجارية .	لأبي العتاهية في رثاء ابن له . لاعرابي في رثاء ابن له . عمر بن الخطاب وأعرابي فقد ابناً له . المنصور وشعر المطيع حين مات ولده
٢٠٦	١٨٨
سروان بن محمد وجارية له خلفها بالرملة .	لأعرابية تندب ابنها . لأبي الخطار في رثاء ابنه . لجرح يرثى ولده سودة . لأبي الشغب في ابنه . لابن عبد الأعلى في رثاء أيوب بن سليمان
٢٠٧	١٨٩
لحبيب في مثله . لاعرابي يرثى امرأته .	لأب في رثاء ابنه . لاعرابي في رثاء ابنه .
٢٠٨	١٩٠
للوراق يرثى جارية محب وجارية له ماتت . من رثى ابنة .	لابن عبد ربه في طفل له لاعرابية في ولد لها . لاعرابي في ابنين له .
٢٠٩	١٩١
للبحرئى في ابنة الحميدى . مرثى الاشراف .	لهذيلة في رثاء إخوة وابن .
٢١٠	
لحسان يرثى الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر . وله في رثاء أبي بكر وله في رثاء عثمان .	لشيبانية في حزنها على أهلها . لابن ثعلبة في ولد له . للمتي في مثله . لأب في رثاء ابنه .
٢١١	
للسيد الحميرى في رثاء علي . للفردق في رثاء عبد العزيز بن مروان . لجريث في رثاء عمر بن عبد العزيز .	

تعازي الملوك

- ٢٢١ لاكم يعزى ابن هند . في مهلك المنصور .
 في موت معاوية بن أبي سفيان . عزاء شبيب
 للنصور في أبي العباس لابن إسحاق يعزى
 بعض الخلفاء . الرشيد وعبد الملك بن صالح
 المأمون يعزى أم الفضل بن سهل . من عمر بن
 العزيز إلى عماله في موت ولده .
 ٢٢٢ عزاء زياد لسليمان بن عبد الملك في ابنه .
 لعطاء يعزى يزيد في معاوية لابن الوليد يعزى
 عمر بن عبد العزيز في ابنه . عمر بن عبد العزيز
 في وفاة أخته . لبعض الشعراء في التعزية .
 ٢٢٣ للعتابي . لابن طاهر يعزى المتوكل في ابنه .
 لأبي عيينة . لحكيم يعزى سليمان بن عبد الملك
 في ابنه . للحسن يعزى عمر بن عبد العزيز .
 للاسكندر يعزى أمه عن فقده . لسهل بن
 هارون في التعزية .

كتاب اليتيمة

٢٣٤

في النسب وفضائل العرب

- في الحديث . لعمر بن الخطاب
 أصل النسب .
 أولاد نوح .
 أصل قريش .
 ٢٣٥ لعبدالمطلب في قومه . لأبي نواس في مدح بني
 شيبه . بنو هاشم .
 ٢٣٦ بنو أمية . بنو نوفل . بنو عبد الدار . بنو أسد
 بنو تيم . بنو مخزوم . بنو عدى . بنو جهم
 بنو سهيل .
 ٢٣٧ مكارم قريش . بين المأمون وأبي الطاهر .
 فضل بني هاشم وبني أمية
 لعلي فهم . وللشعبي .

[٤٣]

- ٢١٢ لجرير في رثاء الوليد . لبعض الشعراء في رثاء
 قيس بن عاصم . للسندی في رثاء يزيد بن
 هبيرة . لمنصور النخعي في رثاء ابن مزيد .
 ٢١٣ للأعجم يرثي المغيرة .
 ٢١٤ لبعض الشعراء . لابن يعفر .
 ٢١٥ لعبيد بن الأبرص . للحجاج في ابن خارجة .
 لبعض الشعراء فيه . لمسلم بن الوليد .
 ٢١٦ لأشجع في ابن زياد . وله في ابن منصور .
 ٢١٧ للطائي في رثاء خالد بن يزيد . للتيمي في
 يزيد بن مزيد .
 ٢٢٠ لابن أبي حفصة في رثاء معن .
 ٢٢١ لأبي الشيص في رثاء الرشيد ومدح الأمين .
 للعدائي في ابن ظبيان . لأبي توسعة في رثاء المهلب
 ٢٢٢ للهلهل في رثاء كليب . لابن المعدل في رثاء
 سعيد بن سلم . لابن اخت تأبط شرا يرثي خاله
 ٢٢٣ لابن أبي الصلت يرثي قتلى بدر .
 ٢٢٤ لسهل بن هارون .
 ٢٢٥ لفروة الحريري في رثاء الخوارج . وله في رثاء قومه
 التنازي لابن أبي بكر يعزى سليمان في ابنه .
 ٢٢٦ لابن جريح يعزى ابن الأهم . على والأشعث
 في وفاة ابنه . لابن الصماك يعزى رجلاً لصالح
 المري في مثله . لوالد العتيبي في مثله : لابن
 عباس يعزى عمر في ابن له . لعلي في العزاء .
 ٢٢٧ للحسن في المصيبة .

كتاب تعزية

- ٢٢٨ في عزاء عقبة بانه . عزاء الأصمعي لجعفر بن
 سليمان في أخيه .
 ٢٢٩ لمالك بن دينار في أخيه . لأعرابية في ميت
 لأعرابي يعزى الحسن وجازع على ابنه لنصراني
 يعزى مسلماً . لعلي بن الحسين في ناعية .
 ٢٣٠ لابن جبير لرجل يعزى رجلاً .

صفحة	صفحة
٢٥١	٢٣٨
مفاخرة يمن ومضر .	لماوية الرشيد وأموى للنبي ﷺ
الابرش يفاخر ابن صفوان . أبو العباس	جماعة بني هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش .
وقوم من اليمن .	عبد المطلب .
مفاخرة الأوس والخزرج .	٢٣٩ أمية الأكبر .
٢٥٢ البيوتات .	٢٤٠ جماهير بني تميم بن مرة .
علماء النسب في حضرة عبد الملك .	• مخزوم بن مرة .
بيوتات مضر وفضائلها .	• كعب بن عدى
للنبي صلى الله عليه وسلم . لبعضهم .	• جحش .
٢٥٣ معاوية والكلي . النعمان والاحيمر . شيء	٢٤١ • بني ميسم .
عن بهدلة .	• عاصم بن لؤى .
٢٥٤ بيوتات اليمن وفضائلها .	• بني محارب بن فهر بن مالك .
للنبي ﷺ . لابن عباس . لعمر بن الخطاب .	• بني الحارث بن فهر بن مالك .
لابن عبيدة . لابن الكلي .	قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش .
٢٥٥ للنبي ﷺ . لابن الكلي .	٢٤٢ ومن بطون قريش
٢٥٦ تفسير الأرحاء والمجاهم . لابن عبيدة .	٢٤٣ فضل قريش .
٢٥٧ أسماء ولد نزار .	للنبي ﷺ . معاوية وأصحابه . ابن عتبة
سطيح وتقسيم ميراث نزار .	وابن عمير .
٢٥٨ شعر لربيعة بن نزار .	٢٤٤ ابن عتبة وقرشيون تشاحوا . محمد بن الفضل
أنساب مضر	وقوم . بينه وبين والى الأهواز . لابن عتبة
٢٥٩ بطون هذيل وجاهرها .	ينصح قرشيين .
بطون كنانة وجاهرها .	٢٤٥ مكان العرب من قريش .
٢٦٠ بطون أسد وجاهرها .	للنبي ﷺ . لماوية . لابن عتبة في معاوية .
٢٦١ الهون بن خزيمه بن مدركة .	٢٤٦ لابن الكلي . لابن المقفع .
٢٦٢ ومن قبائل طابحة بن اليأس .	٢٤٧ ذو الرمة وعبد أسود .
بطون ضبة وجاهرها .	٢٤٨ علماء النسب .
٢٦٣ مزينة — الرباب .	أبر بكر وابن المسيب . أبر بكر وبعض القبائل
٢٦٤ صوفة .	٢٤٩ دغفل وقوم من الأنصار . ابن شيبان وقوم
بطون تميم وجاهرها .	من العرب .
بنو العنبر بن عمرو بن تميم .	٢٥٠ قول دغفل في قبائل العرب .
	دغفل وزباد . دغفل ومعاوية .

صحيفة	صحيفة
٢٨٦ ح - ير .	٢٦٥ الحبطات .
٢٨٧ الارزاع - النباية .	غيلان وأسلم وحرماز . بنو مالك بن عمر
٢٨٨ قضاة .	ابن تميم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم .
٢٩٢ كهلان بن سبأ .	٢٦٦ الأجارب .
٢٩٣ الخزرج .	بنو عطارذ بن عوف بن كعب بن سعد .
صحيفة	قريع بن عوف بن كعب بن سعد .
٢٩٧ خزاعة .	٢٦٧ بهلة بن عوف بن كعب بن سعد .
بطون من خزاعة .	حنظلة بن مالك الاحق بن زيد مناة .
٢٩٩ بارق والهجن .	يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم
٣٠٠ ومن بطون الأزدي .	٢٦٩ بطون قيس وجماهيرها .
٣٠١ بنو لخب .	٢٧٠ باهلة - بنو الطفاوة بن أعصر .
٣٠٢ دوس . مك . غسان . بنو عنزة .	بنو خصفة بن قيس بن عيلان .
٣٠٣ بجيلة خثعم .	٢٧١ بنو ذكوان وبنو وبنو بنو سليم .
٣٠٤ همدان .	٢٧١ قبائل هوازن .
٣٠٦ كندة .	عاصم بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
٣٠٧ مذحج .	٢٧٢ بنو كعب بن ربيعة بن عاصم بن صعصعة .
٣١٠ مسلية . بنو حياية .	بنو العجلان بن كعب .
٣١١ النخع . بنو جذيمة . بنو حارثة . وهبيل .	٢٧٣ بنو سلول . نسب ربيعة بن نزار .
صهبان جشم وبكر علس .	٢٧٥ النمر بن قاسط .
٣١٢ مراد - طيء .	٢٧٦ تغلب بن وائل .
٣١٤ الأشعر .	٢٧٧ بكر بن وائل . يشكر بن بكر .
٣١٥ لحم - جذم .	٢٧٨ عجل بن لجم . حنيفة بن لجم .
٣١٦ عاملة .	شيبان بن ثعلبة بن عكابة .
٣١٧ خولان - جرم - حضرموت .	٢٧٩ ذهل بن ثعلبة بن عكابة .
قول الشعوبية وهم أهل التسوية .	قيس بن ثعلبة بن عكابة .
٢٢٢ رد ابن قتيبة على الشعوبية .	٢٨٠ سروس - الهازم - إياد بن نزار .
٢٢٣ رد الشعوبية على ابن قتيبة .	٢٨١ القبائل المشتهرة .
٢٢٥ قول الشعوبية في مناقح العرب .	٢٨٢ مفاخرة ربيعة . عبد الملك وبعض جلساته
٢٢٦ باب المنعصين العرب .	٢٨٤ جرات العرب .
	٢٨٥ أسباب اليمن .

العقود القريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله الإندلسي

المتوفى سنة ٥٢٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الرابع

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

كِتَابُ الْعَسْجِدَةِ

فِي كَلِمَاتِ الْأَعْرَابِ

فرش كتاب العسجدة

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النسب الذي هو سبب

- التعارف ، وسلم إلى التواصل ، وفي تفضيل العرب ، وفي كلام بعض الشعوية :
ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصة : إذ كان أشرف الكلام
حسبا ، وأكثره رونقا ، وأحسنه ديباجا ، وأقله كلفة ، وأوضحه طريقة ؛ وإذ كان
مدار الكلام كله عليه ، ومُنْتَسَبُهُ إليه .

قال رجل من منقر : تكلم خالد بن صفوان بكلام في صلح لم يسمع

خالد بن صفوان
وأعرابي

- الناس كلاما قبله مثله ، وإذا بأعرابي في بَتِّ ، ماني رجله حذاء ، فأجابه
بكلام وددت أني متُّ قبل أن أسمع ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال لي :
ويحك ! كيف نجاريهم وإنما نحاكيم ؟ أم كيف نسايقهم وإنما نجري بما سبق
إلينا من أعرابهم ؟ قلت له : أبا صفوان ، والله ما ألومك في الأولى ، ولا أدع
حمدك على الأخرى .

- وتكلم ربيعة الرأي يوما بكلام في العلم فأكثر ، فكان العُجْبُ داخله ،
فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال : ما تمدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلت
الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تمدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم .
فكأنما ألقمه حجرا .

بين أعرابي
وربيعة في مثله

قول الأعراب في الدعاء

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب ،
لولا جفاء فيهم .
لعمرو
ابن عبد العزيز

وقال غيلان : إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب .
لغيلان

قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابي يقال له مرثد : اللهم اغفر لي والجلدُ
بارد ، والنفس رطبة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية ،
والتوبة مقبولة ، والآنفس مريحة ، والتضرع مرجو ، قبل أز العروق ، وحشك
النفس ، وعلز الصدر ، وتزيل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحيف التراب ؛
وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل ، وينقطع العمل . أعني على
الموت وكرهته ، وعلى القبر وغمته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ،
وعلى يوم القيامة وروعته ؛ اغفر لي مغفرةً واسعة لا تغادر ذنبا ، ولا تدع كربا ؛
اغفر لي جميع ما اقترضت علي ولم أؤده إليك ؛ اغفر لي جميع ما تبثُ إليك منه
ثم عدت فيه . يارب تظاهرت على منك النعم ، وتداركت عندك مني الذنوب ؛
فلك الحمد على النعم التي تظاهرت ، وأستغفرك للذنوب التي تداركت . أمسيت
عن عذاب غيا ، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيرا ؛ اللهم إني أسألك نجاح الأمل
عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي ؛ اللهم اجعلني من الذين
إذا أعطيتهم شكروا ، وإذا آتيتهم صبروا ، وإذا أذكرتهم ذكروا ، واجعل لي
قلبا تواباً أو أباً ، لا فاجراً ولا مرتاباً . اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ،
وإذا أساءوا استغفروا ، اللهم لا تحقق علي العذاب ، ولا تقطع بي الأسباب ،
وأحفظني في كل ما تحيط به شفقتي ، ويأتي من ورائه سُبحتي ، وتعجز عنه قوتي ،
أدعوك دعاء ضعيف^(١) عمله ، متظاهرة ذنوبه ، ضنين على نفسه - دعاء من بدنه
ضعيف ، ومُنته عاجزة ؛ قد انتهت عدته ، وخلقت جدته ، وتم ظمؤه ؛ اللهم

(١) في بعض الأصول : « خفيف » .

- لا تخيبي وأنا أرجوك ، ولا تعذني وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسبته ،
 وحسن التباعة ، وتشنج العروق ، وإساعة الريق ، وتأخر الشدائد ؛ والحمد لله على
 حله بعد عله ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ والحمد لله الذي لا يُودى قتيله ،
 ولا يخيب سوله ، ولا يُرد رسوله . اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن
 ٥ الذل إلا لك ؛ وأعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى جورا ، أو أكون بك
 مغرورا ؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعُصال الداء ، وخيبة الرجاء ، وزوال
 النعمة ، وفجأة النعمة .

لأعرابي في
 العواف

- دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال : إلهي ، من أولى بالتقصير والزلل
 مني وأنت خلقتني ، ومن أولى بالعفو منك عني وعليك بي ماض ، وقضاؤك بي
 مُحيط ؛ أطعتك بقوتك والمِنَّة لك ، وعصيتك بعلمك ، فأسألك يا إلهي بوجوب
 ١٠ رحمتك ، وانقطاع حجتي ، وافتقاري إليك ، وغناك عني - أن تغفر لي وترحمي ؛
 إلهي لم أحسن حتى أعطيتني . فتجاوز عن الذنوب التي كتبت عليّ ، اللهم إنا
 أطعناك في أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ،
 ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك : الشرك بك ؛ فاغفر لي ما بين ذلك ؛
 ١٥ اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأولياتك ، وأحضرهم للتوكلين عليك^(١) . إلهي
 أنت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا إليك
 ملهوف ؛ إذا أوحشتني الغربة ، آنسني ذكرك ؛ وإذا أكبت عليّ الغموم ،
 لجأتُ إلى الاستجارة بك ؛ علما بأن أزمنة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها
 عن قضائك ، فأقلني إليك مغفوراً لي ، معصوما بطاعتك باقي عمري ،
 يا أرحم الراحمين .

٢٠

الأصمعي قال : حَجَّجْتُ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيَا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ : يَا خَيْرَ
 مَوْفُودٍ سَعَى إِلَيْهِ الْوَفْدُ ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مُنْتِي ، وَأَتَيْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ
 لَا تَغْسِلُهَا إِلَّا نَهَارٌ وَلَا تَحْمِلُهَا إِلَّا بَحَارٌ ؛ أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ

لآخر في مثله

(١) في بعض الأصول : وخير المعينين للتوكلين عليك ،

عقوبتك ، ثم التفت فقال : أيها المُشفقون ، ارحموا من شملته الخطايا ،
وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ممالك من التلاد ؛ ارحموا
من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب ؛ ارحموا أسير ضُرّ ، وطريد فقر .
أسألكم بالذي أعملتكم الرغبة إليه ، إلا ما سألتكم الله أن يهب لي عظيم جُرمي .
ثم وضع في حلقة الباب خده وقال : ضَرَعَ خدي لك ، وذل مقامي بين يديك ،
ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنبِ مكروبٌ هـ من الخيراتِ مسلوبٌ

وقد أصبحتُ ذا فقرٍ هـ وما عندك مطلوب

العنبي قال : سمعت أعرابيا يعرفات عشية عرقة وهو يقول : اللهم إن هذه
عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك ،
أن لا يشرك بك شيئا بكل لسان فيها يدعى ، ولكل خير فيها يرجى ؛ أتتك
العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العناة من شعب المَضيق ؛ رجاء ما لا خلف له
من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ؛ أبدت لك وجوهها المصونة ،
صابرة على وهج " السمام ، وبرد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك ؛ يا غفار ،
يا مُستزاداً من نعمه ، ومُستعازداً من نقمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير
وشهيق . ثم بسط كلنا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إن كنتُ بسطتُ يدي إليك
راغباً ، فطالما كفيته ؛ ساهياً بنعمتك التي تظاهرت عليّ عند الغفلة ، فلا بأس
منها عند التوبة ؛ ولا تقطع رجائي منك لما قدمت من أقراف ، وهب لي الإصلاح
في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجسد ، إنك سميع مجيب .

ودعا أعرابي فقال : يا عمادَ مَنْ لا عمادَ له ، ويا ركنَ مَنْ لا ركنَ له ،
ويا مجير الضعفاء ، ويا مُنقذ المهلكي " ، ويا عظيم الرجاء ، أنت الذي سبح لك
سواد الليل وياض النهار ، وضوء القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر

(١) في بعض الأصول : د لفتح .

(٢) في بعض الأصول : ه الفرقى .

ودوى الماء ؛ يا محسن ، يا مجمل ، يا مفضل ، لا أسألك الخير بخير هو عندك ،
ولكني أسألك برحمتك ، فاجعل العافية لي شعاراً ودثاراً ، وجنة دون كل بلاء .

الاصمعي قال خرجت أعرابية إلى منى فقطع بها الطريق ، فقالت : يا رب ،
أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت ، وكل ذلك منك عدلٌ وفضلٌ ، والذي عظم
على الخلاق أمرك ؛ لا بسطت لساني بمسئلة أحد غيرك ، ولا بذات رغبتي إلا إليك
ياقرة أعين السائلين ، أغنى بجد منك أتبجح في فراديس نعمته ، وأتقلب في
رواق نضرته ، أحلني من الرجلة ، وأغنى من العيلة ، وأسدل علي سترك الذي
لا تخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، إنك سمع الدعاء .

لآخر يني

قال : وسمعت أعرابيا في فلاة من الأرض وهو يقول في دعائه : اللهم إن

لأعرابي في فلاة

استغفاري إليك مع كثرة ذنوبي للؤم ، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك
لنعجز إلهي كم تحييت إلي بنعمتك وأنت غني عني ، وكم أنبغض إليك بذنوبي
وأنا فقير إليك ؛ سبحان من إذا توعد عفا ، وإذا وعد وفى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول في دعائه : اللهم إن ذنوبي إليك لا تضرك ، وإن
رحمتك إياي لا تنقصك ؛ فاعمر لي ما لا يضرك ، وهب لي ما لا ينقصك .

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول في دعائه : اللهم إنى أسألك عمل الخائفين ،
وخوف العاملين ، حتى أتعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .
اللهم أعذني من سطواتك ؛ وأجرني من نقماتك ؛ سبقت لي ذنوبٌ وأنت تغفر
لمن يتوب ^(١) ؛ إليك بك أتوسل ، ومنك إليك أفر .

لآخرين

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إن أقواما آمنوا بك بالسنتهم ليحققوا
دماهم فأدركوا ما أتملوا ، وقد آمنوا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك فأدرك منا
ما أتملناه .

قال : ورأيت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة رافعا يديه إلى السماء وهو يقول
رب ، أتراك معدننا وتوحيدك في قلوبنا ، وما إخالك تفعل ؛ ولئن فعلت لتجمننا

(١) في بعض الأصول : ويحوب ،

مع قوم طالما أينضام لك .

الأصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول في صلاته : الحمد لله حمداً لا يبلى جديده
ولا يُحصى عديده ، ولا يبلغ حدوده ؛ اللهم اجعل الموت خيراً غائب نتظره ،
واجعل القبر خيراً بيت نعلمه ؛ واجعل ما بعده خيراً لنا منه ؛ اللهم إن عيني
قد آغرورقتا دموعاً من خشيتك ؛ فاغفر الزلة ، وعُدْ بملكك على جهل من لم يرجُ غيرك
الأصمعي قال : وقف أعرابي في بعض المواسم فقال : اللهم إن لك على
حقوقاً فتصدق بها علي ، وللناس قبلي تباعات فتحملها عني ؛ وقد وجب لكل ضيف
قري ، وأنا ضيفك الليلة ، فاجعل قراي فيها الجنة .

قال : ورأيت أعرابيا أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : سائلك عبد بابك
ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباعته فأرض عنه ، وإن
لم ترض عنه فاعفُ عنه غير راض .

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا
فعال إلا بمال ؛ فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمر^(١) : سمعت طاوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دفعتُ إلى الحجاج
ابن يوسف ، فثنى لي وساداً فجلست ؛ فبينما نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابي
في الوادي رافعا صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : عليّ بالملبي . فأثى به ، فقال : من
الرجل ؟ قال : من أفناء الناس . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتني ؟
قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفت
محمد بن يوسف ؟ يعني أخاه ، وكان عامله على اليمن ؛ قال : خلفته عظيماً جسيماً
خراًجا ولأجا . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتني ؟ قال : كيف
خلفت سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخائف مطيعاً للمخلوق ؛
فازورّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته مني ؟ فقال
له الأعرابي أفتراه بمكانته منك أعزّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافد

(١) في بعض الأصول : وعمرو ،

بينه ، وقاضى دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ! قال : فوجم لها الحجاج ولم يُبحر له جوابا ، حتى خرج الرجل بلا إذن . قال طاوس : فتبعته حتى أتى الملتزم فعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك الأوذ ، فاجعل لى فى اللهم إلى جوارك والرضا بضمائك : مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين : اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة .

قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألقيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجتى ونصبي وتعبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبتى فلا أعلم مصيبةً أعظم من ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رحمتك ^(١) الأصمعى قال : رأيت أعرابيا يطوف بالكعبة وهو يقول : إلهى عَجَّتْ إليك الأصواتُ بضروبٍ من اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرنى على طول البلاء ^(٢) إذا نسيتنى أهل الدنيا . اللهم هَبْ لى حَقك ، وأرض عنى خلقك ، اللهم لا تُعَيِّبْ بطلب مالم تقدره لى ، وما قدرته لى فيسره لى .

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة ، فقالت : كان الله صاحبك لأعرابية
فى أمرِك ، وخليفتك فى أهلك ، وولىُّ نَجحِ طَلَبَتِك . أمضِ مُصاحبا مكلوا ، لا أشمت الله بك عدوا ، ولا أرى محبيك فىك سوة .

قال : ومات ابن لأعرابي فقال : اللهم إني وهبتُ له ما قصر فيه من برى ، لأعرابيات
فهب له ما قصر فيه من طاعتك : فإنك أجود وأكرم .

قولهم فى الرقائق

العتبي قال : ذكر أعرابي مصيبة فقال : والله تركت سُودَ الرأسِ بيضا ، لأعرابي
ويبيض الوجه سوداً ، وهَوَّأَتِ المصائبَ بعدها .

(١) فى بعض الأصول : رغبتك .

(٢) فى بعض الأصول : البكاء .

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثي آل أبي سفيان :

رمى الحدثانُ نسوةَ آل حرب ٥ بمقدار سَمَدٍ له سُموذا
فرد شعورهن السود بيضا ٥ ورد وجوههن البيض سودا
فإنك إذ سمعت بكاء هند ٥ ورملة إذ يلطمن الحدودا
بكيك بكاء موجعة بحزن ٥ أصاب الدهر واحدا الفريدا

٥

قال : قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءك قالت : إن فقدى إياه
أمتني كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده : ثم أنشأت تقول :
من شاء بعدك فليمت ٥ فعليك كنت أحاذرُ
كنت السواد لقلتي ٥ فعليك يبكي الناظر
ليت المنازل والديا ٥ ر حفائر ومقابر

١٠

وقيل لأعرابي : كيف حزتك على ولدك ؟ قال : ما ترك هم الغداء
والعشاء لي حزنا ١

وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : من طال أمدى ، وكثر ولده ، وذهب
جلده : ذهب شبابه .

وقيل لأعرابي : ما أنحل جسمك ؟ قال : سوء الغداء ، وسُدوبة الرعى ،
واختلاجُ الهموم في صدرى . ثم أنشأ يقول :

١٥

الهمُّ مالم تُضهِ لبيبه ، دائِ تَضَمَّنهُ الضلوعُ عظيمُ
ولربما استيأستُ ثم أقولُ لا ٥ إن الذى ضمنَ النجاح كريمُ

وقيل لأعرابي قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تقيدي
الشعرة ، وأعثر في البعرة : قد أقام الدهر صعري بعد أن أقت صعره .

٢٠

وقال أعرابي : لقد كنتُ أنسكر البيضاء ، فصرت أنسكر السوداء ، فبا خبر

مبدول وياشراً بدل ١

- لبعض الشعراء وقال أعرابي :
- إذا الرجال وُلدت أولادها ، وجعلت أسقامها تمتادها
واضطربت من كبر أعضائها ، فهي زُرُوعٌ قد دنا حصادها
- وذكر أعرابي طبيعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرَتْ عِيَابُ الْوَدِّ بَعْدَ
امْتَلَانِهَا وَاكْفَهَرَتْ وَجوهٌ كَانَتْ بِمَائِهَا ؛ فَأَدْبِرَ مَا كَانَ مَقْبِلًا ، وَأَقْبِلَ
مَا كَانَ مَدْبِرًا .
- وذكر أعرابي منزلاً يباد أهله ، فقال : منزل والله رحلتُ عنه ربات الخدور
وأقامت فيه أنافي^(١) القدور ، وقد اكتسى بالنبات كأنما ألبس الحُلل ؛ وكان
أهله يُعْفُونَ فيه آثار الرياح ، وأصبحت الريح تُعْفِي آثارهم فالعهد قريب
والملتقى بعيد .
- وذكر أعرابي قوماً تغيرت أحوالهم ، فقال : أَعْيُنٌ وَالله كَلَّتْ بِالْعَبْرَةِ بَعْدَ
الْحَبْرَةِ ، وَأَنْفُسٌ لَبَسَتْ الْحَزْنَ بَعْدَ السُّرُورِ .
- وذكر أعرابي قوماً تغيرت حالهم ، فقال : كَانُوا وَالله فِي عَيْشِ رَقِيقِ الْحَوَاشِي
فَطَوَاهِ الدَّهْرِ بَعْدَ سَعَةِ ، حَتَّى يَبْسُتْ أَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُرِّ ، وَلَمْ أَرِ صَاحِبًا أَغْرَّ مِنَ
الدُّنْيَا ، وَلَا ظَالِمًا أَغْشَمَ مِنَ الْمَوْتِ ؛ وَمَنْ عَصَفَ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَرْدِيَاهُ ، وَمَنْ
وَكَلَّ بِهِ الْمَوْتَ أَقْيَاهُ .
- وقف أعرابي على دارٍ قد باد أهلها ، فقال : دَارٌ وَالله مَعْتَصِرَةٌ لِلدَّمُوعِ ،
حَطَّتْ بِهَا السَّحَابُ أَثْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالَهَا .
- وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله ، فقال : طُوبَيْتْ صَحِيفَتُهُ وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْعَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفِيهِ .
- وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة ، فقال : كَانَ وَالله فِي ظِلِّ عَيْشِهِ
مُدُودٌ ، فَقَدَحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ عَيْنَ كَايَةِ الزَّوْدِ .

(١) في بعض الأصول : «رواحل» .

لأعرابية ترى
ابنها

الأصمى قال : أنشدني العقيل لأعرابية ترى ابنها :

ختلته المنونُ بعد آختيالٍ ، بين صفين من قنأ ونصالٍ
في رداء من الصفيح صقيلاً " ، وقمص من الحديد مُذال
كنتُ أخباك لاغتداء يدِ الدهرِ ولم تخطرِ المنونُ بيالي

لأعرابي في مثله

وقال أعرابي يرى ابنه :

دَفَنْتُ بكفى بعض نفسي فأصبحت ، وللنفس منها دافينٌ ودفين

وقال أعرابي : إن الدنيا تنطق بغير لسان فتخبر عما يكون بما قد كان .

خرج أعرابي : هاربا من الطاعون ؛ فينا هو سائر إذ لدغته أفعى فسات ،

فقال فيه أبوه :

طاف يَبغى نجوةً ، من هلاكٍ فهلكُ

لبت شِعري ضلَّةً ، أي شيءٍ قتلكُ

والمنايا رَصَدُه ، للفتى حيث سلك

كلُّ شيءٍ قاتلٌ ، حين تلقَى أجلك

وذكر أعرابي بلدا فقال : بلد كالترس ، ماتمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل ، لأعرابي في بلد

ولا يمر فيها السفر إلا بأدلى دليل .

قولهم في الاستطعام

معن بن زائدة
وأعرابي

قدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال : إني والله

ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثلي من أهل السن والحطب

إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في

المعروف ؛ فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك

فافعل . فوصله وأحسن إليه .

لأعرابي

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : وقف أعرابي

على قوم فقال : إنا - رحمكم الله - أبناء سبيل ، وأنضاء طريق وفلال سنة ؛ رحم الله امرأ أعطى عن سعة ، وواسى من كفاف . فأعطاه رجل درهما ، فقال : آجرك الله من غير أن يبتيك .

ووقف أعرابي بقوم فقال : يا قوم ، تناهت علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رجع ، ولا للأرض فيها صدع ، فنضب العبد ، ونشف الوشل ، وأحل الخصب ، وكلع الجذب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشظف المعاش ، وذهب الرياش ؛ وطرحنى الأيام إليكم غريب الدار ، نأى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ؛ فرحم الله امرأ رحم أعرابى ، وجعل المعروف جوابى .

١٠ خروج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول : قوم معوزون^(١) ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ؛ باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصبة الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهل من أمرٍ بخير ، كلاه الله في سفره ، وخلفه في أهله ؟ فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

١٥ الأصمعي قال : أغبر على إبل خزيمة ، فركب بحيرة ، فقبل له : أتركب حراماً؟ قال : يركب الحرام من لا حلال له .

وقال أعرابي : لأعرابي

يا ليت لى نعلين من جلد الصُّبُع . كلَّ الحذاء يَحْتَدِي الحافى الوَرَقُ

أبو الحسن قال : اعترض أعرابي لعتبة بن أبي سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة . قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : فيا أخاه ! قال : أسمعته فقل . قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخبثولة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف ضر ، وعندك ما يسعه ويصرف

(١) في بعض الاصول : « مبطلون ،

عنه يؤسره فقال عتبة أستغفر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بغناك ،
فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وسأل أعرابي فقال : رحم الله مسلماً لم تمج أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذاً
من مقامى ، فإن البلاد مجدية ، والدار مضية ، والحياة زاجر يمنع من كلامكم ،
والعُدم عاذر يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله أمراً يمير
وداعياً يمير . فقال له بعض القوم : ممن الرجل ؟ فقال : ممن لا تنفعكم معرفته ،
ولا تضركم جهالته . ذلُّ الاكتساب ، يمنع من عز الانتساب .

العتبي قال : قدم علينا أعرابي في فِشاش^(١) قد أطردت اللصاصُ إبله ، فجمعت
له شيئاً من أهل المسجد ، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول :

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته . لولا شماتةُ أعداءِ ذوى إحنٍ
ما سرّنى أن إبلى في مباركها . وأنّ أمراً قضاهُ الله لم يكن
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال :

لولا شماتةُ أعداءِ ذوى حسدٍ . وأنّ أنال بنفسي من يُرجيني
لما خطبتُ إلى الدنيا مطالبها . ولا بدلتُ لها عرضي ولا ديني
لكن مُنافسةُ الأكفاءِ تحمّلني . على أمورٍ أراها سوف تُرديني
وقد خشيتُ بأن أبى بمنزلةٍ . لا دين عندي ولا دنيا تُواتيني

العتبي قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فلما مثل بين يديه
أنشأ يقول :

أصلحك الله قل ما بيدي . فما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهرٌ ألقى بكلكله . فأرسلوني إليك وانتظروا

قال : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ، فأمر
له بأربعة أبعرة موقورة بُراً وتمراً وخلع عليه .

(١) الفشاش : كساء غليظ .

أعرابي غير
على إبله

بين خالد القسري
وأعرابي

الشياني قال : أقبل أعرابي إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرجة حيناً ، وكان الأعرابي من بني أسد صعلوكا في عبادة صوف وشملة شعر ، فكلمها أراد الدخول منه الحجاب ، وشمته العبيد ، وضربه الأشراف ؛ فلما كان في بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرجة ، فعارضه الأعرابي ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك حتى أخذ يعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إني عائد بالله • من أشرطك هؤلاء ؟ فقال مالك : دعوا الأعرابي ؛ هل من حاجة يا أعرابي ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير ؛ أن تصغى إلي بسمعك ، وتنظر إلي بطرفك ، وتقبل إلي بوجهك . قال : نعم . فأنشأ الأعرابي يقول :

ييايكَ دون الناس أنزأتُ حاجتي • وأقبلتُ أسعى حوله وأطوفُ
وَيَمْتَعِي الحُجَابُ والسَّيْرُ مُسَبَّلٌ • وأنتَ بعيدٍ والشروطُ صفوفُ
يدورونَ حولي في الجلوسِ كأنهم • ذئابٌ جِياعٌ يَبْهِنُ خروفُ
فأما وقد أبصرتُ وجهك مُقبلاً • فأضرفُ عنه إني لضعيفُ
ومالي من الدنيا سِوَاكَ ولا لِيمنَ • تَرَكتُ ورائي مَرْبِعٌ ومَصِيفُ
وقد عَلِمَ الحَيَانُ قَيْسٌ وخندفٌ • ومَنْ هُوَ فيها نازلٌ وحليفُ
تَخَطَّيْتُ أعناقَ المُلوكِ وريحلتِي • إلبكَ وقد حنَّتُ إليك صُروفُ
بِحُتْمِكَ أبغى اليُسْرَ مِنكَ فترِبي • ييايكَ مِن ضربِ العبيدِ صُوفُ
فلا تَجْعَلنَّ لي نحوَ بابِكَ عودَةً • فقلبي من ضربِ الشرطِ مخوفُ

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ؛ ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوباً بثوبين ؟ فوقعت عليه الثياب والدرهم من كل جانب حتى تحير الأعرابي ؛ ثم قال له : هل بقيت لك حاجة يا أعرابي ؟ قال : ٢٠ أما إليك فلا ؟ قال : فإلى من ؟ قال : إلى الله أن ييقك للعرب ؛ فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل أعرابي إلى هشام بن عبد الملك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أتت علينا

ثلاثة أعوام : فعام أذابَ الشحم ، وعام أكلَ اللحم ، وعام أنتقَ العظم ؛ وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن للناس فلم تُحَبُّ عنهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا ؛ إن الله يجزي المتصدقين ! قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : ما ضربتُ إليك أكباد الإبل أذرع الحجير ، وأخوض الدجا لخاصِّ دون عام ، ولا خير في خير لا يعم . فأمر له هشام بأموال فرقت في الناس ؛ وأمر للأعرابي بمال فرقه في قومه .

طلب أعرابي من رجل حاجة فوعده قضاءها ؛ فقال الأعرابي : إن من وعدٍ لبعض الأعراب قضى الحاجة وإن كثرت ؛ والمطل من غير عسر آفة الجود .

وقال أعرابي ، وأتى رجلا لم تكن بينهما حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن : فحقق الأمل ، وأحسن المثوبة ^(١) ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد .

أعرابي في
حلقة يونس

وقف أعرابي على حلقة يونس النحوي ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . إنا أناس قد منا هذه المدينة ثلاثون رجلا ؛ لا ندفن ميتاً ؛ ولا نحول من منزل وإن كرهناه ؛ فرحم الله عبداً تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، ورسا سنّة ؛ فإنه لا قليل من الأجر ؛ ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ . إن الله لا يستقرض من عوز ؛ ولكن ليبلو خيار عباده .

وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم ؛ فقال : يا قوم لقد ختمت هذه الفريضة على أفواهنا من صبح أمس ، ومعى بنان لي ، والله ما عليّهما تحللاً بخلال ؛ فهل رجل كريم يرحم اليوم مقامنا ^(٢) ، ويرد حشاشتنا ؛ منعه الله أن

(١) في بعض الأصول : المنزلة .

(٢) في بعض الأصول : ذلنا .

يقوم مقام ذل وعار وصغار ا فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال : أشدُّ واللهِ عليّ من سوءِ حالِي وفاقتي ، توهُمِي فيكمِ المِواساةُ ا اتعلوا الطريق لا صِحبكم اللهُ .

- الأصمعي قال : وقف أعرابيٌّ علينا فقال : يا قوم ، تابعت علينا سنون بتغير وانتفاص ، فما تركت لنا هُبماً ولا رُبماً ، ولا عافطة ولا نافطة ، ولا راعية ولا راعية ؛ فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ؛ فأعينوني من فضلِ ما آتاكم اللهُ ، وارحوا أبا أيّام ، ونضو زمان ؛ فلقد خلفت أقواماً يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه ؛ ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى ^(١) .
- ١٠٠

- الأصمعي قال : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقالت : إني أتيتُ من أرض شاسعة ، تهبطني هائضه ^(٢) وترفعني رافعة في بوايدِ برّين لحمي ، وهضن عظمي ؛ وتركتني والهة ، قد ضاق بي البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد ؛ لا قرابة تُؤويني ، ولا عشيرة تحميني ؛ فسألت أحياء العرب : من المرتجى سَيِّبه ، المأمونُ عيه ، الكثير نائله ، المكفي سائله ؟
- ١٥
- فدللتُ عليك ؛ وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع في أمرِي واحدة من ثلاث : إما أن تُحيين صَفدي ، وإما أن تُقيم أودي ، وإما أن تُردني إلى بلدي . قال : بل أجمعهن لك ا ففعل ذلك بها أجمع .

لأعرابية مع
عبد الرحمن
ابن أبي بكر

وقال أعرابي :

- ٢٠
- يا عاملَ الخيرِ رُزقت الجنةُ . أكسُ بُنياتي وأمّهنة
وكنُ لنا من الزمانِ جنةٌ . وأرددُ علينا إن إن إننة
أقسمتُ باللهِ لتفعلنَّ

شعر لبعض
الأعراب

(١) في بعض الأصول : « الثرى » .

(٢) في بعض الأصول : « تهبطني هابطة » .

الإصمعي قال : وقفت أعرابية فقالت : يا قوم ، سَنَة جردتُ وأيد جمدت ،
و حال أجهدت ؛ فهل من فاعل لخير ، وآمر بمير ؟ رحم الله من رحم ، وأقرض
من يُقرض ^(١) .

الإصمعي قال : أصابت الأعراب أحوامٌ جدبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة
منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول : أيها الناس ، إخوانكم في الدين ،
وشركاؤكم في الإسلام ، عابرو سبيل ، وفلال بؤس ، وصرعى جذب ، تتابعت
علينا سنون ثلاثة ، غيرت النعم وأهلكت النعم ، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق
عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمئى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاماً ،
وعاد إشراقنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، ويكتنا السهل ، وهذه آثار
مصائبنا ، لا تحة في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومواسياً من قليل ، فلقد
عظمت الحاجة ، وكسف البال وبلغ المجهود ، والله يجزي المتصدقين .

الإصمعي قال : كنتُ في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال :
أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُبرز الكعاب ؛ وقد حملتنا سنو المصائب ،
ونكبات الدهور ، على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد
فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته إليك
الحاجة ، وبلغت به الغاية ، والله سائلك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ
أبلغ من قائل ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا ^(٢) .

سمع عدى بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول : يا قوم ، تصدقوا على
شيخ مَعِيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهره ، وسمع شكواه خالقه ، بدنه مطلوب
وثوبه مسلوب ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بني سعد في دية لزمته ،
قال : فكم هي ؟ قال : مائة بعير . قال : دونكها في بطن الوادى ؛

(١) في بعض الأصول : من لا يظلم ،

(٢) في بعض الأصول : ولا أوعظ من واعظ ولا أبلغ من مقول له منك ومنى .

سأل أعرابي رجلا فأعطاه ، فقال : جعل الله للمعروف إليك سيلا ، وللخير عليك دليلا ، ولا جعل حظ السائل منك عذرة صادقة .

وقف أعرابي بقوم فقال : أشكو إليكم أيها الملائمنا كلح في وجهه ، وأناخ على كلكتله ، بعد نعمة من البال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ؛ اعتورتني شدائده ، ببقل مصائبه ، عن قسي نوابه ، فما ترك لي ناعية أجتدي ضرعتها ، ولا راعية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعِدٍ على حتفه ؟ فرد القوم عليه ولم يُنبئوه شيئا ؛ فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأمل من أمثالكم * جوداً وليس الجود من فعالكم
لا برك الله لكم في مالكم * ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالفقر خير من صلاح حالكم

١٠

الأصمعي قال : سأل أعرابي فلم يُعط شيئا ، فرفع يديه إلى السماء وقال :

يارب أنت ثقتي وذخري * لصيبة مثل صغار الدر
جاءم البرد وهم بشر * بغير لحفٍ وبغير أزر
كانهم خائفس في جحر * ترأهم بعد صلاة العصر
وكلهم ملتصقٌ بصدري * فاسمع دعائي وتول أمرى

١٥

سأل أعرابي ومعه ابنتان له ، فلم يُعط شيئا ؛ فأنشأ يقول :

أيا أبتى صابرا أباك * إنكنا بعين من يراك
الله ولاي وهو ولاكا * فأخلصا لله في نجواكا
تضرعا لا نذخر أبكاكا * لهله يرحم من آواكا
إن تبكيا فالدهر قد أبكاكا

٢٤

العتبي قال : كانت الأعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام ، فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابي لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ؛ والمنع مبغضة ؛ فلأن

هشام وأعرابي

نحبك خير من أن تفضك ! فأعطاه وأجزول له .

الأصمعي قال : وقف أعرابي غنوي على قوم ؛ فقال بعد التسليم : أيها الناس ، ذهب النيل ؛ وعجف الخيل ؛ وبُخس الكيل ؛ فن يرحم نضو سفر ، وقل سنة ، ويُقرض الله قرصاً حسناً . لا يستقرض الله من عدم ، ولكن ليؤلكم فيما آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هل من فتى مقتدرٍ معينٍ • على فقيرٍ باتس مسكينٍ
أبي نباتٍ وأبي بنينٍ • جزاء ربِّي بالذي يُعطيني
أفضل ما يُجزى به ذو الدين

الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول لرجل : أطعمك الله الذي أطعمتني له ؛ لبس الأعراب
١٠ فقد أحييتني بقتل جوعي ، ودفعت عني سوء ظني بيومي ؛ فحفظك الله على كل جنب ، وفرج عنك كل كرب ، وغفر لك كل ذنب .

وسأل أعرابي رجلاً فاعتلّ عليه ، فقال : إن كنت كاذباً فجعلك
الله صادقاً !

وقال أعرابي للأمون :
الأمون وأعراب

١٥ قل للإمام الذي تُرجى فضائله • رأس الأنام وما الأذنب كالرأس
إني أعوذ بهرونٍ وحُفرتة • وبأن عم رسول الله عباس :
من أن تُشدَّ رحال العيس راجعاً • إلى اليمامة بالحرمان واليأس

الأصمعي قال : أصابت الأعراب جماعة ، فررت برجل منهم قاعد مع زوجته
أعرابي وزوجه
في جماعة
بقارة الطريق وهو يقول :

٢٠ يا ربّ إني قاعدٌ كما ترى • وزوجتي قاعدةٌ كما ترى
والبطن مني جائعٌ كما ترى • فسأري ياربنا فيما ترى !

الأصمعي قال : حدثني بعض الأعراب قال : أصابتنا سنةٌ وعندنا رجل غني
أعرابي في جماعة
وله كلب ، فجعل كلبه يعوى جوعاً ، فأنشأ يقول :

تَشْكِي إِلَى الْكَلْبِ شِدَّةُ جُوعِهِ * وَبِ مِثْلِ مَا بِالْكَالِبِ أَوْ بِي أَكْثَرُ
قَلْتُ : لَعَلَّ اللَّهَ يَأْتِي بِنَيْتِهِ * فَيُضْحِي كَلَانًا قَاعِدًا يَتَكَبَّرُ (١)
كَأَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعْيِ * وَأَنْتَ مِنَ النَّعْمَى كَأَنَّكَ جَعْفَرُ

الأصمعي قال : سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهماين ؛ فردهما

أعرابي
اسم عمرو

عليه وقال :

تَرَكْتُ لِعَمْرٍو دَرَهْمِيهِ وَلَمْ يَكُنْ * لِيُذِنِّي عَنِّي فَاقْبِي دَرَهْمَا عَمْرٍو
وَقَلْتُ لِعَمْرٍو خَذْهُمَا فَاصْطَرْفُهُمَا * سَرِيعَيْنِ فِي نَقْضِ الْمَوْذُوعِ وَالْأَجْرِ

أبو الحسن قال : وقف علينا أعرابي ، فقال : أخ في كتاب الله ، وجار في بلاد
الله ، وطالب خير من رزق الله ؛ فهل فيكم من مؤاس في الله ؟

لبعض الأعراب

الأصمعي قال : ضجر أعرابي بكثرة العيال والولد ، وبلانه أن الوباء بخير
شديد ؛ فخرج إليها يعرضهم للوت ، وأنشأ يقول :

قَلْتُ لِحَمِي خَيْرَ آسْتَعْدِي * هَاكِ عِيَالِي فَاجْهَدِي وَجِدِّي
وَبَاكِرِي بِصَالِبِ وَوَرْدِ * أَعَانِكِ اللَّهُ عَلَى ذِي الْجُنْدِ

فأخذته الحمى ، فمات هو وبقي عياله .

سأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا سنة .

مروان وأعرابي

ولي بضع عشرة بنتا ، فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء
صفائح من حديد ، ويكون مسيلها ، ما يليني فلا تقطر عليكم قطرة ؛ وأما البنات
فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين
ليس لمن كاسب غيرك ؛ قال : فنظر إليه الأعرابي ثم قال : والله ما أدرى
ما أقول لك ، ولكن أراك قبيح المنظر ، سيئ الخلق ، فأعصك الله بيطر أمهات
هؤلاء الجلوس حولك ؛

وقف أعرابي على رجل شيخ من أهل الطائف ، فذكر له سنة وسأله .

طائف وأعرابي

(١) في بعض الأصول : . يتذمر . .

فقال : وددت والله أن الأرض خطة لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيدس الجفير أمتك في آستها .

قولهم في المواعظ والزهد

أبو حاتم عن الأصمعي قال : دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك هشام وأعرابي فقال له : عظمي يا أعرابي . فقال : كفى بالقرآن واعظا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيُلِّ لِلطَّافِقِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفّف في الكيل والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كله ؟ !

وقال أعرابي لأخيه : يا أخي ، أنت طالب ومطلوب ، يطلبك ما لا تقوته ، وتطلب ما قد كُفيتَه ، فكأنّ ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت عنه ، فامهد لنفسك ، وأعدّ لعدك ، وخذ في جهازك .

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشراب ، فقال : لا الدهر يعطاك ، ولا الأيام تُتذرك ، ولا الشيب يزجرك ؛ والساعات تُحصي عليك ، والأنفاس تُعدّ منك ، والمنايا تُقاد إليك ؛ أحب الأمور إليك أعودها بالمضرة عليك .

وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لثلاث خلال فيه : لأنه متلف للمال ، مذهب للعقل ، مُسقط للبرومة .

وقال أعرابي لرجل : أي أخي ، إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق غنى ، فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم ، غرثان^(١) من الكرم ؛ وأعلم أن المؤمن على خير . ترحب به الأرض ، وتستبشر به السماء ؛ ولن يُساء إليه في بطنها ، وقد أحسن على ظهرها .

(١) في بعض الأصوات : «عربان» .

وقال أعرابي : الدرامُ مياهمُ تسمُ حمداً وذنماً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ؛ وما كلُّ من أعطى مالا أعطى حمداً ولا كل عديمٍ ذميمةٌ .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أنتَ للبالِ إذا أمسكته * فإذا أنفقته فإلما لكَ

٥ لابن عباس وهذا نظير قول ابن عباس - ونظر إلى درهم في يد رجل - فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

وقال أعرابي لأخ له : يا أخى ، إن مالك إن لم يكن لك ، كنت له ؛ وإن لم تُضنه أفنك ؛ فكله قبل أن يأكلك .

١٠ وقال أعرابي : مضى لنا سلفُ أهلِ توأصلِ اعتقدوا منا ، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً ، وإظهار البرِّ واجباً ثم جاء الزمان بينين اتخذوا منهنم بضاعة ، وبرم مرايحة ، وأيادهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة كنفد [السوق] : خذ منى وهات .

وقال أعرابي لولده : يا بني ، لا تكن رأساً ولا ذنباً ، فإن كنت رأساً قتها للنطاح ، وإن كنت ذنباً قتها للنكاح .

١٥ قال : وسمعت أعرابياً يقول لابن عمه : سأخطب ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين ؛ ولكن ليتم المعروف مني إليك ، ولتقوم الحجة لي عليك .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : إن الموفق من ترك أرفق الحالات به لأصلحها لدينه ، نظراً لنفسه إذا لم تنظر نفسه لها .

٢٠ قال : وسمعت أعرابياً يقول : الله يُخلف ما أنلف الناس ، والدهر مُتلف ما أخلفوا ، وكم من ميتة عليها طلب الحياة ، وكم من حياة سببها التعرض للبوت .
وقال أعرابي : إن الآمال قَطعت أعناق الرجال ، كالسراب : غرٌّ من رآد ، وأخلف من رجاء .

وقال أعرابي لصاحب له : أصحب من يتناسى معرفته عندك ، ويتذكر حقوقك عليه .

وقال أعرابي : لا تسأل عمن يفتر من أن تسأله ، ولكن سل من أمرَكَ أن تسأله ، وهو الله تعالى .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : تمام العِدَّة ، وانقضاء المَدَّة .
ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر ، فقال : يا هذا ،
٥ أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقالت أعرابية لابنها : يا بني ، إن سؤالك الناس ما في أيديهم أشد من الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه هُنت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب فإذا ألحَّت عليك الحاجة ولزمتك سوء الحال ، فأجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمستول ، فإنه يعطي السائل .

١٠ وقالت أعرابية تُوصي ابناً لها أراد سفراً : يا بُني ، عليك بتقوى الله فإنها أجدي عليك من كثير غيرك ؛ وإياك والنائم ، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثل لنفسك مثالا تستحسنة من غيرك فأحذر عليه واتخذة إماماً ، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء ، فقد أجاد الخلة إزارها ورداءها .
قال الأصمعي : لا تكون الخلة إلا ثوبين : إزاراً ورداء .

١٥ أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عاتقه حول الكعبة :
إن تركبي على قدالي فاركبي هـ فطالما حملتني وميرت بي
في بطنك المطهر المطيب هـ كم بين هُذاك وهذا المركب
وأنشد لآخر كان يطوف بأمه :

ما حجَّ عبدٌ حجَّةً بأمه هـ فكان فيها مُنفقاً من كده
٢٠ إلا استتمَّ الأجرَ عند ربِّه

قال وسمعت أعرابياً يقول : ما بقاء عمري تقطعه الساعات ، وسلامة بدنٍ مُعرض للآفات ؛ ولقد عجبتُ من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله وأظماً له نهاره .

وذكر أهل الساطان عند أعرابي فقال : أما والله لن عزوا في الدنيا بالجور

لقد ذلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل فان عِوضاً عن كثير باق ، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم .

ووصف أعرابي الدنيا فقال : هي رنقةُ المشارب ، جمة المصائب لا تمتك الدهر بصاحب .

وقال أعرابي : من كان مطينه الليل والنهار سارا به وإن لم يسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الزهادة في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاحُ الرغبة في الدنيا .

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ا قال : وإذا متُّ فإلى أين يُذهب بي ؟

قالوا : إلى الله ا قال : فأكراهي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه ؟

وقال أعرابي : من خاف الموت بادره الموت ، ومن لم يُنحِّ النفس عن الشهوات أسرع به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك .

وقال أعرابي لصاحب له : والله لئن هملجت إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق ، وإن أبطأت لئسِرَ عن إليك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم راجحون ؛ فلا تعرفنك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك .

وقال أعرابي : خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبضت له الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحبت له الموت .

وقال أعرابي : حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع ، وأخفافا ترفع ، والخير يُطلب عند غير أهله ، والفقير قد حل غير محله .

وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له : قُلِ الْحَقَّ وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ ضَرْباً ا قال له : وأنت فاعمل به ، فوالله ما أودتلك الله على تركه أعظم مما توعدني به .

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال الكريم يسأط عليه اللئيم ، والعاقل يسأط عليه الجاهل .

وقيل له : أي الداعين أحق بالإجابة ؟ قال المظلوم .

- وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : من أفرد الله بمجاخته .
ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة غاز العينين . مُشرف الحاجبين ناتيء الجبهة ،
فقال له : يا أعرابي ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .
- الإصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما
أقرب من هواك فخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . ٥
- قال : وسمعت أعرابيا يقول : من نتج^(١) الخير أنتج له فراخا تطير بأجنحة
السرور ؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقضبانه الغيظ ، وثمرته الندم .
وقال أعرابي : الهوى^(٢) عاجله لذيد ، وآجله وخيم .
- وقيل لأعرابي : إنك لحسن الشارة . قال : ذلك عنوان نعمة الله عندي .
- قال الإصمعي : ورأيت أعرابيا أمامه شاة فقلت له : لمن هذه الشاة ؟ قال :
هي لله عندي . ١٠
- وقيل لأعرابي : كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقمه بالاستغفار .
وقال أعرابي : من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه .
وقال : بدس الزاد التعدي على العباد .
- وقال : التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة . ١٥
- وقال : من ثقل على صديقه خفَّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما
يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .
- قال وسمعت أعرابيا يقول لابنه وهو يعاتبه : لا توهمن - علي من يستدل
علي غائب الأمور بشاهدها - الغفلة عن أمور يعاينها ، فتكون بنفسك بدأت ،
وحظك أخطأت . ٢٠
- ونظر أعرابي إلى رجل حسن الوجه بضنه فقال : إني أرى وجهها ما علقه

(١) في بعض الاصول : ه ولد .

(٢) في بعض الاصول : ه الشر .

بَرْدٌ وُضُوهُ السَّحَرُ ، وَلَا هُوَ بِالَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

من كلِّ مجتهدٍ برى أوصاله • صومُ النهارِ وسجدةٌ^(١) الأصحار

الأصمعي قال : سمعت أعرابيا ينشد :

وإذا أظهرتَ أمراً حسناً • فليكن أحسن منه ما قُسرَ

٥ قُسرُ الخيرِ موسومٌ به • ومُسرُّ الشرِّ موسومٌ بِشَرِّ

وقول الأعرابي هذا على ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسر

امرؤ سريرة إلا ألبسه الله رداها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال : وأنشدني أعرابي :

وما هذه الأيام إلا مُعارةٌ • فما استطعت من معروفها فتزود

١٠ فإنك لا تدري بأية بلدةٍ • تموت ولا ما يُحدث الله في غد

يقولون لا تبعدْ ومن يك مُسدلاً • على وجهه سترٌ من الأرض يبعد

وقال أعرابي : أعجز الناس من قَصْرٍ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيَع

من ظفر به منهم .

وقال أعرابي لابنه : لا يسرك أن تغلب بالشر ؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب .

١٥ وقال أعرابي لأخ له : قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه .

فإن حظك من عطيته السؤال .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدره ،

وبغض الشر خير وإن فعلت أكره .

وشهد أعرابي عند سوار القاضي بشهادة ، فقال له : يا أعرابي ، إن مدائنا

٢٠ لا يجرى من العتاق فيه إلا الجياد . قال : لئن كشفت لتجدنني عشوراً ا فسأل

عنه سوار فأخبر بفضل وصلاح ، فقال له : يا أعرابي ، أنت ممن يجرى في ميداننا .

قال : ذلك بستر الله .

(١) في بعض الأصول : « وسهرة » .

- وقال أعرابي : والله لولا أن المروءة ثقيل محلها ، شديدة مؤتها ، ماترك اللثام للكرام شيئاً .
- احتضر أعرابي ، فقال له بنوه : عظنا يا أبت . فقال : عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوا عليكم .
- ودخل أعرابي على بعض الملوك في شملة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : إن الشملة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .
- مز أعرابي يقوم يدفنون جارية ، فقال نعم الصهر ما صاهرتم ا وأنشد :
وفي الأعياص أكماء لليل * وفي لحد لها كفاء كريم
- وقال أعرابي : رب رجل يره منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحاف الجناح على الخوافي .
- ومز أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أنبتة الطاعة وحصدته المعصية ا وقال الآخر : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبه ، ومن فارق الحق فالجذع راحلته .
- العتبي عن زيد بن عمار ، قال : سمعت أعرابيا يقول لأخيه وهو يبنى منزلا : يا أخى :
- أنت في دارِ سَتَاتٍ * فتأهبْ لِسِتَاتِكَ
واجعل الدنيا كيويم * صُمْتَهُ عن شَهْوَاتِكَ
واجعل الفِطْرَ إذا ما * نَلْتَهُ يوم مَمَاتِكَ
واطلبِ الفَوْزَ بعيش الز * هد^(١) من طول حَيَاتِكَ
- ثم أطرق حيناً ورفع رأسه وهو يقول :
- قائدُ الغفلة الأمل * والهوى قائدُ الزلزل
قتلَ الجهلُ أهله * ونجا كلُّ من عقل

(١) في بعض الاصول : « الدهر » .

فَاغْنِمِ دَوْلَةَ السَّلَامِ مَهْ وَأَسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ
 أَيُّهَا الْمُبْتَنِي الْقَصُورَ وَرَقْدَ شَابٍ وَأَكْمَلُ
 أَخْبَرَ الشَّيْبَ عَنْكَ أَنْسِكَ فِي آخِرِ الْأَجَلِ
 فَعَلَامَ الْوَقُوفُ فِي * عَرَضَةِ الْعِجْزِ وَالْكَسَلِ
 أَنْتِ فِي مَنْزِلٍ إِذَا * حَلَّهُ نَازِلٌ رَحَلُ
 مَنْزِلٌ لَمْ يَزَلْ يَضِيقُ وَيَبْجُ بِمَنْ نَزَلَ
 فَتَأْهَبُ لِرِحْلَةٍ * لَيْسَ يَسْعَى بِهَا بَجَلُ
 وَرِحْلَةٌ لَمْ تَزَلْ عَلَى السَّدْرِ مَكْرُوهَةٌ الْقَفْلُ

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما جوفى له إلا قبر.

لأعرابي

في السر

١٠ وقال أعرابي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل . ودوام عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ماضى من زمانه .

لآخر في الوفاء

وقال أعرابي: إذا كان الرأي عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا يتفقه - ضاعت الأمور .

لآخر فيما يضح
الأمور

وسئل أعرابي عن القدر فقال: الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس:

لآخر في القدر

١٥ يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها .

وسئل آخر عن القدر فقال: علمٌ اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون ، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .

وقال أعرابي تكوير^(١) الليل والنهار ، لا يُبقي على الأعمار ، ولا لأحد فيه الخيار .

٢٠ أبو حاتم عن الأصمعي قال: خرج الحجاج ذات يوم فأصحر ، وحضر غداؤه فقال: اطلبوا من يتغدى معنا . فطلبوا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة ، فأتوه به ، قال له: هلم . قال له: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ! قال:

الحجاج وأعرابي

(١) في بعض الأصول: « تعاور » .

ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعاني إلى الصيام ، فأنا صائم . قال : صوم
في مثل هذا اليوم على حر ؟ قال صمت ليوم هو أحر منه ! قال فأفطر اليوم
وتصوم غدا . قال : ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلى
قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ ليس إليه سبيل ! قال : إنه طعام طيب . قال :
والله ما طيبه خبازك ولا طبّاخك ، ولكن طيبته العافية ! قال الحجاج : والله
مارأيت كالليوم ، أخرجوه عنى .

لأعرابي

أبو الفضل الرياشي قال : أنشدنا أعرابي :

أبَاكِة رزيتُهُ إن أَنَاهَا . نَعِي أُمُ يَكُونُ لَهَا اضْطِبَارُ
إِذَا مَا أَهْلُ وُدِّي وَدَعُونِي . وَرَاحُوا وَالْأَكْفُ بِهَا عُبَارُ
وَعُودِرَ أَعْظَمِي فِي لِحْدِ قَبْرِ . تَعَاوَرَهُ الْجِنَائِبُ وَالْقِطَارُ
تَظَلُّ الرِّيحُ عَاصِفَةً عَلَيْهِ . وَيَرَعَى حَوْلَهُ اللَّهُقُ النَّوَارُ
فَذَاكَ النَّأْيُ لَا الْمِجْرَانُ حَوْلًا . وَحَوْلًا ثُمَّ تَجْمَعُنَا الدِّيَارُ

١٠

ليلي الأخيلية

وهذا نظير قول ليلي الأخيلية :

لَعَمْرُكَ مَا الْمِجْرَانُ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى . وَلَكِنَّمَا الْمِجْرَانُ مَا غَيَّبَ الْقَبْرُ

للخنساء

ونظيره قول خنساء :

١٥

نَأْيُ الْخَلِيلَيْنِ كَوْنُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا . هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا رِمًا

لبعض الشعراء

وأنشد الآخر :

إِذَا مَا الْمَنِيَا أَخْطَأْتِكَ وَصَادَفَتْ . حَبِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

عمر وأعرابي
بالجباة

الرياشي قال : مرَّ عمر بن الخطاب بالجباة فإذا هو بأعرابي ، فقال : ما تصنع

هنا يا أعرابي في هذه الديار الموحشة ؟ قال : وديعة لي ها هنا يا أمير المؤمنين .

٢٠

قال : وما وديعتك ؟ قال : بي لي دفنته ، فأنا أخرج إليه كل يوم أندبه . قال :

فانديه حتى أسمع . فأنشأ يقول :

بِأَغَانِبَا مَا يُؤُوبُ مِنْ سَفْرَةٍ . عَاجِلُهُ مَوْتُهُ عَلَى صِغْرَةٍ

يا قرة العين كنت لي سكنا ه في طول ليلى نعم وفي قصيرة
شربت كأساً أبوك شاربها ه لا بد يوماً له على كبيرة
يشربها والآنم كلهم ه من كان في بدوه وفي حاضرة
فالحمد لله لا شريك له ه الموت في حكيه وفي قدرة
قد قسم العمر^(١) في العباد فاه ه يقدر خلق يزيد في عمرة

قولهم في المدح

ذكر أعرابي قوما عبادا ، فقال : تركوا والله النعيم ليتنعموا ؛ لهم عبرات
لضعفهم في المدح متدافعة ، وزفرات متتابعة ، لا تراهم إلا في وجه وجهه عند الله .

وذكر أعرابي قوما فقال : أدبهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ؛ فلم تغرهم

السلامة المنظوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسوية الذي به قطع الناس مسافة
آجالهم ؛ فدلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالوجد^(٢) فأحسنوا المقال ،
وشفعوه بالفعال .

وستل أعرابي عن قوم فقال : كانوا إذا اصطموا سفرت بينهم السهام ؛

وإذا تصاحفوا بالسيوف ففرت المنايا أفواهاها ؛ فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه ،

و حرب عبوس قد ضاحكتها ألسنتهم ؛ إنما قومي البحر . ما ألقمته التقم .

وذكر أعرابي قوما فقال : ما رأيت أسرع [منهم] إلى داع بليل على فرس

حسيب وجل نجيب . ثم لا ينتظر الأول السابق الآخر اللاحن .

وذكر أعرابي قوما فقال : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم . فالخير بهم

زائد ، والمعروف لهم شاهد ؛ فيعطونها بطيئة أنفسهم إذا طلبت إليهم . ويباشرون

المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغِيَ لديهم .

وذكر أعرابي قوما فقال : والله ما أنالوا شيئا بأطراف أناملهم إلا وطنناه

(١) في بعض الأصول : الموت .

(٢) الوجد : الغنى والسعة .

بأخص أقدامنا ؛ وإن أقصى همهم لأدنى فعالنا .

وذكر أعرابي أميراً فقال : إذا ولي لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيون
على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالحسن راج والمسيء خائف .
ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلني زماما
من أزمك تجزبه الأعداء ، فإني مسعر حرب ، وركاب نجب ، شديد على الأعداء
لين على الأصدقاء ؛ منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، نومي غرار ، قد غدتني
الحرب بأفويقها ، وحلبت الدهر أشطرها ؛ ولا تمنعك مني الدمامة ؛ فإن من
تحتها شهامة .

وذكر أعرابي رجلاً يبراعة المنطق فقال : كان والله بارع المنطق ، جزل
الألفاظ ، عرنى اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشي الكلام ، بليل الريق ،
قليل الحركات ، ساكن الإشارات .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : رأيت له حلماً وأناة ، يحدثك الحديث على
مقاطعه ، يشدك الشعر على مدارجه ، فلا تسمع له لنا ولا إحالة .

العتبي قال : ذكر أعرابي قوماً ، فقال : آلت سيوفهم آلا تقضى
دينا عليهم ، ولا تضيّع حقهم ، فما أخذ منهم مردود إليهم ، وما أخذوا
متروك لهم .

ومدح أعرابي رجلاً ، فقال : ما رأيت عينا قط أخرق لظلمة الليل من عينه
ولحظة أشبه بلهب النار من لحظته ؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة
بجرأة الليث إذا غضب .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان العهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ؛
لم أر أحداً ارتق لخلل الرأي منه ، بعيد مسافة العقل ومراد الطرف ، إنما يرى
بهمة حيث أشار الكرم .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : ذاك والله فسيح النسب ، مستحكم الأدب ، من
أى أقطاره أتته انتهى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، أمرا يارشاد ،
وناهيا عن فساد ، لحديث السوء غير منقاد .

وقال أعرابي : إن فلاناً « نعم » للسانه قبل أن يخلق لسانه لها : فما تراه الدهر
إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج ؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه
المذنب ، وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسىء .

وذكر أعرابي رجلا فقال : اشتري والله عرضَه من الأذى ؛ فلو كانت
الدنيا له فأفققها لرأى بعدها عليه حقوقا ، وكان منهاجا للأمور المشككة إذا تناجز
الناس باللائمة .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله يغسل من العار وجوها مسودة ،
ويفتح من الرأي عيوننا منسدة .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك والله ينفع سلمه ولا يستمر ظلمه : إن قال
فعل ، وإن ولي عدل .

ومدح أعرابي رجلا فقال : ذاك والله يعنى في طلب المكارم ، غير ضال
في مسالك طرقها ، ولا مُشْتَغَل عنها بغيرها .

وذكر أعرابي رجلا فقال : يفوق^(١) الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم
من الرمية ، فما أصاب قتل ، وما أخطأ أشوى ، وما عظمت له سهم منذ تحرك
لسانه في فيه .

وذكر أعرابي أخاه فقال : كان والله ركوبا للأهوال ، غير ألوف لربات
الحِجال ؛ إذا أَرعد القوم من غير كز^(٢) ، يهين نفسا كريمة على قومها ، غير
مبقية لغد ما في يومها .

ومدح رجل رجلا فقال : كأن الألسن ريضت فما تنعقد إلا على ودّه ،
ولا تنطق إلا بثنائه .

(١) في بعض الأصول : يسدد .

(٢) في بعض الأصول : وقر .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصولا ، وللمال بَذولا ، وكان الوفاء بهما عليه كفيلا ، فن فاضله كان مفضولا .

وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : التباعد من حشو الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله من شجر لا يخلف ثمرة ، ومن بحر لا يخاف كدره .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك والله قتي زانه الله بالخير ناشئا ، فأحسن لبسه ، وزين به نفسه .

ومدح أعرابي رجلا فقال : يصم أذنه عن استماع الحنا ، ويخرس لسانه عن التكلم به ؛ فهو الماء الشريب ، والمصقع الخطيب .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رجل سبق إلى معرفته قبل طلبه إليه ، فالعرض وافر ، والوجه بمائه ؛ وما أستقل بنعمة إلا أثقلني^(١) بأخرى .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رضيع الجود والمفطوم به ، عَمِي^(٢) عن الفحشاء ، معتصم بالتقوى ؛ إذا خرست^(٣) الألسن عن الرأي حذف بالصواب كما يحذف الأرنب ؛ فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام القوم سابقا .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن جليسه لطيب عشرته أطربُ من الإبل على الحداء ، والثمل على الغناء .

وذكر أعرابي رجلا فقال : كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه كذب ، كأنه الوئيل عند المحل .

(١) في بعض الأصول : ه أثقلني ، .

(٢) في بعض الأصول : ه عقيم ، .

(٣) في بعض الأصول : ه حذف ، .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : مارأيت أعشق للبعروف منه ، ومارأيت المنكر أبض لأحد منه ^(١) .

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بنى برمك ، فقيل له : كيف رأيتهم ؟ قال : رأيتهم قد أنست بهم النعمة كأنها من بناتهم ^(٢) .

قال : وذكر أعرابي رجلاً فقال : مازال يبنى الحمد ، ويشترى الحمد ، حتى بلغ منه الجهد .

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح ، وإنى والله مارأيت أعشق للكارم فى زمان اللوم منك . ثم أنشد :

١٠ ما لى أرى أبوابهم مهجورة • وكأن بابك يجمع الأسواق
حَابُوكَ أم هَابُوكَ أم شاه والندى • يديك فاجتمعوا من الآفاق
إنى رأيتك للكارم عاشقاً • والمكرّمات قليلة العشاق

وأنشد أعرابي فى مثل هذا المعنى :

١٥ بَنَتِ المكارمُ وسط بيتك بيتاً ^(٣) • فتلاذها بك للصديق مُباحٌ
وإذا المكارم أغلقت أبوابها • يوماً فأنت لقلها مفتاح

وأنشد أعرابي فى بنى المهلب :

قَدِمْتُ على آلِ المَهْلَبِ شاتياً • قصياً بعيد الدار فى زمن المَعْلِ
فا زال بى لإطافهم وافتقادهم • ويرم حتى حسبتهم أهلى

وأنشد أعرابي :

٢٠ كأنك فى الكتاب وجدت لاء • محزماً عليك فاعمل

(١) فى بعض الاصول : • بغضه .

(٢) فى بعض الاصول : • ثيابهم .

(٣) فى بعض الاصول : • كهفها .

وما تدرى إذا أعطيت مالا . أتكثر من سماحك أم تقل
إذا دخل الشتاء فأنت شمس . وإن دخل المصيف فأنت ظل

لشاعر في عمر
ابن عبد العزيز

وقال أعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز :

مُقابل الأعراق في الطاب الطاب • بين أبي الحاص وآل الخطاب

لشاعر

• وأنشد أعرابي :

لنا جوادُ أعارَ النَّبيلَ نائله • والنَّيلُ يشكر منه كثرة النَّبيلِ
إن بارز الشمسَ ألقى الشمسَ مُظالَّةً • أوزاحمَ الصُّمَّ أَلجاها إلى الميْلِ
أهدى من النَّجمِ إن تأتبه مشكَلَةٌ • وعند إمضائه أمضى من السَّيْلِ
والموتُ يَرهب أن يلقى منيته • في شدء عند آف الخيلِ بالخيلِ

قولهم في الذم

١٠

الأصمعي قال : ذكر أعرابي قوما فقال : أولئك سلخت أفضاؤهم
بالهجم ، ودُبغت وجوههم باللزم : لباسهم في الدنيا الملامة ، وزادهم إلى
الآخرة الندامة .

قال : وذكر أعرابي قوما فقال : لهم بيوت تُدخَلُ حبواً إلى غير نمارق
ولا وسائد ، فُصِحُّ الألسن برَدِّ السائل : جُعِدَ الأَكف عن النَّائل .

١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول : لقد صغر فلانا في عيني عظم الدنيا في عينه ،
وكأنما يرى السائل إذا أتاه ، مالك الموت إذا رآه .

وسئل أعرابي عن رجل ، فقال : ما ظنكم بسكير لا يفيق ، يتهم الصديق ،
ويعصى الشفيق ، لا يكون في موضع إلا حرمت فيه الصلاة ، ولو أفلتت كلمة
سوء لم تصر إلا إليه ، ولو نزلت لعنة من السماء لم تقع إلا عليه .

٢٠

وذكر أعرابي قوما فقال : أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجزما
على أصدقائهم ! يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : إن فلانا ليعدي يائمه من تسمى باسمه ، وإن
خيبي فرب باقية قد ضاعت في طلب رجل كريم .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده
يُدور الآثام ، مُعديم مما تُحب ، مُثر^(١) مما تُكره . وصاحب السوء قطعة من النار

وقال أعرابي لرجل : أنت والله عن إذا سأل الحف ، وإذا سئل سوف ، وإذا
حدثت حلف ، وإذا وعد أخلف ؛ تنظر نظر حسود ، وتعرض إعراض حقود .
وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لما سئل عن سفره : ما ربنا في
سفرنا إلا ما قصرنا من صلاتنا ؛ فأما الذي لقينا من الهواجر ، ولقيت منا الأباغر ،
فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا . ثم أنشأ يقول :

١٠ رجعنا سالمين كما خرجنا . وما خابت سرية سالمينا

نشاعر في الهجاء . وقال أعرابي :

لما رأيتك لا فاجراً . قويا ولا أنت بالزاهد
ولا أنت بالرجل المتقى . ولا أنت بالرجل العابد
عرضتك في السوق سوق الرقيق . وناديت هل فيك من زائد
١٥ على رجل خان وذا الصديق^(٢) . كفورٍ بأنعمه جاحد
فما جاءني رجل واحد . يزيد على درهم واحد
سوى رجل زادني دانقاً . ولم يك في ذلك بالجاهد
فيمتلك منه بلا شاهد . مخافة ردك بالشاهد
وأبت إلى منزلي غائماً . وحلّ البلاء على التساقد

٢٠ قال : وذكر أعرابي رجلاً ، قال : كان إذا رأني قزب من حاجب
حاجبا ، فأقول له : لا تُقبِّح وجهك إلى قُبْحه ، فوالله ما أتيتك لطمع راغبا ،
ولا لحرف راها .

(١) في بعض الأصول : مكر ، .

(٢) في بعض الأصول : غائن للصديق ، .

وذم أعرابي رجلا فقال : عبد الفعال ، حر المقال ؛ عظيم الرواق ، دنى الأخلاق ؛ الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه .

وذم أعرابي رجلا فقال : ضيق الصدر ، صغير القدر ، عظيم الكبر ، قصير الشبر ، لثيم النَّجْر ، كثير الفخر .

٥ وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد ؛ إقبالُ حظهم إديارُ حظ الكرام ، شجرُ أصوله عند فروعه ، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر .
وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك يتيماً^(١) ، أعيا ما يكون عند جلسائه أبلغ ما يكون عند نفسه .

١٠ وذكر أعرابي رجلا فقال : ذلك إلى من يداوى عقله من الجهل ، أحوجُ منه إلى من يداوى بدنه من المرض ؛ إنه لا مرض أوجع من قلة عقل .

وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثاره ، فقال : كيف يدرك بثاره من في صدره من اللؤم حشو مرفقته ؛ ولو دُقت بوجهه الحجارة لرضها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها .

١٥ وذكر أعرابي رجلا فقال : تسهر واثقه زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعا ؛ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت ، ونكحت ما وجدت .

٢٠ وسمع أعرابي رجلا يزعم ، فقال : ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم ، ولست بواحد منهما ؛ وأراك يخف عليك ثقلُ الذنوب فيحسن عندك مقايح العيوب .
وذكر أعرابي رجلا بضعف فقال : سيئ الروية ، قليل التقية ، كثير السعاية ، ضعيف النكايه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه ؛ وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال .

وذكر أعرابي رجلا بذلة فقال : عاش خاملا ومات موتورا .

(١) في بعض الأصول : « دم » .

وذكر قوما فقال : ألبسوا نعمة ثم عرّوا منها فقال : ما كانت النعمة إلا طيفا لما انتبهوا لها ذهبت عنهم .

وذم أعرابي رجلا فقال : هو كعبد القن يسرك شاهدا ويسوءك غائبا .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : أمكن الله منك عدوا حسودا ، وفتح بك

صديقا ودودا ؛ وسلط عليك همتا يضنيك ، وجاراً يؤذيك .

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ذنى الهمة : ما أحوجك أن يكون عرضك

لمن يصونه ، فتكون فوق ما أزت دونه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن حدثته يسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن

سكت عنه أخذ في الترهات .

وذكر أعرابي أميرا فقال : يصل النشرة ، ويقضى بالعشوة ، ويقبل الرشوة .

وذكر أعرابي رجلا راكبا هواه ، فقال : والله هو أسرع^(١) إلى ما يهواه ،

من الأسن^(٢) إلى راكد المياه ، أقره ذلك أو أغناه .

وقال أعرابي : ليت فلانا أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت

بخطأ ؛ ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالذم

إلى من يستوجب المدح .

وقال أعرابي لرجل : هل أنت إلا أنت لم تغير ! ولو كنت من حديد وضعت

على أتون محمى لم تذب .

وسمعت أعرابيا يقول لأخيه : قد كنت نهيته أن تدين عرضك بعرض

فلان ، وأعلمت أنك أنه سمين المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصير

عمر الغنى ، طويل عمر الفقر .

أقبل أعرابي إلى سوار فلم يصادف عنده ما أحب ، فقال فيه :

رأيت لي رؤيا وعبرتها . وكنت للأحلام عبّارا

(١) في بعض الأصول : « أقصد » .

(٢) في بعض الأصول : « الطرق » .

بَأْتِي أُخِيضُ فِي لَيْلَتِي • كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَارًا

لشاعر في ابن عمه

وقال أعرابي في ابن عم له يسمى زيادا :

مَنْ يُيَادِنِي قَرِيْبًا • يَبْعِدُ مِنْ إِيَادِي ؟

مَنْ يُقَادِرُ، مِنْ يُطَافِسُ • مِنْ يُنَاذِلُ بَرِيَادِي

في هجاء ابن سلم

وقال سعيد بن سلم الباهلي : مدحني أعرابي ، فاستبطأ الثواب فقال :

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٌ ثَوَابٌ يُعِدُّهُ • وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ

مَدَحَتْ سَعِيدًا وَالْمَدْحُ مَهْرَةٌ • فَكَانَ كَصَفْوَانٍ ، عَلَيْهِ تُرَابٌ

وقال أيضا :

وَإِنَّ مِنْ غَايَةِ حَرْصِ الْفَقِي • طِلَابِهِ الْمَعْرُوفَ فِي بَاهِلِهِ

كَبِيرُهُمْ وَعَدُوٌّ وَمَوْلُوهُمْ • تَلَعْنَهُ فِي قُبْعِهِ الْقَابِلَةَ

وقال أيضا :

سَبَّحْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا • فَأَبْدَى الْكَبِيرُ نَحْبِي الْحَدِيدِ

وقال فيه :

لَمَّا رَأَانَا فَرَّ بَوَابِهِ • وَأَنْسَدَّ مِنْ غَيْرِيْدٍ بِأَبِهِ

وَعِنْدَهُ مِنْ مَقْتِهِ حَاجِبٌ • يَحْجِبُهُ إِنْ غَابَ حُجَابِهِ

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الرمي ، فلم يعطه شيئا ؛ فخرج في هجاء المساور

وهو يقول :

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَتِهِ • فَمَا زَالَ يَسْمَعُ حَتَّى ضَرِطَ

وَحَكَ قَفَاهُ بِكُرْسُوْعِهِ • وَمَسَحَ عَشْوَنَهُ وَأَمْتَنَخَطَ

فَأَمْسَكَتْ عَنْ حَاجَتِي خَيْفَةً • لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرَجَ السَّفَطِ

فَأَقْسَمُ لَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي • لَلطَّخِ بِالسَّاجِ وَتَجِ النَّمَطِ

وَقَالَ غَلَطْنَا حِسَابَ الْخَرَاجِ • فَكَأْتِ مِنَ الضَّرِطِ جَاءَ الْغَاظِ

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغاظ . حتى هرب من غير

٥

١٠

١٥

٢٠

عزل إلى بلاد أصبهان .

أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير : في رجل قصير

يكادُ خليلي من تقاربِ شخصه . يعرضُ القرادُ أسنهُ وهو قائمُ

وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : ترخى ذيلها على عرقوبتي نعامة ، ونسد في امرأة قبيحة

نمارها على وجه كالجمالة .

العتبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لا ترك الله محنًا في سُلامي ناقة حملتني إليك لبعض الأعراب
وللداعي عليها أحق بالدعاء عليه ؛ إذ كلفها المسير إليك .

وقال أعرابي لابن الزبير لا بُوركت ناقة حملتني إليك . قال : إن وصاحبها .

قوله : إن ، يريد « نعم » . قال قيس الرقيات :

١٠ وتقولُ شيبٌ قد علا . كَ وقد كبرت فقلتُ إنهُ

يريد : نعم .

وذكر أعرابي رجلا ، فقال : لا يؤنس جارا ، ولا يؤهل دارا ،

ولا يُثقب ^(١) نارا .

وسأل أعرابي رجلا فخرمه ، فقال له أخوه : نزلت والله بواد غير مطور ،

١٥ وبرجل غير مبرور ^(٢) ؛ فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ؛ فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت :

والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ؛ كأن بطنها قرية ، وكأن ثديها دبة ، وكأن استها

رُقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد فُش عفرته يقاتل ديكاً .

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنك لمشرقة الأذنين ، جاحظة

٢٠ العينين ، ذات خاق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبعت بطرت ، وإن جعت

صنبت ، وإن رأيت حسناً دفنته ، وإن رأيت سيئاً أذعته ؛ تكرمين من حقرك ،

وتحقيرين من أكرمك .

(١) في بعض الأصول : « يبعث » .

(٢) في بعض الأصول : « مسرور » .

وجاء أعرابي امرأته فقال :

في هجاء امرأة:

يا بَكَر حواء من الأولاد • وأمّ آلافي من العبادِ
عُمرُك ممدودٌ إلى التنادي • فحدّثنا بحديثِ عادِ
والعهدِ من فرعونِ ذى الأوتاد • يا أقدم العالمِ فى الميلادِ
إني من شخصك فى جهادِ

٥

وقال أعرابي في امرأة تزوجها ، وقد خطبها شابة طرية ودسوا إليه مجوزاً :

في مجوز

مجوزٌ تُرَجى أن تكونِ فتيةً • وقد نحل الجنبانِ وأحدوذب الظاهرِ
تدسُّ إلى العطارِ سلعةً (١) أهلها • وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ
تزوجتها قبل المحاق (٢) بليلةً • فكان مُحاقاً كله ذلك الشهرِ
وما غزنى إلا خضابٌ بكفها • وكلُّ بعينها وأنواها الصفرِ

١٠

وقال فيها :

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينيها • فإن عالجته صار فوق المحاجرِ
وفى حاجيتها حزة كفرارة • فإن حلقا كانا ثلاث غرائرِ
وتديان أما واحد فهو مزود • وآخر فيه قرينة لليسافرِ

وقال فيها :

١٥

لها جسم بُرغوث وساقا بعوضة • ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عيناها إذا مارأيتها • وتعيسُ فى وجه الضجيج وتكحُ
لها مضحك كالحشّ تحسب أنها • إذا ضحكت فى أوجه القوم تسلح
وتفتح - لا كانت - فمأ لورايتها • توهمت باباً من النار يُفتح
إذا عين الشيطان صورة وجهها • تعوذ منها حين يمسى ويصبح

٢٠

(١) فى بعض الأصول : • ميرة • .

(٢) فى بعض الأصول : • الهلال • .

في سوداء . وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحلُ في مِرْوَدِها * تَكْحَلُ عَيْنَيْها ببعض جلدِها

وقال فيها :

أشبهكِ المسكِ وأشبهته * قائمةً في لونهِ قاعدة

لاشكَّ إذ لُونُكنا واحدٌ * أنكما من طينَةٍ واحدة

٥

لكثير في نميب . وقال كثير في نصيب بن رباح ، وكان أسود :

رأيت أبا الحِجْلاء في الناس حائراً * ولون أبي الحِجْلاء لون البهائم

تراه على ملاحه من سَوايدِهِ * وإن كان مظلوماً له وجهٌ ظالم

أعرابي وعامل . وقال رجل من العمال لأعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم و ليلة ؟

١٠ فقال له : فإن عرفتَ أتجعل لي على نفسك مسألة ؟ قال : نعم . قال :

إن الصلاةَ أربعٌ وأربعٌ * ثم ثلاثٌ بعدهن أربعٌ

ثم صلاةُ الفجر لا تُضَيِّعُ

قال : صدقت ، هات مسألتك ؟ قال له : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك ؟

١٥

قولهم في العَزَل

بعض الأعراب . ذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل

عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها

وما نقص منه .

٢٠ وقال أعرابي في امرأة ودعها للسير : والله ما رأيت دعة تفرق من عين

يأتمد على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أطرنتها عينيها فأعشب لها قلبي .

قال : سمعت أعرابياً يقول : إن لي قلباً مروعا ، وعيناً دموعاً ؛ فإذا يصنع

كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داهما ، دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟

وقال أعرابي : دخلت البصرة ، فرأيت أعينا دُججا ، وحواجب زُججا ، يسحب
التياب ، ويسلب الألباب .

وذكر أعرابي امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزينا القمر ، فلما غاب ارتدبه ،
قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ^(١) ما أحل الله مما حرم الإشارة بغير
باس ، والتقرب من غير مساس . ٥

وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جولة الرأي عند الهوى ، وفظام النفس
عن الصبا ؛ وافد تقطعت ككبدى للعاشقين . لوم العاذلين قرطة في آذانهم ،
ولوعات الحب جيرات على أبدانهم ^(٢) ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني .
وذكر أعرابي امرأة فقال : لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشق قلب تفجع
عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بي طرفها ، ويتجهمني لسانها .
قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إني ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ،
فأجد لذكرها ريح المسك . ١٠

وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق
كأعناق البعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة
تعلق ، وكم أسير لمن وكم مطلق . ١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس ^(٣) الشام ؛ والحريص
جاحد ، والمضيل ناشد ؛ ولو خضت إليها النار ما ألتها ^(٤) .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الهوى هو ان ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف
من يقول ، من أبكته المنازل والطلول . ٢٠

(١) في بعض الأصول : « أعذب » .

(٢) في بعض الأصول : « نيران في أبدانهم » .

(٣) في بعض الأصول : « أطوار » .

(٤) في بعض الأصول : « مالمستها » .

وقال أعرابي : كنت في شبابي أعضّ على الملام ، عضّ الجواد على اللجام ،
حتى أخذ الشيب بعنان شبابي .

وذكر أعرابي امرأة فقال : إن لسانى لذكرها لندول ، وإن حبّها لقلبي
لقتول ، وإن قصير الليل بها لبطول .

- وصف أعرابي نساء يبلغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع
بالقلب من الوبل بالمحل ؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل .

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذئقاء ، ومعها صبي يبكي : فكلما
بكى قلبه ؛ فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صبيّاً مُرضعاً . تحملى الذئقاء حولاً أكتماً

- ١٠ إذا بكيتُ قبلتني أربعا . فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

وأشده أبو الحسن علي بن عبد العزيز بمكة لأعرابي :

جارية في سقوان دارها . تمشي الهوينا مائلاً بخارها

قد أعصرت أوقدنا أعصارها . يطير من غلبتها إزارها

العتي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء ، فقال : تبسم عن خمس اللثات ،

- ١٥ كأفاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه .

وقال العتي : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها ؛ فسا زلت

أصدع الليل حتى أنصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت :

يا هذا ، أمالك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله

ما يراني إلا الكواكب . قالت : فأين مكوكبها .

- ٢٠ ذكر أعرابي امرأة فقال : هي السقم الذي لا بُره معه ، والبُره الذي لا سقم

معه ؛ وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مآتم :

بصريّة لم تبصر العين مثلها . غدثت ببياض في ثياب سواد

عَدَوْتِ إِلَى الصَّحْرَاءِ تَبْكِينَ هَالِكًا . فَأَهْلَكْتِ حَيًّا ، كُنْتِ أَشَامَ عَادِ ا
فِيَارِبٌ خُذَلِي رَحْمَةً مِنْ قُوَادِمَا . وَحُلْ بَيْنَ عَيْنَيْهَا وَبَيْنَ قُوَادِي
وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ وَدَعَمَا :

مَالَتْ تُودِعُنِي وَالسَّمْعُ يَنْغَلِبُهَا . كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْفُصَيْنِ
ثُمَّ آسَمَرْتِ وَقَالَتِ وَهِيَ بَاكِيَةٌ . يَا لَيْتَ مَعْرِفِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنِ
الْعَتِي قَالَ : أَنْشَدَ أَعْرَابِي :

يَا زَيْنَ مَنْ وُلِدْتُ حَوَاءَ مِنْ وَلَدِ . لَوْلَاكِ لَمْ تَحْسُنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَطْبِ
أَنْتِ الَّتِي مِنْ أَرَاهُ اللَّهُ صُورَتَهَا . نَالَ الْخُلُودَ فَلَمْ يَهْرَمْ وَلَمْ يَشِبْ
وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِي لِأَعْرَابِي :

مِنْ دِمْنَةٍ خُلِقْتَ عَيْنَاكَ فِي هَتَنِ . فَمَا يُرِدُ الْبُكَاءَ جَهْلًا مِنَ الدَّمَنِ
مَا كُنْتِ لِلْقَلْبِ إِلَّا فِتْنَةً عَرَضَتْ . يَا حَبِذَا أَنْتِ مِنْ مَعْرُوضَةِ الْفَتَنِ
تَسِيءُ سَلْبِي وَأَجْزِيهَا بِهِ حَسَنًا . فَمِنْ سِوَايَ يُجَازِي السُّوءَ بِالْحَسَنِ
قَالَ وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَصِفُ امْرَأَةً : فَقَالَ : يَبْضَاءُ جَعْدَةً ، لَا يَمَسُ الثُّوبُ
مِنْهَا إِلَّا مُشَاشَةً كَكَنْفِهَا ، وَحَلَّتِي ثَدْيَيْهَا ، وَرَضَعْتِي رَكْبَتَيْهَا ، وَرَانِفَتِي
أَلَيْتِيهَا . وَأَنْشَدَ :

أَبْتِ الرُّوَادِفُ وَالْثَدْيُ لِقَمَصِهَا . مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرًا
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ . نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ غَيْرًا

وَقَالَ أَعْرَابِي : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَظِي مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ يَرْتُهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبِضَ
اللَّيْلِ بَصْرِي دُونَهَا ؛ وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي مِنَ الظَّمَا .

وَذَكَرَ أَعْرَابِي امْرَأَةً فَقَالَ : تِلْكَ شَمْسٌ بَاهَتْ الْأَرْضَ شَمْسَ سَمَائِهَا ، وَلَيْسَ لِي
شَفِيعٌ فِي اقْتِضَائِهَا ، وَإِنْ نَفْسِي لَكُنُومٌ لَدَائِمًا ، وَلَكِنهَا تَفِيضُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا .
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى حَبِيبٌ فَقَالَ :

وَيَا شَمْسَ أَرْضِيهَا الَّتِي تَمُّ نُورُهَا . فَبَاهَتْ بِهَا الْأَرْضُونَ شَمْسَ سَمَائِهَا

شكوتُ وما الشكوى لمثلِ عادة . ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائها
وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :
نعم ، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة ؛ إن أطعمته شيئاً أحبها ، وإلا فلا :
كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حوْلاً ، ويفرح إن رأى من رآها ، وإن
ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشداً للأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ،
ويبعدها وتبعده فإذا اجتمعا لم يشكوا حباً ، ولم ينشدا شعراً ، ولكن يرفع رجلها
ويطلب الولد .

وقال أعرابي :

شكوتُ ا فقالت : كلُّ هذا تَبْرماً . يَحْيى ا أراح الله قلبك من حُبِّي
١٠ فلما كنتُ الحبَّ قالت : لشدَّما . صبرتُ ! وما هذا بفعلٍ شجِي القلبِ ا
وأذنو فتصيني ، فأبعدُ طالبا . رضاها ، فتعتدُّ التَّباعُدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها * وتجرعُ من بُعدي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فيا قوم هل من حيلةٍ تعلوونها . أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربِّي

قولهم في الخيل

١٥ الاصمعي قال : سمعتُ أعرابياً يقول : خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع . ، بعض الأعراب

كأن هودايا أعلام ، وآذانها أطرافُ أقلام ، وفرسانها أسودُ آجام .

أخذ هذا المعنى عدى بن الرقاع فقال :

يخرُجن من فُرجاتِ النقعِ داميةً * كأن آذانها أطرافُ أقلامِ

وقال أعرابي : خرجنا حفاةً حين اتعل كلُّ شيء بظله ، وما زادنا إلا التوكل

٢٠ ولا مطايانا إلا الأرجل ؛ حتى لحقنا القوم .

وذكر أعرابي فرساً وسرعته ؛ فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطاناً في

أشطان ، فلما أرسلت لمع لمع البرق ؛ فكان أقربها إليه الذي تقع عينه [من

بعدي] عليه .

وقال أعرابي في فرس الأعور السلي :

مرّ كلمع البرقِ سامَ ناظِرُهُ • يسبِّحُ أولادَ ويطفئُ آخرَهُ
فما يَمَسُّ الأرضَ مِنهُ حافرُهُ

سئل أعرابي عن سوابق الخيل ، فقال : الذي إذا مشى رَدَى ، وإذا عدادحا ؛

وإذا استقبل أقمى ، وإذا استدبر جَبِي^(١) ، وإذا اعترض استوى .

وذكر أعرابي خيلا ؛ فقال : والله ما انحدرت في وادٍ إلا ملأت بطنه ،

ولا ركبت بطنَ جبلٍ إلا أسهلت حزنه .

وقال أعرابي : خرجت على فرسٍ يخنث اختيال النشوان ، نسوفٍ للحزام ؛

مُهارش للجمام ؛ فما متع النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة .

قولهم في الغيث

الأصمعي قال : قلت لأعرابي : أي الناس أوصفُ للغيث ؟ قال : الذي

لامرئ القيس
وعبيد بن
الأبرص

يقول - يعني امرأ القيس - :

دِيمَةٌ هَطَلَاءٌ فِيهَا وَطَفٌ • طَبَقَ الأرضَ تحزى وتدر

قلت : فبعده مَنْ ؟ قال : الذي يقول - يعني عبيد بن الأبرص - :

يا من لِبَرَقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبُهُ • فِي عَارِضٍ مَكْفَهْرٍ المِزْنَ دَلَّاجٍ

دانٍ مُسْفُوفٍ فَوْقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ • يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتك سماء في وجهك

سليمان وأعرابي

يا أعرابي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سماء^(٢) طَآخِيَاءٌ وَطَفَاءٌ ؛ كأن

هواديتها الدلاء ، مرجعنة النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛

كثير زجلها ، قاصف رعداها ، خاطف برقها ، حثيث ودقها ، بطي سيرها ؛

مُشْتَعِجِرٌ قَطَرُهَا ، مظلم نورها ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطانها ، تبعث عن أصوله

(١) في بعض الأصول : جنأ .

(٢) في بعض الأصول : سماء .

بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ؛ فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بفضاء الشجر ،
وتعلقنا بقن الجبال ، لكنا جفاه في بعض الأودية ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة
بقاءك ، ونسأ لها في أجلك ، فهذا يبركك وعادة الله بك على رعبتك ، وصلى الله
على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أيك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن
كانت محبرة لقد أجدت . قال : بل محبرة مزورة " يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام
أعطه ؛ فواقه لصدقه أعجب إلينا من صفته .

قيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : قصور ييض في حدائق خضر .
وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : بيضة في روضة غب سارية
والشمس مكبدة .

وقال أعرابي : لقد رأيت بالبصرة بروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهي
تروع واللابس لها أروع .

العنبي قال : سمعت أعرابياً يقول : مررت بيلد ألقى بها الصيفُ بعامه ، فأظهر
غديراً يقصر الطرف عن أرجائه ، وقد نفت الريح القذى عن مائه ؛ فكأنه سلاسل
درع ذات فضول .

وأشده أبو عثمان الجاحظ لأعرابي :

أين إخواننا على السراء . أين أهل القباب والدهناء
جاورنا والأرض ملبسة نو . ر إقحاح يُجَاد بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد . تضحك الأرض من بكاء السماء

ابن عمران المخزومي قال : أتيت مع أبي والياً على المدينة من قريش ، وعنده
لابن مطير

أعرابي يقال له ابن مطير ، وإذا مطر جود ؛ فقال له الوالي : صفه ؛ فقال : دعني
أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم قال :

كثرت لكثرة وذقه أطباؤه . فإذا تحلب فاضت الأطباء

وله ربابٌ هَيْدَبٌ لَرِيقِهِ • قَبْلَ التَّبَعِ دِيمَةٌ وَطَفَاءُ
 وَكَأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ تَلْتَبِقُ • رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرَفَجٌ وَأَلَاءُ
 وَكَأَنَّ رَيْقَهُ وَمَا يَحْنِفِلُ • وَذُقَ السَّمَاءَ عَجَاجَةً طَخِيَاءُ
 مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ • بِمَدَامِعٍ لَمْ تُنْمِرْهَا الْأَقْدَاءُ
 فَلَهُ بِلَا حَزَنٍ وَلَا بِمِسْرَةٍ • ضَحِكَ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ
 حَيْرَانٌ مَتَّبِعٌ صَبَاهُ تَقْوَدُهُ • وَجَنُوبُهُ كَفٌّ لَهُ وَرِهَاءُ
 نُقِلَتْ كُلاهُ فَبَهَّرَتْ أَصْلَابُهُ • وَتَبَعَجَتْ عَنْ مَائِهِ الْأَحْشَاءُ
 غَدَقٌ تَبَعَجَ بِالْأَبَاطِجِ مُرَقَّتٌ • تَلَكُ السُّيُولُ وَمَالِهَا أَشْلَاءُ
 غُرٌّ مُجَجَّلَةٌ دَوَالِجٌ صُمْنَتٌ • حَمَلُ اللَّفَاجِ وَكُلُّهَا عَذْرَاءُ
 نَحْمٌ فَهِنَّ إِذَا عَبَسْنَ فَوَاحِمٌ • سَوْدٌ، وَهِنَّ إِذَا ضَحِكْنَ وَضَاءُ
 لَوْ كَانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاخِلِ مَأْوُهُ • لَمْ يَبْقَ فِي لُجَجِ السَّوَاخِلِ مَاءُ

قول هشام بن عبد الملك لأعرابي: أخرج فانظر كيف ترى السحاب . فخرج
 فانظر ، ثم انصرف فقال : سقائن ، وإن احتمعت فميين .

هشام وأعرابي
 يصفه السحاب

قولهم في البلاغة والإيجاز

١٥ قيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أحسنهم لفظاً وأسرعهم يديته .

بعض الأعراب
 الأصمعي قال : خطب رجل في نكاح فأكثر وطول ، فقيل : من يجيبه ؟
 قال أعرابي : أنا . قيل له : أنت وذاك ؟ قالت إلى الخاطب فقال : إني والله
 ما أنا من تخطيطك وتمطيطك في شيء ؛ قد ممتت بجرمة ، وذكرت حقاً ، وعظمت
 مرجواً ؛ فبلك موصول ، وفرضك مقبول ، وأنت لها كفء كريم ، وقد
 أنكحناك وسلنا .

٢٠ وتكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر ، فكان العجب داخله ، وأعرابي إلى جنبه ،
 فأقبل على الأعرابي فقال : ما تمدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلت " الكلام

ريضة الرأي
 وأعرابي

(١) في بعض الأصول : حذف .

وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم !
فكأنما ألقمه حجرا .

شيب وأعرابي شيب بن شيبه قال : لقيت أعرابيا في طريق مكة ، فقال لي : تكتب ؟
قلت : نعم . قال : وممك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كفه ، ثم
قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عقيب الطائي
لأمتيه لؤلؤة : إني أعتقتك لوجه الله واقتحام العقبة ، فلا سبيل لي ولا لأحد
عليك إلا سبيل الولاء ، والمثنة على وعلى من الله وحده ، ونحن في الحق سواء
ثم قال : أكتب شهادتك .

روى أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس ، فسمع عنده قارئاً يقرأ : ﴿ وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها
وهو يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب قيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة
ما أحاط بالعنق .

وقيل لأعرابي : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : نَعْمُ لَيْلَةٍ وَأَدِيمُ يَوْمٍ .
✓ وقال آخر : سوادُ لَيْلَةٍ وَبِياضُ يَوْمٍ .

✓ وقيل لأعرابي : كيف كتبتك للسر ؟ قال : ما صدرى له إلا قَبْرٌ .

ماوية وأعرابية قال معاوية لأعرابية : هل من قري ؟ قالت : نعم . قال : وما هو ؟ قالت :
خُبْزٌ تَحْمِيرٌ ، وَلَبَنٌ فَطِيرٌ ، وَمَاءٌ نَمِيرٌ .

✓ وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : كُنَّا بَيْنَ قَدْرٍ تَفُورٍ ، وَكَأْسٍ تَدُورٍ ،
وَحَدِيثٍ لَا يَجُورُ .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : شِدَّةَ الرَّعْدَةِ ، وَقِرْفَاءَ الْقِعْدَةِ ،
وَذَرْبَ الْمُدَّةِ .

وقيل لأعرابي : مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث . قيل له : ما معناه ؟
قال : إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى !

وقال : أضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى : فرفع رأسه
إليه متشكراً فقال : ما أدري ما أقول لك وما أقول فيك : أقول رفعتك الله !
فقد رفعتك : أم أقول : تورك الله ! فقد تورك : أم أقول : حسنك الله ! فقد
حسنك : أم أقول : عمرك الله ! فقد عمرك : ولكني أقول : جعلني الله فداك !
وقيل لأعرابي : ما تقول في ابن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

وقيل لأعرابي وقد أدخل ناقته في السوق ليبيها : صف لنا ناقتك . قال :
ما طلبتُ عليها قط إلا أدركتُ ، وما طلبتُ إلا فتت . قيل له : فلم تبعها ؟ قال :
لقول الشاعر :

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ عايرٍ كرائمٍ من ربِّ يهنُ ضنينٍ

وقيل لأعرابي : كيف ابنك ؟ وكان به عاقا : قال : عذابٌ لا يقاومه الصبر ،
وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتنى قد استودعته القبر .

قيل لشریح القاضي : هل كلك أحد قط فلم تطلق له جوابا ؟ قال ما أعله
إلا أن يكون أعرابيا خاصم عندي ويشير بيديه ، فقلت له : أمسك ، فإن لسانك
أطول من يدك ! قال :

أسامري أنت لا تمس

وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : حُرُّ الوحش لا تحتاج
إلى يطار .

وقال أعرابي يصف خاتما - فقال : سَيْفٌ تدوير حَلَقَتَهُ ، ودُورٌ كُرْمِيٌّ فضته ،
وأحْكَمُ تركيبه ، وأتقنَ تدبيره ، فيه يتمُّ الملك ، وينفذُ الأمر ، ويكرُمُ الكتاب
ويشرفُ المكتوب إليه .

وقال آخر يصف خاتماً :

وأبيضُ أَمَا جِسْمُهُ فَمُنَوَّرٌ ۝ نَقِيٌّ وَأَمَّا رَأْسُهُ فَمُعَارٌ
وَلَمْ يُكْتَسَبْ إِلَّا لَتَسْكُنَ وَسَطَهُ ۝ بزينة رأس ما عليه خمارُ
لها أخواتٌ أَرْبَعٌ هُنَّ مِثْلُهَا ۝ وَلَكِنها الصُّغرى وَهُنَّ كِبَارُ

قوله في المناكح

٥

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال : تزوج رجل من
الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب
القديمة فتقول :

بين جاريتين

وَمَا يَسْتَوِي الرَّجُلَانِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ ۝ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ

١٠

ثم مرت بعد أيام فقالت :

وَمَا يَسْتَوِي الثُّوبَانِ ثَوْبٌ بِهَ الْبَيْتِ ۝ وَثَوْبٌ بِأَيْدِي الْبَائِعِينَ جَسَدٌ

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نَقَلْ فَوَادَكَ حَيْثُ شِدَّتْ مَنِ الْهوى ۝ مَا الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَهْمِ الْفَتَى ۝ وَحَيْثُ أَبْدَأَ لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

١٥

الأصمعي قال : أخبرني أعرابي قال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة
فزوجوه : فقال رجل لولي المرأة : تعمم لكم فلان فزوجتموه ا فقالوا : ما تعمم
لنا حتى تبرقنا له .

أعرابي وولي
امرأة

أبو حاتم عن الأصمعي قال : قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكن
من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بدينين وكلبين وعيرين ورحيين ، فيلبئ التيسان ،

لأعرابية تنصح
بنات عمها

٢٠

وينفق العيران ، وينبح الكلبان ، وتدور الرحبان ، فيعج الوادي : والشقية
منكن من يتزوجها الحضري ، فيكسرها الحرير ، ويطعمها الخبز ، ويحملها ليلة
الزفاف على عود - تعني : سرجا .

الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يُشارُ امرأته ، فقالت لها أخته . أما والله أيام شرخه

إذ كان ينكحك كما ينكك العظم عن عنه ، لقد كنت له تبوعا ، ومنه سمعنا ؛ فلما
لان منه ما كان شديدا ، وأخلق منه ما كان جديدا ، تغيرت له ا وايم الله لن
كان تغير منه البعض . لقد تغير منك الكل .

لأعرابي في
زوجته

وقيل لأعرابي : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش
فدنت يدها إلى صدري ، فوددت والله أن أجره خزت من السقف فذنت يدها
وضلعين من أضلاع صدري ا ثم أنشأ يقول :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي • ولكن قرين السوء باقٍ معمر
فباليتمها صارت إلى القبر عاجلاً • وعذبها فيه نكيرا ومنكر

لآخر في مثله

وتزوج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت في السن ،
فقال له : ألم تكن تُرضى إذا غضبت ، وتُعتب إذا عتبت ، وتُشفق^(١) إذا أبيت ؛
فا بالك الآن ؟ قال : ذهب الذي كان يُصلح بيننا .

الأصمعي
وأعرابي مطلق
زوجته

الأصمعي قال : كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا
استأذنت عليه يقول : يا أمانة ، إيذني له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مرارا
فلم أسمع يذکر أمانة ؛ فقلت له : رحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمانة منذ حين ا
قال : فوجم وجهه ندمت على ما كان مني ؛ ثم قال :

طعنت أمانة بالطلاق • وتجوأت من علّ الوفاق
بانن فلم يأم لها • قلبي ولم تدمع مآقي
ودواء ما لا تشتهي • به النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب يدي • بن اثنين في غير اتفاق
لو لم أرخ بفراقها • لأرحت نفسي بالإباق

لأعرابي طاق
اصمائه

الأصمعي قال : تزوج أعرابي امرأة فأذته وافندى منها بحمار وجبة ، فقدم
عليه ابن عم له من البادية ؛ فسأله عنها ؛ فقال :

(١) في بعض الأصول : وتسعد .

خَطَلْتُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِلْحَيْنِ بِنْتَهُ . فَأَدْخَلَهَا مِنْ شِقْوَتِي فِي جِبَالِيَا
فَأَقْتَدَنِي مِنْهَا حَمَارِي وَجُبَّتِي . جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جُبَّتِي وَحَمَارِيَا

الاصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابي ؛ فقال :
أصلح الله الأمير ؛ إن خيرَ عمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ويثوب حله ،
ويجتمع رأيه ؛ وإن شرَّ عمر المرأة آخره ؛ يسوء خلقها ، ويجهد لسانها ، وتعمم
رحمها ؛ قال له : صدقت ، اسفح يديها .

لأعرابي بين
يدي زمان

قال : وذكرت أعرابية زوجها وكان شيخا ؛ فقالت : ذهب ذفره ، وبقي
بخره ، وفقر ذكوره .

لبعض الأعراب
في مثله

الاصمعي قال : كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أي ضرب
تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتي ولدها في جمالها وطولها . فتزوجها
على تلك الصفة ، فجاء ولدها في قصرها وقبحه ؛

قدم أعرابي من طي فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجمان ، فقالت له :
من أنعم عيشا ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ،
إلا أنا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا أنا نحن أظهر منهم ليلا .

الاصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟
قال : خيرا ، كبا الله لوجهها ولو أمر بي إلى السجن ؛

الاصمعي قال : استشارت أعرابية في رجل تزوجه ، فقيل لها : لا تفعل
فإنه ووكلةٌ تُنكِّله ، يأكل خِخله أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل .
قال أبو حاتم : هو الخلالة . ووكلة تنكته : إذا كان يكل أمره إلى الناس
ويتكل عليهم .

٢٠

العتي قال : خطب إلى أعرابي رجل مؤسر إحدى أبنيتيه . وكان للخطاب
امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ؛ قال أبوها : ولم ؟ قالت : يوم عتاب ،
ويوم اكتتاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ؛ قالت الصغرى : زوجنيه ؛ قال لها :

على ما سمعت من أختك؟ قالت: نعم، يوم تزين، ويوم تسمن، وقد تفر فيما بين ذلك الأعين.

لأعرابية ترقص
طفلا

الأصمعي قال: رأيت امرأة تُرَقِّص طفلا لها، وتقول:

أحبه حُبَّ الشَّيْخِ ماله * قد كان ذاقَ الفقرَ ثمَّ ناله

إذا أرادَ بَدَلَه بَدَا له

٥

أعرابية فقدت
زوجها

الأصمعي قال: هلك أعرابي، فأدمنت امرأته البكاء عليه. فقال بعض بنينا:

أَتَفْقِدِينَ من أَيْنَا غَيْرَةَ * أَتَفْقِدِينَ نَفْسَهُ وَخَيْرَهُ

أَرَأَيْكَ ما تَبْكِينَ إِلَّا أَيْرَةَ

فَأَمْسَكْتُ عن البكاء.

أعرابية وأعرابي
ينظر إلى ابنتها

جلس أعرابي إلى أعرابية، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها،

فَأَنشَأَتْ تقول:

وما نلتَ منها غيرَ أنكَ نائمٌ * بعينيكَ عينيها وأيرك خائبُ

لبعض الأعراب

الرياشي قال: أنشدني العتي لأعرابي:

ماذا تظنَّ بسلي إن ألمَّ بها * مُرْجِلُ الرَّأْسِ ذُو بُرْدَيْنِ مَرَّاحُ

حُلُوٌّ فَكاهته خَزُّ عِمامته * في كَفِّهِ من رُقَى إبليسَ مِفْتاحُ

١٥

أعرابي وامرأة
خطبها

أبو حاتم عن الأصمعي قال: خطب أعرابي امرأة، فقالت: سل عني

بنِي فلان وبنِي فلان. قال لها: وما عليهم بذلك؟ قالت: في كلهم نكحت

وكنت، قال: أراك جَلَنْفَعَةً قد خزمتك الخزائم، قالت: لا، ولكن جِوَالَةَ

بالرجل عَنَتِيس.

تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال، فكان يصبر عليها

٢٠

لما لها، ثم ماها وتركها، وكتب إليه تسترده، فكتب إليها يقول:

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلا وضرب الرقاب

فكتب إليه: إنه واقعه ما يريد قيس غير طعن الكلا!

- أعرابي خاطب المقضل الضبي قال : خطب أعرابي امرأة ، فجعل يخطبها ويُنعظ ، فضرب ذكره بيده وقال : مه ! إليك يساق الحديث . فأرسلها مثلا .
- أبو اليبداء علي بن عبد العزيز قال : كان أبو اليبداء عتينا ، وكان يتجلد ويقول لقومه : زوجوني امرأتين ! فيقال له : إن في واحدة كفاية . فيقول : أتمالي فلا ! فقالوا : تزوجك واحدة ، فإن كفتك وإلا زوجناك أخرى . فزوجوه أعرابية ، فلما دخل بها أقام معها أسبوعا ، فلما كان في اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا اليبداء ، ما كان أمرك في اليوم الأول ؟ قال : عظيم جدا ! قالوا : ففى الثالث ؟ قال : أجل وأعظم ! قالوا : ففى الثالث ؟ قال : لا تسألوا ! فأجابت المرأة من وراء الستر ، فقالت :
- ١٠ كان أبو اليبداء يَنزُو في الوَهْقِ . حتى إذا أُدخِل في بيتِ أبَيِّ
فيه غزالٌ حَسَنٌ آلدَلَّ خرق . مارسهُ حتى إذا أَرَضَ العرق
آنكَسَرَ المِفْتَاحَ وَأَنسَدَ العَلَقُ
- كانت لأعرابي امرأة لا تَرُدُّ يَدَ لأمس ؛ فقيل له : مالك لا تفارقها ؟ قال :
إنها حسناء ؛ فلا تُفرك ، وأم بنين فلا تُترك .
- ١٥ قال شيخ من الأعراب :
- أنا شيخٌ ولى امرأةٌ عجوزٌ * تراودُنِي على ما لا يجوز
تريد أنيكها في كلِّ يومٍ ، وذلك عند أمشالي عزيزُ
وقالت دَقَّ أيرُكُ مُذُ كبرنا . فقلت لها بل اتسع القفيز
- الأصمعي قال : قال أعرابي في امرأة تزوجها ، وقد تزوجت قبله خمسة ،
وتزوج هو قبلها أربعا ، فلاحته يوما ، فقال فيها :
- ٢٠ لو لابس الشيطانُ ما ألابس . أو مارس الغولُ التي أمارسُ
لأصبح الشيطان وهو عابس . زوجها أربعةً عمارس
فانفلتوا منها ومات الخامس . وساقى الحين فهانا السادس

وقال فيها :

بُؤَيَزِلُ أَعْوَامٍ أَذَاعَتْ بِخَمْسَةِ ۝ وَتَعْتَدُنِي - إِنْ لَمْ يَبْقِ اللهُ - سَادِيَا
وَمَنْ قَبْلَهَا غَيَّبَتْ فِي التَّرْبِ أَرْبَعًا ۝ وَأَعْتَدَهَا مُدَّ جَسْئِهَا فِي رَجَائِيَا
كَلَانَا مُطْلَقٌ مَشْرَفٌ لِنَيْمَةِ ۝ يَرَاهَا وَيَقْضِي اللهُ مَا كَانَ قَاضِيَا

٥ وقال أعرابي :

أشكو إلى الله عبلاً دَرْدَقًا ۝ مُقَرَّقِينَ وَعَجُوزًا تَشْلُقَا

الدرdq : الصنار . والمقرقم : البطي . الشباب . والشملق السبته الخلق .

قولهم في الإعراب

الإصمعي قال : قلت لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء ا
١٠ قلت له : أفتجز فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي .
لبعض الأعراب
في معنى هذا
العنوان

وسمع أعرابي إماما يقرأ : وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، قال : ولا إن
آمنوا أيضا ، لا نكحهم . فقيل له : إنه يلحن ، وليس هذا يُقرأ . فقال : أخروه
قبه الله ا ولا تجعلوه إماما : فإنه يُجِلُّ ما حزم الله .

١٥ وسمع أعرابي أبا المكنون النحوي وهو يقول في دعائه يستسقى : اللهم ربنا
وإلهنا وسيدنا ومولانا ، صلِّ على محمد نبينا : [اللهم] ومن أراد بنا سوءا فأحط
ذلك سوءا به كإحاطة القلائد بأعناق الولايد ، ثم أرسخه على هامسته كرسوخ السَّجِيلِ

على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثا مريئا مريعا مُجَلِّجًا مُسْحِنِفِرًا هزجا سحًا
سَفُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُتَعَنِّجِرًا صَخِبًا نَافِعًا لِعَامَتِنَا وَغَيْرَ ضَارٍ بِمَخَاصِنَتِنَا . فقال
الأعرابي : يا خليفة نوح ، [هذا] الطوفان ورب الكعبة ، دعني حتى آوي إلى

٢٠ جبل يعصني من الماء .

الإصمعي قال : أصابت الأرض مجاعة : فلقبت رجلا منهم خارجا من
الصحراء كأنه جذعٌ محترق فقلت : أنقرأ في كتاب الله شيئا ؟ قال : لا . قلت :
فأعليك ؟ قال : ما شئت . قلت : اقرأ (قل يا أيها الكافرون) . قال : كل بابها

الكافرون . قلت : [قُلْ] (قل يا أيها الكافرون) كما أقول لك . قال : ما أجد لسان ينطق بذلك .

قال : ورأيت أعرابيا ومعه بُنْيٌ له صغير ممسك بقم قربة ، وقد خاف أن تغلبه القربة : فصاح : يا أبت ، أدرك فاهما ، غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها !

قولهم في الدين

قال أعرابي : الدين ذل بالنهار ومم بالليل .

لبعض الأعراب

وقال أعرابي في غمما له يطلبونه بدين :

لبعض الشعراء
في غممه

جاءوا إلى غضاباً يَلْغَطُونَ معاً . فقلت موعدم دار ابن هبّار
وما أواعسدهم إلا لأذرائهم . عني فيخرجني نقضي وإمراري
وما جلبت إليهم غير راحلة . تتخدي برحلي وسيف جفنه عاري
إن القضاء سيأتي دونه زمن . فاطو الصحيفة واحفظها من النار

١٠

الأصمعي قال : كان لرجل من يحضّب على رجل من باهلة دين ؛ فلما حل دينه هرب الأعرابي وأنشأ يقول :

إذا حلّ دينُ اليحصبيّ فقل له . تزوّذ بزادٍ واستعن بدليل

١٥

سيصبح فوق أقمّ الريش واقعاً . بقالي قلاً أو من وراء ديل

الأصمعي قال : فأخبرني رجل أنه رآه مقتولاً بقالي قلاً وعليه نسر أقمّ الريش .

قال الأصمعي : آخنصم أعرابيان إلى بعض الولاية في دين لأحدهما على صاحبه ؛

ببعض أعرابيين

فجمل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعناق ، فقال له المدعى : دعني من هذه الأيمان
وأخلف بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلّفا يتبع ظلّفا ؛

٢٠

وحثك من أهلك ومالك حتّ الورق من الشجر ، إن لم يكن لي هذا الحق قبلك !
فأعطاه حقه ولم يحلف له .

الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها أعرابي أبداً : لا أورد الله لك صادرة ،

ولا أصدر لك واردة ، ولا حطت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

قولهم في النوادر والملح

أبو العباس
وأعرابي

الشيبياني قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين منزهاً بالأنياب ، فأمعن في
نزهته وانتبذ من أصحابه : فوافي خباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟
قال : من كنانة . قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة . قال :
فأنت إذاً من قريش ؟ قال : نعم . قال : فمن أي قريش ؟ قال : من أبغض قريش
إلى قريش ، قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم . قال : فمن أي ولد
عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال :
فأنت إذاً أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ووثب إليه ، فاستحسن
ما رأى منه وأمر له بجائزة .

الشيبياني قال : خرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلًا
له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي :
عشوم ظلوم الاحياء الله ! فقال : فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟
قال : فأظلم وأغشم ! فينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأوماً الحجاج إلى
الأعرابي ، فأخذ وحمل : فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج !
فحزك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ! قال : ما تشاء يا أعرابي ؟
قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ! قال : فضحك الحجاج وأمر
بتخليه سبيله .

يوسف بن عمر
ووال

الأصمعي قال : ولَّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابياً على عمل له :
فأصاب عليه خيانة فمزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ! أكلت مال الله !
قال الأعرابي : فقال من آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن
يعطيني فلساً واحداً فما فعل . فضحك منه وخلي سبيله .

ابن جعفر
وأعرابية

الشيبياني قال : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد
دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي
كنت أدجنها وأعلافها من قوتي ! وأمسها في آناء الليل فكأنما أمس بنتي زلت

عن كبدى ، فندرت لله أن أدقها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدقها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسة درهم .

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أرى تموه لشمسكُن منه بذناب عيش أغير .

بين أعرابي وقوم
في الهلال

الأصمعي قال : رأيت أعرابيا واقفا على ركبة منحة ، فقلت : كيف هذا الماء يا أعرابي ؟ قال : يخطئ القلب ويصيب الاست .

بين الأصمعي
وأعرابي في ماء

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : أرى عليك قطيفة من نسج أضرارك .

بينه وبين
أعرابي سمين

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إني أسألك ميتة كميته أبي خارجة أكل بدجا ، وشرب مُعسلا ، ونام في الشمس ، فأت دَفَان شُبَّعَانَ رِيَانَ .

١٠

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل أعرابي المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي : فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد حَجَّرتَ واسعا يا أعرابي .

النبي صلى الله
عليه وسلم وبين
الأعراب

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول في الطواف : اللهم اغفر لأمي . فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : أبي رجل يحتال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .

لبعض الأعراب

أبو حاتم عن أبي زيد قال : رأيت أعرابيا كأنَّ أنه كوز من عظمه ؛ فرآنا نضحك منه ؛ فقال : ما يُضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفتس .

قال : وجيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم أقرموا كناية . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة ؛ إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، وأنتم جثم بسيتاتي وتركتم حسناتي .

٢٠

وقيل لأبي المخش الأعرابي : أيسرك أنك خليفة وأن أمتك حزة ؟ قال : لأبي المخش لا والله يا يسرفي ! قيل له : ولم ؟ قال : لأنها كانت تذهب الأمة وتضيع الأمة . اشتري أعرابي غلاما ، فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه يبول في الفراش . قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشا فليبول فيه .

أخذ الحجاج أعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه : فلما قرعه بسوط قال : يا رب شكرا ! حتى ضربه سبعائة سوط ، فلقبه أشعب ، فقال له : أتدرى لم ضربك الحجاج سبعائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك : إن الله تعالى يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم . فقال الأعرابي :

١٠ يا رب لا شكر فلا تزدني ، أسأت في شكري فأعف عني
باعد ثواب الشاكرين مني

مر أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له ، فقالوا له : صفه . قال : كأنه دينير ! قالوا : لم نره . ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جمل ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه كأنه دينير ؟ فقال : القرني في عين أمها حسناء .
١٥ والقرني : دوية من خشاش الأرض إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة .

قيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه ركضا .

وغزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما رأيت مع رسول الله في غزاتك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الصلاة ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي !

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السخيتاني ، فقيل له : يا أعرابي ، لعلك قدرى ؟ قال : وما القدرى ؟ فذكر له محاسن قولهم : قال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم : فقال : لست بذاك . قال : فلعلك مثبت ؟

المحاج وأعرابي
لس

أعرابي ينشد
غلاما

لبعض الأعراب
في الغزو

السخيتاني وبعض
الأعراب

قال : وما الميت ؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب
الناس منهم ؛ فقال : لست بذلك . قال أيوب : هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ
من كل شيء أحسنه .

جرير وأعرابي

الأصمعي قال : سمع أعرابي جريراً ينشد :

- كاد الهوى يومَ سلبانين يقتلني • وكاد يقتلني يوماً بنعمان
وكاد يقتلني يوماً بذي خُشب • وكاد يقتلني يوماً بسلبان

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات لا يموت هذا أبداً .

السيباني قال : بلغني أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتها سنة ،

فانحدرا إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان في السوق - واسم أحدهما خندان - إذا

- ١٠ فارس قد أوطأ دابته رجلَ خندان ، فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلقا به حتى
أخذوا أرش الإصبع ، وكانا جاععين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصداً إلى بعض
الكرابج ، فابتاعا من الطعام ما اشتبها ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :

فلا عرثة مادام في الناس كُرْبُجٌ • وما بقيت في رجلِ خُندانِ إصْبَعُ

وهذا شبيه قول أعرابية في ابنها ، وكان لها ابن شديد العُرام ، كثير القتال

أعرابية وابنها

- ١٥ للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فوآب مرة فتي من الأعراب ، فقطع الفتي
أنفه ، فأخذت أمه دية أنفه ؛ لحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم وآب آخر ، فقطع
أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحسن الحال ؛ ثم وآب آخر فقطع
شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم
والمناخ بجوارح ابنها ، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

- ٢٠ أحلِفُ بالمرءةِ حقاً والصفاء • أنك خيرٌ من تفاريق العصا

فقلت لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجورا ، ثم يقطع

الساجور أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد أشظة .

الأصمعي قال : خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض

لبعض الأعراب
في الحج

الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال :

أعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق . فرجع
الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك
أنت وتُخرب بيوتنا .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَتْ راحلتها ،
٥ فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب ، أخرجتنى من بيتي إلى بيتك ، فلا
بيتي ولا بيتك !

الأصمعي قال : عُرضت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة
وثلاثين ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ؛ وفيهم أعرابي أخذ يبول
في أصل سور مدينة واسط ؛ فكان فيمن أطلق ؛ فأنشأ يقول :

١٠ إذا ما خرجنا من مدينة واسطِ هـ تحرينا وبلنا لا نخاف عقابا

لأعرابي في
الأولاد

ذُكر عند أعرابي الأولاد والانتفاع بهم ؛ فقال : زوّجوني امرأة
أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجرى الرهان ؛ والنزع عن القوس حتى
يصيب الحدق ، ورواية الشعر حتى يُفهم الفحول . فزوّجوه امرأة فولدت له
ابنة ، فقال فيها :

١٥ قد كنت أرجو أن تكون ذكراً هـ فشقةً الرّحمن شقاً منكراً

شقاً أبى الله له أن يُجبراً هـ مثل الذى لآتمها أو أكبراً

ثم حملت حملاً آخر ، فدخل عليها وهى فى الطاق - وكانت تسمى ربابا - فقال :
أيا ربّ أبى طرّقى بخير هـ وطرّقى بخصية وأير
ولا تُرينا طرف البُظير

٢٠ ثم ولدت له أخرى ، فهجر فراشها وكان يأتي جارة لها ، فقالت فيه - وكان
يكنى أبا حمزة - :

ما لآبى حمزة لا يأتينا هـ يظلّ فى البيت الذى يلينا

غضبان أن لآلدة البنينا هـ وإنما نأخذ ما أعطينا !

فألانه قولها ورجع إليها .

وقال سعيد بن أبي الفرج : سمعت أعرابيا يطوف بالبيت وهو يقول :

لأعرابي يدعو

لأُمَّ رَبِّ النَّاسِ حِينَ لَبَّيْنَا . وَحِينَ رَاحُوا مِنْ مَعِيَ وَحَصَّبُوا
لَا سُقَيْتَ عَشْبَتَبْ وَغُلْبُ . وَالْمُسْتَرَارَ لَا سَقَاهُ الْكُوكَبُ

قلت : يا أعرابي ، ما لهذه المواضع تدعو عليها في هذا الموضع ؟ فنظر إلى

كالنضبان فقال :

* من أجل حماهن ماتت زينب *

قولهم في التلصص

أبو حاتم قال : أنشدنا أبو زيد الأعرابي ، وكان لصا :

لبعض العمراء

١٠ ثلاثٍ خِلالٍ لستُ عنهنَّ نائِباً . وإنْ لآمَنِي فِيهِنَّ كُلَّ خَلِيلٍ
فهنَّ أُنَى لَا أزالُ مُعَانِقاً . حَمائلُ ماضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ
بِهَ كُنْتُ أَسْتَعِدِّي وَأُعَدِّي صَحَابِي . إِذَا صَرَخَ الزُّخْفَانُ بِاسْمِ قَتِيلِ
وَمِنْهُنَّ سُوقُ النِّهْبِ فِي لَيْلَةِ الدَّجِيِّ . يَحَارُ بِهَا فِي اللَّيْلِ كُلِّ دَلِيلِ
وَمِنْهُنَّ تَجْرِيدُ الكَعَابِ ثِيَابَهَا . وَقَدْ مالَ جُنْحُ اللَّيْلِ كُلِّ تَمِيلِ

١٥ وهذا المعنى سبقه إليه الأول :

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى . وجدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قامَ رامِسُ
فهنَّ سَبْقُ العاذِلاتِ بِشَرِيَّةٍ . كأنَّ أخاها مَطْلَعُ الشَّمْسِ ناعِسِ
وَمِنْهُنَّ تَقْرِيطُ الجَوادِ عِنايَه . إِذا ابْتَدَرَ الشَّخْصَ الصَّقِيَّ الفوارِسِ
وَمِنْهُنَّ تَجْرِيدُ الكَواعِبِ كالدُّمَى . إِذا ابْتَزَّ عن أَكفاليهنَّ المِلابِسِ

٢٠ وأول من قال هذا المعنى طرقة حيث يقول :

لطرقة

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى . وجدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قامَ عُوْدِي
فهنَّ سَبْقُ العاذِلاتِ بِشَرِيَّةٍ . كدَيْتِ مَتَى ما تُعَلِّ بِالماءِ مُزِيدِ

وكرى إذا نادى المضافُ مجنبا . كسيد الغضا نَهْتَهُ المْتورِد
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجَبٌ . بِيَهْكَتِهْ تحتِ الجِواءِ المَعْمَدِ

قولهم في الطعام

الأصمعي قال : اصطحب شيخٌ وحدث في سفر ، وكان لهما قرص في كل
يوم ، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطيء الأكل ، وكان الحدث يطيش بالقرص
ثم يجلس يشتكى العشق ، ويتضور الشيخ جوعا ، وكان يسمى الحدثُ جعفرًا ،
فقال الشيخ :

لقد رابى من جعفرٍ أن جعفرًا . يطيشُ بقرصِي ثم يبكي على جُمَلِ
فقلتُ له لو مسكَ الحبُّ لم نبتُ . بَطِينًا ونَسَاكَ الهوى شَرَه الأكل

الأصمعي قال : أنشدني أعرابي لنفسه :
أبيض الشعراء

ألا ليت لي حُبْرًا تسربل رائبًا . وخيلًا من البرني فرسانها الزُبدُ
فأطلب فيما بينهم شهادة . بموتِ كريم لا يُعدُّ له لَعْدُ

الشيباني عن أبيه قال : قال أعرابي : كنت أشتهى ثريدة دكاء من الفلفل ،
رقطاء من الحمص ، ذات حفايين من اللحم ، لها جناحان من العراق ، أضرب فيها
كما يضرب وليُّ السوء في مال اليتيم !
لأعراب في ثريدة

وقال رجل لأعرابي : ما يسرنى لو بت ضيفًا لك ! فقال له الأعرابي :
لو بت ضيفًا لي لأصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة .
بير أعرابيين

حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمر إلى ما بين يديه ، فقال
له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي . فقال : من أجذب انتجع . فشق ذلك
على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعد إلينا . وشهد بعد هذا سفرته
أعرابي آخر ، فر إلى ما بين يديه أيضًا ، فقال له الحاجب : مما يليك
فكل يا أعرابي . قال : من أخصب تخير . فأعجب ذلك سليمان ، فقربه وأكرمه
وقضى حوائجه .
أعرابي على
مائدة سليمان

مر أعرابي بقوم من الكتبة في منزله لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده
ياكل معهم ، فقالوا : أعرفت فينا أحداً ؟ قال : بلى ، عرفت هذا وأشار إلى
الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكلة :

• لم أرَ مثلَ نُرْطِه ومَطَّه •

قال الثاني : • وأَكَلَهُ دِجَاجُهُ يَبْطِه •

قال الثالث : • وَلَفَّه رُقَاةً يَأْقِطِه •

قال الرابع : • كَأَنَّ جَالِينُوسَ تَحْتَ إِبْطِه •

فقالوا للرابع : أما الذي وصفنا من فعله ففهوم : فما يصنع جالينوس من

تحت إبطه ؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمعة ، يهضم بها طعامه !

وقال رجل من أهل المدينة لأعرابي : ما تأكلون وما تعافون ؟ قال له
الأعرابي : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حُين . قال المدني : ليَهَيَّيْ أُمَّ
حُين العافية .

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لي لحماً . فاشتروا وطبخوا له حتى

تهدأ ، فأكل منه حتى انتهى ، ولم يبق إلا عظامه ؛ وشرعت إليه عيون ولده ،

فقال : ما أنا مطعمهم أحداً منكم إلا من أحسنَ أكله . فقال له الأكبر : ألوكه

يا أبت حتى لا أدع فيه للذرة مقيلاً . قال : لست بصاحبه . قال الآخر : ألوكه

حتى لا يدرى ألعامه هو أو لعام أول ؟ قال : لست بصاحبه . قال له الأصغر :

أدقه يا أبت وأجعل إدامه المخ . قال : أنت صاحبه ، هو لك .

بلغني عن محمد بن يزيد بن معاوية ، أنه كان نازلاً بجلب على الهيثم بن عدي ،

فبعث إلى ضيف له من عنزة أعرابي ، فقال له : حدث أبا عبد الله بما رأيت

في حضر المسلمين من الأعاجيب . قال : نعم ، رأيت أموراً معجبة . منها أتى

دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالى ، وإذا أنا بدور متباينة ، وإذا خصاص يوضُّ

بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، وعليهم ثياب حَكُوا

بها أنواع الزهر : فقلت لنفسى : هذا أحد العيدين : الفطر أو الأضحى . ثم رجع

أعرابي وقوم
من الكتبة

مدني وأعرابي

أعرابي وولده

لعذري في حضر
المسلمين

إلى ما عزب من عقلي ، فقلت : خرجت من أهل في عقب صفر وقد مضى
العيدان قبل ذلك ا فيينا أنا واقف أتعجب إذ أتاني رجل فأخذ يدي فأدخلني
بيتاً قد نُجِدَ ، وفي وجهه فرشٌ مَهْدَةٌ ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره كغديه ،
والناس حوله سباطين ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسه
وجلوس الناس حوله . فقلت وأنا مائل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله ! قال : لجذب رجلٌ بيدي وقال : ليس بالأمير ، أجلس . قلت فمن
هو ؟ قال : عروس . قلت : وائكل أماء الربِّ عروسٍ بالبادية قد رأيتُه
أهون على أصحابه من هني أمه ا فلم ألبك أن أدخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ مدورات
من خشب ، أما ما خفت منها فيحمل حملاً ، وأما ما نزل فيُدحرج ؛ فوضعت
أمامنا وتَحَلَّقَ القوم عليها حلَقاً ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت عليها ؛ فهممت والله
أن أسأل القوم خِرقة منها أرقع بها قيصي ، وذلك أني رأيت لها نسجاً
متلاحماً لا يتبين له سدى ولا لحمة ؛ فلما بسط القوم أيديهم ، إذا هو يتمزق
سريعاً ، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه ؛ ثم أتينا بطعام كثير من حُلُوٍّ وحامض ،
وحارٍّ وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ماني عقبه من التخم والبشم ؛ ثم أتينا
بشرابٍ أحمر في عِساس بيض ؛ فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لي به ؛ لأنني
أخاف أن يقتلني ا وكان إلى جانبي رجل ناصحٌ لي - أحسن الله عنى جزاءه ا -
كان ينصحنى بين أهل المجلس ؛ فقال لي : يا أعرابي ، إنك قد أكثرت من الطعام
فإن شربت الماء هَمَى بطنك . فلما ذكر البطن ، ذكرت شيئاً أوصاني به
الأشياخ ، قالوا : لا تزال حيا مادام بطنك شديداً ، فإذا اختلفت فأوص . فلم
أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أملهُ ، حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي
ولا عهد لي به ، واقتدارٌ على أمرى ؛ وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي ؛ فجملت
نفسى تحدثني بهتم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى ؛ وأم أحياناً أن أقول له :
يا ابن الزانية ا فيينا نحن كذلك ، إذ همج علينا شياطين أربعة ؛ أحدهم قد علق
جعبة فارسية متنفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط ، وقد ألبست قطعة فرو ،

كانهم يخافون عليها القر؛ ثم بدأ الثاني فاستخرج من كفه هنة كفيشلة الخمار، فوضع طرفها في فيه فضرط فيها، ثم حسب على جعرة فاستخرج منها صوتاً مشاكلاً بعضه بعضاً؛ ثم بدأ الثالث وعليه قيص وسخ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مرأتان، فجعل يمرى إحداهما على الأخرى؛ ثم بدأ الرابع عليه قيص قصير وسراويل قصيرة، فجعل يقفز صلبه، ويهز كتفيه، ثم التبط بالأرض، فقالت: معوه ورب الكعبة. ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ثم أرسلت إلينا النساء أن امتنعونا من لهوكم. فبعثوا بهم إليهن، وبقيت الأصوات تدور في آذاننا؛ وكان معنا في البيت شاب لا آبه له، فعلت الأصوات له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة في يده، عينها في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه، ثم زم الخيوط الظاهرة، فلما أحكمها عرك أذنها فنطق فوها، فإذا هي أحسن قينة رأيتها قط [وغنى عليها] فاستخفني حتى قت من مجلسي فجلست إليه فقالت: بأبي أنت وأمي، ماهذه الدابة؟ قال: يا أعرابي، هذا البربط. قلت: فما هذه الخيوط؟ قال: أما الأسفل فوبر، والذي يليه مثنى، والذي يليه مثلث، والذي يليه بعم. فقالت: آمنت بالله.

١٥ وقال أعرابي: تمرنا حُندس فطس، يغيب فيهن الضرس، كأن فاهما السن الطير، تقع الثمرة منها في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك.

٢٠ وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك، فلما أتى بالفالودج جعل يسرع فيه، فقال سليمان: أتدرى ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقاً هنيئاً، ومزدرداً ليناً، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه! قال: فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابي، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ، قال: كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

قال: ومررت بأعرابي يأكل في رمضان. فقالت له: ألا تصوم يا أعرابي؟ فقال:

وصائم هبّ بأحاني فقالت له: أعمد لصومك وأتركه وإطاري

وأظلمًا فإني سأرؤى ثم سوف ترى * من ذا يصيرُ إذا مِننا إلى النار
 وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شعرة في لُقمة الأعرابي ؛ فقال :
 أرى شعرة في لُقمتك يا أعرابي ! قال : وإنك لتراعيني مراعاةً من يُبصر الشعرة
 في لُقمتي ؟ والله لا واكلك أبدأ ! فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زلة ولا أعود
 إلى مثلها .

لأعرابي على
 سفرة سليمان
 أيضا

أخبار أبي مَهديّة الأعرابي

أبو عثمان المازني قال : قال أبو مَهديّة : بلغني أن الأعراب والأعراب هجّاهما
 واحد . قلت : نعم . قال : فاقراً : « الأعرابُ أشدُّ كُفراً ونفاقاً ، ولا تقرأ :
 الأعراب . ولا يفتك العزْبُ وإن صام وصلى .

وتوفى بُنيّ لأبي مَهديّة صغير ، فقيل له : أبشر أبا مَهديّة ؛ فإننا نرجو أن يكون
 شفيع صدق يوم القيامة ! قال : لا وكَلنا الله إلى شفاعته ، إذاً والله يكون أعيانا
 لسانا وأضعفنا حجة ؛ ليه المسكين كفانا نفسه !

وقيل لأبي مَهديّة : أكنتم تتوضؤون بالباينة ؟ قال : نعم والله ؛ لقد كنا نتوضأ
 فتكفي التوضئة الواحدة الرجل من الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه
 الحر - يعني الموالي - فجعلت تليق أستاذها كما تلاق الدواة .

وقيل لأبي مَهديّة : أتقرأ من كتاب الله شيئاً ؟ قال : نعم . ثم افتتح يقرأ :
 ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا يَجَى ﴾ حتى انتهى إلى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ فالتفت
 إلى صاحب له فقال : إن هؤلاء العلوج يقولون : ووجدك ضالاً فهدى . والله
 لا أقولها أبداً .

ولما سن أبو مَهديّة وليّ جانباً من البمامة ، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء
 وجِدّة ، فأرسل إليهم فقال : ما عندكم في المسيح ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ! قال :
 فهل غرتم ديبته ؟ قالوا : لا . قال : إذاً والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديبته !
 فأرضوه حتى كف عنهم .

٥

١٠

١٥

٢٠

- وقيل لأبي مَهْدِيَّة : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو ؛ قال : كيف لا يصبر على البدو مَنْ طعامه الشمس وشرابه الريح ؟
- ونظر أبو مَهْدِيَّة إلى رجل يستنجى ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها ويحك ! أتريد أن تشرب فيها سويقا !
- ومات طفل لأبي مَهْدِيَّة ، فقيل له : اصبر يا أبا مَهْدِيَّة ؛ فإنه فرط اقرطته ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته . فقال : بل ولدت دَفَنْتُهُ ، ونكَلْتُ تعجلته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص ، لا أفرحُ للزيد .
- قال أبو عبيدة : سمع أبو مَهْدِيَّة رجلا يقول بالفارسية : زود زود . فقال : ما يقول هذا ؟ فقيل له يقول : عجل عجل . فقال : أفلا يقول : جهلا .

١٠ خبر أبي الزهراء

- المعلی بن المثنى الشيباني قال : حدثنا سويد بن منجوف قال : أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تحب ، وعليها ذلاذل وأطهار من سَحَقِ صوف ، قد اعتم بما يشبه ذلك ؛ من أشوه الناس منظرا وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول أَلَسَبَد ، أَلَا لَبَد أَلَا مُؤُو أَلَا مُقْرِ ، أَلَا سَعْدَى أَلَا يَرُبُو عَى ، أَلَا دَارِمَى ! هيهات هيهات ! وما يُغْنِي أَلْهَل ١٥ حوض الماء صاديا مُعَى ! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحى ، قال : فسمعت سواديا يقول له : يا عمه ، يا إبليس ! متى أُذِنَ لك بالظهور ؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا آباءكم وفتشوا أمهاتكم ! قال : وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من يُطَلِّب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك ٢٠ مولى بني تميم ؛ فأنيته فأخبرته ؛ ففرح مبادرا كأنى قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان ، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان - وهو يقول لأتانه :

قد كنتِ بالأمعزِ في خصبِ خصبٍ • ماشئتِ من تخيضِ وماءٍ مُنسكبِ
 فربكِ اليومَ ذليلٌ قد نُصبَ • برى وجوهاً حوله ماترتقب
 ولا عليها نورِ إشرافِ الحسبِ • كأنها الزنجُ وعُبدانُ العرب
 إلى عجيلِ كالرعيلِ والسربِ • ولو أمئتُ اليومَ من هذا اللجَبِ
 رميتُ أفواقاً قويماتِ النُصبِ • الریشِ أولاهَا وأخراها العقبِ ٥

قال : فلم يزل أبو حماد يلففه ويتلطف به وييجله ، إلى أن أدخله منزله ؛
 فهد له وحطه عن أمانه ، ودعا بالملف ؛ فجعل الأعرابي يقول : أين الليف والنثيف
 والوساد والنجاد ؟ يعنى بالليف : الحصر ؛ والنثيف عشبة عندم يقال لها البهيمى
 والوساد : جلد عنز يسليخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُسكأ عليه ؛ والنجاد :
 مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهرها قد دبرحتى
 أضرت بنا راتحتي ؛ فجعل الأعرابي يتهد ويقول :

إن تُنحِضِي أو تُدبِرِي أو تُزَجِرِي • فذاك من دُوبِ ليلِ مسهِرِ
 أنا أبو الزهراء من آلِ الدبرِي • مُشْمَخِ الأنفِ كَرِيمِ العُنْصِرِ
 إذا أتيتِ خُطَّةً لم أقسِرِ

وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عويجة من بني سعد بن دارم ، ويكنى بأبي
 الزهراء ، وما رأيت أعرابياً أعجب منه ؛ كان أكثر كلامه شعراً ؛ وأمثلة أعرابي
 سمعته كلاماً ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانفهمها ؛ وكان من أضجر
 الناس وأسوئهم خلقاً ، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال : ردوا على القوس والأتان ؛
 يظن أنا تتلاعب به ، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد ، وما منا إلا من يأتيه
 بما يشتهي ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتينا يوماً بخربز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها
 تأملها طويلاً وجعل يقول :

بُدلتِ والدهرُ قديماً بدلاً • من قِيضِ رِيضِ القَفْرِ فقماً حَنَظَلاً
 أخبِكُ ما تُنبتِ أرضُ ما كُلا

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنى مريء ،

ونحن نبدوك فيه إن شئت . قال : فخذوا منه حتى أرى ! فبدأنا نأكل وهو ينظر
لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فنزع أعلاها وقور أسفلها ،
فقلنا له . ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء ؟ فقال : إن كان السم يا ابن أخي ففيا
تروني ! فلما طعمه استخفه واستعذبه واستحلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئاً ، وما كنا
نأتيه بعد بغيره ، وجعل في خلال ذلك يقول :

هذا طعامٌ طيبٌ يلينُ . في الجوفِ والحلقِ له سُكونٌ
الشهدُ والزبدُ به معجون

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك في الحمام ؟ قال : وما الحمام
يا ابن أخي ؟ قلنا له : دار فيها آيات : حار ، وفاتر ، وبارد ؛ تكون في أيها شئت
يذهب عنك قشغ السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجابنا ،
فأتينا به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يدخل علينا أحداً ، فدخل وهو خائف
مترقب ، لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار في داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه
بالتوراة ، وكان جلده أشعر كجلد عنز . فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛
فقلنا أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال : يا ابن أخي ، وهل بقي إلا أن
أندلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام العيظ ! وجعل يقول :

وهل يطيبُ الموتُ يا إخواني . هل لكم في الفئسِ والأنانِ
خذوهما متى بلا أثمانٍ . وخلصوا المهجةَ يا صبيان
فاليوم لو أبصرني جيرانى . عريان بل أعرى من العريان
قد سقط الشعرُ من الجثمان . حسبت في المنظرِ كالشيطان !

قال : ثم خرج مبادراً ، وأتبعه أحداثنا ، لولا هم لخرج بجاله تلك ما يستره
شيء : ولحقناه في وسط البيوت ، فأتيناه بماء بادر ، فمرب وصب على رأسه ،
فارتاح واستراح . وأبشأ يقول :

الحمدُ للمستحمِدِ القهارِ . أنقذنى من حرِ بيتِ النارِ

إلى ظليل ساكن الأوار . من بعد ما أيقنت بالتمار

قال : فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه ، وأتينا به مجلس أبي حماد ؛ وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الجوب ؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التمار ماهراً ؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي وأبا زيد ، جعل ينظر ، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل ؛ فقلنا له : ماتقول يا أبا الزهراء ؟ فقال : يا ابن أخي ، إن كلامكم هذا لا يسد عوزا عما تعلمونه له . فقال أبو الحسن : إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها . فقال له : شككت وأثككت وهل تخطئ الغرب ؟ قال : بلى . قال : على أولئك لعنة الله وعلى الذين اعتقوا مثلك ؛ قال سويد : وكنت أحدثهم سنا (قال) فقلت : جعلت فداك ، وأنا رجل من بني شيبان وريعة ؛ ما تعلم أنا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم ؛ فقال فيهم :

يَسْأَلُنِي بِيَّاعُ تَمْرٍ وَجَرْدَقٍ . وَمَا زَجُّ أَبْوَالٍ لَهُ فِي إِيَّانِهِ
عَنِ الرَّفْعِ بَعْدَ الْخَفْضِ ، لِأَزَالِ خَافِضًا . وَنَصَبٌ وَجَزْمٌ صَبِغٌ مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ
فَقُلْتُ لَهُ هَذَا كَلَامٌ جَهْلُهُ . وَذُو الْجَهْلِ يَرَوِي الْجَهْلَ عَنِ الْجَهْلِ عَنْ فِطْرَانِهِ
فَقَالَ هَذَا يُعْرِفُ النَّحْوُ كُلَّهُ . يَرَى أَتَى فِي الْعُجْمِ مِنْ نُظْرَانِهِ
فَأَمَّا تَمِيمٌ أَوْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ . وَمَنْ حَلَّ غَمْرَ الضَّالِّ أَوْ فِي إِزَانِهِ
فَفِيهِمْ وَعَنْهُمْ يُؤَثِّرُ الْعِلْمُ كُلَّهُ . وَدَعَّ عَنْكَ مَنْ لَا يَهْتَدِي لِخَطَايَاهِ
فَرَنْ ذَا الرُّؤَاسِيَّ الَّذِي تَذْكُرُونَهُ * وَمَنْ ذَا الْكِسَائِيَّ سَالِحٌ فِي كِسَائِهِ
وَمَنْ ثَالِثٌ لَمْ أَسْمَعْ الدَّهْرَ بِاسْمِهِ * يُسْمُونَهُ مِنْ لَوْمَةِ سَيِّوَاتِهِ
فَكَيْفَ يُخِلُّ الْقَوْلُ مَنْ كَانَ أَهْلَهُ . وَيُهْدَى لَهُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلِيَانِهِ
فَلَسْتُ لِبَيَّاعِ التَّمِيرَاتِ مُغْضِيًّا . عَلَى الضَّمِّ إِنْ وَاقَفْتُ بَعْدَ عَشَائِهِ^(١)

ولقد قلنا له : يا أبا الزهراء ، هل قرأت من كتاب الله شيئا ؟ قال : إى وأبيك ، آيات مفصلات أرددهن في الصلوات ، آباء وأمهات ، وعمات وخالات

(١) في بعض الأصول : . إن راقت فقد عداته . .

ثم أنشأ يقول :

قرأت قول الله في الكتاب • ما أنزل الرحمن في الأحزاب
لُعْظَمَ ما فيها من الثواب • الكفرُ والنُظْمَةُ في الأعرابِ
وأنا فأعلمُ من ذوى الألباب • أوْمُنُ بالله بلا آرتياب
في عرشِهِ المستور بالحجاب • والموتُ والبُعْثُ والحساب
وجنَّةٌ فيها من الثياب • ما ليس بالبَصْرَةِ في حساب
وجاحِمٍ يُلْفَحُ بالتهاب • أوْجَعُ أهلِ الكفرِ والسَّباب
ودفعِ رِجْلِ الطارقِ المُتَّاب • في لَيْلَةٍ ساكِنَةِ الكلاب

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، فقلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت

- ١٠ الكوفة ؟ قال : يا ابن أخي ، حضرا حاضرا ؛ ومحلا أهلا ؛ أنكرتُ من أفعالكم
الأكبال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذه التلال
يا ابن أخي ؟ قلت له : أجدات الموتى ، فقال : أماتوا أم قتلوا ؟ فقلت : قدم ماتوا
بأجالم ميات مختلفات . قال : فإذا تنتظر نحن يا ابن أخي ؟ قلت : مثل الذى
صاروا إليه ، فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول :

- ١٥ يالهُفَ نَفْسِي أن أموت في بلدٍ • قد غاب عني الأهل فيه والولد
وكلُّ ذى رَحْمٍ شَفِيقٍ مُعْتَقِدٍ • يكون ما كنتُ سقيما كالرَمِدِ
ياربِّ ياذا العرشِ وَفَّقَ للزَّشْدِ • ويسرُ الخَيْرَ لشيخٍ مُخْتَضِدِ

ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكننا لا نبارحه عاتدين
متفقدين ؛ فبينما نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول :

- ٢٠ أبلغُ بناقِ اليومِ أبلغُ بالصوى • قد كنتُ يأملُنُ إِيابِي بالغنى
وقد تَمَنَّيْنُ وما يُعْنَى العُنَى • بأنَّ نَفْسِي ورددت حوض الردى
ياربِّ ياذا العرشِ في أعلا السَّما • إليك قَدِمْتُ صياحِي في الظَّما
ومن صلاتي في صباحٍ ومَسَا • فعدُّ على شيخٍ كبيرٍ ذى أنحنا
يكفيه ما لاقاهُ في الدنيا كفى

قلنا له : يا أبا الزهراء ، ما تأمرنا في القوس والأتان ، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق ؟ فقال : يا ابن أخي ، أما ما قسم الله لي عندكم فردوداً إليكم ، وأما القوس والأتان فيبعوهما وتصدقوا بثمانهما في فقراء صليبة بني تميم ، وما بقي في موالهم . ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له حق إيمانه بك ، وتصديقه برسالك ، صليت عليهم وسلمت ؛ اللهم إني جان مقترف وهائب معترف ، لا أدعى براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي ، وتجاوزك عني ؛ اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب ، وكان في قضائك ، وسابق عليك قبض رُوحى في غير أهلى وولدى ، اللهم فبدل لى التعب والنصب رُوحاً وربحاناً وجنة نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ، رحمه الله ؛ فما سمعت دعاءً أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكياً وداعياً من جنازته ؛ رحمه الله .

• • •

بعض الأعراب

وقال أعرابي يصف كساء .

من كان ذا بتّ فهذا بتّى • مُقِيطٌ مُصَيِّفٌ مُشْتَى
نَسَجْتُهُ مِنْ نَعَجَاتِ بَيْتِ

وقال أعرابي : ١٥

قالت سُلَيْمى : لَيْتَ لى بَعْلًا يَمُنُّ • يَفْضَلُ رَأْسى رُيَسَلْبى الحزن
وحاجة ليس لها عندى ثَمَنٌ • مشهورة قضاؤها منه وهن^(١)
قلن جوارى الحى : يا سَلْبى وإن • كان فقيراً مُعْدِماً ؟ قالت وإن

وقال أعرابي :

جاريتان حَلَفْتِ أُمَاهُما • أن ليس مَغْبُوتاً من اشتراهُما
والله لا أَخْبِرُكم إِسْمَاهُما • إلا بقولى هكذا مُها مُها
مُها اللتان صادقنِ نهماهُما • حياً وحياً الله من حياًهُما
أما ربّى عاجلاً أباهُما • حتى مُتلاقى مُنْبى مُناهُما

٢٠

(١) الوهن : د قريب من منتصف الليل .

وقال أعرابي :

إِنَّ لَنَا لَكِنَّةً مَعْنَةً مِفَنَّةً
سَمْعُنَةً نَظْرُنَةً . إِلَّا تَرَةً تَظُنَّةً

السمعة النظرة : المرأة التي إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً تظنّت تظنيا .

وأشده أبو عبد الله بن لبانة الأعرابي :

كَرِيمَةً يُجِيبُهَا أَبُوهَا . مَلِيحَةً الْعَيْنَيْنِ عَذْبًا فُوهَا
لَا تُتَحَسِّنُ السُّبَّ وَإِنْ سُبُّهَا

الأصمعي قال : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بكرة ، فقال : يا أصمعي ،

الرشيد
والأصمعي

إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه البكرة . قلت : نعم يا أمير المؤمنين

بيننا أنا في صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابي قاعد على أجمة ، قد احتملت الريح

كسائه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ؛ فقلت له : يا أعرابي ، ما أجلسك ههنا

على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتها يقال لها سلسى ، أنا منتظر لها . فقلت :

وما يمنعك من أخذ كسانك ؟ قال : العجز يوقضى عن أخذه . فقلت له : فهل قلت

في سلسى شيئاً ؟ قال : نعم . قلت له : اسمعنى لله أبوك ! قال لا أسمرك حتى تأخذ

كسانى وتليقه على ! قال : فأخذته فألقته عليه ، فأنشأ يقول :

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بَسَلْسَى . فَيَبْطِطُهَا وَيُلْقِيْنِي عَلَيْهَا

وَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ سَحَابٌ مُزْنٌ . تُطَهِّرُنَا وَلَا نَسْعَى إِلَيْهَا

فاستضعفك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البكرة لا بورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابياً أتى عينا من ماء صاف في شهر رمضان ، فشرب حتى

روى ، ثم أوماً يده إلى السماء فقال .

إِنْ كُنْتَ قَدَرْتَ الصِّيَا . م فَأَعْفُنَا مِنْ شَهْرِ آبٍ

أَوْ لَا فَإِنَّا مُفْطِرُوهُ . ن وَصَابِرُونَ عَلَى الْعَذَابِ

خلا أعرابي بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له ؛ فقالت له . ثم خائبا ! فقال .

الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكَلِّ له دقيق . فخجلت ولم ترّد جوابا .

٥

١٠

١٥

٢٠

كِتَابُ الْمُجِيبَةِ فِي الْأَجْوِبَةِ

فرش الكتاب

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة ، تمهيد المؤلف
- ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام كله مركباً ، وأعزه مطلباً ، وأغمضه مذهباً ، وأضيقه مسلكاً ؛ لأن صاحبه يجعل مناجاة الفكرة ، واستعمال القرينة ، يروم في بديته نقض ما أبرم القائل في رويته ، فهو كمن أخذت عليه الفجاجة ، وسُدَّتْ عليه المخارج ، قد اعترض الأسيئة ، واستهدف للرامي ، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما يفجأه من خصمه
- 10 فيقرعه بمثله ، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه بعد أن روى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأي يغيب حتى يختمر ؛ فقد كرهوا الرأي الفطير ، كما كرهوا الجواب الدبري ، فلا يزال في نسج الكلام واستنساخه ، حتى إذا اطمأن شأرده ، وسكن نافرته ، صك به خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطئ ، وأسرع ولا تبطل ، تراه يجاوب من غير أناة ولا استعداد ، يطبق المفاصل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما يرمى الجنادل بالجنادل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عُراه ، وينقض به مرائره ، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبدت عجاجته ؛ فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه ، ويصرع منازعه بقول كمثل النار في الخطب الجزل .

- لأبي الحسن قال أبو الحسن : أسرع الناس جواباً عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب .
وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا ، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ .
- في ابن عفان وكان يقال : اتقوا جواب عثمان بن عفان .
- لنبي صلى الله عليه وسلم في الزبيرقان وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الأهتم : أخبرني عن الزبيرقان ، قال : مطاع في أدانيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، قال الزبيرقان : والله يا رسول الله ، لقد علم مني أكثر من هذا ، ولكن حسدني . قال عمرو ابن الأهتم : أما والله يا رسول الله ، إنه لزم المرءة ، ضيق العطن ، أحق الوالد ، لئيم الخال ؛ والله يا رسول الله ، ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ؛ رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب ، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب ؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إن من البيان لسيحرا .

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

- لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقربه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطيّة وأعظمها ، ووصل الفرابية وحفظها ، وحسن ظنه بالله ، إذ ساء به ظنك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ ختم وأفسدتم وجرتتم ، فاكفف لأبائك ، فإنه عما تقول بمعزل .
- وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك علي . قال : صدقت ، إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت خير لي من أخى ، وأخى خير لنفسه منك .
- وقال له ليلة الهدير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أعماك وترغب إلى معاوية ، قال :
أخونُ مني والله من سفك دمه بين أخى وابن عمى ، أن يكون أحدهما أميراً !
ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم
قال له : أتم معشر بنى هاشم تصابون في أبصاركم ! قال : وأتم معشر بنى أمية
تصابون في بصائركم !

ودخل عتبة بن أبي سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ،
فقال عقيل : من هذا الذى أجلس أمير المؤمنين بينى وبينه ؟ قال : أخوك
وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن كان أقرب إليك منى ، إني لأقرب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض
ونحن سماء . قال عتبة : أبأيزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر
مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب ! قال له
عقيل ، وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار
فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمى أبو لهب مفترشاً عمك حمالة الحطب ؛
فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوماً : ما أبين الشَّبَقَ في رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنّه في نسائكم
أبين يا بنى أمية !

وقال له معاوية يوماً : والله إن فيكم لحصلة ما تعجبني يا بنى هاشم . قال :
وما هي ؟ قال : لين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعير
يا معاوية ؟ أجل ، والله إن فينا لليناً من غير ضعف ، وعِزاً من غير جبروت ؛
وأما أتم يا بنى أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كلُّ هذا أردنا
يا أبأيزيد . قال عقيل :

لِدى اللَّبِّ قبلَ اليوم ما تُقرَعُ العصا . وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا لعلباً

قال معاوية :

وإن سفاة الشيخ لا حِلْمَ بعده . وإن الفتى بعد السفاهة يحلمُ

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إني أمرؤ مني التكرم شيمته . إذا صاحي يوما على الهون أضيرا

- ثم قال : وآيمُ الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهَّدتك مهادها ، وأظنك بحذافيرها
ومدت عليك أطناب سلطانها - ماذا بالذي يزيدك مني رغبة ، ولا تخشعاً
لرهبته . قال معاوية نعتها أبا يزيد نعتاً هَسَّ لها قلبي ؛ وإني لأرجو أن يكون الله
تبارك وتعالى مارذاني رداء ملكها ، وحباني بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة
أذخرها لي ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكا ؛ وإنما هو المثال يُحذَى
عليه ، والامور أشباه ؛ وآيمُ الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريما ، وإلينا
حييا ، وما أصبحتُ أضمر لك إساءة .

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل :

يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً ؛ أين أبي ؟ أين أخى ؟ أين عمي ؟ كأن أعناقهم
أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلت جهنم فخذى على شمالك .

١٥ جواب ابن عباس رضى الله عنهما

لمعاوية وأصحابه

- اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ؛
وكان جريئاً على معاوية حقاراً له ، فبلغه عنه بعض ما عمَّه ؛ فقال معاوية :
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميت في الحى
والحى في الميت ؛ استعملك على يا ابن عباس على البصرة ، واستعمل أخاك
عبيد الله على اليمن ، واستعمل أخاك تماماً على المدينة ؛ فلما كان من الأمر ما كان ،
هنا تكم ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم ، وقلت : آخذ اليوم
وأعطى غداً مثله . وعلبت أن يده الأثم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت

بجلا قيمكم وقيأتكم ما أكلتم . ولا يزال يلغنى عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا
أكثر من ذنوبنا إليكم : خذلتهم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ،
وحاربتهموني بصيفين ، ولعمري لبنو تميم وعدى أعظم ذنوبا منا إليكم ؛ إذ صرفوا
عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنة ؛ فحتى متى أغضى الجفون على القذى ،
وأحبب الديبول على الأذى ، وأقول : لعل الله وعسى ... ما تقول يا ابن عباس ؟

قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين ؛
لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبي ؛ ولكن من
هنا أباك يا خاء أبي أكثر من هنا أبي يا خاء أيبك ؛ نصر أبي أباك في الجاهلية ،
وحقق دمه في الإسلام ؛ وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت
أنت رجالا هواك لا نفسك ، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وابن بشر
ابن أرطاة على اليمن بخان ، وحيب بن مرة على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيس
الفهري على الكوفة فحُصِب ؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي
يلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة
حسنة لمحقتها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها . وأما خذلتنا عثمان
فلو لزمنا نصره لصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا
فيه وأما حربنا إياك بصيفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك
إيانا بتميم وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها .

وسكت ، فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابن حربٍ عظيمَ القدرِ في الناس ، حتى رماه بما فيه ابنُ عباسٍ
ما زال يُهَيِّطُهُ طوراً ويُصعِدُهُ ، حتى استقاد وما بالحق من باسٍ
لم يتركنْ حُطَّةً مما يُذللُّه ، إلا كواه بها في فروةِ الراسِ

لابن أبي مليكة
في ابن عباس

وقال ابن أبي مليكة : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيتَه رأيت أفصح
الناس ، وإذا تكلم فأعربُ الناس ، وإذا ألقى فأفقه الناس ما رأيت أكثر صوابا
ولا أحضر جوابا من ابن عباس .

بن ابن عباس
ومعاوية

ابن الكلبي قال : أقبل معاوية يوماً على ابن عباس فقال : لو وليتمونا ما أنتم
إلينا ما أتينا إليكم ، من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على
القليل ، وصبري على ما صبرتُ عليه منكم ، إني لا أريدُ أمراً إلا أظله أتم صدره
ولا آتي معروفاً إلا صغرتُ خطره وأعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها
متكاهين عليها ؛ تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ؛ فأى أمل بعد ألف ألف
أعطيتها الرجل منكم ، ثم أكون أسراً يعطائها منه يأخذها ؟ والله لئن اتخذت
لكم في مالي وذلك لكم في عرضي ، أرى اتخذاعى كرماً وذلي حليماً . ولو وليتمونا
رضينا منكم بالانصاف ، ولا نسألكم أموالكم ، لعلنا بحالكم وحالنا ؛ ويكون
أبفضها إلينا أحبها إليكم أن نُعفيكم .

١٠ فقال ابن عباس : لو ولينا أحسننا المواساة ، وما ابتلينا بالأثرة ؛ ثم لم نغشم
الحى ، ولم نشتم الميت ؛ فلستم بأجود منا أكفاً ، ولا أكرم أنفساً ، ولا أصون
لأعراض المروءة ؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى في الحق منكم
في الباطل ، وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والعدل في
الرعية يأتیان على المنى والأمل ، ما أَرْضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتُ منا لم ترض
أنفسنا به لكم ؛ والكفاف رضا من لا حق له ؛ فلا تُبخلونا حتى تسألونا ،
١٥ ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

أبو عثمان الخزازي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال :
يا بني هاشم ، والله إن خيرى لكم لمنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ؛ فلا يقطع
خيرى عنكم علة ولا يوصد بابي دونكم مسألة ؛ ولما نظرت في أمرى وأمركم
٢٠ رأيت أمراً مختلفاً ؛ إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي منى ، وإذا أعطيتكم
عطية فيها قضاء حقكم فلتم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدرنا ؛ فصرت
كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسفاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله مامنحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا
فتحنا لنا باباً حتى قرعناه ؛ ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك ولئن أغلقت

دوننا بابك لنسكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الغنيمة ، وحق في النية ؛ فالغنيمة ما غلبنا عليه ، والتي ما اجتيناها ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأنك منا زائر يحمله خف ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاي ، فإنك تُهز ولا تُتبع .

٥ وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجائبها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفمالها ، وبنو تيم بصديقتها وجوادها ، وبنو عدى بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم بأراثها ودهاتها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقربمها ، فمن ذا يُجلى في مضمارها ويجرى إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟

١٠ قال : أقول : ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ؛ إن بنا فتح الأمر وبننا يُحتم ، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك ، لانا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

ابن عباس وابن العاص

١٥ أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فترجعده الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هيئة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتني ولتيتني القصرة ، وكان بين عينيك دبرة ، وإذا كنت في ملأ من الناس كنت الهوّهة الهمة .

٢٠ فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقاً عليوه ، وهم أعظم الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً ، دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لافي بني هاشم رحلك ، ولا في بني عبد شمس راحلتك ، فأنت الأيم الزيم ، الضال

المضلُّ ، حلك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحمله ، وتسمو بكرمه .

قال عمرو : أما والله إني لمسرور بك ، فهل ينفعني عندك ؟

قال ابن عباس : حيث مال الحقُّ مِنَّا ، وحيث سلك قصدنا .

المدائني قال : قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية

- ٥ ابن أبي سفيان وبنى أمية ، وتناول بني هاشم ، وذكر مشاهدته بصفيين ، واجتمعت قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال

يا عمرو ، إنك بعث دينك من معاوية ، وأعطيته ما يدك ، ومَنَّكَ ما يد غيره

فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي

أعطيته ، وكلُّ راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر في يدك كذرها عليك

- ١٠ بالعدل والتنقص ، وذكرت مشاهدك بصفيين ، فوالله ما نقلت علينا يومئذ وطأتك ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان ، قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان ، يد لا تبسطها إلى خير ، وأخرى لا تقيضها عن شر ، ولسانٌ غادر ذو وجهين ، ووجهان وجه موحش ووجه مؤنس ، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن يطول عليها ندمه ، لك يان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قدرٌ وفيك حسد ، وأصغرُ عيب فيك أعظم عيب في غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما في قريش أنقل على مسألة ، ولا أمرٌ جواباً

منك ، ولو استطعت أن لا أجيئك لفعلت ، غير أني لم أبيع ديني من معاوية ،

ولكن بعثُ الله نفسي ولم أنس نصيبي من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية

- ٢٠ وأعطيته ، فإنه لا تُعلمُ العوانُ الخُمرةَ ، وأما ما أتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك لم يغيرني له ، وأما خفة وطأني عليكم بصفيين فليسا استنقلتم حياتي ، واستبطأتم

وفاتي ، وأما الجبن ، فقد علمت قريش أني أولٌ من يبارز ، وآخر من ينازل

وأما طول لساني فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

لساني طويلٌ فأحترس من شدَّاته ، عليك وسيفي من لساني أطولُ

وأما وجهاي ولساناي ، فإنني ألقى كل ذي قدر بقدره ، وأرى كل ناجح بحجره ،
فن عرف قدره كفاني نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسي ، ولعمري ما لأحد من
قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما ينفعني ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول :

بنو هاشمٍ مالي أراكم كأنكم • في اليوم جهالٌ وليس بكم جهلٌ
ألم تعلموا أني جسرٌ على الوغى • سريعٌ إلى الداعي إذا كثر القتلُ
وأقول من يدعو نزالٍ طيبةً • جُبلت عليها والطباعُ هو الجبلُ
وأني فصلت الأمر بعد أشباهه • بدومة إذ أعيا على الحكم الفصل
وأني لا أعيا بأمرٍ أريدُه • وأني إذا نجت بكاركم خلُّ

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا الأمر الذي نحن
فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ،
أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبورا ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ولكننا
نقول : ليتها لم تكن كانت ! فانظر فيما بقي بعين ماضى : فإنك رأس هذا الأمر
بعد علي ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشارور مأمون ، وأنت هو .

بجوابه بنو هاشم وبنو عبد شمس لابن الزبير

الشعبي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أم المؤمنين ، وحواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأفتيت بتزويج المتعة .

فقال : أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سُميت أم المؤمنين
وكنا لها خير بنين ؛ فتجاوز الله عنها ؛ وقاتلت أنت أبوك عليا ، فإن كان عليا
مؤمنا فقد ضللتكم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان عليا كافرا فقد بؤتكم بسخط من الله
بفراركم من الزحف ؛ وأما المتعة فإن عليا رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم رخص فيها ، فأفتيت بها ؛ ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها ؛
وأول يجرم سلع في المتعة يجرم آل الزبير .

مناظرة في مجلس
معاوية

- دخل الحسن بن عليّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؛ فلما جلس الحسن قال معاوية : يا أبا محمد ، أيهما كان أكبر ، عليّ أم الزبير ؟ قال : فقال : ما أقرب ما بينهما ، عليّ كان أسنّ من الزبير ؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير : رحم الله الزبير ، فتبسم الحسن ؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب : دع عنك عليا والزبير ؛ إن عليا دعا إلى أمر فأتبع وكان فيه رأساً ، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة ؛ فلما تراءت الفستان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه ، أو يدحض الباطل فيتركه ، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر ، فمرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه ، ومضى عليّ قدماً كما دته مع ابن عمه ونبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير ؛ فقال ابن الزبير : أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم ... قال : إنّ الذي تمّرض به يرغب عنك . وأخبرت عائشة عمّالتهما ، فرأى أبو سعيد بضائها فنادته : يا أحول يا خبيث ! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً ؛ فقال : إنّ الشيطان ليراك من حيث لا تراه ؛ فضحكت عائشة وقالت : لله أبوك ! ما أخبت لسانك .

الحسين ومعاوية

- الشعبي قال : دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره ، وقال : ترى هذا القاعد - يعنى ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف .

- قال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لكن إن شئت أعليك فضل الزبير على أيك أبي سفيان فعلت ، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن عليّ فقال :

- يا ابن الزبير ، إن مولاي ما يمنع من الكلام أن لا يكون طلق اللسان . رابط الجنان ؛ فإن نطق نطق بعلم ؛ وإن صمت صمت بحلم ؛ غير أنه كفت الكلام ، وسبق إلى السنان ، فأقرت بفضله الكرام ؛ وأنا الذي أقول :

فَمَ الْكَلَامِ لِسَابِقِ فِي غَايَةِ ۝ وَالنَّاسِ بَيْنَ مُقْتَضِرٍ وَمُبَلِّدٍ

إن الذي يجرى ليدرك شأوه . يُنمى بغير مُسوّدٍ ومُسَدِّدٍ

بل كيف يُدرك نورُ بدي ساطعٍ . خير الأنام وفرع آل محمد

فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان : أكثر الله في موالى الكرام مثلك .

فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ،

أو لكففنا عن جوابه إجلالا له ؛ ولا جواب لهذا العبد .

قال ذكوان : هذا العبد خير منك ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مولى القوم منهم » ؛ فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن العوام

ابن خويلد ؛ فمن أكرم ولاء وأحسن فعلا .

قال ابن الزبير : إني لست أجيب هذا ؛ فهات ما عندك .

فقال معاوية : قاتلك الله يا ابن الزبير . ما أعياك وأبغاك . أتفخر بين يدي أمير المؤمنين

وأبي عبد الله ؟ إنك أنت المتعدى لطورك ، الذي لا تعرف قدرك ؛ فقس شبرك

بفترك ؛ ثم تعرف كيف تقع بين عرائن بنى عبد مناف ؛ وأما والله لئن دفعت

في بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لقطعتك بأمواجها ، ثم لترمين بك في لججها ؛

فما بقاءك في البحور إذا غمرتك ، وفي الأمواج إذا بهزتك ؛ هنالك تعرف

بنفسك ؛ وتندم على ما كان من جرأتك ، وتُتمسى ما أصبحت فيه من أمان وقد

جبل بين العير والنزوان .

فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال أسألكم

بالله : أتعلمون أن أبي حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أباسفيان

حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن أمى أسماء بنت أبي بكر الصديق ،

وأمه هند آكلة الأكباد ؛ وجدى الصديق ، وجدته المشدوخ بيد رأس الكفر ؛

وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الحطب ؛ وجدتي

صفية ، وجدته حمامة ؛ وزوج عتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج

عته شر ولد آدم أبو لهب سيصلى ناراً ذات لهب ؛ وعالتي عائشة أم المؤمنين ،

وخالك أشقى الأشقيين ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية ؟

- وقال له معاوية : ويحك يا بن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رياسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قُذناك وسُدناك قديما وحديثا ، لا تستطيع لذلك إنكارا ، ولا عنه فرارا ، وإن هؤلاء الحضور ليُعلمون أن قريشا قد اجتمعت يوم الفخار على رياسة حرب بن أمية وأن أباك ٥ وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته غير مُنكرين لفضله ولا طامعين في عزله ، إن أمر أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية ؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتي لا أسرتك ، وبنى أبي لابني أيبك ، لجدته قريش أشد الجحود ؛ وأنكرته أشد الإنكار وجاهدته أشد الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ؛ فما ساد قريشا وقادهم ١٠ إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا ؛ فهدىكم تحت راية مهدينا ، وضالكم تحت راية ضالنا ؛ فنحن الأرباب ، وأتم الأذئاب ؛ حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام ؛ فكان في الجاهلية عظيماً شأنه ، وفي الإسلام معروفاً مكانه ؛ ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يُعطَ أحدٌ من آباءك ؛ وإن منادى ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؛ وكانت داره حرماً ، لدارك ولدار أيبك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر ؛ وفي الإسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصديق فتصديق عبد مناف سُمي صديقاً لابتصديق عبد العزى ، وأما ٢٠ مذكرت من جدى المشدوخ بيدر ، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طالب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفأوهم من بني أيبهم ، ففضى الله منيائهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك ؟ وأما عمك أم المؤمنين فينا شرفت وُسُمت أم المؤمنين ، وخالك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهي أدتُك من الظل ،

ولولا هي لكنت ضاحيا ؛ وأما ما ذكرت من عمك وخال أهلك سيد الشهداء ،
فكذلك كانوا رحمهم الله ، وغرهم وإرثهم لي دونك ، ولا غر لك فيهم ولا إرث
بينك وبينهم ؛ وأما قولك : أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أننا
أجود في الإزم ، وأحزم^(١) في القدم ، وأمنع للحرم ؛ لا والله ما أراك منتها
حتى تروم من بني عبد مناف مارام أبوك ، فقد طالبهم بالذحول وقدم إليهم
الخيول ، وخذعتهم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ
مددتهم على نساءكم الشجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف ، فلما
التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم يُنَجِّه ذلك أن طعن أبو الحسين بكلكلة طعن
الحصيد بأيدي العبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن خمشت برائثه ونالتك مخاليبه ،
وأيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بشقافها ، أو لتصيحن منها صباح أهلك بوادي
السباع ، وما كان أبوك المرهوب جانبه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أَكِيلَةَ سِرْحَانٍ قَرِيصَةَ ضَيْغَمٍ ۝ فَقَضَّضَهُ بِالكَفِّ مِنْهُ وَحَطَّأ

• • •

ابن الزبير
ومعاوية

نازع مروان بن الحكم يوما ابن الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع
مروان ؛ فقال ابن الزبير : يا معاوية ، إن لك حقا وطاعة ، وإن لك صلة
وحرمة ؛ فأطبع الله نطعك ؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ؛ ولا تطرق
إطراق الأفعوان في أصول السخبر .

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذكر له مروان - فقال : إن يطلب
هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ؛
وما أراكم بمُنْتَهَيْنَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا ترده مودة ،
يسومكم خسفاً ويوردكم تلقا .

قال ابن الزبير : إذا والله نُطِلق عقال الحرب بكتائب تموز كرجل
الجراد ، حافاتنا الأسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غطريفاً من قريش

(١) في بعض الاصول : « وأمضى » .

لم تكن أمه براعية ثلثة .

قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلتُ ذرورة السنام ، وشربت عنفوان المكَرَع ، وليس للأكل بعدى إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرثق .

٥ مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

ابن الناس
والحسن

وفد الحسن بن عليّ على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، إن الحسن لَفَتَةٌ ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم . ففعل ، فصعد المنبر وتكلم وأحسن ؛ ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخي . وإن أدري لعله فنة لكم ومتاع إلى حين . فساء ذلك عمراً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : ١٠
أبا محمد ، أتصف الرطب ؟ فقال : أجل ، تلعفه الشمال وتخرجه الجنوب ، وتُنضجه الشمس ، ويصبغه القمر . قال : أبا محمد ، هل تنعت الخراة ؟ قال : نعم ، تُبعد المشي في الأرض الصّخّص حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالقمّة والرّمّة - يريد الروث والعظم - ولا تبيل في الماء الراكد .

١٥

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب . فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ؛ فقال له مروان بن الحكم : اتذن له ؛ فإن أسأله ما ليس عنده فيه جواب . قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم قد ألهموا الكلام وأذن له ؛ فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، ويقال إنّ ذلك من الخرق ؛

مروان والحسن
في مجلس معاوية

٢٠

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكننا معشر بني هاشم أفواها عذبة شفاهاها ففساؤنا يُقبلن علينا بأنفاسهن وقبَاهن ؛ وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد ، ففساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم ؛ فإنما يشيب منكم

موضع العذار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بني هاشم خصلةً سوء .
قال : وما هي ؟ قال : الغلّة . قال : أجل ، نُزعت الغلّة من نساتنا ووضعت
في رجالنا ، ونزعت الغلّة من رجالكم ووضعت في نساتكم ، فما قام لامرئيه
إلا هاشمي ! فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأيتتم حتى سمعتم ما أظلم
عليكم بيتكم وأفسد عليكم مجلسكم .

نفرج الحسن وهو يقول :

وما زنتُ هذا الدهر نحسين حجّةً * ونحساً أزجى قائلاً بعد قائل
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جسيمها * ولا في الذي أهوى كدحت بطائل
وقد أشرعتُ في المنايا أكفها * وأيقنتُ أني رهن موتٍ بعاجل

١٠ قال الحسن بن علي الحبيب بن مسلمة الفهري : ربّ مسير لك في غير
طاعة الله ! قال : أما مسيري إلى أهلك فلا ! قال : بلى ، ولكنك أطعت
معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ،
ولو كنت إذ فعلتَ شراً قلتَ خيراً كنت كما قال الله عز وجل : ﴿ تَخْلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا ﴾ ، ولكنك كما قال الله : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

١٥ قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان ، فقال له يحيى بن الحكم :
ما فعلتُ خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ! بسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة
وتسميها خبيثة ؟ لقد اختلفتا في الدنيا وستختلفان في الآخرة ! قال يحيى : لأن
أموت بالشام أحب إليّ من أن أموت بها ! قال : اخترت جوار النصراني على
جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحيى : ما تقول في عليّ وعثمان ؟
٢٠ قال : أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما : ﴿ إن تعدّ بهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

ابن جعفر وابن
الحكم في مجلس
عبد الملك

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

قال معاوية يوماً وعندده الضحّاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو
ابن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

معاوية والضحّاك
وابن العاص

قال الضحّاك بن قيس : إكدا؛ العاقل وإجداه الجاهل . وقال سعيد بن
العاص : أعجب الأشياء ما لم يُر مثله . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء
○ غلبة من لاحق له ذا الحقّ على حقه . وقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطى
من لاحق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

حضر قوم من قريش مجلس معاوية ، فهم عمرو بن العاص ، وعبد الله
ابن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ؛ فقال عمرو : أئخذ الله
يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من ينضى على القذى ، ويتصام عن العوراء ،
○ ويحزّ ذيله على الخدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لمسنا إليه الضر أو ديننا
إليه الحمر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر . قال معاوية :
يا معشر قريش ، حتى متى لا تُتصفون من أنفسكم ؟ . قال عبد الرحمن بن الحارث :
إن عمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك . لو أغضيتَ عن هذه . قال : إن عمراً لي
ناصح . قال عبد الرحمن : فأطعمنا مثل ما أطعمته ، وخذنا بمثل نصيحتة ؛ إنا
○ رأيناك يا معاوية تضرب عوام قريش بأياديك في خوارصها ، كأنك ترى ، أن بكرامها
جاروك دون لنامها ، وإنا والله لنفرغ من إناء فعم في إناء ضخم ، وكأنك بالحرب
قد حلّ عقابها عليك من لا ينظر لك . قال معاوية : يا ابن أخي ، ما أحوج أهلك
إليك ؛ فلا تفجعهم بنفسك ؛ ثم أئشد :

معاوية وقوم
من قريش

٢٠ أعزّ رجالاً من قريش تناجوا . على سفة ، منى الحيا والتكرم

وقال معاوية لابن الزبير : تُتنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني ؛ قال :
لم لا أكون أحق به منك يا معارية ، وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

معاوية وابن
الزبير

على الإيمان واتبع الناسُ أباك على الكفر؟ قال له معاوية: غلظت يا ابن الزبير بعث الله ابن عمي نبيا فدعا أباك فأجابهُ: فما أنت إلا تابعٌ لي، هذا لا كنتُ أو مهديًا.

معاوية ومروان
وابن العاص في
الحسين

العنبي قال: دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له: أشر على في الحسين. قال: تخرجه معك إلى الشام، فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه. قال: أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رجلي! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص، فقال له: يا أبا عثمان، أشر على في الحسين. فقال: والله إنك ما تخاف الحسين إلا على من بعدك، وإنك لتخطف له قرنا إن صارعه ليصرعه، وإن سابقه ليسبقته؛ فذُر الحسين منبت النخلة، يشرب من الماء، ويصعد في الهواء، ولا يبلغ إلى السماء! قال: فما غيبك عنى يوم صفين؟ قال: تحملت الحرم، وكفيت الحزم، وكنت قريبا لو دعوتنا لأجبنك^(١)، ولو نُلت لرقعتك! قال معاوية: يا أهل الشام، هؤلاء قومي وهذا كلامهم.

مجاوبة بين بنى أمية

ابن سعيد وابن
عتبة في حاضرة
معاوية

قال: لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وكان وليهم بعد الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان، قال عمر بن سعيد لمعاوية: إن الوليد بن عتبة هو الذي أمر أهل المدينة بإخراجي؛ فأرسل إليه وتوثقه. فأرسل إليه معاوية، فلما دخل عليه قال له عمرو: أوليد، أنت أمرت بإخراجي؟ قال لا ورجحك أبا أمية، ولا أمرت أهل الكوفة بإخراج أهلك؛ بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك، إلا أن تكون عصيت الله فيهم؟ إنك لتحل عُرى ملك شديدةً عقدتها، وتمترى أخلاف فيقةً سريعةً درتها؛ وما جعل الله صالحا مصلحا كفاسدٍ مفسد!

معاوية وخالد بن
عبد الله في
أموال العراق

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد،

(١) في بعض الأصول: لا طعنك.

- وعند رجله أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ؛ لا ما فعل هذا - وأشار إلى خالد - استعملته على العراق فاستعمل كل مُلَطِّ فاسق فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ، واستعملت هذا على خراسان - وأشار إلى أمية - فأهدى إلى رذونين حَطْمَيْن ، فإن استهملتكم ضيعتم وإن عزلتكم قاتم استخف بنا وقطع أرحامنا ؛ فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهله رجلاً : سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنما جزبناه يزيداً ودأ إلى وده ، وأما المبغض المكاشح ، فإنما داربناه ضخته وسللنا حقه ، ودثرنا لك المودة في صدور رعيته ؛ وإن هذا سجي الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ؛ فيوشك أن تثبت البغضاء فلا أموال ولا رجال ؛ فليأخر ابن الأشعث قال عبد الملك : هو والله ما قال خالد .

- قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام ، فأنى عمته آمنة بنت سعيد ابن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه فرآه فقال له : ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه يعرض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح ، فكبحوا أمك ، وسلبوك ملكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليه . يعني الكيمياء ، وكان يعملها .

خالد بن يزيد
ومحمد بن عمرو

- لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاهها عبد الله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ما حشوا جبتك يا عمرو ؟ قال : أنا ؛ قال : قد علمت أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن اللقاح درت بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أعجفتم أولادها .

عثمان وابن العاص
بعد عزله عن مصر

- وقع بين ابن عمر بن عبد العزيز وابن سليمان : بن عبد الملك كلام . فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان : إن شئت فأقل وإن شئت

ابن عمر بن
عبد العزيز وابن
سليمان

فأكثر؛ ما كان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبي إلا أن سليمان هو ولي عمر
ابن عبد العزيز .

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا عند هشام ،
فذكروا الوليد بن يزيد ، فخمقوه وعابوه ، وكان هشام يبغضه ؛ ودخل الوليد ،
فقال له العباس بن الوليد : كيف حبك للروميات ؟ قال : إن أباك كان
مشغولاً بهن . قال : إني لأحمن . [قال] : وكيف لا يحبهن وهن يلدن مثلك ؟
قال : آسكت ، فلست بالفعل يأتي عشبه بمثلي . قال له هشام : يا وليد ، ما شرايبك ؟
قال : شرايبك يا أمير المؤمنين . وقام فخرج ، فقال هشام : هذا الذي تزعمون
أنه أحق .

وقرب إلى الوليد بن يزيد فرسه ، فجمع جراميزه ووثب على سرجه ، ثم
التفت إلى وليد لهشام بن عبد الملك ، فقال : يحسن أبوك أن يصنع مثلاً هذا ؟
قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه في الجواب .

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقالت :
والله لا تزوجني أبو الذباب ! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى :
أما والله لقد تزوجت أسوداً أفوه ! قال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت
منك ! وكان عبد الملك ردىء الفم ، يدمى فيقع عليه الذباب ، فسمى
أبا الذباب .

الجواب القاطع

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إني لأبغض هذه
الوجوه . قال له سعيد بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ! قال : صدقت ،
ولكن الأنصار والمهاجرون قتلوا أباك !

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ! قال له :
أدخل الله أشدنا بنصاً لصاحبه الجنة .

العباس بن الوليد
والوليد بن يزيد

الوليد بن يزيد
وولد له هشام

عبد الملك ويحيى
ابن الحكم وبنو
عبد الرحمن بن
هشام

ثابت بن عبد الله
وسعيد بن عثمان

الحجاج وخارجي

- عمر بن
معديكرب
وباهلي
- وقال ابن الباهلي لعمر بن معديكرب : إن مُهْرَكَ لمُقرِف . قال : هجينٌ
عرف هجيناً مثله .
- الحجاج وخارجية
- وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عدّاً ولاحصدتنكم حصداً !
قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق !
- وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابها : ما تقولون فيها ؟ قالوا :
عاجها القتل أيها الأمير ، قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من
وزرائك يا حجاج ! قال لها : ومن صاحبي ؟ قالت : فرعون ؛ استشارهم في موسى
فقالوا : أرجه وأخاه !
- زياد وخارجي
- وأتى زيادُ برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين ؟
قال أما الذي تسميه أمير المؤمنين فهو أمير المشركين ، وأما أنت فما أقول في
رجل أوله لزنبة وآخره لدعوة ! فأمر به فقتل وصلب .
- الأشعث وشريح
- قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت
ذلك ضربك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .
- ابن الفضل
وبعض قرابته
- نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يابن الزنديق ! قال له :
إن كان أبي كما تقول وأنا مثله . فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ؛ إذ كان
لا يرث ديناً ديناً .
- الحجاج وخارجية
- وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها
الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إنى لأستحي أن أنظر إلى من
لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .
- عثمان وعلي
- لقي عثمان بن عفان عليّ بن أبي طالب ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ، فسكت
عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟ قال : له علي : ليس لك عندي إلا
ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره
- وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت

الأحنف ؛ فقال له : مالك لا تقول أبا بجر ؟ قال : أخافك إن صدقتُ وأخاف الله إن كذبتُ !

قال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله فضل قريشاً بثلاث : فقال لبيبة عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ، فنحن قومه ؛ وقال : ﴿ لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ، ونحن قريش ! فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِقَوْمِكَ ﴾ ، وأتم قومه ؛ وقال : ﴿ وَمِمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ وأتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ، وأتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك ! فأخمه .

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

مجاوبة الأمراء والرد عليهم

قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهلك على أهلك إذ سموك جارية .
قال : ما كان أهلك على أهلك إذ سموك معاوية ، وهي الأثى من الكلاب .
قال : لا أم لك ! قال : أمي ولدتي للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا . قال :
إنك لتهددني ! قال : إنك لم تفتنحنا قسرا ولم تملكنا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقاً وأعطيناك سمعا وطاعة ، فإن وفيت لنا وفيتنا لك ، وإن فرغت إلى غير ذلك ، فإننا تركنا ورامنا رجلا شادا وألسنة حدادا .

قال له معاوية : لاكثر الله في الناس أمثالك . قال جارية : قلُ معروفاً
وراعياً ؛ فإن شر الدعاء المحتطب .

معاوية
والأحنف

عند معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
لم ترد الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين
جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددت فتراً من غدر
لنمدن باعاً من ختر ؛ ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفو حلك . قال :
فإني أفعل !

معاوية وعدى

قال معاوية لعدي بن حاتم : ما فعلت الطرفات يا أبا طريف ؟ يعني أولاده ؛
قال : قتلوا ! قال : ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قتل بنوك معه وبقى له بنوه !
قال : لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعده ! قال له معاوية : ألم تزعم أنه
لا يُخفق في قتل عثمان عز ؟ قال : قد والله خفق فيه التيس الأكبر . قال معاوية :
أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها ! قال عدى : لا أبالك ! شِم
السيف ، فإن سلّ السيف يسُلّ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال :
اجعلها في كتابك فإنها حكمة .

الأحنف وشاع
لعن علياً

الشياني عن أبي الجناح الكندي عن أبيه ، أن معاوية بن أبي سفيان بينما
هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيباً ،
فكان آخر كلامه أن لعن علياً ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير
المؤمنين ، إلى هذا القائل ما قل أنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم ،
فاتق الله ودع عنك علياً ، فقد لقي ربّه ، وأُفرد في قبره ، وخلا بعمله ؛ وكان
والله - ما علمنا - المبرز بسبقه ، الطاهر خلقه^(١) ، الميمون نقيته ، العظيم مصيئته
فقال له معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين دلي القذى ، وقلت ما ترى ! وأيم
الله لتصدنّ المنبر فلعننّه طوعاً أو كرها ، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين ،
إن تعفى فهو خير لك ، وإن تجبّرتني على ذلك فوالله لا تجرى فيه شفتاي أبداً !

(١) في بعض الأصول : « ثوبه » .

قال : قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل . قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني ؟ قال : أصددُ المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا ، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقْتلَا ، وادعى كل واحد منهما أنه بُني عليه وعلى فئته ؛ فإذا دعوتُ فأقنوا رحمكم الله . ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكك وأنبيائك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه ؛ وآلِ العنِ الفئة الباغية ؛ اللهم العنهم لعنا كبيرا ! أقنوا رحمكم الله . يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي ؛ فقال معاوية : إذا نُعيتك يا أبا بجر .

١٠ وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن علياً قد فطمك ووصلتك ؛ ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر ! قال : أفعل ، فأصدد ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل ، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بني وبينه . قال : والله لازدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم .

الهيثم بن عدي قال : قال معاوية لأبي الطفيل : كيف وجدك على علي ؟ قال : وجدُ ثمانين مثكلاً ! قال : فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسى ، وللى الله أشكو التقصير !

٢٠ وقال مرة أخرى : أبا الطفيل ! قال : نعم . قال : أنت من قنلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكنني ممن حضره ولم ينصره . قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره . قال : لقد كان حقه واجبا وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبي بدمه نصره له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان

كما قال الشاعر :

لأعرفنك بعد الموت تمدُّبني هـ وفي حياتي ما زودتني زاداً

معاوية وابن
الخطل

العبي قال : سعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن عمر ولاني أمراً من أمره ، فوالله ما غششته ولا خنته ثم ولاني الأمر من بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً ؛ فأحسنت والله وأسأت ، وأصبت وأخطأت ؛ فمن كان يجهلني فإني أعرفه بنفسي . فقام إليه سلمة بن الخطل العرجي ؛ فقال : أنصفت يا معاوية وما كنت منصفاً . قال فغضب معاوية وقال : ما أنت وذاك يا أحذب ؟ والله لكأني أنظر إلى بيتك بمهتعة ، وبطُنب تيس ، وبطُنب بهمة ، بفنائه أعز عشر ، يحتلبن في مثل فوارة حافر العير ، تهفو الريح منه بجانب ، كأنه جناح نسر . قال : رأيت والله ذلك في شر زماننا إلينا ، ووالله إن حشوه يومئذ لحسب غير دنس ؛ فهل رأيتني يا معاوية أكلت مالا حراماً أو قلت امرأً مسلماً ؟ قال : وأين كنت أراك وأنت لا تدبُّ إلا في خمر ؟ وأي مسلم يعجز عنك فقتله ؟ أم أي مال تقوى عليه فأكله ؟ اجلس لا جلست . قال : بل أذهب حتى لا ترائي . قال إلى أبرد الأرض لا إلى أقربها . فغضى ، ثم قال معاوية : رُدَّوه عليّ ، فقال الناس : يعاقبه ! فقال له : أستغفر الله منك يا أحذب ، والله لقد بررت في قرابتك ، وأسليت لحسن إسلامك ، وإن أباك لسيد قومك ؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد .

١٠

١٥

٢٠

الأوزاعي قال : دخل خريم الناعم على معاوية ، فنظر إلى ساقه فقال : أي ساقين . لو أنهما على جارية . قال في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادي أظلم .

معاوية وخريم
الناعم

دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أما وجدت لك أمك أسماً إلا عطاء ؟ قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرت به يا أمير المؤمنين ، ألا سميتني باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

عبد الملك وعطاء

قال معاوية لصحار بن العباس العبدى : يا أزرق . قال : البازي أزرق . قال :

معاوية وصحار

يا أحمـر . قال : الذهب أحمـر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس ؟ قال : شئ ؟
يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد . قال : فما البلاغة عندهم ؟
قال : أن تقول فلا نخطئ ، ونجيب فلا نُبطئ .

ابن عامر وابن
حازم

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يابن عَجَلَى . قال : ذاك اسمها .
٥ قال : يابن السوداء . قال : ذاك لونها . قال : يابن الأمة . قال : كل أثنى أمة فاقصد
بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإمام قد ولدك .

عبد الملك وابن
ظبيان

دخـل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك :
ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لانشبه أباك
قال : والله لأننا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على
١٠ من لم يشبه أباه . قال : من هو ؟ قال : من لم تُنضج الأرحام ، ولم يولد لتمام ،
ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف .
وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه ولد لسته أشهر .

هشام وزيد
ابن علي

دخـل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا يقعد فيه : فعلم أن
ذلك فعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد
١٥ يا أمر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد : إنه لا يكبر أحدٌ فوق تقوى الله ، ولا يصغر
دون تقوى الله . قال له هشام : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛
إنك أبر أمة . قال : زيد : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب
إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة
من صُلبه خير البشر محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أخرج من صلبه
٢٠ القردة والخنازير وعبد الطاغوت . قال له : قم . قال : إذن لا تراني إلا حيث
تكـره . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حاجبه :
لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

وقال زيد بن علي :

شردّه الخوف وازرى به . كذاك من يكره حرّ الجِلادِ

تُخَنِّي الرَّجُلَيْنِ يَشْكُو الْوَجَا . تَفْرَعُهُ اطْرَافُ مَرْوٍ جِدَادُ
 قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ . وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

ثم خرج بخراسان ، فقتل وصلب في كناسة . وفيه يقول سُديف بن ميمون
 في دولة بني العباس :

• واذكروا مَقْلَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا . وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمِهْرَاسِ
 يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأحد .

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان : فقال : زُيْرِي . والله
 لا يجيبك قلبي أبدًا . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع من الحب النساء ، ولكن
 عدل وإنصاف .

عبد الملك
 ورجل من قيس

١٠ وقال عمر بن الخطاب لأبي مرثم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب : والله لا يجيبك
 قلبي أبدًا حتى تحب الأرض الدم . قال : يا أمير المؤمنين ، فهل تمنعني لذلك حقا ؟
 قال : لا . قال : لحسي .

عمر بن الخطاب
 وأبو مرثم

١٥ دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال : على امرئ أوطأك
 رسنّه وسلطك على الأمة لعنة الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والامرئ مدبرعني
 ولو رأيتني والامرئ مقبل على لعظم في عينك ما استصغرت مني . قال : أتظن
 الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج
 يأتي يوم القيامة بين أهلك ، وأخيك فضعه من النار حيث شئت .

سليمان ويزيد
 ابن أبي مسلم

وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغني أن كندة تدّعيك . قال :
 لا خير فيمن لا يتقى رهبة ولا يدّعي رغبة .

مروان وزفر

٢٠ قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلَيْجَةَ : إني أظنك أحق . قال : [أحق] ما يكون
 الشيخ إذا عمل بظنه .

مروان وابن
 دلجة

وقال مروان لحويطب بن عبد العزّي ، وكان كبيراً مُسنّاً . أيها الشيخ ، تأخر
 إسلامك حتى سبقك الأحداث . فقال : الله المستعان ، والله لقد همدت بالإسلام

مروان
 وحويطب

غير مرة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ، ويقول : يضع من قدرك أن تترك دين آباءك لدين محدث ، وتصير تابعا فسكت مروان .

عبد الملك وثابت
ابن عبد الله

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ما كان أعلم بك حيث كان يشتمك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان يشتمني أنى كنت أنهاه أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة ؛ فإن الله لا ينصر بهما ؛ أما أهل مكة فأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فأذوه حتى سيرهم - يعرض بالحكم بن أبي العاص طريد النبي صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه . قال له : عليك لعنة الله .

معاوية والبراءة
من علي

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من علي ؛ فقال له رجل من بني تميم : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى زياد فقال : هذا رجل فاستوص به .

معاوية
والأنصار

قال معاوية يوما : يا معشر الأنصار ، بيم تطلبون ما عندي ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا معي علي ، ولقد فلتتم حدثي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلتظي من أنسنتكم ، ولقد هجوتموني [في أسلافي] بأشد من وخز الأسل ، حتى إذا أقام الله منّا ما حاولتم ميله ، قلتم آزع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . هيهات . يا أبي الحقيق العذرة .

فأجابه قيس بن سعد ، قال أما قولك جنتك نطلب ما عندك ، فبالإسلام الكافي به الله ماسواه ، لا بما نمت إليك به من الأحزاب ؛ وأما استقامة الأمر ، فعلى كره منا كان ؛ وأما قلنا حدثك يوم صفين ، فأمرنا لا نعتذر منه ؛ وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتها عنك ؛ وأما هجاؤنا إياك ، فقول يثبت حقه ويحول باطله ؛ وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمن بها يحفظها من بعده ؛ وأما قولك يا أبي الحقيق العذرة ، فليس دون الله يد تصجزك منا ؛ فدونك أمرك يا معاوية ؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر .

يا لك من قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ هـ خَلَالِكَ الْجَوْ فَيُضِي وَأَصْفِرِي

- وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا
وفي حلفائنا من ربيعة . قال سليمان : الذي تحالفتما عليه أعزُّ منكما .
سليمان وابن
المهلب
- مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، فقزوا
وثبت ابن الزبير ؛ قال له عمر : كيف لم تفرَّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم
فأخافك ، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسَّع لك !
عمر بن الخطاب
وعبد الله بن الزبير
- وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقتت عينك ؟ قال : يوم
قتل أبوك ، وهربت عن خالتك ، وأنا للحق ناصر ، وأنت له خاذل . وكان
فقتت عينه يوم الجمل .
عبد الله بن الزبير
وعدي بن حاتم
- وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ؟ قال : نعم ،
ولكن منابرهم الجذوع .
الرشيد وابن
مزيد
- كان المسور بن مخرمة جليلا نبيلًا ، وكان يقول في يزيد بن معاوية إنه يشرب
الخر ؛ فبلغه ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلبه الخمر ، ففعل ، فقال
المسور في ذلك :
يزيد بن معاوية
والمسور
- أيشربها صرْفًا يفض ختامها • أبو خالدٍ ومجلد الخمر مسورٌ
قال المأمون ليحيى بن أكرم القاضي : أخبرني من الذي يقول :
قاضي يرى الخمر في الزنا ولا • يزي على من يلوطن من بأس
قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :
المأمون وابن
أكرم
- لا أحسبُ الجورَ ينقضى وعلى الأ • مائة وال من آل عباس
قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم . قال : يُبنى إلى السند . وإنما مرخنا معك .
قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاع : أنشدني قولك في الخمر :
سليمان وابن
الرقاع
- كُميت إذا سُجَّت ، وفي الكأس وردة • لها في عظام الشارين ديبٌ
تريك القدي من دونها وهي دونه • لوجه أخبها في الإناء قطوب
فأنشده ؛ فقال له سليمان : شربتها ورب الكعبة ! قال عدي : والله

يا أمير المؤمنين ، لئن رأيتك وصفي لما قد رايتي معرفتك بها ، فضاحا
وأخذا في الحديث .

الإصمعي قال : لما ولي بلال بن أبي بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان ، فقال :

بلال وخالد بن
صفوان

• صحابة سيفٍ عن قليل تقشعُ •

• فبلغ ذلك بلالا فدعا به ، فقال : أنت القاتل ؟

• صحابة سيفٍ عن قليل تقشع ؟ •

• أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شويوب بردا فضره مائة سوط .

وكان خالد يأتي بلالا في ولايته ، وينشأه في سلطانه ، ويفتأه إذا غاب عنه .
ويقول ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في بيت أبي الزرد الخنفي من الجوهر .
وأبو الزرد رجل مفلس .

عتبة وخالد
القمري

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله
القمري بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرض به :
إن هاهنا رجلا يدانئون في أموالهم ، فإذا قنيت يدانئون في أعراضهم ، فلم
القمري أنه يعرض به : فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجلا تكون أموالهم
أكثر من مروءاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ؛ ورجالا تكون مروءاتهم أكثر
من أموالهم ، فإذا نفدت اذناوا على سعة ما عند الله ، ففجل خالد وقال :
أما إنك منهم ما علمت .

شريك والربيع

كان شريك القاضي يشلحن الربيع صاحب شرطة المهدي فحمل الربيعُ
المهدي عليه ، فدخل شريك يوما على المهدي ، فقال له المهدي : بلغني أنك
وُلدت في قوصرة . فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان ، والقواصر هناك
عزيزة ، قال : إني لأراك فاطميا خبيثا ، قال : والله إني لأحب فاطمة وأبافاطمة .
صلى الله عليه وسلم : قال : وأنا والله أحبهما ؛ ولكني رأيتك في منامى مصروفا
وجهك عنى ، وما ذاك إلا لبعضك لنا ؛ وما أراي إلا قاتلك لأنك زنديق ، قال :
يا أمير المؤمنين ؛ إن الدماء لا تسلك بالأحلام ؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك بأني زنديق ، فإن للزنادقة علامة يُعرفون بها .
قال : وما هي ؟ قال : بشرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ،
وأنت خير من الذي حملني عليك .

عمر بن الخطاب
وإبن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد سرت
سيرة عاشق . قال : والله ما تأبطنني الإمام ولا حملني البغايا في عُبرات المآلى !
قال عمر : والله ما هذا جواب كلامي الذي سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص
في الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طرقتها . وقام عمر فدخل ،
فقال عمرو : لقد فحش علينا أمير المؤمنين !

وتزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أئام لم يُر
مثله ، وإلى آلات لم ير مثلها ، وأراد أن يُرى الناس عظيم ما فتح الله عليهم ،
ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بدار فخرشت وفي صحنها قدور
أشبات تُرتقى بالسلام ؛ فإذا الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعة الرقاشي قد
أقبل والناس جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة : ائذن لي في كلامه . فقال : لا ترده فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله
إلا أن يأذن له . وكان عبد الله يصعّف ، وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة
قبل ذلك ؛ فأقبل على الحصين فقال : أمين الباب دخلت يا أباساسان ؟ قال :
أجل ، ضعف عمك عن تسوّر الحيطان ! قال : رأيت هذه القدور ؟ قال :
هي أعظم من أن لا تُرى . قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها . قال :
أجل ، ولا عيلان ؛ ولو كان رأها سُمى شعبان ، ولم يسمّ عيلان ! قال له عبد الله :
أتعرف الذي يقول :

عزلنا وأمرنا ، وبكر بن وائل * تجزّ خُصاها بتغنى من تُحالفُ

قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وتحية من يخيب على غني * وباهلة بن يعصر والرباب

يريد : يا خيبة من يخيب .

قال : أنعرف الذي يقول :

كَأَنَّ قِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِيسَمٍ . إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

قال : نعم ، وأعرف الذي يقول :

قَوْمٌ قَتِيئَةٌ أُمَّهُمُ وَأَبُوهُمُ . لَوْلَا قَتِيئَةٌ أَصْبَحُوا فِي تَجْهِيلٍ

قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ منه

الأكثر : (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) . قال :

فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحَضِينِ حُمِلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ حَبْلِي مِنْ

غَيْرِهِ ! قال : فأنحزك الشيخ عن هيئته الأولى ؛ ثم قال على رِسله : وما يكون ؟

تلد غلاماً على فراشي فيقال فلان بن الحَضِينِ ، كما يقال عبد الله بن مسلم ! فأقبل

قَتِيئَةً عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : لَا يَبْعُدُ اللَّهُ غَيْرَكَ !

والحَضِينِ هذا هو الحَضِينِ بن منذر الرقاشي ، ورقاش أمهم ، وهو من

بنِي شِيَّانِ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وهو صاحب لواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى

عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول علي بن أبي طالب :

لَمَنْ رَأَيْتَ سُودَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا . إِذَا قِيلَ قَدَمَاهَا حَضِينٌ تَقَدَّمَا

يَقْتَمَاهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزِيرَهَا . حِيَاضُ الْمَنَابِيَا تَنْظُرُ السُّمَّ وَالذَّمَا

جَزَى اللَّهُ عَنِي وَالْجَزَاءُ بِفَضْلِهِ . رَيْبَةُ خَيْرٌ مَّا عَافَ وَأَكْرَمَا

ابن الجارود
وابن العاص

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمر بن العاص : أي رجل أنت لو لم تكن

أنتك ! من هي ؟ قال : أحد الله إليك ؛ لقد فكرت فيها البارحة ، فجعلت أنقلها

في قبائل العرب فما خطرت لي عبد القيس بيال .

ابن صفوان
وداري

قال خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من

قريش . فقال له خالد : لقد هشمتهك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ،

وجمعتك جمع ، وسهمتك سهم ؛ فأنت ابن عبد دارها ، تفتح الأبواب إذا أغلقت ،

وتغلقها إذا فتحت .

جواب في هزل

- كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة ، جدتي يوضع على مائدته ،
 لحضره أعرابي ، فديده إلى الجدى وجعل يسرع فيه ؛ فقال له المغيرة : إنك لنا كله
 يجرّد كأن أمه نطحتك ا قال : وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .
- المغيرة وأعرابي
 يؤكله
- كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن
 عنبسة بن سفيان بن العاص ، أحمرا الجبة والمطرف والعمامة ؛ فقال إبراهيم : هذا
 ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون ا قال : فضحك هشام ؛ قال له عبد الرحمن :
 ما أضحكك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره بقول إبراهيم ؛ قال له عبد الرحمن : لولا
 ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجته ؛ قال : وما تخاف من غضبه ؟
 قال : بلغنى أن الدجال يخرج من غضبه يعضها . وكان إبراهيم أعور ا قال إبراهيم
 لولا أن له عندى يدأ عظيمة لأجته ا قال : وما يده عندك ؟ قال : ضربه غلام له
 بمدية فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لا يدخل عليه بملوك إلا قال له : أنت
 حُرّ ا فدخلت عليه عائدا له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لى : أنت حر ا قلت له :
 أنا إبراهيم ا قال لى : أنت حُرّ ، فضحك هشام حتى استلقى .
- ابن عنبسة
 وإبراهيم في
 حضرة هشام
- قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبي سفيان بن ثابت : لو أصبت ركوة مملوءة
 خمرًا بالبقيع ما كنت صانعا ؟ قال : كنت أعزفها بين التجار ، فإن لم تكن لهم فهي
 لك ا لكن أخبرنى عن الفريضة أهى أكبر أم ثابت ، وقد تزوجها قبله أربعة ،
 كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى ، فقيل لها : يا فريضة ، لم تطلقين وأنت
 جميلة حلوة ؟ قالت : يريدون الضيق ضيق الله عليهم ... ا
- ابن حسان وعطاء
- ولقى رجل من قريش كان به وضع جاربية من بدر وكان مغرماً بالشراب ؛ فقال
 لها : أشعرتِ أنه بُعث نبيٌّ لهذه الأمة يُحل الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لا تصدق به حتى
 يرى الآكه والابرص ا
- جارية وقريش
- دخل الزبرقان بن بدر على زياد ، فلم تسلها جافياً ، فأدناه زياد وأجلسه
- الزبرقان وزياد

معه ؛ ثم قال له : يا أبا عباس الناس يضحكون من جفائك ! قال : ولم يضحكوا ؟
فوالله إن منهم رجل إلا ودّ أنّ أبوه دون أبيه ، لغيّة كان أو لرشدة !
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال :
يا أبا فراس ، أتدري ممّ يضحكون ؟ قال : لا أدري . قال : من جفائك . قال :
أصلح الله الأمير . حججتُ فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأة آخذة
بمزره وهو يقول :

أنت وهبت زائداً ومزبداً ، وكهلةً أولج فيها الأجرداً !

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : بمن الرجل ؟ قال : من الأشعريين . فإنا
أجنى من ذلك الرجل ؟ قال : لا حياك الله ! فقد علمت أنا لا أنفك منك .

اجتمع كوسج مع رجل مُسبِل ، فقال المسبِل : لا وَاللَّهِ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ تَبَاتُهُ كوسج ومَسْبِل
يَاذِنُ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً) ! قال الكوسج : (قَالَ لَا يَسْتَوِي
الْخَيْثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ) !

مرسلة بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بموسوس على مزبلة ؛ فقال
الموسوس : لو رآك أبوك آدم لقرت عينه بك . قال له مرسلة : لو رآك أبوك آدم
لأذهب سخنة عينه بك قرّة عينه بي . وكان مرسلة من أحضر الناس جواباً .

خرج إبراهيم النخعي ، وقام سليمان الأعمش يمشي معه ؛ فقال إبراهيم : إن الناس
إذا رأونا فإنا : أعور وأعمش ! قال : وما غلبك أن يأنمرا وتؤجر ؟ قال :
وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، قلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال :
لسيد الحى يا أصلع ! قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لي : الحق أغضبك . قلت :
أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع .

أدخل مالك بن أسماء السجن ، من الكوفة ؛ فجلس إليه رجل من بني مرة
فاتكأ عليه المرى يحدثه ؛ ثم قال : أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية ؟ قال : أما في

ابن أسماء في
سجن الكوفة

الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام قال : ومن قتلنا منكم في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتي بنتي إنطيك ا

نميرقني يوم ربح مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ربح ، فقال رجل منهم : إنها لرشحاء ا قالت : والله يا بني نمير ما أطعمتم الله ولا أطعمتم الشاعر ؛ قال الله تبارك وتعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) . وقال الشاعر :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

قيل لشريح : أيها أطيبُ : الجوزنيق أم الأوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب . لشريح

هشام بن القاسم قال : جعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من هشام والفرزدق

الكهل ؟ قال : وما تعرفني ؟ قلت : لا ا قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس

قال : الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت :

لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعلُه النساءُ عندنا يتشبهون به كهية السويق . قال :

الحمد لله الذي جعلني في بطون نساتكم يتشبهون بي ا

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبى : زوجني امرأة من كلب . فزوجته ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ا قال : يا أمير المؤمنين ، نساء الكلبى

١٥ كلب خلقت لرجال كلب .

وقال له يوماً وهو يتغذى معه : يا أبرش ، إن أكلك أكلت معدى قال :

هيات ، تأبى ذلك قضاة .

عمارة عن محمد بن أبي بكر البصرى قال : لما مات جعفر بن محمد قال عمارة وشيطان الطاق

أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامك . وذلك عند المهدي ؛ فقال شيطان

٢٠ الطاق : لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ا فضحك المهدي

من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

العتبي قال : حدثني أبي لما افتتح النجير ، وهي مدينة باليمن : سمع رجلاً من نساء كندة

كندة رجلاً وهو يقول : وجدنا في نساء كندة سعة ا فقال له : إن نساء كندة

مكاحل فقدت مَرَاوِدَهَا .

- لقي خالد بن صفون الفرزدق ، وكان كثيراً ما يداعبه ، وكان الفرزدق
ابن صفوان
والفرزدق
دعياً ؛ فقال له . يا أبا فراس ، ما أنت بالذي (لما رأيتُهُ أكبرته وقطعتُ أيديهِنَّ)
قال له : ولأنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لآبيها : (يا أبتِ أستاَجِرُهُ إنَّ
خَيْرَ منِ أستاَجِرَتِ القويِّ الأمينُ) .
- ٥ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال للمشتري : أما والله لقد أخذتها
كثيرةً المثونة قليلة المعونة . قال له المشتري : وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع
سريعة الاقتراق !
- واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك
الذراع بعشرة دنانير ! قال له البائع : وأنت لو صبرت لاشتريت منك
الذراع بدرهم ! ١٠
- وكان بارقة رجل يحدث بأخبار بني إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة :
بقره بني إسرائيل
كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟ قال حنتمة ! فقال له رجل من ولد أبي موسى
الاشعري : أين وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص .
- وقال رجل للشعبي : ما كان اسمُ امرأةِ إبليس ؟ قال : إن ذلك نكاحُ
الشعبي
ما شهدناه ! ١٥
- ودخل رجل على الشعبي ، فوجده قاعداً مع امرأة : فقال : أيكما الشعبي ؟ قال
الشعبي : هذه ! وأشار إلى المرأة .
- كان معن بن زائدة ظنياً في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار
معن بن زائدة
وكتب إليه : قد بعثنا إليك بألف دينار ، اشتريتُ بها منك دينك ؛ فاقبض
المال واكتب إلى بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعثتُ به ديني
٢٠
خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه !
- بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة المروزي ، فلما أتى قال : أتدري
ابن أبي بردة
والمروزي
لم بعثت إليك ؟ قال لا أدري . قال : بعثت إليك لأضحك بك ! قل : لقد
ضحك أحد الحكمين من صاحبه - يعرض له بجده أبي موسى - فغضب بلال

وأمر به إلى الحبس ، فكلمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعاقب ولا يحاسب .
فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأتى به في يوم سبت وفي كنه طرائف أنحف بها
في الحبس ؛ فقال له بلال : ما هذا الذي في كك ؟ قال : من طرائف الحبس .
قال : ناولني منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يُعطى فيه ولا يؤخذ ؛ يعرض
بعمه كانت له من اليهود .

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيَّةٍ ۝ وَتُصْبِحُ غُرْقِيٍّ مِنَ الْحَوْمِ الْغَوَافِلِ

قالت له : لكنك لست كذلك ؛ وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك .

نظر رجل من الأزد إلى هلال بن الأحوز حين قدم من قنديل وقد

ابن الأحوز
وأزدي

أطافت به بنو تميم ، فقال : انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى .
فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا ضدٌ : عيسى كان يحيى الموتى ،
وذا يميت الأحياء .

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف
عليه كل يوم في حلقته ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن ؛ من حلق لحيتك ؟
فلما أبرمته قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقها في جزء واحدة ، وأنت تحلقينها
في كل يوم .

ربيعة وبعض
النساء

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بحمص في يوم مطر ، عليه طيلسان
وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : أفسدت ثوبك أبا عبد الله ؟
قال : وما يضرك ؟ قال : وددت أنك وهو في النار ؛ قال : وما ينفعك ؟

سعيد بن هشام
وبعض الرجال

قال : لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظيان
متوكناً على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجل على ديني . فقال
له حصين بن المنذر الرقاشي : فهو إذا منافق ؛ قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ؛
قال له حصين : إذا يقتلك .

الحجاج وابن
ظيات

- ولما قدم عبد الملك بن سروان المدينة نزل دار مروان ، فر الحجاج بخالد
ابن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف محلي وهو يخطر
متبخترا في المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا التخطارة ؟ فقال خالد :
يخ بخ هذا عمرو بن العاص ا فسمعه الحجاج ، فقال إليه فقال : قلت : هذا
عمرو بن العاص ، والله ما سرتني أن العاص ولدني ولا ولدته ، ولكن إن شئت
أخبرتكم من أنا ا أنا ابن الأشياخ من ثقيف ، والمقاتل من قريش ، والذي
ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أيك بالكفر وشرب الخمر ، حتى
أقروا أنه خليفة ا ثم ولي وهو يقول : هذا عمرو بن العاص .
- قال رجل من بني أبي لهب لوهب بن مُنْبه : بمن الرجل ؟ قال : رجل من
اليم . قال : فما فعلتُ أمكم بلقيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ،
وأمكم حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ا
- وقال رجل لابن سُبرمة : من عندنا خرج العلم إليكم . قال : نعم ، ثم لم
يرجع إليكم .
- نظر يزيد بن منصور خال المهدي إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو
يسحبه ، فقال : ليس عليك عزله ، فاسحب وجر ا قال له : على آياتك عزله
وعلى سحبه ا فشكاه إلى المهدي ، فقال : لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد
ابن مزيد ا
- دخل أبو يقظان القيسي على يزيد بن حاتم وهو والي مصر وعنده هاشم بن
سُديج ، فقال له يزيد : حرّكه ا وعلى أبي يقظان حلة وشي وكساء خز ، فقال له
هشام : اخذ الله أبا يقظان ، لبستم الوشي بعد العباء ا قال : أجل ، تحوكون
ونلبس ، فلا عدتم هذا منا ، ولا عدنا هذا منكم .
- كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سلسى المُجاشعي يستهديه جارية وهو بهيمان
فكتب إليه :

كُتِبَ إِلَى تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي . لَقَدْ أَنْعَمْتَ مِنْ بَلَدٍ بِعَيْدِ ا

[١٥ - ٤]

خالد بن يزيد
والحجاج

وهب بن منبه
ولهي

يزيد بن منصور
وابن مزيد

أبو يقظان وابن
حاتم

الفرزدق
وعبد الجبار

وقال رجل من العرب : رأيتُ البارحةَ الجنةَ في منامي ، فرأيتُ جميعَ ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لي : للعرب ! قال له رجل من الموالي : أصعدتَ العُرفَ ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

قال عبد الله بن صفوان — وكان أمياً — لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبا جعفر ، لقد صرتَ حجةً لفتياننا علينا ؛ إذا نهيناهم عن الملاهي قالوا : هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها ! قال له : وأنت أبا صفوان صرتَ حجةً لصبياننا علينا ؛ إذا لُثمناهم في ترك المكتب قالوا : هذا أبو صفوان سيد بني جمع لا يقرأ آية ولا يخطُّها .

ابن صفوان
وابن جعفر

قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لي إليك حاجة ! قال : بحاجة أفضيها يا أمير المؤمنين ؛ فسل حاجتك . قال : أريد أن تهب لي دورك وضياحك بالطائف . قال : قد فعلت ! قال : وصلتك رحم ! فسل حاجتك . قال : حاجتي إليك أن تردّها علي يا أمير المؤمنين ! قال : قد فعلت !

معاوية وابن عامر

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لي إليك حاجة ! قال : وأنا لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : فتقضيها ؟ قال : نعم . فلما توثق منه قل : فإن حاجتي إليك أن لا تسألني حاجة .

ثمامة وبعض
الرجال

جواب في فخر

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد ابن يزيد بن معاوية ، عند عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالي قريش : أفض بينهما . فقال الشيخ : كان سعيد بن العاص لا يعتمُّ أحد في البلد الحرام بلون عمامته ؛ وكان حرب بن أمية لا يُبكي على أحد من بني أمية ما كان في البلد شاهداً ؛ فلما مات سعيدٌ وحربٌ شاهد لم يُبكي عليه .

عمرو بن سعيد
وخالد بن يزيد
في حضرة
عبد الملك

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك — وهما عند هشام بن عبد الملك — قال له خالد : قل . فقال له الأبرش : لنا رُبُع البيت — يريد الركن

الأبرش وخالد
ابن صفوان

اليماني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة ، فقال خالد بن صفوان :
منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل ، قال الأبرش :
لا فاخرت مضر يا بعدك .

مهام وقوم من
اليمين

ونزل بأبي العباس قوم من اليمين من أخواله من كعب ، ففخروا عنده
بقديهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال :
أخوال أمير المؤمنين . قال لا بد أن تقول . قال : وما أقول يا أمير المؤمنين ، وما أقول
لقوم هم بين حائك بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ؛ ملكتهم امرأة ، ودل عليهم
هدهد ، وغرقتهم فارة ؟
فلم يتم بعدها ليماني قائمة .

الحجاج
وعبد الملك

قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكتته . قال له رجل من
قريش وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر . فقال له :
لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .

دخل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الملك بن مروان ، وعليه حبرة صدآء
عليها أثر الحمام ، فقال له أمة بن عبد الله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص ، أي
رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش ، قال : ما أحب أني من غير
من أنا منه ؛ إن منا لسيد الناس في الجاهلية ، عبد الله بن جدعان ؛ وسيد الناس
في الإسلام ، أبا بكر الصديق ؛ وما كانت هذه يدي عندك . إني استنقذت أمهات
أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبال ، فولدن في حجابك .

عبد الرحمن بن
خالد وسماوية

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة
على السواء لعلت . قال معاوية : إذا كنت أكون معاوية بن أبي سفيان ، منزلي
الأبطل ينشق عن سبيله ؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد ، منزلك أجياد أعلاه
مدرة ، وأسفله عذرة .

الزبير وعثمان

تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر ؛ فقال الزبير : أنا
ابن حنيفة . قال عثمان : هي أذنتك من الظل ، ولولا ذلك لكنت ضاحياً .

- قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : يا هذا ، إنك تتطاول بهاشم كأنك جمعها ، وهي تعدت في أكثر من خمسة آلاف . قال له : محمد بن الفضل : إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضل واحدا .
- زيد ومعاوية
زيد ومعاوية
- نفر مولى زياد بزياد عند معاوية : فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلساني .
- الأحوص
ومخزومي
- وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصاري : أتعرف الذي يقول :
ذهبت قريش بالمكارم كلها ، والذل تحت عمائم الأنصاري ؟
قال : لا ، ولكني أعرف الذي يقول :
- الناسُ كَنُوهُ أبا حَكَمٍ . واللهُ كَنُوهُ أبا جهلِ
أبقت رياسته لأشربته . لؤم الفروع ورقة الأصل
- فريش وقيس
- سأل رجل من قريش رجلا من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : من ربيعة . قال له القرشي : لا أثر لكم بيطحاء مكة . قال القيسي : آثارنا في أكاف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة : فأما مكة فسواء العاكف فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأخمه .
- الأشعث وشرح
- قال الأشعث بن قيس لشرح القاضي : لشدت ما ارتفعت . قال : فهل ضرك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .
- سليمان ويزيد
ابن المهلب
- قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفي أحلافنا من ربيعة . قال له سليمان بن عبد الملك : الذي تخالفنا عليه أعز منكنا .
- أمية وأعرابي
- قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلُقَانٌ وعمامة قد كورها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومي فدنا منهم وفي الحلقة فرجة فطبقها : فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال : من منحج . قال : من زيدها الأكرمين ،

أو من مرادها الأاطيين ؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فن أيها ؟
 قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بنى زيد . قال : فأفخم عتبة حتى
 وضع قلنسوته عن رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابي : فأنت يا أصلع ، ممن
 أنت ؟ قال : أنا رجل من قريش . قال : فن بيت نُبوتها ، أو من بيت مملكتها ؟
 قال : إني من ريجانتها بنى مخزوم . قال : والله لو تدرى لم سُميت بنو مخزوم
 ريجانة قريش ، ماغررت بها أبداً ؛ إنما سميت ريجانة قريش لخور رجالها ولين
 نساها ؛ قال عتبة : والله لانا زعت أعرابياً بعدك أبداً .

وضع فيروز بن حصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد ،
 فقال : من هذا العبد ؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضربناك فما انتصرت ، ومننا
 عليك فما شكرت .

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراه مالك ؛ فأرسل إلى
 بكر بن وائل ، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظييار ؛ فأتى عبيد الله فقال :
 يا أبا مسمع ، ما منعك أن ترسل إليّ ؟ قال : يا أبا مطر ، ما في كنانتي سهم أنا أوثق
 به مني بك . قال : وإني لفي كنانتك ؛ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطولنّها ،
 ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقنّها .

نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما شرفك قبر
 بُسّتر . قال شقيق : لكن وضعك قبر بالمشقر . وذلك أن مسمعا أبا مالك
 جاء إلى قوم بالمشقر ، فنبههم ، فقتله ، فقتلوه به ؛ فكان يقال له : قتيل
 الكلاب ، وأراد مالك قبر مجزعة بن ثور أخى شقيق ، وكان استشهد ببسّتر مع
 أبي موسى الأشعري .

قال قتيبة بن مسلم طيبة بن مروح : أي رجل أنت لو كانت أخوالك من
 غير سلول . فبادل بهم . قال : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت وجنّبتني
 باهلة . وكان قتيبة من باهلة .

جواب ابن أبي دؤاد

- قال أحمد بن أبي دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الوراق : أضوى ،
 أي اسكت ، بالنبطية ؛ فقال له : لماذا ؟ والله ما أنا بنبطي ، ولا بدعي . قال له :
 ليس فوقك أحد يفضلك ، ولادونك أحد تنزل إليه ؛ فأنت مطرّح في الحالتين جميعاً .
- هو واشناس
 دخل أحمد بن أبي دؤاد على أشناس ، فقال له : بلغني أنك فاسدت هذا الرجل
 يعني محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ؛ فأحب أن لا يأتينا . قال له ابن أبي دؤاد
 أنت رجل صنعتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .
- هو والوراق
 قال أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على الوراق ؛ فقال : ما زال قوم اليوم في
 ثلبك ونقصك . قلت : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم
 والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؛ فإله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين
 من وزائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حاطه ، ولا ذلّ من كنت ناصره ؛ فإذا قلت
 لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال أبا عبد الله .
- وسعى إلى بعيب عزّة نسوة . جعل المليكُ حُدودهنّ نعالها
- هو وأبو العيناء
 وقال أبو العيناء الهاشمي : قلت لابن أبي دؤاد : إن قوما تضافروا عليّ . قال :
 (يدُ الله فوق أيديهم) قلت : إنهم جماعة . قال (كم من قنّة قليلة غلبت قنّة كثيرة
 يأذن الله ، والله مع الصابرين) قلت : إن لهم مكرأ . قال (ولا يبحقُ المكرُ
 السيّئُ إلّا بأهله) قال أبو العيناء : حدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال :
 ما يرى ابن أبي دؤاد إلّا أن القرآن إنما أنزل عليه .

جواب في تفحش

- خطب خالد بن عبد الله القسري فقال : يا أهل البادية ، ما أحسن بلدكم ،
 وأغلظ معاشكم ، وأجنى أخلاقكم ؛ لا تشهدون جمعة ، ولا تجالسون عالماً . فقام
 إليه رجل منهم دميم ، فقال : أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وغلظ طعامنا فهو
 كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضرة فيكم ثلاث خصال هي شر من كل ما ذكرت .
- خالد القسري
 وبدوي

قال له خالد : وما هي ؟ قال : تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون
الذكور ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به !

موسى بن مصعب
وامرأة

أبو الحسن قال : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها ؛
فإذا امرأة جميلة لها هيئة ؛ فنظر إلى رجل دميم يحمي ويذهب ويأمر وينهى في
الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ! قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون)
أما وجدت من الرجال غير هذا وبك من الجبال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا
عبد الله ، لو أستدبرك بمنزل ما يستقبلني به لعظم في عينك .

بنت الملاة
ورائض خيل

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الملاة لرائض دواب زوجها في طريق
مكة : ما وجدت عملاً شراً من عمالك ؛ إنما كنت بك باستك ! فقال لها : جعلت
فذاك ! ما بين ما أكنس به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ! قالت : ويلي
عليك ! خذوا الخيث . فطلبه حشمها ؛ فقاتهم ركضاً .

يونس النحوي
وأزدي

أبو الحسن قال : قال رجل من الأزدي في مجلس يونس النحوي ؛ وددت
والله أن بني تميم جميعاً في جوفى ؛ على أن يضرب وسطى بالسيف ! قال له شيخ
في ناحية المجلس ، حرمازى من بني تميم : ما هذا ، بكفك من ذاك كمره حمارية
تملاً بها استك إلى لماتك !

بين أعرابيين

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحواله قوم جلوس فقال : أصابنا سنة
ولى بضع عشرة بنتاً ! فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء
صفيحة من حديد ؛ وأما البنات فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك
بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لمن كاسب غيرك ! قال : فنظر الأعرابي ملياً
ثم قال : ما أدري ما أقول لك ، ولكنى أراك قبيح المنظر ، لئيم الخبر ؛ فأعضك
الله بيطور أمهات هؤلاء الجلوس حولك .

وسأل أعرابي شيخاً من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ، فقال : وددت والله
أن الأرض حصاء لا تنبت شيئاً ! قال : ذلك أبيض لجعر أمك في استها .

قال : عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزرعة بن ضمرة الضمري : إني لو أدركتك

يوم الأهازق لقطعت منك طابقا شحيا ، قال : أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ! قال : البظر الذي بين إسكق أمك !

قال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقتت عينك ؟ قال يوم طعنتك في استك وأت مؤل .

- وقال الفرزدق : ماعيتُ بجوابٍ أحدي قطعاً ماعيتُ بجواب امرأة وصبي ونبطي ؛ فأما المرأة فإني ذهبت بيغلي أسقيها في النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزت البغلة حبتت ؛ فاستضحك النسوة ، فقلت لمن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملني أثني قط إلا فعلتُ مثاها ! فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراط أمك مقبرة ، فقد حللتك في بطنها تسعة أشهر ! فما وجدتُ لها جواباً . وأما الصبي ، فإني كنت أنشد بجامع البصرة ، وفي حلقتي الكميث بن زيد وهو صبي ، فأعجبني حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُني ؟ قال لي : حسن ! قلت : فسرك أني أبوك ؟ قال : أما أبي فلا أريد به بيديلا ، ولكن وددت أن تكون أمي ! قلت : استرها علي يا ابن أخي ، فما لقيت مثاها . وأما النبطي ، فإني لقيت نبطيا يثرب ، فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال أنت الذي يخاف الناس لسانك ؟ قلت : نعم . قال : فأنت الذي إذا هجوتني يموت فرسي هذا ؟ قلت : لا . قال : فيموت ولدي ؟ قلت : لا . قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا . قال : فأدخلني الله في حجر أم الفرزدق ، من رجلي إلى عنقي ! قلت : ويحك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية !

ولقي جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال أبا فراس : تحتل عني مسألة ؟ قال :

- أحتملها بمسألة . قال : نعم . قال : فسل عما بدا لك . قال : أي شيء أحب إليك يتقدمك الخير أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أتقدمه ، ولكن أكون معه في قران . قال : هات مسألك . قال له الفرزدق : أي شيء أحب إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو يد رجل على حجرها قال : قاتلك الله ! ما أقبح كلامك وأرذل لسانك .

بن جرير
والفرزدق

أبو الحسن قال : مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو
الفرزدق ومسجد
الأحامرة
المزرد الخنقي ، فقال له الفرزدق : يا أخا بني حنيفة ، ما شيء لم يكن ، ولا يكون
ولو كان لا يستقيم ؟ قال : لا أدري ! قال : يا أبا المزرد ، إنه سفيه ؛ فإن لم
تغضب أخبرتُك . قال : فإني لا أغضب . فقال : حِرِّ أمك : لم تكن له أسنان ،
ولا تكون ، ولو كان لم يستقم !

أبو الحسن قال : لقي الفرزدق عمرو بن عفراء ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ؛
الفرزدق وابن
عفراء
فقال له ابن عفراء وهو بالمريد : ما شيء أحبُّ إليَّ من أن آتي كلَّ شيءٍ تكرهه !
قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كلَّ شيءٍ أكرهه ؟ قال : نعم ! قال : فإني أكره
أن تأتي أمك فأتها .

ضاف رجلٌ قبيح الوجه ذنق الحسب ، أبا عبد الله الجُمَاز ؛ فجعل يفخر
بين الجُمَاز
وضيف
ببيته ؛ فقال له الجُمَاز : اسكت ، فقباحةٌ وجهك ، ودناءةٌ لفظك ^(١) ، يمتعاننا من
سبِّك ! فأبى إلا التماذى في اللجاج ؛ فقال له الجُمَاز :

لو كنتَ ذا عَرِيضٍ هَجَّوْنَاكَ هـ أو حَسَنَ الوَجْهِ لِنَكْنَاكَ
جَمَعْتَ مَعَ قُبْحِكَ لَوْ مَا فَلَا هـ قُبْحُجٍ أو اللُّؤْمُ تَرْكُنَاكَ !

(١) في بعض الاصول : ودنو حسبك .

كِتَابُ الْوَاثِقَةِ وَالنُّطْبِ

فرش الكتاب

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رؤوس خلفائهم ؛ وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم . ووصلتها بصواتهم ، وخوطب بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيّرت لها المعاني .
- ٥
- ١٠ اعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه ؛ فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلّة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلینا ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ؛ لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا ؛ فإنها معدومة النظر ، منقطعة القرين ؛ وخطبة أبي حمزة التي سمعها مالك بن أنس فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردد فيها المرتاب ، ثم نسمع بصدور من خطب البادية وقول الأعراب خاصة ؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .
- ١٥
- قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلة القرشي المخزومي : من أخطب الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام . يعنى روح بن زباع ، قال :
- ٢٠

عبد الملك
 وابن سلة

ثم من ؟ قال : أخيفش ثفيف . يعنى الحجاج ، قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين ا
وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا : والله لأرْمينكم بالخطيب
المصنع . قم يا زياد !

وقال محمد كاتب المهدي - وكان شاعراً راوية ، وطالبا للنحو علامة - قال :
سمعت أبادوداد يقول - وجرى شيء من ذكر الخطب وتجبير الكلام - فقال :
تلخيص المعاني رفي ، والاستعانة بالغيرب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية
نقص ، والنظر في عيوب الناس عي ، ومسح اللحية هلك ، والخروج عما بُني
عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعت يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها التربة ، وحليها
الإعراب . وبهاؤها تخيير اللفظ . والحجة مقرونة بقلة الاستكراه .
وأشدني بيتاً له في خطباء إباد .

يرمون بالخطب الطوال وتارة . وحنى الملاحظ خيفة الرُقاء
وأشدني في عي الخطيب واستعانته بمسح العثون وقتل الأصابع :
مليء بيهر والنفات وسفلة . ومسحة عُثونٍ وقتل الأصابع

مر بشر بن المعتز بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب ، وهو يعلم
فتياتهم الخطابة ؛ فوقف بشر يستمع ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد ،
أو يكون رجلاً من النظارة ؛ فقال بشر : أضربوا عما قال صفحاً ، وأطوا عنه
كشعاً . ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقة وتجبيره ، فيها :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك
الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسابها ، وأحسن في الاستماع ، وأحلى
في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين من لفظ شريف ،
ومعنى بديع ؛ واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكثرة
والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن
يكون مقبولاً قصداً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ، وكما خرج من ينبوعه ونجم

بشر بن المعتز
وابن جبلة

- من معدنه ؛ وإياك والتوَعُرُ ، فَإِنَّ التوَعُرَ يُسَلِّكُ إِلَى التَعْقِيدِ ، وَالتَعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ ، وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ . وَمَنْ أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمَسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا ، فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ ، وَمَنْ حَقَّقَهُمَا أَنْ تَصَوَّنَهُمَا عَمَّا يَفْسُدُهُمَا وَيُهْجِنُهُمَا ، وَعَمَّا تَعُودُ مِنْ أَجَلِهِ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ إِظْهَارَهُمَا ، وَتَرَهَنَ نَفْسَكَ بِمَلَابَسَتِهِمَا وَقَضَاءِ حَقَّهُمَا ؛
- هـ فكن في ثلاثة منازل : فأول ذلك أن يكون لفظك رشيقاً عذبا ، أو غفيا سهلا ؛ ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، وإقاعند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإقاعند العامة إن كنت للعامة أردت ؛ والمعنى ليس يَشْرُفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ يَتَّضِعُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ ؛ وَإِنَّمَا مَدَارُ الشَّرَفِ عَلَى الصَّوَابِ ، وَإِحْرَازُ الْمَنْفَعَةِ مَعَ مَوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ ؛ وَكَذَلِكَ اللَّفْظُ الْعَامِيُّ وَالْخَاصِيُّ ؛ فَإِنْ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ ، وَبَلَاغَةِ لَفْظِكَ ، وَلَطْفِ مَدَاخِلِكَ ، وَقَدْرَتِكَ فِي نَفْسِكَ - أَنْ تُفْهَمَ الْعَامَّةُ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَتَكْسُوهَا الْأَلْفَاظَ الْتَوَسُّطَةَ الَّتِي لَا تَلْطَفُ عَنِ الدَّهْمَاءِ ، وَلَا تَجْفُو عَنِ الْأَكْفَاءِ ، فَأَنْتَ الْبَلِيغُ التَّامُ .
- ١٥

فقال له إبراهيم بن جبلة : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَنَا أَحْوَجُ إِلَى تَعْلَمِي هَذَا الْكَلَامَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حجة الوداع

- ٢٠ إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، تَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضَلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ لَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَ [أشهد] أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعة الله ، وأستفتح
بالتى هو خير .

أما بعد : أيها الناس ، اسمعوا مني أيين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم
بعد عامى هذا فى موقفى هذا ! أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ،
إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل
بلغت ، اللهم أشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى أتمننه عليها ؛ وإن ربا الجاهلية
موضوع ، وإن أول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ؛ وإن دماء
الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد
قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو
من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى
أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يُحِلُّونَهُ عاماً
ويحرمونه عاماً ليُواطئوا عِدَّةَ ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى
كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متواليات ،
وواحد فرد : ذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى
وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم أشهد !

أيها الناس ، إن لنساتكم عليكم حقاً ، وإن لكم علينا حقاً : لكم علينا
أن لا يُوطئنَ فرشكم غيركم ، ولا يُدخلنَ أحداً تَكَرَّهُونَهُ بيوتكم إلا بإذنكم ،
ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أدن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن
فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ؛ فإن اتتهن وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ؛ وإنما النساء عنكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؛ فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا [الأهل بلغت ، اللهم اشهد !] .

أيها الناس ؛ إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لأمرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . الأهل بلغت ، اللهم اشهد ! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ؛ فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا [بعده] كتاب الله وأهل بيتي ، الأهل بلغت اللهم آشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أبائكم واحد ؛ كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . الأهل بلغت ؛ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ؛ ولا يجوز لو ارث وصية في أكثر من الثلث ؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر ؛ من دُعِيَ إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطب أبي بكر

وخطب أبو بكر يوم السقيفة : أراد عمرُ الكلام ، فقال له أبو بكر : على رسلك . ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلمنا قبلكم ، وقدّمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ﴾ ؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في النية ، وأنصارنا على العدو ؛ آوئتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ،

فمنع الأمراء، وأتم الوزراء، لاتدين العرب إلا لهذا الحى من قريش؛ فلا تنفسوا
على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا حمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

أينما الناس، إني قد وُليتُ عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حقٍ
فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني؛ أطيعوني ما أطعتُ الله
فيكم، وإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . ألا إن أقوامكم عندي الضعيف حتى
أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه ! أقول قولي هذا
وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أخرى . فلما حمد الله بما هو أهله، وصلى على نبيه عليه الصلاة
والسلام، قال :

إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك !

فرفع الناس رُؤوسهم، فقال :

مالكُم أيها الناس؟ إنكم لطمعون عجلون، إن من الملوك من إذا ملك
زهده الله فيما بيده، ورغبه فيما يد غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه
الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويسخط على الكثير، ويسأم الرخاء وتنقطع
عنده لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى اثقة، فهو كالدرهم القبي

والسراب الخادع، جليل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه، ونصب
عمره، وضحا ظله، حاسبه الله، فأشد حسابه، وأقل عفوّه . ألا وإن الفقراء
هم المرحومون ! ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه وسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وإنكم اليوم على خلافة نبوة، ومفرق محجة، وسترون بعدى مُلكا عضوضا،

وملكا عنودا، وأمة شعاعا، ودما مباحا؛ فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق
جولة، ينفو لها الأثر، ويموت لها الخبر، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن
واعتصموا بالطاعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر،
أى بلاد خُرُشنة إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أداها .

وخطب أيضا فقال :

- الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأؤمن به ، وأتوكل عليه وأستهدى الله
بأهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ؛ من يهد الله فهو
المهتدى ، ومن يُضلل فلن تجد له وليا مرشداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، يعز من يشاء
ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون - إلى الناس
كافة ، رحمة لهم وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية ،
دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألف
بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها ، كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ؛ فأطيعوا الله ورسوله ،
فإنه قال عز وجل : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك
عليهم حفیظاً ﴾ .

- أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال
ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ،
من يكذب يفجر ، ومن يفجر يهلك ، وإياكم والفخر ؛ وما فخر من خلق من
تراب وإلى التراب يعود ، هو اليوم حي وغداً ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم في
الموتى ، وما أشكل عليكم فردوا عليه إلى الله ، واتقوا لأنفسكم خيراً تجدوه
مُحَضَّراً ، فإنه قال عز وجل : ﴿ يومَ نَجِدُ كل نفسٍ ما عملت من خَيْرٍ مُحَضَّراً وما عملت
من سُوءٍ تَوَدُّ لو أن يَدَّهَا وَبَيْنَهُ أمدًا بعيداً ، ويُحذِّرُكم الله نفسه ، والله رءوفٌ
بالعباد ﴾ فاتقوا الله عباد الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه
لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ، صغيرها وكبيرها ، إلا ما غفر الله ، إنه
غفورٌ رحيم ، فأنفسم أنفسكم والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ إن
الله وملائكته يُصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، أفضل ما صليت على أحد من خلقك ؛ وزكنا
بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشرننا في زمرة ، وأوردنا حوضه اللهم أعننا على
طاعتك ، وانصرنا على عدوك

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أوصيكم بتقوى الله ، وأن يُثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تَحْلَطُوا الرغبة بالرهبة ،
وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : (إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) ثم أعلوا
عباد الله أن الله قد آرتهم بحقه أنفسهم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، وعوضكم
بالقليل الفاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لاتفتى عجائبه ، ولا يُطفأ
١٠ نوره ، فثَقُّوا بقوله ، وانتصِحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم
لعبادته ، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون . ثم اعلوا عباد الله أنكم
تغدون وتروحون في أجلٍ قد عُيِبَ عنكم علمه ، فإن استطعتم أن [لا] تنقضى
الآجالُ [إلا] وأنتم في عمل لله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله - فسابقوا
في مهل بأعمالكم ، قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواما
١٥ جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسهم] ، فأنهاكم أن تكونوا أهناهم ؛ فالوحى الوحى
والنجاه النجاه ؛ فإن وراءكم طالبا حثبنا مره ، سريعا سيره .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

وخطب عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

٢٠ أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبا بن كعب ، ومن أراد
أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه
فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ؛ فإن الله جعلني له
خازنا وقاسما ؛ إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطمين ، ثم المهاجرين

الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ثم بالانصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أَمْرَع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجلاً إلا مُنَاخَ راحلته . إني قد بقيتُ فيكم بعد صاحبي ، فابْتُلَيْتُ بكم وابتليتم بي ، وإني لن يحضرنني من أموركم شيءٌ فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فإني أحسنوا لأحسن إليهم ، ولئن أساءوا لأنككن بهم .

وخطب أيضاً فقال :

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجعلنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكن لنا في البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ؛ فاحدوا بالله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ؛ وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة ، فقلنا كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسُلِّطَ عليهم عدوهم .

أيها الناس : إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها وأظهر فلاحها ونصرها وشرقها ، فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه : جعلنا الله وإياكم من الشاكرين .

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس : تعلموا القرآن [تعرفوا به] ، واعملوا به تكونوا من أهله ؛ واعلموا أنه لم يبلغ من حق مخلوق أن يطاع في معصية الخالق [ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والى القيم ، وإن استغنيت عفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تفرم البهمة الأعرابية] ، القضم دون الخضم .

وخطبة له أيضاً :

أيها الناس : إنه قد أتى على زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن [إنما] تريدون به الله عز وجل وما عنده ؛ [ألا وإنه قد] تحيل إلى أن قوما قرءوه

إذ ينزل الوحي وإذ رسول الله بين أظهرنا يبتئنا من أخباركم؛ فقد انقطع الوحي
 وذهب النبي، فإنما نعرفكم بما أقول لكم؛ ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيراً
 وأحبناهُ عليه، ومن رأينا منه شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه؛ سراركم بينكم
 وبين ربكم؛ ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم، ولا أبعثهم
 ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم؛ ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه إلى،
 فوالذي نفسي بيده لا أقصنكم منه.

فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرايت أن بعثت عاملاً من
 عمالك فأدب رجلاً من رعيتك فضربه، أتقصه منه؟

قال: نعم، والذي نفس عمر بيده لا أقصنه منه؛ فقد رأيت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقص من نفسه.

وخطب أيضاً فقال: أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم، وأمروا
 بالمعروف وأنهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم
 على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فنعروه، فقال: هو موضعي ولى أن أحكم
 فيه، فإن أخذوا على يده سلبوا وسلبوا، وإن تركوه هلكوا وهلكوا معه؛ وهذا
 مثل ضربته لكم. رحمتنا الله وإياكم.

وخطب عام الرمادة بالعباس رحمه الله:

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك
 اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آباءه وكبار رجائه، فإنك تقول وقولك
 الحق (وأما الجدار فكان لِعَلامين يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
 أَبُوهُمَا صَالِحًا)؛ فحفظتهما لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه؛ اللهم
 اغفر لنا إنك كنت غفاراً، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة، ولا تدع الكسيرة
 بمضيعة، اللهم قد ضرع الصنوبر ورق الكبر وارتفعت الشكرى، وأنت تعلم

السِّرِّ وَأَخِي ؛ اللَّهُمَّ اغْنِهِمْ بَغْيَانِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَطُوا فِيهِلِكُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَيْتَأَسُّ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى عَلَقُوا الْحِذَاءَ ، وَقَلَبُوا الْمَآزِرَ ، وَطَفِقَ النَّاسُ بِالْعَبَّاسِ يَقُولُونَ : هِنَيْبًا لَكَ يَا سَاقِي الْحَرَمِينَ .

• وخطب إذ ولي الخلافة :

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَاعٍ فَأَمَّنُوا ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَكَلِّبْنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ بِمَوَاقِفِ الْحَقِّ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، وَارْزُقْنِي الْغَلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدُّعَارَةِ وَالنَّفَاقِ ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنِّي لِمَنْ ، وَلَا اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي شَيْخٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ، قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ ، وَلَا رِيَاءَ وَلَا سَمْعَةَ ، وَاجْعَلْنِي أُنْتَهَى بِذَلِكَ وَجْهِكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ؛ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلَيْنَ الْجَنَابِ لِلذُّومِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ ، فَأَلْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذَكَرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنِ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ ، فَارْزُقْنِي النَّشَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِأَلِيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعَوْنِكَ وَتَوْفِيقِكَ ؛ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَذَكَرَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْحَيَاءِ مِنْكَ ، وَارْزُقْنِي الْحُشُوعَ فِيمَا يَرْضِيكَ عَنِّي ؟ وَالمَحَاسِبَةَ لِنَفْسِي ، وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ ، وَالْحَذَرَ مِنَ الشَّبَهَاتِ ؛ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي التَّفَكُّرَ وَالتَّدَبُّرَ لِمَا يَتْلُوهُ لِسَانِي مِنْ كِتَابِكَ ، وَالفَهْمَ لَهُ ، وَالمَعْرِفَةَ بِمَعَانِيهِ ، وَالنَّظَرَ فِي عَجَائِبِهِ ، وَالعَمَلَ بِذَلِكَ مَا بَقِيَتْ ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

٢٠ وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته :

اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم أعاك .

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته :

اللهم لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غمرة ، ولا تجعلنى من الغافلين .

خطبة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم أرتج عليه ؛ فقال :

٥ أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإن أعش فسأتبكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

خطب علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

١٠ خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال :

أيها الناس : كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فلا يدعين مدع إلا على نفسه ، سُخِّلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ . سَاعَ نَجَا ، وَطَالَبَ يَرْجُو ، وَمَقْصَرٌ فِي النَّارِ : [ثَلَاثَةٌ ؛ وَاثْنَانِ] : مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحِهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ يَدَهُ ، لَا سَادِسَ . هَلَكَ مَنْ ادَّعَى ، وَرَدِّيَ مِنْ أَقْنَمِ . الْبَيْنَ وَالشَّمَالَ مَضَلَّةٌ ، وَالْوَسْطَى وَالْجَادَّةُ : مِنْهَجٌ عَلَيْهِ أُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّنَةُ وَأَثَارُ النَّبِوةِ ؛ إِنْ اللَّهُ دَاوَى هَذِهِ الْأُمَّةَ

١٥ بِدَوَائِمِ : السُّوْطَ وَالسَّيْفَ ، فَلَا هَوَادَةَ عِنْدَ الْإِمَامِ فِيهِمَا ، اسْتَبْتَرُوا بَيْتَكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ؛ فَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِكُمْ . مِنْ أَبْدَى صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلَكٌ . قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ لَمْ تَكُونُوا فِيهَا مَحْمُودِينَ . أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ . سَبَقَ الرَّجُلَانِ وَقَامَ الثَّلَاثُ كَالغُرَابِ ، هَمَّتْ بَطْنُهُ ، وَيَلَهُ لَوْ قَصَّ جَنَاحَاهُ وَقَطَعَ رَأْسَهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ ؛ انظُرُوا ، فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكُرُوا ، وَإِنْ عَرَقْتُمْ فَارْزُقُوا ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ ؛ وَلِئِنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلْ ، وَلِئِنْ قَلَّ الْحَقُّ لَرَبِمَا وَلَعَلْ ؛ وَلَقَدْ لَأَدْبَرُ شَيْءٌ . فَأَقْبِلْ ؛ وَلِئِنْ رَجَعْتَ إِلَيْكُمْ أُمُورَكُمْ لَأَنْكُرُوا لِسَعْدَاءِ ، وَإِنْ لَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا فِي قَرَّةٍ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْاجْتِهَادُ .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه :

- ألا إن الأبرار عترتي ، وأطياب أرومتي ، أحلم الناس صفارا ، وأعلم الناس كبارا ؛ ألا وإنا أهل البيت من علم الله علينا وبحكم الله حكمتنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تبعوا آثارنا تهتدوا يبصائرنا ، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا] معناراية الحق ، من تبعها للحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا تدرك نرة كل مؤمن
- ٥ وبنا تخلع ربة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح وبنا يختم .
- وخطبة له أيضا :

— حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل ، وترك الأمل ؛ فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله ، أين التعب بالليل والنهار ،
- ١٠ المقتحم للجبج البحار ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال ، يصل الغدق بالرواح ، والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيبته ؛ فصار ما جمع بُورا ؛ وما اكتسب غرورا ، وواني القيامة محسورا :

- ١٥ أيها اللاهي الغاز بنفسه ، كأتى بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يفرح لك بابا ، ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بدبلا ، ولا يأخذ منك كقبلا ، ولا يرجم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يوديك إلى قعر مظلة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية أين من سعى واجتهد ؛ وجمع وعدد ، وبني وشيد ؛ وزخرف وتجد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمنح ؛ أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؛ أشجرا رفاتا تحت الثرى أمواتا ، وأتم بكأسهم شاربون ،
- ٢٠ ولسيادهم سالكون .

عباد الله ! فاتقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال ، وتشقق السماء بالانعام ، وتطير الكتب عن الأيمان والشعائل ؛ فأى رجل يومئذ تراك ؟ أقامل هاؤم اقرأه واكتابه أم : ياليتني لم أوت كتابه أنسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته

أن يقينا سخطه ؛ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه ، واستوجه على جميع خلقه ، الذي
ناصية كل شيء يده ، ومصير كل شيء إليه ، القوي في سلطانه ، اللطيف في
جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، خالق الخلاق بقدرته ،
ومستخرم بمشيئته ، وفي الهدى ، صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ؛
أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يعرف كنهه غيره ؛ وأتوكل عليه توكل
المسلم لقدرته ، المتبرئ من الحول والقوة إليه ؛ وأشهد شهادة لا يشوبها شك
أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة
ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن وكبره
تكبيراً ، وهو على كل شيء قدير ، قطع ادعاء المدعى بقوله عز وجل :
(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ؛ وأشهد أن محمداً صلى الله عليه
وسلم صفوته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بالمعروف آمراً ،
وعن المنكر ناهياً ، وإلى الحق داعياً ؛ على حين قرة من الرسل ، وضلالة
من الناس ، واختلاف من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تم به الوحي .
وأندب به أهل الأرض .

أرصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيل إلى
كل نجاة ؛ فكانكم بالجثث قد زابتها أرواحها ، وتضمنتها أجدائها ، فلن
يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله ، وإنما ديناكم
كفى الظل أوزاد الراكب ؛ وأحذركم دعاء العزيز الجبار عبده ، يوم
تغنى آثاره ، وتوحش منه دياره ، ويبتسم صفاره ، ثم يصير إلى حفير من
الأرض ، متعفراً على خذته ، غير موسد ، لا نهدي ؛ أسأل الذي وعدنا
على طاعته جنته ، أن يقينا سخطه ، ويحببنا تقمته ، ويهب لنا رحته . إن أبلغ

الحديث كتاب الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل : فمن أخلص في أيام أمه قبل حضور أجله ، نفعه عمله ، ولم يضره أمه : ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله وضره أمه ؛ ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبا ، ولم أر كالنار نام هاربا ؛ [ألا وإنه من لا يصفه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجز به الضلال إلى الردى] : ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وخطبة له : قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزدي على الأنبار في خلافة على رضى الله عنه ، وعليها [ابن] حسان البكرى ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النصف ؛ ألا وإنى دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتحاذلتم ، وثقل عليكم قولى فاتخذتموه ورامكم ظهريا ؛ حتى شئت عليكم الغارات ؛ وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل ابن حسان البكرى ؛ وأزال خيلكم عن مسالحها ؛ وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغت أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فيزعم حجبلها وقلبها ورعاثها ، ثم انصرفوا وافرین ما كُلم رجل منهم ؛ فلو أن

رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي ملوما ، بل كان به عندي
 جديرا ؛ فواجباً من جند هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حنكهم ؛ قبيحاً لكم وترحا
 حين صرتم غرضا يُرمى ؛ يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تُغزون ،
 ويُعصى الله وترضون ؛ فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحز ، قلمت ؛ حمارة
 القبط ؛ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحز ؛ وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء ،
 قلمت ؛ [صبارة القز] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القز ؛ كل هذا فراراً من الحز
 والقز ؛ فأتتم والله من السيف أفر ؛ يا أشباه الرجال ولا رجال ؛ ويا أحلام
 أطفال وعقول ربات الحجال ؛ وددت أن الله أخرجني من بين أظهركم ، وقبضني
 إلى رحمته من بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعرفكم ؛ معرفة والله جزت وهنا ؛ [لقد
 ملأتم قلبي قبيحا] وورثتم والله صدى غيظا ، وجرعتموني الموت أفاسا ،
 وأفسدتم على رأبي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش ؛ إن ابن أبي طالب
 شجاع ولكن لا علم له بالحرب ؛ لله أبوه ؛ وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطول
 تجربة مني ؟ لقد مارستها وأنا ابن عشرين ، فها أنا ذا الآن قد نيفت على الستين ،
 ولكن لا رأى لمن لا يطاع ؛

١٥ وخطبة له رضى الله عنه ، قام فيهم فقال :

أيها الناس المجتمعمة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ؛ كلامكم يوهي الصم
 الصلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم ؛ تقولون في المجالس كيت وكيت ؛ فإذا
 جاء القتال قلمت ؛ [جيدي] حياذ ما عرت دعوة من دعاكم ؛ ولا استراح قلب
 من قاساكم ؛ أعاليل بأباطيل ؛ وسأتموني التأخير ؛ دفاع ذى الدين الممتول ؛
 ألا [لا] يدفع الضيم الذليل ، ولا يُدرك الحق إلا بالجد . أى دار بعد داركم
 تمنعون ؟ أم مع أى إمام بمدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غرتموه ؛ ومن
 فاز بكم فاز بالسهم الأخييب ؛ أصبحت والله لا أصدق قولكم ؛ ولا أطمع
 في نصرتكم ؛ فزق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم ؛
 وددت والله أن لي بكل عشرة منكم رجلا من بني فراس بن غنم ، صرف

الدينار بالدرهم ١

وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن
رضى الله عنهم ، فقام فيهم خطيباً فقال :

- الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر
المرسلين ، أما بعد ؛ فإن الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة ،
والتناس في اختلاف ، والعرب بشر المازل ، مستنضيتون للشاءات بعضهم على
بعض ، فرأب الله به الثأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به
السبل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة
للصدور ؛ ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ،
١٠ كريماً عند ربه نُزله ؛ فيألهما صيبة عمت المسلمين ، وخصت الأقرين ؛ وولى
أبو بكر ، فسار بسيرة رضىها المسلمون ؛ ثم ولى عمر ، فسار بسيرة أبي بكر
رضى الله عنهما ؛ ثم ولى عثمان ، فقال منكم وناقم منه ، حتى إذا كان من
أمره ما كان أتيموه فقتلتموه ، ثم أتيموني فقتلتم لي ؛ بايعنا ا فقلت لكم ؛
لا أفعل ا وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم كفى فجذبتموها ، وقلتتم ؛
لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ا وتدا ككنتم على تداكك الإبل الهيم
١٥ على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ؛
فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم مالينا أن استأذنانا للعمرة فسارا
إلى البصرة فقتلنا بها المسلمين وفللا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أنى لست
بدون واحدٍ من مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت ؛ اللهم إنهما قطعاً قرابتى ،
٢٠ ونكثنا يعنى ، وألبا على عدوى ؛ اللهم فلا تُحكّم لهما ما أبرما ، وأرهما المساة
فيا عملا وأملا ا

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر : قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة
للتسليم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، فإني لجالس تحت منبره ، وعليه
عمامة سوداء ، وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فن دعا إليها فاقتلوه وإن كان

تحت عماتى هذه ! فقال له عدى بن حاتم : قلت لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه .
وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ! والله ما ندرى ما نضع بك ؟ وقام إليه
رجل أحذب من أهل العراق فقال : أمرت بها أمس وتبى عنها اليوم ، فأنت
كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت . فقال على : إلى يقال هذا .

أَصْبَعْتُ أَذْكَرُ أَرْحَامًا وَأَصِيرَةٌ ۝ بُدِلْتُ مِنْهَا هَوَى الرَّيْحِ بِالْقَصَبِ ۝

أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ،
حملتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا إذا كان فيه ، لكانت الوثقى
التي لا تفلح ، ولكن بمن ؟ وإلى من ؟ [أريد أن] أداوى بكم [وأتم دأى] :

إنى والله بكم كناقش الشوكة بالشوكة ، ياليت لى بعض قومي وليت لى من بعد
خير قومي ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكان ، اللهم سلط

عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ؛ ويل للذئعة بأشطان الركي ! [أين الذين]
دعوا إلى الإسلام قبلوه ، وقرءوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشمر فأحكموه

وهيجوا إلى الجهاد فوطوا [ولله] اللماح [إلى] أولادها ، وسلبوا السيوف
أغدادها ضرباً ضرباً ، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحماً زحفاً ، لا يتباشرون

بالأحياء ، ولا يُعزّون على القتلى ولا يغيرون على العلى .

أُولَئِكَ إِخْوَانِي آلِذَاهِبُونَ ۝ لِحَقِّ الْبُكَاءِ لَهُمْ أَنْ يَطِيَّبُوا

رُزِقْتُ حَبِيبًا عَلَى فَاقَةٍ ۝ وَفَارَقْتُ بَعْدَ حَبِيبٍ حَبِيبًا ۝

ثم نزل تدمع عيناه ؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه ! فقال :

نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقومهم والله غدوة ويرجعون إلى عشية مثل ظهر

الحية ، حتى متى ؟ وإلى متى ؟ حسبي الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء ، رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا من شىء كان ولا من

شىء خلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرةً بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه ،

- فليست له صفة تنال ، ولا حدٌ يضرب له فيه الأمثال ، كلٌ دون صفته تحبيرُ اللغات ، وضلت هناك تصاريُف الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير ، وانقطعت دون علمه جوامعُ التفسير ، وحالت دون غيبه حُجُبُ تاهت في أدنى دنوِّها طامحاتُ العقول ؛ فتبارك الله الذي لا يلينه بُعدُ الهمم ، ولا يناله غوصُ الفطن ؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود ، ولا وقت محدود ، وسبحان الذي ليس له أولٌ مُبتدأ ، ولا غايةٌ منتهى ، ولا آخرٌ يقفئ ؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ؛ أحاط بالاشياء كلها علمه وأتقنها صنعُه ، وذللها أمره ، وأحصاها حفظُه ؛ فلا يعزب عنه غيوب الهوى ، ولا مكنونُ ظلم الدجى ، ولا مافى السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى ؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها الأحَدُ الصمد الذي لم تغيِّره ظروف الأزمان ، ولا يتكاده صنعُ شيء منها كان ؛ قال لما شاء أن يكون : كن ا فكان ؛ أتبدع ما خلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ؛ وكل عالم من بعد جهلٍ يعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالاشياء كلها علماً ، ولم يزد بتجربتها تُجرباً ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينا ؛ لم يكونها لتسديد سلطان ، ولا خوف زوال ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ندم مكائر ، ولكن خلاق مبروبون ، وعباد آخرون ، فسبحان الذي لا يشوِّده خلق ما ابتدأ ، ولا تدبير ما برأ ، خلق ما علم ، وعلم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، لكن قضاءً مُتقن ، وعلمٌ محكم ، وأمرٌ مُبرَم ، توَّحد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، فلبس العز والكبرياء ، واستخلص المجد والسناء ، واستكمل الحمد والثناء ؛ فانفرد بالتوحيد ، وتوحد بالتمجيد ؛ فجل سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عن ملاصقة النساء ؛ فليس له فيما خلق يدٌ ، ولا فيما ملك ضدٌ ، هو الله الواحد الصمد ، الوارث للأبد الذي لا يبید ولا ينفد ، ملك السموات العلى ، والأرضين السفلى ، ثم دنا

فعلا . وعلا فدنا ، له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنى ، والحمد لله رب العالمين ؛
 ثم إن الله تبارك وتعالى - سبحانه وبجمده - خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم
 صفوته ، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وجهه ، وخزنة له على أمره ،
 إليهم ينتهى رسله ، وعليهم ينزل وحيه ، جعلهم أصفياء ، مصطفين أضياء ، مهديين
 نجباء ؛ آستودعهم وأقرمهم في خير مستقر ، تناسختهم أكارم الأصلاح ، إلى
 مطهرات الأمهات ، كلما مضى منهم سلف انبعث لأمره منهم خلف ، حتى انتهت
 نبوة الله وأفضت كرامته إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرجه من أفضل المعادن
 محمداً ، وأكرم المغارس منبتا ، وأمنعها ذروة ، وأعزها أرومة ، وأوصلها مكرمة
 من الشجرة التي صاغ منها أمناء ، وانتخب منها أنبياء ، شجرة طيبة العود ، معتدلة
 العمود ، باسقة الفروع ، مخضرة الأصول والغصون ، يانعة الثمار ، كريمة
 المجتنى ، في كرم نبتت ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فامتعت ، حتى أكرمها
 الله بالروح الأمين ، والنور المبين ، نغم به النبيين ، وأتم به عدة المرسلين ،
 [وجعله] خليفته على عباده ، وأمينه في بلاده ؛ زينته بالتقوى وآثار الذكرى ؛
 وهو إمام من اتقى ، ونصر من آهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وزند برق لمعه ،
 وشهاب سبط نوره ؛ فاستضاءت به العباد ، وأستنارت به البلاد ؛ وطوى به
 الأحساب فأزجى به السحاب ، وسخر له البراق حتى صالحته الملائكة ، وأذعن له
 الألسنة ، وهدم به أصنام الآلهة ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ؛ وكلامه فصل ،
 وحكمه عدل ؛ فصعد صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد
 دعوته ؛ وأظهر في خلقه لا إله إلا الله ، حتى أذعن له [الخلق] بالربوبية ،
 وأقر له بالعبودية والوحدانية ؛ اللهم فخص محمداً بالذكر المحمود . والحوض
 المورود . اللهم آت محمداً الوسيلة والرفعة والفضيلة ، واجعل في المصطفين محلته ،
 وفي الأعلين درجته ، وشرف بنيانه وعظم برهانه ، واسقنا بكأسه ، وأوردنا
 حوضه ، واحشرنا في زمرة ، غير خزايبا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين

- ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين ؛ اللهم أعط محمدًا من كل كرامة أفضلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم أتمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكانًا ، ولا أحظى عندك منزلة ولا أقرب إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقا - ولا شفاعة ، من محمد ؛ واجمع بيننا وبينه في ظل العيش ، وبرد الرُّوح ، وقرّة الأعين ، ونضرة السرور ، وبهجة النعيم ؛ فإننا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة .
- وجاهد في سبيلك . وأوذى في جنبك ولم يخف لومة لائم في دينك . وعبدك حتى أتاه اليقين ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمام النبيين ، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين ؛ اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ؛ بلغ محمدًا منا السلام ؛ اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين ، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين .

وخطبه الزهراء :

- الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليّه ، وكل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارعٌ إليه ، وكل شيء مستكين له ؛ خشعت له الأصوات ، وكُلت دونه الصفات ، وضلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضى في الأمور غيره ، ولا يتم شيء منها دونه ، سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم سلطانه ؛ تسبح له السموات العلى ، ومن في الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ، والملك والقدرة ، والحول والقوة ، يقضى بعلمه ويعفو بحلمه ؛ قوة كل ضعيف ، ومفرغ كل ملهوف وعز كل ذليل ، وولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، وكاشف كل كربة المَطَّلَع على كل خفيّة ، المحصي كل سريرة ، يعلم ما تُكنُّ الصدور ، وما تُرَخى عليه الستور ؛ الرحيم بخلقه ، الرؤوف بعباده ؛ من تكلم منهم سبّ كلامه ، ومن سكت منهم علم ما في نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رِزْقُه ، ومن مات منهم فإليه مصيره ؛ أحاط بكل شيء علمه وأحصى كل شيء حفظه ، اللهم لك الحمد عدد ما تحيي

وثميت ، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظِ أبصارهم ، وعدد ما تجرى به الريح
 وتحمله السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر والنجوم -
 حمداً لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده : اللهم أنت قبل كل شيء ، وإليك مصير
 كل شيء ، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى وبفنى كل شيء ، وأنت وارث كل
 شيء ، أحاط علمك بكل شيء ، وليس يُعجزك شيء ، ولا يتوارى عنك شيء ،
 ولا يقدر أحد قدرتك ، ولا يشكرك أحد حقَّ شكرك ، ولا تهتدى العقول
 لصفتك ، ولا تبلغ الأوهام حدك : حارت الأبصار دون النظر إليك ، فلم ترك
 عينٍ فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت . لا نعلم اللهم كيف عظمتك ، غير أنا
 نعلم أنك حيٌّ قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يُدرِكك
 بصر ، ولا يقدر قدرتك ملكٌ ولا بشر ؛ أدركت الأبصار ، وكنمت الآجال ،
 وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصي والأقدام ، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة
 ملأت كل شيء عظمة ، فلا يُردُّ ما أردت ، ولا يعطى ما منعت ، ولا ينقص
 سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك ؛ كلُّ مبرِّ عندك علمه ،
 وكل غيب عندك شاهده ؛ فلم يستر عنك شيء ، ولم يشغلك شيء عن شيء ، وقدرتك
 على ما تقضى . كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف
 وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات ؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد ،
 لا منجى إلا إليك ؛ بيدك ناصية كل دابة ، وبإذنك تسقط كل ورقة ؛ لا يهرب
 عنك مثقال ذرة ؛ أنت الحيُّ القيوم ؛ سبحانك ! ما أعظم ما يرى من خلقك !
 وما أعظم ما يرى من ملكوتك ! وما أقلهما فيما غاب عنا منه ! وما أسبغ نعمتك
 في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة ! وما أشدَّ عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في
 عقوبة الآخرة ! وما الذي نرى من خلقك ، ونعتبر من قدرتك . ونصف من
 سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قصرت أبصارنا عنه وكانت عقولنا دونه ، وحالت
 الغيوب بيننا وبينه ، فن قرع سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك ، وكيف
 ذرأت خلقك ، وكيف علقت في الهواء سمواتك ، وكيف مددت أرضك - يرجع

- طرفه حاسراً، وعقله مبهوراً، وسمعه والها، وفكره متحيراً؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرك، ولم يكن لها سواك؟ لا أحد شهدك حين فطرت الخلق، ولا أحد حضرك حين ذرأت النفوس، فكيف لا يعظم شأنك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملا قلوبهم، من رعدٍ تفرع له القلوب، وبرقٍ يخطف الأبصار، وملائكةٍ خلقتهم وأسكنتهم سمواتك، وليست فيهم قرة، ولا عدم غفلة، ولا بهم معصية؛ هم أعلمُ خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقومهم بطاعتك، ليس ينشام نوم العيون، ولا سهو العقول؛ لم يسكنوا الأضلاب، ولم تضمهم الأرحام؛ أنشأهم إنشاءً، وأسكنتهم سمواتك، وأكرمهم بجوارك، واتممتهم على وحيك، وجنتهم الآفات، ووقيتهم السيئات، وطهرتهم من الذنوب؛ فلو لا تقويتك لم يقووا، ولو لا تثبيتك لم يثبتوا، ولو لا رهنك لم يطيعوا، ولو لاك لم يكونوا؛ أما إنهم على مكانتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطول طاعتهم إياك - لو يعانون ما يخفى عليهم لاحترقوا أعمالهم، ولعلبوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك؛ فسبحانك خالقاً ومعبوداً ومحموداً، بحسن بلانك عند خلقك أنت خلقت ما دبرته مطعماً ومشرباً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعي أجبنا، ولا فيما رغبنا فيه رغبنا، ولا إلى ما شوقنا إليه اشتقنا؛ أقبلنا كنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضنا على بعض حرصاً لما يرى بعضنا من بعض، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على حبها، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بأذان غير سميعة، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مالت أقبلوا إليها، وقد عابوا المأخوذين على الغيرة كيف فجأتهم الأمور، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون، وقدموا من الآخرة ما كانوا يوعدون؛ فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور، وعرفوا ما كانوا فيه من الغرور؛ فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرة القوت وحسرة الموت؛ فاغبرت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباههم، وشخصت أبصارهم، وبردت أطرافهم،

وحيل بينهم وبين المنطق ، وإن أحدم لبين أهله ، ينظر بصره ، ويسمع بأذنه ؛
ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت
عند ذلك حجته ، وعان هول أمر كان منطى عليه فأحد لذلك بصره ؛ ثم زاد
الموت في جده حتى بلغت نفسه الحلقوم ، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقاً
لا يجيب داعياً ، ولا يسمع باكياً ؛ فزعوا ثيابه وغامته ، ثم وضوه وضوء
الصلاة ، ثم غسلوه وكفنوه إدراجاً في أكفانه وحنطوه ، ثم حملوه إلى قبره ،
فدلوه في حفرته ، وتركوه مخلى بمفظعات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير ،
مع ظلمة وضيق ووحشة قبر ، فذاك مثواه حتى يبلى جسده ويصير تراباً ؛ حتى إذا
بلغ الأمر إلى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاءه أمر من خالقه ، أراد به
تجديد خلقه - أمر بصوت من سمواته فماتت السموات مورا ، وفرع من فيها ،
وبقي ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر إلى الأرض ، والخلق رفات لا يشعرون
فأرج أرضهم وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبالها ونسفها وسيرها ، ودك بعضها بعضاً
من هيته وجلاله ، وأخرج من فيها لجدد ثم بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرقتهم ، يريد أن
يخصيهم ويميزهم ، فريفاً في ثوابه ، وفريقاً في عقابه ، فخلد الأمر لأبده ، دائماً خيره
وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن
يجازى هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بجواره ، وحلول داره ،
وعيش رغد ، وخلود أبد ، ومجاورة للرب ، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم ،
حيث لا ظعن ولا تغير ؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ؛
ولا تشخصهم الأسفار ؛ وأما أهل المعصية فخلد في النار ، وأوثق منهم الأقدام
وغل منهم الأيدي إلى الأعناق ؛ في لهب قد اشتد حره ، ونار مطيقة على أهلها
لا يدخل عليهم بها روح ، همهم شديد ، وعذابهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضي ،
ولا أجل للقوم ينتهى .

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليهما لا يليهما أحد
غيرك ، وأسألك باسمك المخزون المكنون ، الذي قام به عرشك وكرسيك وسمواتك

وأرضك ، وبه ابتدعتَ خلقك — الصلاة على محمد ، والنجاة من النار برحمتك ، آمين ؛ إنك وليُّ كريم .

- وخطب أيضا فقال : أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شدّدتم إليها المطايا حتى تُنصوها لم تُظفروا بمثلها : ألا لا يرجون أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ،
- ٥ ألا وإن الخامسة الصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له ؛ ولا خير في قراءة إلا بتدبير ولا في عبادة إلا بتفكير ، ولا في حلم إلا بعلم ؛ ألا أنبشكم بالعالم كلّ العالم ؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكره ، ولم يؤيئهم من روجه . لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضى الله فيهم بأمره ؛ ولا تأمنوا
- ١٠ على خير هذه الأمة عذاب الله ؛ فإنه يقول : ﴿ فلا يأمنُ مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون ﴾ ؛ ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله ، فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

• • •

- ومن كلامه رضوان الله عليه : قال ابن عباس : لما فرغ علي بن أبي طالب رضى الله عنه من وقعة الجمل ، دعا بأجرتين فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ،
- ١٥ ثم قال :

- يا أنصار المرأة وأصحاب البيهمة ! رغا فأجبتهم وعقرَ فهرتهم ؛ دخلت شر بلاد [أقربها من الماء ، و] أبعدا من السماء . بها يغيض كل ماء ، ولها شر أسماء ؛ هي البصرة ، والبُصرة ، والمؤتفكة ، وتُدسر . أين ابن عباس ؟ فدُعيت . فقال لي :
- ٢٠ مُر هذه المرأة فلتُرْجع إلى بيتها الذي أمرت أن تُقرّ فيه .

وتمثل علي بن أبي طالب رضى الله عنه بعد الحكيم :

زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ هـ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَشْتَمُرُ

وَأَجْعُ الْأَمْرَ الشَّيْبَتِ الْمُنْقَشِرِ

خطب معاوية

قال القحذي : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرك ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ماردة عليهم شيئاً حتى صد المنبر : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ، ولقد رخصت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ؛ وأردتها مثل قليات (١) عثمان ، فأبت عليّ ؛ فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومشاركة جميلة ؛ فإن لم تجدوني خيراً لكم فإني خير لكم ولاية ؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبراً أذني وتحت قدمي ؛ وإن لم تجدوني أقوم بحكم كله فاقبلوا مني بعضه ، فإن أتاكم مني خيراً فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد عني ، وإذا قل أغني ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة . ثم نزل .

خطبة أيضاً لمعاوية

١٥ حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنا قدمنا على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) . ولست واسعاً كل الناس ؛ فإن كانت محمداً فلا بد من مدمة ، فلوناً هوناً إذا ذكر غير ؛ وإياكم والتي إن أخفيت أوبقت ، وإن ذكرت أوثقت . ثم نزل .

(١) في بعض الأصول : « على مسنيات » .

وخطبة أيضا لمعاوية

صعد منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى ، عليه ثم قال :

- يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خلقا خلق العراق : يعيون الشيء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعته نفسه ، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرٌ لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكرٌ زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالترتق خير من الفتق ، وفي كلِّ بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال العتيبي : خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى

- عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

- قال ابن دأب : لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لا هياً عنه أنكره ، فجعل يتصدى له بخلوة ليسبر من رأيه ما كرهه أن يُشرك به عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطلاب وإشغال الخاصة واقتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه ، ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفح وجوه القوم ، ثم قال :

صريح العقوق مكاتمة الأذنين ، لا خير في اختصاص وإن وفرّ ، أحد الله

إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأواء ، وأستهديه من عمى مجهد ، وأستعينه على
عدو مرصد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هاو ،
ومن غواية غاو ، وصلوات الله على الزكي ، نبي الرحمة ، ونذير الآفة ، وقائد
الهدى ؛ أتابعد يا أمير المؤمنين ، فقد عسف بنا ظنُّ فرع ، وفرع صدع ،
حتى طمع السحيق ، ويثس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلمهم متحفز
للمداوة ، وقد قلص الإزرة ، وشمر عن عطفه ، ليقول : مضى زياد بما
استلحق به ، وولى على الدنية من مُستلحقه . فليت أمير المؤمنين سلم في دَعته ،
وأسلم زياداً في صَعته ، فكان ترب عاقته ، وواحد رعيتيه ، فلا تشخص إليه
عين ناظر ولا أصبع مشير ، ولا تذلق عليه السن كلمته حيا ونبشته ميتا ؛ فإن
تكن يا أمير المؤمنين حايبت زياداً بولاء رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك
زياد بجذ هصور وعزم جسور ، حتى لانت شكائم الشرس ، وذلت صعبة
الاشوس ، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المنيع ، وتقهر
بهما البزيع ، حتى مضى والله يغفر له ؛ فإن يكن زياد أخذ بحق فأزلنا منازل
الأقربين ، فإن لنا بعده ما كان له ، بدالة الرحم ، وقرابة الحميم ؛ فمالنا يا أمير المؤمنين
نمشي الضراء ونذب الخفاء ، ولنا من خيرك أكله ، وعليك من حوبنا أثقله ،
وقد شهد القوم ، وما ساء في قريتهم ليُقزوا حقاً ، ويردوا باطلا ؛ فإن للحق مناراً
واضحاً ، وسبيلاً قصداً ؛ فقل يا أمير المؤمنين بأى أمرتك شئت ، فما نأرز إلى غير
جُهرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ، وأستغفر الله لي ولكم :

قال : فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفقهم بلحظه رجلا
رجلا وهو متبسّم ، ثم اتجه تلقاه وعقد جبوته وحسر عن يده وجعل يومي بها
نحوه ، ثم قال معاوية :

الحمد لله على ما نحن فيه ؛ فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ فكل
شيء خاضع له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، دل على نفسه بما بان عن عجز الخلق
أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومصدق المرسلين ، وحجة رب العالمين ،

صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ، أما بعد ، فرب خير مستور ، وشر
مذكور ، وما هو إلا السهم الأخبب لمن طار به ، والحظ المرغب لمن فاز به ،
ففيهما التفاضل ، وفيهما الثغابن ، وقد صفقت يداي في أريك صفقة ذى الحلة
من ضوارع الفُصلان ، عامل اصطناعى له بالكفر لما أوليته ، فما رميتُ به
إلا انتصل ، ولا انتصيته إلا غلقَ جفنه ، وزأت شفرته ، ولا قلتُ إلا عائد ،
ولا قتُ إلا قعد ، حتى اخترمه الموت ، وقد أوقع بختِره ، ودل على حقدِه ،
وقد كنت رأيت في أريك رأيا حضره الخطل ، والتبس به الزلل ، فأخذ مني
بخط الغفلة ، وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأقارء بالسوء ؛ فما برحت هناة
أريك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكث المبرم . وانحل عقد الوداد . فيالها
١٠ توبةٌ تُؤتَف من حوبةٍ أورثت ندما أسمع بها الهاتف وشاعت للشامت ؛ فليها
الواصم ما به احتقر ؛ وأراك تحمد من أريك جدا وجسورا ؛ هما أوفيا به على
شرف التقم . وغمط النعمة ؛ فدعهما فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ،
وبهما مشيت الضراء وديت الخفاء ؛ فاذهب إليك ، فانت تجل الدغل ، وعثرة
النغل ؛ والأخر شر .

١٥ فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك
زيد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظنى ، ولا تغيرها التهم ، وأهلوه
أهلوك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فهاجرت به الركبان ، وسمعت به
أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا يتحجر يا أمير المؤمنين
ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

٢٠ فأنحرف معاوية إلى من معه فقال : هذا ، وقد نفَس عليه بيعته ، وطعن
في إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ؛ يا لرجال من آل أبي سفيان ! لقد حكموا وبدم
يزيدٌ وحده .

ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا ابن أخى ، إنى لأعرَف بك من أريك ،
وكأنى بك في غرة لا يخطوها السامح ؛ فالزم ابن عمك ، فإن لما قال حقا .

فخرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عقبه أيا ما ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المرّي ، والضحاك بن قيس الفهري ، وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فن أذاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهده ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزلا عامل في كل يوم فاعزله عنهم ، وإن عزلا عامل واحد أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت تلبيه منهم : ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدوّ ريب فارمهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ؛ ولست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير . والحسين بن علي ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقده الورع ، وأما الحسين فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه حب صَبّ ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا .

ومات معاوية : فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال :

إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه : فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .

وصلى عليه الضحاك . ثم قدم يزيد ؛ فلم يقدم أحد على تعزيبته حتى دخل عليه عبد الله بن ممام فأنشأ يقول :

أصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ • وأشكركَ حَبَاءَ الذي بالملكِ حاباكا
لارزءَ أعظمُ في الأنوامِ قد عليوا • مما رُزئتَ ولا عُنِي كعُباكا
أصبحتَ راعي أهلِ الدينِ كلهمُ • فأنت ترعاهمُ واللهُ يرعاكا

وفي معاوية الباقي لنا خلفت ه أما نعت فلا يُسمع بمنعاً
قال فانفتح الخطاب بالكلام .

وخطبة أيضا لمعاوية

- ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يباشرون بموتك ا قال : ويحك ! لم ؟ فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم واذن للناس فدخلوا ، حمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال :
- أياها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعدُّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علينا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحلُّ بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره : ومنهم المصلت لسيفه ، المحلب برجله ، المعلن بشره ؛ قد أشرط نفسه ، وأوبق دينه ؛ لُحطام ينهزه ، أو مقنّب يقوده ، أو منبر يفرعه ؛ وليبس المتجر أن تراهما لنفسك ثمنا ، وبما لك عند الله عوضاً - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ؛ قد طامن من شحمه ، وقارب من خطوه ، وشمر عن ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن طالب الملك ضئولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحبال عن أمه ؛ فتحلى باسم الفناعة ، وتزياً بلباس الزهادة ؛ وليس من ذلك في مراح ولا معدى ؛ وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع ؛ فهم بين شريد باد ، وبين خائف منقمع وساكت مكعوم ، وداع مخاص ، وموجع شكوان ؛
- قد أخلتهم الذميمة ، وشعلتهم الذلة ؛ فهم في بحر أجاج ؛ أفواهم ضامرة ، وقلوبهم قريحة ؛ قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ؛ وقُتلوا حتى قَلُّوا ؛ فليستن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القَرظ ، وقراضة الجلدين ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، وأرفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشقَّ بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، من شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض
ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان جبلاً من جبال الله ، مده ما شاء أن يمهده ،
ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ؛ وكان دون من قبله ، وخيراً مما يأتي بعده ،
ولا أزرّيه عند ربه وقد صار إليه ؛ فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه ؛
وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أئني على طلب علم ؛ وعلى
رسليكم إذا كره الله شيئاً غيره ؛ وإذا أحب شيئاً يئسره .

وخطبة ليزيد أيضاً

الحمد لله أحده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّ فلا هادي
له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
اصطفاه لوجه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فضله وفضله ، وأعزه وأكرمه ،
ونصره وحفظه ؛ ضرب فيه الأمثال ، وحلّل فيه الحلال وحرّم فيه الحرام وشرع
فيه الدين إعداراً وإنذاراً ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويكون
بلاغاً لقوم عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه
وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرم دارها . ثم إنى أحذركم الدنيا .
فإنها حلوة خضرة ، حُفّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفاني ، وتحيبت
بالعاجل . لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعتها ، أكالة عوالة غرارة . لا تبقى
على حال . ولا يبقى لها حال . لن تعدو الدنيا — إذا تناهت إلى أمّية أهل
الرغبة فيها . والرضا بها — أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ وأضرب لهم
مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً
تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتديراً ﴾ . نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا
ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزع يومئذ آمنين .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

خطب بنى مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : اللهم إن ذنوبي قد عظمت
وجلت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني .

١٠ وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال فى خطبته :

إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف — يعنى عثمان — ولا بالخليفة المداهن
يعنى معاوية — ولا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد .

قال أبو إسحاق النظام : أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسببك
من هذا المداهن ؛ لكنت منها أبعد من العميق . والله ما أخذتها بوراثه ، ولا سابقة
ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

١٥

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان ، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل
منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس : الصلاة جامعة ! فصعد المنبر ، فحمد
الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، لا مؤخر إيانا قدم الله ، ولا مقدم إيانا
أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقِ عليه وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه
من الموت ، دوت ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ،
٢٠ للذى كان عليه من أشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام

من منار الإسلام وأعلامه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه النخور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ؛ فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وائيا ، ولا مفرطا ؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الغد ، وهو من الجماعة أبرد واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال : الحمد لله ، ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضجك باكيا ، وتُبكي ضاحكا ، وتُخيف آمنا ، وتؤمن خائفا ، وتُفقر مثريا ، وتثرى مقترا مبالغة ، غرارة ، لغابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضوا به حكماً . واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَسَسَ .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتيبي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علائبتكم ، وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أبٌ حتى تمعرق في الموت .

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة . فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى ، وكونوا كمن عين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرهبوا ورغبوا . ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم وتتقادوا لعدوكم . فإنه ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمساته أو يمسي بعد إصباحه . وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا ، وإنما يطمنن إلى الدنيا من أمن عواقبها . فإن من

يُدَاوِي من الدنيا كُلَّمَا أَصَابَتْه جِرَاحَةٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ؟
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمْرِكُمْ بِمَا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي ؛ فَتُخَسِرُ صَفْقَتِي ، وَتُظْهِرُ عَيْلَتِي ، وَتَبْدُو
مَسْكِنَتِي ، فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ .
ثُمَّ بَكَى وَبَكَى النَّاسُ مَعَهُ .

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

شيب بن شيبه عن أبي عبد الملك قال كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ،
فكنا نقوم لهم ونبدوهم بالسلام ؛ فخرج علينا عمر رضى الله عنه في يوم عيد
وعليه قيض كان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فثلنا بين يديه وسلمنا عليه ، فقال :
مَهْ ! أَنْتُمْ جَمَاعَةٌ وَأَنَا وَاحِدٌ ؛ السَّلَامُ عَلَيَّ وَالرُّدُّ عَلَيْكُمْ ، وَسَلِّمْ ، فَرَدَدْنَا ، وَقَرَّبَتْ
له دابته ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَمَشَى وَمَشِينَا حَتَّى صَعَدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ أَغْنِيَاءَ النَّاسِ اجْتَمَعُوا
فَرَدُّوا عَلَيَّ فَقَرَاتِهِمْ ، حَتَّى نَسْتَوِي نَحْنُ بِهِمْ ، وَأَكُونُ أَنَا أَوْلَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : مَالِي
وَاللِّدْنِيَا ؟ أَمْ مَالِي وَلَهَا وَتَكَلَّمُ فَأَرْقُ حَتَّى يَبْكِيَ النَّاسُ جَمِيعًا يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ قَطَعَ
كَلَامَهُ وَنَزَلَ ؛ فَدَنَا مِنْهُ رَجَاءُ بْنُ حَبِيبَةَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَتُ النَّاسِ بِمَا
أَرْقُ قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : يَا رَجَاءُ ، إِنْ
أَكْرَهَ الْمِبَاهَاةُ .

خطبة عبد الله بن الأهمم بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهمم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يفرجا إلا وهو
قائم بين يديه يتكلم ؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ؛ وَالنَّاسُ
يَوْمئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ ، وَالْعَرَبُ بَشَرٌ تَلِكُ الْمَنَازِلُ ؛ أَهْلُ الْوَبْرِ وَأَهْلُ
الْمَدْرِ ، تُحْتَازُ دُونَهُمْ طَبِيبَاتُ الدُّنْيَا وَرِفَاهَةُ عَيْشِهَا ؛ مَيْتُهُمْ فِي النَّارِ وَحَيْثُ أَعْمَى ،
مَعَ مَا لَا يَحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ وَالْمَرْهُودِ فِيهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ فِيهِمْ

رحمته ، بعث إليهم رسولا منهم عزيزاً عليه ما عنتوا حريصاً عليهم ، بالمؤمنين
 رؤوف رحيم ؛ فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه ، واقبوه في اسمه ، ومعه
 كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى
 بطن غار ؛ فلما أمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لوته ، فأفليح الله حجته ، وأعلى
 كلمته ، وأظهر دعوته . وفارق الدنيا تقياً صلى الله عليه وسلم .

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّته وأخذ سبيله ؛ وارتدت
 العرب فلم يقبل منهم إلا الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتضى
 السيوف من أعمادها ، وأوقد النيران فى شعلها ، ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل ،
 فلم يرح يفتصل أوصالهم ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الباب الذى
 خرجوا منه ، وقزرم بالأمر الذى نفرأ منه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرا
 يرتوى عليه . وحبشية ترضع ولدا له ؛ فرأى ذلك غصّة فى حلقه عند موته ،
 وثقلا على كاهله ، فأذاه إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه ، وفارق الدنيا تقياً
 نقياً على منهاج صاحبه .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ففصر الأمصار ، وخلط
 الشدة باللين ، وحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأموار أقرانها
 وللحرب آلتها ، فلما أصابه قن المغيرة بن شعبه ، أمر ابن العباس أن يسأل الناس
 هل يُببتون قاتله ؟ فلما قيل له قن المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه
 من له حق فى النية ، فبيستحل دمه بما استحل من حقه ؛ وقد كان أصاب من مال
 الله بضعة وثمانين ألفاً فكسر بها رباعه ، وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك
 إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه .

ثم إننا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا
 ولدتك ملوكها ، وألقتك ثديها ، فلما وليتها القيتها وأجبت لقاء الله وما عنده ؛
 فالحمد لله الذى جلا بك حوبتنا ، وكشف بك كُرْبتنا . امض ولا تلتفت ، فإنه
 لا يُبغى عن الحق شيء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .

ولما قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ضلع أعوج . سكت الناس كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت !

وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخصاصة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات ، رحمه الله : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- أياها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثا ، ولم تُنثر كوا سدى ؛ وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه ، فغاب وخير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحريم جنة عرضها السموات والأرض ؛ واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم وباع قليلا بكثير ، وفانبا يباق ؛ ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين ؛ ثم إنكم في كل يوم تسمعون غاديا وراثحا إلى الله ، قد قضى نحبته ، وبلغ أجله ، ثم تغيّبوه في صدع من الأرض ، ثم تدعون غير مؤسّد ولا مُهدّ ، قد خلعت الأسباب ، وفارق الأحياب وواجه الحساب ، [مرتهنا بعمله] ، غنيا عما ترك ، فقيرا إلى ما قدم ؛ وآيم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر بما عندي ، فأستغفر الله لي ولكم ، وما تباغنا [رعن أحد منكم] حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدّدناها ، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولحمتي الذين يلوتني ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ؛ وآيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وشنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى عن معصيته .

٢٠

ثم بكى ، فتلقي دموع عينيه بردائه ، ونزل ؛ فلم يُر بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قتل الوليد بن يزيد

بقي بن مخلد قال : حدثني خليفة بن خياط ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتل الوليد بن يزيد قام خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إني ما خرجت أشراً ولا بطراً . ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ؛ وما بي إطراء نفسي ولا تزكية عملي ، وإني لظلمت لنفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكني خرجت غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه ، حين درست معالم الهدى ، وطفيت نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل الحرم ، والراكب البدعة والمغير السنة ؛ فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع ، على كثير من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم . وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيبه من أجابه منكم ؛ فاستخرت الله في أمري ، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ؛ وهو ابن عمي في نسي ، وكفني في حسي ؛ فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، ولايةً من الله وعوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه .

أيها الناس ؛ إن لكم على إن وليت أموركم أن لا أضع لينة على لينة ولا حجراً على حجر ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخصاصة أهله] ، وأقيم مصالحه ، بما يحتاجون إليه ويقرون به ؛ فإن فضل شيء رددته إلى البلد الذي يليه وهو من أحوج البلدان إليه ، حتى تسقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ، ولا أبحركم في بعوثكم ففتنوا وفتنت أهاليكم ؛ فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن ملت فلا بيعة لي عليكم ؛ وإن رأيتم أحداً أقوى عليها مني فأردتم بيعته ، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

خطب بنى العباس

العتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدى : خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي
خطبة لم يُسمع أحسن منها ، وما درّينا أوجهه كان أحسن أم كلامه ؟ قال : أولئك
قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون .

خطبة أبى العباس السفاح بالشام

- خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ، لما قُتل مروان بن محمد قال :
- (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها
ويبئس القرار) تكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ، يتسكعون بكم
الظلم ، ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطنون بكم حرم الله وحرّم رسوله . ماذا
يقول زعماءكم غدا ؟ يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار .
إذا يقول الله عز وجل (لكلٍ ضعفٌ ولكن لا تعلمون) أما أمير المؤمنين فقد
اثنتف بكم التوبة ، واغتفر لكم الزّلة ، وبسط لكم الإقامة ، وعاد بفضلته على نقصكم
وبجله على جهلكم ، فلنفرخ روعكم ولنطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أوائلكم
فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

خطب المنصور

- خطب أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي . لما قُتل الأمويين ،
فقال :
- أحرز لسان رأسه . انتبه امرؤ لحظه . نظر امرؤ في يومه لئلا يفتنى القصد
وقال الفصل ، وجانب الحجر .
- ثم أخذ بقاتم سيفه ، فقال : أيها الناس ، إن بكم داء هذا دواؤه ، وأما زعيم
لكم بشفائه ؛ فليعتبر عبثاً قبل أن يُعتبر به ؛ فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شَيْثَةً أَعْرِفَهَا مِنْ أَخَزَمِ . من يَلْقَ أبطالَ الرجالِ يُكَلِّمُ .
 مهلا مهلا زوايا الإرجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفِّتُمْ ، والتخطي
 إلى ما حذَّرتُمْ ، قبل أن تتلف نفوس ، ويقلَّ عدد ، ويدول عز ؛ وما أتم
 ٥ وذلك ؟ ألم تجدوا ما وعد ربكم من إيرات المستضعفين من مشارق الأرض
 ومغاربها حقا ؟ والجهد الجهد ، ولكن خب كامن ، وحسد مُكْمَد ، فُبعداً
 للقوم الظالمين .

وخطب أيضا

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة ، حمد الله
 ١٠ وأثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله ...
 فقام إليه رجل فقال : أذكَرُّكَ من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين .
 قال أبو جعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكَّره به ، وأعوذ بالله أن أذكر به
 وأنساه فتأخذني العزة بالإثم ؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . وأما أنت
 - والنفت إلى الرجل فقال - والله ما الله أردتَ بها ، ولكن ليقال : قام فقال
 ١٥ فعوقب فصبر ! وأهونُ بها ! [ويلك !] لو كانت العقوبة [فاهتبلها إذ عَفَرْتُ] ؛
 وأنا أنذركم أيها الناس أختها ؛ فإن المرعظة علينا نزلت ، وفيها انبثت .
 ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

وخطبة أيضا للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه
 ٢٠ وتسديده وتأيدته ؛ وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه يأذنه ؛
 فقد جعلني الله عليه فقلا ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لإعطائكم وقسم أرزاقكم ؛
 فإن شاء أن يُقفاني - ليها أقتاني ؛ فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف
 [٢١ - ٤]

الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أن يوفقني للرشاد وللصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وخطبة لسليمان بن علي

﴿ولقد كُتبتنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾ قضاء مبرم ، وقول فصل ، ما هو بالهزل ؛ الحمد لله الذي صدق عبده ، وأنجز وعده ، وبعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضاً ، والنيء إرثاً ، والدين هزوا ، وجعلوا القرآن عِصِينَ ، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكانت ترى من برئ مُعَطَّلة وتضرب مشيد ؛ ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظالم للعبيد ؛ أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب ، واضطهدوا العيرة ، ونبذوا السنة ، [وعندوا] واعتدوا ، واستكبروا ، وغاب كل جبار عند ثم أخذهم ، فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً ؟

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ يأهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في الأجسام ، فخذرم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿وإذا رأيتمهم نُعِجِبَكَ أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مُسندةٌ يحسبون كل صبيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ . قاتلكم الله أنى تصرفون ! جث مائلة ، وقلوب طائرة ، تشبون الفتن وتولون الدبر إلا عن حرم الله فإنه دريتكم ، وحريم رسوله فإنه مغزاكم ؛ أما وحرمة النبوة والخلافة ، لتتفرن خفافاً وثقالاً ، أو لأوسعنكم إرغاماً ونكالا .

وخطب صالح بن علي

يا أعضاء النفاق وعبد الضلالة ، أغزكم لين إيساسي وطول إيناسي ؛ حتى ظن
جاهلكم أن ذلك لفلول حد ، وفنور جد ، وخور قناة ؛ كذبت الظنون ؛ إنها
العيرة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليت العافية فمندی فصال و فطام وسيف
يقد الهام ، وإني أقول :

أغزكم أني بأكرم شيمه ه رفق وأني بالفواحيش أخرج
ومثلي إذا لم يجوز أحسن سعيه ه تكلم نعماه فيها فتطلق
لعمرى ؛ لقد فاحشتني فقلبتني ه هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أرفق

// وخطب داود بن علي بالمدينة

١٠ قال : أيها الناس . حتام يهتف بكم صريحكم ؛ أما أن لراؤدكم أن يهب من
نومه ؟ (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ؛ أغركم الإمهال
حتى حسبتموه الإمهال ؟ هيات منكم وكيف بكم والسوط في كني
والسيف مُشهر :

١٥ حتى يُبيد قبيلة قبيلة ه ويعض كل مُثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسراً ه يمسحن عرض ذوائب الأيتام

خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة : شكراً شكراً ؛ والله ما أخرجنا لنحفر فيكم نهراً
ولا لبتني فيكم قصرأ ، أظن عدو الله أن لن يُظفر به ، إذ مُد له في عنانه ، حتى
عثر في فضل زمانه ؛ فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مشرقها ،
والآن تولى القوس باربها ، وعادت النبل إلى النزعة ، ورجع الأمر إلى مُستقره ،
٢٠ في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة ، فاتقوا الله وأسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا
النعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُتيح هلكتكم ، وتزيل النعم عنكم .

خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحده على آلائه ،
وأجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر
لبلائه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ،
ونبيه المجتبي ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء ،
وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أمية ، أهل عداوة
وتضامن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرناؤهم ،
فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشرون أطاعه بالجنة وكرهيم ثوابها ،
ويُنذرون عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيُبَيِّنَ مِن حَتَّى
عَن بَيْنِنَا وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

١٠

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها فدامة ؛
وأحسبكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والالتناء إلى ما يقرب من
رحمته ويُنجي من سخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ؛ وجزيل المآب ؛
فاجتنبوا ما خوَّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ؛ يوم
توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار ﴿ يَوْمَ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ . فَنهَم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأُيُوهِ ،
وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ
لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً ؛ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَلَا تَغُرُّوكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّوكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ؛ فإن الدنيا دارٌ غرور ، وبلاء
وسُرور ، واضمحلالٍ وزوال ، وتقلبٍ وانتقال ؛ قد أفنت من كان قبلكم ، وهي
عائدة عليكم وعلى من بعدكم ؛ من ركن إليها صرَعته ، ومن وثق بها خانتها ؛ ومن أمأها
كذَّبتة ، ومن رجاها خذلتها ؛ عزَّها ذُلُّ ، وغناها فقر ؛ والسعيدُ من تركها ، والشقيُّ

٢٠

- فيها من آثرها ، والمغبون فيها من باع حظَّهُ من دارِ آخرته بها ؛ فآفة الله عبادة الله
 والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ؛ وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية
 قبل أن يؤخذ بالكظم ، وتندموا فلا تُقالون بالندم ، في يوم حسرة وتأسف
 وكآبة وتلهف ؛ يومٌ ليس كالأيام ، وموقف ضنك المُقام ، إن أحسن الحديث
 وأبلغ الموعدة كتابُ الله ؛ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ا
 بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى دُرِّمَ الْمُقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .
 ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ
 الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ .
- ١٠ أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى
 لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة هارون الرشيد

- الحمد لله ؛ نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على
 أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه مفوظين إليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعنه الله على قرة من
 الرسل ، ودروس من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ بشيراً
 بالنعيم المقيم ؛ ونذيراً بين يدي عذاب اليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاءه
 في الله ، فأدى عن الله وعده ووعدته حتى أتاه اليقين ؛ فعلى النبي من الله
 صلاة ورحمة وسلام .

- ٢٠ أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف
 الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ؛ وأحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار ،
 وتبلى فيه الأسرار ، يومَ البعث ويومَ التغابن ، ويوم التلاقى ويوم التنادي ،
 يوم لا يُستعْتَب من سيئته ولا يُزاد من حسنة ؛ ﴿ يَوْمَ الْأَزْزَقَةِ ، إِذْ الْقُلُوبُ

لنسى الخناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع بطاع ، يعلمُ خائنة الأعين
وما تخفى الصدور ؛ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس
ما كسبت وهم لا يظنون) .

- عباد الله ؛ إنكم لم تخلفوا عيبتنا ، ولن تتركوا سدى ؛ حصنوا إيمانكم
بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ؛ فقد جاء في الخبر أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ،
ولا صلاة لمن لا زكاة له . إنكم سَفَرٌ مجتازون وأتم عن قريب تنتقلون من
دار فناء إلى دار بقاء ؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ،
وإلى الهدى بالأمانة ؛ فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته
للتائبين ، وهُداه للنبيين ؛ قال الله عز وجل وقوله الحق (ورحمى وسعت كل
شئ ، فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) . وقال (وإني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) . وإياكم والأمانى ، فقد غزت وأوردت وأوبقت
كثيراً حتى أكدبتهم منايام ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين
ما يشتهون ؛ فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب
الأمثال ، فرغب بالوعد وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائمه بالقرون الخوالي
جيلاً لجيل ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم
من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تتحولون دونهم ، فزال
عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلتكم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب
والعقاب (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) .
- ٢٠ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله عز وجل (وإذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) . أعوذ بالله العظيم من
الشیطان الرجيم إنه من السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد ،
الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) . أمركم بما أمركم الله به ،
وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة المأمون في يوم الجمعة

- الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجب على خلقه ؛ أحده وأستعينه ؛
وأومن به وأتوكل عليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون . أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ،
والتنجز لو عنده ، والخوف لو عيده ؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له
وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ؛ وابتاعوا ما يبقى
بما يزول عنكم ويفنى ، ورحلوا عن الدنيا ، فقد جُدت بكم ، واستعدوا للوت
فقد أظلكم ، وكونوا كقوم صبح بهم فاتت بهم ، وعلوا أن الدنيا ليست لهم
بدارٍ فاستبدلوا ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ،
وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها
اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة الجديرة بقصر المدة . وإن غائباً يحدوه الجديدان
الليل والنهار الجدير بسرعة الأوبة ، وإن قادماً يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق
لأفضل المدة ، فاتق عبداً ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته ، فإن أجله
مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يزئ له المعصية ليركبا ،
ويؤمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، فيألها حسرة
على كل ذي عفة أن يكون عمره عليه حجة ؛ أو تؤديه أيامه إلى شقوة ؛
نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقصر به عن طاعة ربه
غفلة ، ولا يحل به بعد الموت قرعة ، إنه سميع الدعاء ، يده الخير وهو على كل
شئ قدير ، فقال لما يريد .

خطبة المأمون يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب
تشريفه ، وعظم حُرمنه ، ووثق له ، من خلقه صفوته ، وأبلى فيه تحليله ، وفدى

- فيه من الذبج العظيم نبيّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومُقدّم الأيام المعدودات من النفر ، يومٌ حرامٌ من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يومٌ دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عز وجل :
- (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)
- فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى ثم ذكر الموت ، ثم قال :

- وما من بعده إلا الجنة أو النار ، عظم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين ؛ الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، والحقُّ لا الكذب . وما هو إلا الموتُ والبعثُ والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب . فننجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشرُّ كله في النار .

١٥ وخطبة المأمون في الفطر

- قال بعد التكبير والتحميد : ألا وإن يومكم هذا يومٌ عيدٌ وسُنّةٌ ، وابتهاجٌ ورجبةٌ ، يومٌ ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله [خاتمة الشهر ، و] أول أيام شهر الحج ، وجعله مُعقبًا لمفروض صيامكم ، ومُنتقل قيامكم ، أحلّ الله لكم فيه الطعام ، وحزّم عليكم فيه الصيام ، فأطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه بتفريطكم . فإنه يقال : لا كبير مع ندم واستغفار ، ولا صغير مع تَمَادٍ وإصرار .

ثم كبر وحمد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبر والتقوى ، ثم قال :

اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم ولم يحضر الشك
 فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُستقال بعده عثرة ،
 ولا تُحظر قبله توبة ؛ واعلموا أنه لا شيء [قبله إلا دونه ، ولا شيء] بعده إلا
 فوقه ؛ ولا يعين على جزعه وعَلَّزِه وكُربِه ، وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقة
 ٥ وهول مطلعه ومسألة ملكيه -- إلا العمل الصالح الذي أمر الله به ، فمن زلت
 عند الموت قدمه ، فقد ظهرت ندامته ، وفاته استقالته ، ودعا من الرجعة إلى
 ما لا يجاب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه ؛ فالتة الله عباد الله ، كونوا
 قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ مُنِعَها الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون
 قبلكم ، إلا هذا الأجل المبسوط لكم : فاحذروا ما حذركم الله فيه ، واتقوا اليوم
 ١٠ الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر
 عبد ما يضع في ميزانه مما يتقل به وما يميل في صحيفته الحافظة لما عليه وله ؛ فقد
 حكى الله لكم ما قال المفرطون عند ما طال إعراضهم عنها ؛ قال جل ذكره :
 ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا
 الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
 ١٥ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . وقال : وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ
 فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا
 حَاسِبِينَ ﴾ ١ ولست أنهاركم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها . فإن
 كل ما بها يحد مني وينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم مما رأته
 أعينكم من فجائتها وزوالها ، ذم كتاب الله لها والنهى عنها ؛ فإنه يقول تبارك
 ٢٠ وتعالى : ﴿ فَلَا يُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنِيكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ . وقال :
 ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
 وَالْأَوْلَادِ ﴾ . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوماً من عباد
 الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها
 وأدركوا الجنة بما يتركون منها

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بني ، أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيبُ لك مني لهم ا فقام عثمان في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيبا ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ، فقال :

الحمد لله الذي أَلَّفَ بين قلوبنا وجعلنا متعابئين بعد البغضة ، الذي لا يُتَّحَدَ نِعْمَاؤُهُ ، ولا يزول مُلْكُهُ ؛ له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمدا صلى الله عليه وسلم فاختره بعلمه ، واثمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعوانا قَدَفَ في قلوبهم تصديقه ومحبته ، فأمنوا به وعزروه ووقروه وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقى منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أيها الناس . رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنا مع والي حافظ ، حَفِظَ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ، ويخفص بنا في الظهائر ، ويتخذ الليل جلا ، يجعل الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى اتيننا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقة السلاح فأقنا أياما نجيمُ كُرَاعَنَا ونُصَلِّحُ سِلَاحَنَا ؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعاد ؛ فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة ، نتأناهم وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم ، قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت

بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجلا من المسلمين ، فبتنا وباتوا
 وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبات المشركون في خورهم وملاعيمهم ؛
 فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ،
 فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا
 غنائم كثيرة ، وقيتا واسعا ، بلغ فيه الخسن نحو مائة ألف : فصفق عليها مروان
 ابن الحكم ، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغنصهم النفل ، وأنا رسولهم إلى
 أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذل من الشرك : فاحمدوا
 الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذي يرد عن القوم المجرمين .
 ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عيذه وقال : ذرية بعضنا من بعض
 والله سميعٌ عليهم . يا بُنيّ : ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ؛ فجعل لونه يحمر مرة ويصفر
 مرة ؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ فوالله إنه لليب
 الخطاب ؛ قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير
 ملوم ؛ ثم تكلم فقال :

الحمد لله ، له الخلق والأمر والدينا والآخرة ؛ يُوتى المُلْكُ من يشاء ،
 وينزعُ المُلْكُ ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذلُّ من يشاء . أما بعد :
 فإنه لم يُعزَّ الله من كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأناُمُ طرّاً ؛ ولم يُذلَّ
 من كان الحقَّ معه ، وإن كان فرداً . ألا وإن خبراً من العراق أتانا فأحزننا
 وأفربنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوى
 ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذي أفرحنا فإن قتل المصعب له
 شهادة ولنا ذخيرة ، أهله النعام المصلّم الآذان ؛ ألا وإن أهل العراق باعوه
 بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقتل فقد قُتِل أخوه وأبوه وابن
 عمه ، وكانوا الخيار الصالحين . وإنا والله لأنموت حنفاً ، ولكن قعصاً بالرماح ،

وموتاً تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان ، إلا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يبيد ذكره . ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر البطر ؛ وإن تُدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق المهين ثم نزل .

خطبة زياد البتراء

٥

قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال : قدم زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان ؛ والفسق بالبصرة ظاهر فائش . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه . اللهم كما زدتنا نعماً فألهنا شكراً .

١٠

أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلاؤكم من الأمور العظام ، يندب فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ؟ قرئتم القرابة ، وباعدتم الدين ؛ تعتذرون بغير العذر ، وتفضون على المختلس ؛ كل أمرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ؛ ما أنتم بالحلما ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطارقوا وراءكم ،

٢٠

كنوساً في مكائس الرّيب ؛ حرامٌ على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض
هدماً وإحراقاً .

إني رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، : لينٌ في غير
ضعف ، وشدة في غير عُنف ، وإني أقسمُ بالله لأخذنَّ الوليَّ بالمولى ، والمقيم
بالمظان ، والمقبِلَ بالمدير ، والصحيحَ بالسقيم ؛ حتى يلقى الرجلَ منكم أخاه فيقول
انجُ سعد فقد هلك سعيد ! أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبةَ الأمير بِلقاء مشهورة
فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . مَنْ نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامن
لما ذهب له ؛ فإياي ودلجَ الليل ، فإني لا أوتي بمذبحٍ إلا سفكتُ دمه ، وقد
أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبز الكوفةَ ويرجع إليكم ؛ وإياي ودعوى
الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعاها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن
وقد أحدثنا لكل ذنْبٍ عقوبة ، فمن غرقَ قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً
أحرقناه ، ومن نقبَ بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن نبشَ قبراً دفنناه فيه حياً ؛ فكفوا
عني ألسنتكم وأيديكم ، أكف عنكم يدي ولساني ؛ ولا يظهرنَّ من أحدٍ منكم ريةً
بخلاف ما عليه عاقبتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين قومٍ إحنٌ فجعلت
ذلك دبرَ أذني وتحت قدمي ؛ فمن كان محسناً فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً
فليزرع عن إسمائه ؛ إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السُّلَّ من بُخْضِي لم أكشف له
قناعاً ولم أهتك له سِتراً حتى يُبدي لي صفحته . فإن فعل ذلك لم أنظره ؛ فاستأنفوا
أموركم ، واستعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتسٍ بقدمونا سيئراً ؛ ومسرورٍ
بقدمونا سيئتس .

أهبنا الناس ؛ إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة ؛ نسوسكم بسلطان الله
الذي أعطانا ، ونذود عنكم بقراب الله الذي حوّلنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما
أحببنا ؛ ولكم علينا العدل فيما ولبنا ؛ فاستوجبوا عدلنا وفيتنا بمناحتكم لنا ؛
وآعلوا أني مهما أقصرُ عنه فلن أقصر عن ثلاث ؛ لست محتجبا عن طالب حاجة
ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاءً ولا رزقا عن إبنائه ، ولا مجمراً لكم بعشا ؛

فادعوا الله بالصالح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤذنون لكم، وكهنمكم الذى إليه تأوون؛ ومتى يصلحوا تصلحوا؛ ولا تُشربوا قلوبكم بنقضهم؛ فيشتد لذلك أسفكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم؛ مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يُعين كلا على كل. وإذا رأيتموني أنفذ فيكم أمراً فأنفذوه على أذلاله، وآيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي، ثم نزل.

فقام إليه عبد الله بن الأهتم، فقال: أشهد أيها الأمير، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب؛ قال له: كذبت؛ ذاك داود صلى الله عليه وسلم.

فقام الأحنف بن قيس فقال: إنما الثناء بعد البلاء، والخذ بعد العطاء،

وإنما لن تبنى حتى نبلى. قال له زياد: صدقت!

فقام أبو بلال [مرداس بن أدية] وهو يهوس ويقول: أنبأنا الله تعالى بخلاف ماقلت؛ قال الله تعالى: ﴿وإبراهيم الذى وفى، أن لا تزروا وزرة ووزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾. فسمعها زياد، فقال: إنما لا يبلغ من أصحابك ما تريد حتى نخوض إليهم الباطل خوفاً.

١٥ وخطبة لزياد

استوصوا بثلاثٍ منكم خيراً: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتينى شيخٌ بحدّثٍ استخفّ به إلا أوجعته، ولا يأتينى عالمٌ بجاهلٍ استخفّ به إلا أثكلتُ به ولا يأتينى شريفٌ بوضعٍ استخفّ به إلا ضربته.

وخطبة لزياد

٢٠ خطب زياد على المنبر فقال:

أيها الناس لا يمتنعكم سوء ما تعلقون منا أن تنفموا بأحسن ما تستمعون منا، فإن الشاعر يقول:

أعملُ يقولى وإن قصرتُ فى عملى • ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

وخطبة لزياد

العتى قال : لما شهدت الشهود لزياد قام في أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

هذا أمر لم أشهدُ أوله ، ولا عِلْمٌ لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ،
وشهدتِ الشهودُ بما سمعتم ، فالحمدُ لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ منا
ماضيتهم ، فأما عُبَيْدُ فإنما هو والد مبرور ، أو كافل مشكور .

خطبة لجامع المحاربى

وكان شيخنا صالحا خطيبا لساناً ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط :
بنيها في غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك !

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقم مذهبهم وتسخط طريقتهم ، فقال
له جامع : أما إسم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ماشيتوك لنسبك ، ولا لبلدك
ولا لذات نفسك ، فدع عنك ما يُبْعِدُهم منك إلى ما يقربهم إليك ، والتمس العافية
من دونك ، تمطها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إني والله ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف !
قال له : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج :
الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يحمه الله . وغضب الحجاج
فقال : يا هناه ، إنك من محارب . فقال جامع :

وللعربِ نَمِينَا وَكُنَّا مُحَارِبًا ۝ إِذَا مَا أَلْقَانَا أَمْسَى مِنَ الطُّغْنِ أَحْمَرَا

والبيت للنخضرى . قال الحجاج : والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب

٢٠ به وجهك !

قال جامع : إن صدقناك أغضبتناك ، وإن غششتناك أفضبتنا الله ، فغضب الأمير

أهون علينا من غضب الله ! قال : أجل .

وُسْعِلَ الحِجَاجَ بِيَعُضِ الأَمْرِ ، فَانْسَلِ جَامِعٌ ، فَرَبِيبِ صَفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ
 حَتَّى جَاوَزَ إِلَى خَيْلِ أَهْلِ العِرَاقِ — وَكَانَ الحِجَاجُ لَا يَخْلُطُهُمْ — فَأَبْصَرَ كِبَكِيَّةً فِيهَا
 جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ العِرَاقِ ، وَقَيْسِ العِرَاقِ ، وَتَمِيمِ العِرَاقِ ، وَأَزْدِ العِرَاقِ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ
 أَشْرَأُ بَرًا إِلَى بَلْفِهِمْ خَرُوجُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ دَافِعِ اللهُ لَنَا عَنْ نَفْسِكَ !
 فَقَالَ : وَيَحْكُمُ اللهُ عُمُومَهُ بِالخَلْعِ كَمَا يَحْكُمُ بِالْعِدَاوَةِ ، وَدَعَا التَّمَادِيَّ مَا عَادَاكُمْ ، فَإِذَا
 ٥ ظَفَرْتُمْ [بِهِ] تَرَايَعْتُمْ وَتَعَايَفْتُمْ . أَيُّهَا التَّمِيمِيُّ ، هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ الأَزْدِيِّ ؛ وَأَيُّهَا
 القَيْسِيُّ ، هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ التَّغْلِبِيِّ ؛ وَليْسَ يَظْفَرُ بِنِ نَاوَاهِ مِنْكُمْ إِلَّا بِنِ
 بَقِي مَعَهُ .

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزفر بن الحارث .

١٠ خطبة للحجاج بن يوسف

خطب الحجاج فقال : اللهم أرني النعمي غيًّا فأجتنبه ، وأرني الهدى هُدىً
 فأتبعه ، ولا تمكِّنني إلى نفسي فأضِلَّ ضلالاً بعيداً ! والله ما أحب أن ماضى من
 الدنيا لي بعمامتي هذه ، وما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج

١٥ قال الهيثم بن عدي : خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ،
 فسمع تكبيراً في السوق ، فراعته ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ،
 ثم قال :

يأهل العراق ، يأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وبنى اللكيعة ،
 وعبيد العصا ، وأولاد الإمام ، والفقع بالقرقر ؛ إني سمعت تكبيراً لا يُراد به الله
 وإنما يراد به الشيطان ؛ وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن بركة الهمداني :

٢٠ وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ • فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَاهُمْدَانَ ظَالِمٌ ؟

مَتَى نَجْمَعِ القَلْبَ الذِّكْرِيَّ وَصَارِمًا • وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ المَظَالِمُ !

أما والله لا تفرع عصاً بعصاً إلا جعلتها كأس الدابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهل العراق فقال :

يا أهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والسماع
والأطراف والأعضاء والشغاف : ثم أفضى إلى المخاخ والصماخ ، ثم ارتفع
فحشش ؛ ثم باض وفرخ ، فحشاكم شقاقا ونفاقا ، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا
تبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظمكم
وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ ألسن أصحابي بالأهواز حيث رمت
المكر : وسعيتم بالقدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه
وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأتم تسفلون لو اذا ؛ وتنهزمون سراعا ؛ ثم يوم
الزاوية : وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم
ونكوص وليكم عنكم ؛ إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى
أعطانها : لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم
السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجماجم : وما دير الجماجم ؟ بها كانت
المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

يا أهل العراق والكفريات بعد الفجرات ؛ والغدرات بعد الخترات ، والنزوة
بعد النزوات ، إن بعثكم إلى نفوركم غلامم وحتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن
خفتم ناقتم ؛ لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة !

يا أهل العراق : هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاوي ، أو استغزكم عاص
أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع — إلا وثقتموه وآويتموه وعزرتموه
ونصرتموه ورضيتموه .

يا أهل العراق ؛ هل شغب شاذب ، أو نعب ناعب ، أو نعنق ناعق ، أو زفر
زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم
تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظلم الدابّ
عن فراخه ؛ ينقى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكتنّها من المطر ، ويمحيها
من الضباب ؛ ويمحسها من الذئب ؛ يا أهل الشام ، أتمّ الجنة والرداء ، وأتمّ
العدة والحذاء .

٥ وخطبة للحجاج

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة ، جلست قريبا من المنبر ، فصعد
الحجاج ثم قال :

امرؤ حاسب نفسه ؛ امرؤ راقب ربه ؛ امرؤ زور عمله امرؤ فكر فيما
يقروه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه ؛ امرؤ كان عند همه آما ، وعند هواه
١٠ زاجرا ؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة ، فإن قاده إلى حق
تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفّه . إننا والله ما خلقنا للفناء ، وإنما خلقنا
للبقاء ، وإنما تنتقل من دار إلى دار .

خطبة الحجاج بالبصرة

اتقوا الله ما استطعتم . فهذه لله وفيها ثوبة . ثم قال : «واسمعوا وأطيعوا» .
١٥ فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان ، والله لو أمرت
الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره ، لكانت دماؤهم لي حلالا
من الله ، ولو قتل ريعة ومضر لكان لي حلالا . عندي من هذه الحراء ، ير
أحدّم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون لي أن يقع هذا خير . والله لأجملنهم
كأمس الدابر ؛ عندي من عبد هذيل ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن
٢٠ كأنه رجز الأعراب ؛ والله لو أدركته لقتلته .

خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كفانا مشوّة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة
فليتّه كفانا مشوّة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . ما لي أرى علماءكم يذهبون ، وجهاً لكم

لا يتعلمون ، وشراركم لا يتوبون ؟ ما لي أراكم تحرصون على ما كفيتم ، وتُضَيِّعون ما به أمرتم ، إن العلم يوشك أن يُرفع ، ورفعه ذهبُ العلماء . ألا وإن أعلم بشراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرؤون القرآنَ إلا هُجْراً ، ولا يأتون الصلاةَ إلا دُبْرًا ؛ إلا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرُّ والفاجر ؛ ألا وإن الآخرة أجلُّ مستأخر يحكم فيه ملكٌ قادر ؛ ألا فاعملوا وأتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم ملاقوه (لِيَجْزِيََ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى) ألا وإن الخيرَ كله بخدافيه في الجنة ؛ ألا وإن الشرَّ كله بخدافيه في النار ؛ ألا وإن من يعمل مثقالَ ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقالَ ذرة شراً يره وأستغفر الله لي ولكم .

وخطبة للحجاج

خطب الحجاجُ أهل العراق فقال : يا أهل العراق إني لم أجد لكم دواءً أدوى لدايتكم من هذه المغازي والبعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة الفقل ، فإنها تعقب راحة وإنى لا أريد أن أرى الفرحَ عندكم ولا الراحةَ بكم ؛ وما أراكم إلا كارهين لمقاتي ، أنا والله لِرؤيتكم أكره ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَلْتُ نفسي مُقاساتكم والصبرَ على النظر إليكم ؛ والله أسألُ حُسنَ العون عليكم اثم نزل .

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يا أهل العراق ، إني أردتُ الحج ، وقد استخلفتُ عليكم آبي محمداً ، وما كنتم له بأهل ؛ وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الانصار ؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم ، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ؛ ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمتنع من إظهارها إلا خوف ، تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ؛ وإنى أعجل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلاة اثم نزل .

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر ركباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة [لجأة] حين انتشر النهار ، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز ، فقال : عليّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهُمُوا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد ، قام ، ثم كشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلا وطلاعُ الشَّيا . متى أضجُ العِمامةَ تعرفوني
صَلِيبُ العودِ من سَلقى رِياح . كَنصَلُ السيفِ وِضاحُ الجِبين
وماذا يبتغى الشُّعراءُ مني . وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين
أخو خمسينَ يجتمعُ أشدِّي . وتَجذني مُداورةُ الشُّنون
وإني لا يعوُدُ إلى قِرَني . غداةُ العبءِ إلا في قرين

أما والله إنى لأحل الشر بحمله ، وأحدوه بنعله ، وأجزيه بمثله ؛ وإنى لأرى رءوساً قد أينعت وحن قطفها ، وإنى لأصاحبها ؛ وإنى لأنظر الدماء بين العمام واللعى تترقق :

١٥ . قد شمرّت عن ساقها فشمّر .

ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم . قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى إبل ولا غنم . ولا بجزائر على ظهر وضم

ثم قال :

٢٠ . قد لفها الليل بعصاي . أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابي

ثم قال :

قد شمّرت عن ساقها فشَدُوا ، ما علّتي وأنا شيخُ إِد
والقوسُ فيها وتَرَّ عُرْدُ ، مثل ذراعِ البِكرِ أو أشدُّ

إني والله يا أهل العراق ، ومعدن الشقاق والفساق ، ومساوي الأخلاق ، لا يُغمر
• جانبي كتغماز التين ، ولا يُقعقع لي بالشنان ؛ ولقد فُرتُ عن ذكاه . وقشّشتُ
عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية القصوى ؛ وإن أمير المؤمنين ترَكَ كَنانته بين يديه
ثم عجم عيدياتها ، فوجدني أمرها عوداً وأشدّها مكسراً ، فوجهني إليكم ، ورامكم بي ،
فإنكم قد طالما أوضعتم في الفتن وسنتم سنن النقي ؛ وآيم الله لألحونكم لحو
العصا ، ولا فرعنكم قرع المرؤة ، ولا عصبنكم عصب السّلة ، ولا ضربنكم
10 ضرب غرائب الإبل ؛ أما والله لا أَعِد إلا وفيت ؛ ولا أخلق إلا قرّيت ؛
فيايى وهذه الشفعا ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً . وما يقولون ؛ وفيهم
أتم وذاك ؟ والله لتستقيمُن على طريق الحق ، أو لَأَدَعَنَّ لكلّ رجلٍ منكم سُغلاً
في جسده ! من وجدته بعد ثالثة من بئس المهلب سفكت دمه . واتهبت ماله
وهدمت منزله .

15 فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب ؛ فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولى
العراق خيراً ذكر .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

20 أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه
فقال ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ؛ وقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ ؛ فمات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم
عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاربية ؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي

جربته الأمور ، وأحكته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ،
واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزيغ ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين
الراشدين ؛ فاختر الله له ما عنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شبيهه في العقل
والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ؛ فاسمعوا له وأطيعوه .

- ٥ أيها الناس ؛ إياكم والزيغ ؛ فإن الزيغ لا ينجي إلا بأهله ؛ ورأيتم سيرتي
فيكم ، وعرفت خلافتكم ، وقبلتكم على معرفتي بكم ؛ ولو علمت أن أحداً أقوى
عليكم مني ، أو أعرف بكم ، ما وليتكم ؛ فإياي وإياكم ؛ من تكلم قتلناه ؛ ومن
سكت مات بدائه غماً ثم نزل .

خطبة الحجاج

- ١٠ لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس ، محمدان في يوم واحد ؛ أما والله لقد كنت أحبّ أنهما معي
في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة ؛ وآيم الله ليوشكن الباقي
مني ومنكم أن يفنى ، والجديد مني ومنكم أن يبلى ، والحق مني ومنكم أن
يموت ؛ وأن تُمدال الأرض منا كما أدلنا منها ؛ فتأكل من لحومنا ؛ وتشرب
من دماتنا ؛ كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ؛ ثم
١٥ يكون كما قال الله (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) .
ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ميت * وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله غني راضياً * فإن سرور النفس فيما هنالك

- ٢٠ خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة ؛ فقام إليه رجل فقال : إن
الوقت لا ينتظر ، والرب لا يعبرك ؛ فأمر به إلى الحبس ؛ فأناه آل الرجل
وقالوا : إنه مجنون ؛ فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرت من خلية سيئه . فقال
الرجل : لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني .

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق ؛ وقالوا : مات الحجاج ! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

يا أهل الشقاق والنفاق ! نفع إبليس في مناخركم قتلتم : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمة ؟ والله ما أحب أن لا أموت ! وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ، وما رأيت الله عز وجل رضى الخلود لأحد من خلقه ، إلا لأهونهم عليه : إبليس ؛ ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربه فقال (ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدى إنك أنت الوهابُ) . ففعل ؛ ثم اضمحل كأن لم يكن .

خطبة للحجاج

خطب فقال في خطبته :

سوطى سبني ، ونجاده في عنتي ، وقائمته في يدي ؛ وذبابه قلادة لمن اغترني ! فقال الحسن : بؤساً لهذا ! ما أغزه بالله .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ؛ ثم أتى زوجته ، ففتمتة نفسها فأتى ابن شبرمة يستفتيه ؛ فقال : يا بن أخي أمض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرك أن تزني .

هذا ما ذكرناه في كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بق منها فهي مستقصاة في كتاب اليقظة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا في كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذي يُجتزأ منه بالقليل .

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بني هاشم والقواد وغيرهم فقال :

- الحمد لله مالك الملك ، يُوتقُ الملك من يشاء ، وينزعُ الملك عن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُبدلُ من يشاء ؛ ولا يُصلح عمل المفسدين ، ولا يهدي كيد الخائنين ؛
- إن ظهور غَلَبَتِنَا لم يكن من أيدنا ولا كيدنا ، بل اختار الله لخلافته — إذ جعلها عموداً لدينه ، وقواماً لعباده — من يستقل بأعبائها ، ويضطلع بحملها .

خطبة عبد الله بن طاهر

- خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج ؛ فقال : إنكم فتة الله المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاية أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين فاستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوه وأهل معصيته ، الذين أشروا وتمردوا وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُذَبِّحْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون ، وعذتكم التي تستظهرون ؛ فإنه الوزر المنيع الذي دلّم الله عليه ، والبجة الحصينة التي أمركم الله بلباسها ؛ غضوا أبصاركم ، وأخفتوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قُدماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به كما أمركم الله ؛ فإنه يقول : ﴿ إِذَا لَفِئَتُمْ فَتَةً فَانْبِتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر .

خطبة قتيبة بن مسلم

- قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أندرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثروان — يعني هبنقة القيسي —
 كافي بأمر مزجاء وحكم قد أناكم يحكم في أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم .
 ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ؟ لعن الله الأعراب ! جمعهم كما يجمع
 فرخ الخزيق من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلفل ، يركبون البقر ؛ وبأكلون
 الهيد ، فحلمتهم على الخيل ، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد ، وجي بهم
 النية . قالوا : مرنا بأمرك . قال : غروا غيري .

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يا أهل العراق ، ألسن أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحمى من أهل العالية فتعم الصدقة ،
 وأما هذا الحمى من بكر بن وائل فعلة بظراء لا تمنع رجليها ، وأما هذا الحمى من
 عبد القيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحمى من الأزدي فطوح خلق الله
 وأنباطه ؛ وآيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، وأما هذا الحمى من تميم
 فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان .

وقال الشاعر :

إذا كنت من سعدٍ وخالك منهم • بعيداً فلا يغررك خالك من سعدٍ
 إذا ما دعوا كيسانَ كانت كهُولهم • إلى الغدر أدنى من شياهم المرء

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يا أهل خراسان ، قد جزبتم الولاية قبلي ؛ أناكم أمية فكان كاسمه أمية الرأي ،
 وأميه الدين فنكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان لو كان في مطبخه لم يكفه ؛
 ثم أناكم بعده أبو سعيد ثلاثاً ، لا تدرن أفي طاعة الله أتم أم في معصيته ؟ ثم لم يجب
 قتيلاً ، ولم يبيلُ عدواً ؛ ثم أناكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة ؛ منهم ابن ربيعة ،
 حصان يضرب في عانة ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ؛ ثم أصبحتم وقد
 فتح الله عليكم البلاد [وأمن لكم السبل] حتى إن الظئينة لتخرج من مرو إلى
 سمرقند في غير جوار .

قوله أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة . وقوله : ابن رحة : يريد يزيد
ابن المهلب .

خطبة ليزيد بن المهلب

- حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
- أياها الناس ، إني أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء
أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف : منها سبعة معي ، واثنتان على ،
وما مسلمة إلا جرادة صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس ، أناكم في
برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط ؛ أقبل إليكم الفلاحون والأوباش
كأثلاء اللحم ، والله ما لقوا قط حداً كحكم ، ولا حديداً كحديدكم ، أعيروني
سواعدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم ؛ فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين .

خطبة قس بن ساعدة الإيادي

- ابن عباس قال : قدم وفد إباد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أيكم يعرف قس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا يعرفه قال : فما فعل ؟ قالوا :
هلك قال : ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب
الناس ويقول :
- أسمعوا وعُوا : من غاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ؛ إن
في السماء لحبراً ، وإن في الأرض لعبرا ، سحاب تمور ، ونجوم تغور ، في فلك
يدور . يُقسِم قس قسما : إن لله دينا هو أرضي من دينكم هذا .
- ثم قال : مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟
أم تركوا فناموا .

أيكم يروى من شعره ؟ فأنشد بعضهم :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد ه للبوته ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ه تمضي : الأكارب والأصغر
لا يرجع الماضي ولا ه يبقى من الباقيين غير
أيقنت أني لا عما ه له حيث صار القوم صائر

خطبة عائشة أم المؤمنين

رحمها الله يوم الجمل .

قالت : أيها الناس صه صه ؛ إن لي عليكم حق الامومة ، وحق الموعدة ؛
لا يهمني إلا من عصى ربه ؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين تحرى
وتحرى ؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة ، له اذخرني ربي وخلصى من كل بضع ؛
وإن مبرز مؤمنكم من منافقكم ، وإن أخص الله لكم في صيد الأبواء ؛ ثم
أبي ثاني اثنين الله ثالثهما ؛ وأول من سمي صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم راضياً عنه ؛ وطوقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب جبل الدين بعده ؛
فسك أبي بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردة ، وأطفأ ما حشت
يهود ؛ وأنتم يومئذ جحوظ العيون ، تنظرون العدو ، وتسمعون الصيحة ؛ فرأب
الثأى ، وأود من الغلظة ، وامتاح من الهوة ؛ حتى أجتحي دفين الداء ؛ وحق
أعطن الوارد ، وأورد الصادر ، وعل الناهل ؛ ففضضه الله إليه واطنا على هامات
النفاق ، مذكياً نار الحرب للشركين ؛ فانتظمت طاعتكم بحبله ؛ فولى أمركم
رجلاً مريعاً إذا ركن إليه ، بعيداً ما بين اللابئين إذا ضل ، عركة للأذاة بجنبه
صفوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل في نصرة الإسلام ؛ فسلك مسلك
السابقه ؛ ففرق شمل الفتنه ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نصب المسألة عن
مسيرى هذا ؛ لم أتمس إثمها ، ولم أؤرث فتنه أو طينكوما ؛ أقول قولى هذا
صدقا وعدلا ، وإعذاراً وإنذاراً ؛ وأسأل الله أن يصلى على محمد ، وأن يخلفه
فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

خطبة عبد الله بن مسعود

- أصدق الحديث كتابُ الله . وأوثق العُرَى كلُّهُ التقوى ، خير زاد ؛ وأكرم الملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وخير السنن سنةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألحى ، لنفسٍ تحميها خير من إمارة لا تُخصيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما ألقى في القلب اليقين . الخرج جماع الآثام . النساء حباتُ الشيطان . الشبابُ شعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مفتاحُ المعجزة . شرُّ من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبراً ، ولا يذكر الله إلا هُجراً . سببُ المؤمن فسوق ، وقتاله كُفر ، وأكلُ لحمه معصية من يتأل على الله يُكذبه ، ومن يففر يُففر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عني عنه . الشقُّ شق في بطن أمه . السعيدُ من وعظ بغيره . الأمور بعواقبها . ملاكُ الأمر خواتيمه . أحسنُ الهدى هدى الأنبياء . أقيح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرفُ الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة لعتبة بن مرwan

بعد فتح الأيلة

- حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال :
 إن الدنيا قد تولت [حذاء مدبرة] ، وقد آذنت أهلها منها بصيرم ، وإنما بقي منها صباية كصباية الإناء . يضطبها صاحبها ؛ ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ؛ ألا إن من العجب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُرمى به في شفير جهنم فيهب في النار سبعين خريفاً ، وليجهم سبعة أبواب ، بين كل بايين منها مسيرة خمسمائة عام ، وليأتين عليها ساعة وهي كظيظ بالزحام ؛ ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البشام ، حتى قرحت أشداقنا ؛ فوجدت أنا وسعد

ابن مالك تمره فشققها بيني وبينه نصفين ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على
حصر ولأنه لم يكن نبوة قط إلا تناحنت ؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي
عظيما وفي أعين الناس صغيرا .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

• لما عقد معاوية ليزيد البيعة ، قام الناس يخطبون ؛ فقال [معاوية] لعمرو بن
سعيد : قم يا أبا أمية . فقام حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجل تأمنونه ؛ إن استضفتم إلى
حله وسِعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده
أغناكم ؛ جذع قارح ، سويق فسبق ، وموجد فوجد ، وقورع فقرع ؛ فهو خلف
أمير المؤمنين ولا خلف منه . ١٠

فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرغ الرياشي : حدثنا ابن عائشة قال : قدم عمرو بن
سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقعده عليه وغمض عينيه وعليه جبة خز قرمز ، ومطرف خز قرمز ، وعمامة
خز قرمز ؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها ، ففتح عينيه فإذا الناس
ينظرون إليه ؛ فقال :

٢٠ ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا
بسيوفكم ؛ أغرّمكم أنكم فعلتم ما فعلتم فغفونا عنكم ؟ أما إنه لو أُثبتتم بالأولى
ما كانت الثانية ؛ أغرّمكم أنكم قتلتم عثمان فواقتم ثأرنا منا رفيقا ، قد فنى غضبه
وبقى حله ؛ اغتمموا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقبل ، البعيد الأمل
الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد ، لئن شديد

رقيق كيف ، رقيق عنيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر
ببصره ، واستقبله بأشبهه ، فهو إن عجز نيس ، وإن سطا فرس ، لا يُقَلِّلُ له
الحصى ، ولا تُفْرَعُ له العصا ، ولا يمشی السَّمَى .

قال : فما بقي بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قصمه الله .

خطبة لعمر بن الخطاب

العتي قال : استعمل سعيد بن العاص وهو وال على المدينة ابنه عمرو بن
سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن
نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حارِ ، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال :
ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به ؛ والله ما كنتني ، ولا أعمت اسمي ، وإنما
أنهاك عن التكبر على أكتافك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك .
قال : والله ما أسأت الموعدة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني
مخلوق . فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكنناها حِقْبَةً ، وخرجنا عنها رغبة ، ولذلك
كنا إذا رُفِعَتْ لنا لُحُوءَةٌ بعد لُحُوءَةٍ أَخَذْنَا أَسْنَانَهَا ، وَزَلْنَا أَعْلَانَهَا ؛ ثُمَّ شَدَخْنَا أَمْرًا
بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا ، حَتَّى شَرِبْنَا دَمًا ،
وَأَكَلْنَا لَحْمًا ، وَقَرَعْنَا الْعِظْمَ عِظْمًا ؛ فَوَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ
إِيَّاهُ ، وَاخْتِيَارَهُ لَهُ ؛ ثُمَّ وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ لِسَابِقَتِهِ وَفَضْلَهُ ؛ ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ ؛ ثُمَّ أُجِيلَتْ
قِدَاحُ نَزَعْنَا مِنْ شُجْبِ حَوْلِ نَبْعَةٍ ، فَمَازَ بِحِظِّهَا أَصْلُبُهَا وَأَعْتَقَهَا ، فَكُنَّا بَعْضُ
قِدَاحِهَا ؛ ثُمَّ شَدَخْنَا أَمْرًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا
حَتَّى شَرِبْنَا دَمًا ، وَأَكَلْنَا لَحْمًا ، وَقَرَعْنَا الْعِظْمَ عِظْمًا ، وَعَادَ الْحَرَامَ حَلَالًا ،
وَأَسَكَّتْ كُلَّ ذِي حَسَنٍ عَنْ ضَرْبِ مَهْنَدٍ ، عَرَكَا عَرَكًا ، وَعَسَفَا عَسْفًا ، وَخَزَا
وَنَهَسَا ، حَتَّى طَابُوا عَنْ حَقْنِ نَفْسًا ، وَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُ عَنْ هَوَادَةٍ ، وَلَا رِضْوَانًا
فِيهِ بِالْقَضَاءِ ؛ أَصْبَحُوا يَقُولُونَ : حَقْنَا غُلْبَانًا عَلَيْهِ ، لِحُزْنِنَاهُ هَذَا هَذَا ، وَهَذَا
فِي هَذَا .

يا أهل مكة ، أنفَسِكُمْ أَنْفَسَكُمْ ، وسفهاءكم سفهاءكم ، فإن معي سوطا نكالا ،
وسيفا وبالا ، وكلُّ منصوبٌ على أهله . ثم نزل .

خطبة للأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أتم إخواننا في الدين
وشركاؤنا في الصهر ، وأشقاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ؛
والله لأزد البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من
تميم الشام ؛ فإن استشرف شئنا نكم وأبى حسدُ صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا
سعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيبا فقال : اتقوا الله عباد الله : فكم مؤمِّلٌ أملاً لا يبلغه ، وجامع
مالاً لا يأكله ، ومانعٍ عما سوف يتركه ؛ ولعله من باطلٍ جمعة ، ومن حقٍّ منعه
أصابه حراما ، وأورثه عدواً حلالا ، فاحتمل إضره ، وباه يوزره ، وورد على
ربه أسفاً لهما ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المين .

خطبة لشداد بن أوس الطائي

حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا إن الدنيا عرضٌ حاضر ، يأكل منها البرُّ
والفاجر ؛ ألا إن الآخرة وعدٌّ صادق ، يحكم فيها ملكٌ قادر ؛ ألا إن الخير كله
بمخافيره في الجنة ؛ ألا إن الشر كله بمخافيره في النار ، فاعملوا ما عملتم وأتم في
يقين من الله ، واعلموا أنكم معروضة أعمالكم على الله ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وغفر الله لنا ولكم .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري

صعيد المذبر يوم جمعة وهو والي مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه
خيراً ؛ لما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب ساجان بن عبد الملك يأمره فيه بشتن

الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البرامة منه : فصعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً ، وكان قد علم الله من غشه وخبثه ما خفي على ملائكته فلما أراد فضيخته ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم ، فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد [الله] فضيخته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، [فلعنه] ، فالعنوه لعنه الله !

خطبة لمصعب بن الزبير

- ١٠ قدم العراق فصعد المنبر ثم قال :
- بسم الله الرحمن الرحيم . (طسم تلك آيات الكتاب المبين ، تلو عليك من تبارك موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين) وأشار بيده نحو الشام (وزريد أن تمن على الدين استضعفوا في الأرض وتجمعهم أئمة وتجمعهم الوارثين) وأشار بيده نحو الحجاز (وتؤمن لهم في الأرض وزيري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

- قال : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضبع والثعلب : أتيا الضب في جعره فقالا : أباحسل . قال : أجتكا . قال : جتناك نختم . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : فتحت عيني . قال : فعل النساء فعلت . قالت : فلة طت ترة . قال : حلوا اجتيت . قالت : فاخطفها ثعالة ! قال : لنفسه

بغى [الخبر] . قالت : فلعلمته لطفة ا قال : حقاً قضيت . قالت : فلطمني أخرى
قال : كان حُرّاً فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدث امرأة حديثين ،
فإن أبت فاربّع ، أى : اسكت .

خطبة شبيب بن شيبه

٥ قيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعدله ، فلو أمرته
أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح ، قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد ،
فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم حق الصلاة عليه ؛ ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد
الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريبع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر
١٠ فأشبهه منه صولته ومضائه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعطاءه ،
وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره وضيائه ، وأما الريع الناضر فأشبهه منه حسنه
وبهائه . ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

وموقبٍ مثل حدِّ السيفِ قُتُّ به . أحمى الذمَّارَ وثرميني بهِ الحدِّقُ
فما زلقتُ وما ألقيتُ كاذبةً ؛ إذا الرجالُ على أمثاله زلِقُوا

خطب لعنبة بن أبي سفيان

١٥ بلغه عن أهل مصر شيء فأغضبته ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه :

يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً ، فإن الله فيكم ذبيحا لعثمان
أرجو أن يوليئني نسكك ؛ إن الله جمعكم بأمر المؤمنين بعد الفرقة ، فأعطى كل ذي
٢٠ حقِّ حقه وكان والله أذكركم إذا ذكر بخطه ، وأصفحكم بعد المقدره عن حقه ؛
نعمة من الله فيكم ، وممة منه عليكم ؛ وقد بلغنا عنكم نجم قول ، أظهره تقدُّم
عفو منا ، فلا تصيروا إلى وخشة الباطل بعد أنس الحق ، يا حياء الفتنة وإماتة

السُّنن ؛ فأطأكم الله وطأة لاروق معها ؛ حتى تسكروا مني ما كنتم تعرفون ،
وتستخشنون ما كنتم تسلبون ؛ وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين
وما تخفى الصدور .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان

- ٥ يا حاملي الأيم أنوف ، ركبت بين أعين ، إنما قلّمت أظفاري عنكم ليلين
مسيّ إياكم ، وسألنكم صلاحكم ؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أيتم إلا الطعن
على الولاية ، والتنقص للسلف ، فوالله لا قطعن على ظهوركم بطون الشياطين ، فإن
حسنت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا
جُذتم لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التي هي أبر وأتقى .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان

- ١٠ لما اشتكى شكاته التي مات فيها ، تحامل إلى المنبر فقال :
- يا أهل مصر ، لا غنى عن الرب ، ولا مهرب من ذنب ؛ إنه قد تقدّمت مني
إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ،
فليتني لا أكون اخترت دنياي على معادي ، فأصلحتكم بفسادي ؛ وأنا أستغفر الله
منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خفت ما كنت أرجو نفعاً عليه ، ورجوت ما كنت
أخاف أعتيلاً به ، وقد شقي من هلك بين رحمة الله وعفوه ؛ والسلام عليكم ،
سلام من لا ترونه عائداً إليكم . قال : فلم يعد .

وخطبة لعنبة

- العنبي قال : سعد القصر : احتبست عنا كتب معاوية ابن أبي سفيان حين
أرجف أهل مصر بموته ، ثم قدم علينا كتابه بسلامته ؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب
في يده ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
- يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وظلمات السيوف ،

عياه ، ووطئه زمانه ، وبه قهر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .
 فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأسأله العون عليكم ، وقد أمرت لك بفنالك ،
 فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

خطبة لعتبة بن أبي سفيان

- ٥ سعد القصر قال :
- وجه عتبة بن أبي سفيان ابن أخي أبي الأعور السلمي إلى مصر فنعموه
 الخراج ، فقدم عليهم عتبة فقام خطيباً فقال :
- يا أهل مصر ، قد كنتم تعتدرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم ؛ فقد
 وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ؛ فإن رددتم ردكم ييده ، وإن
 استعصيتم وركم بسيفه ، ثم رجا في الآخر ما أتل في الأول ؛ إن البيعة مشايعة ،
 فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ؛ فأينا غدر فلا ذقة له عند
 صاحبه ، والله ما انطلقت بها الستنا حتى ععدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم
 حتى بذلناها لكم ، ناجزاً بناجز ، ومن حذر كمن بشر . قال فنادوه : سمعا سمعا ،
 فناداهم : عدلاً عدلاً .

١٥ وخطبة لعتبة

- قدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر : إن قبلك قوما يطعنون على الولاية
 ويعيبون السلف . فخطبهم فقال :
- يا أهل مصر ، خف على ألسنتكم بمدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل
 وأتم تأتونه ، كالبحار يحمل أسفاراً أثقله حملها ولم ينفعه ثقلها ، وآيم الله
 لا أداويكم بالسيف ما صلحتم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة ،
 ولا أبطئ عن الأول ما لم تسرعوا إلى الأخرى ؛ فالزموا ما أمركم الله به ،
 تسوجبوا ما فرض الله لكم علينا ؛ وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال

فعل ويفعل ؛ وكونوا خير قوس سهماً . فهذا اليوم الذى ليس قبله عتاب ،
ولا بعده عتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا

٥ سعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة - وهو أحد بنى مازن بن عمرو
ابن تميم - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أقابعد ، فإنى أحنكم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ،
وراقَت بالقليل ، وتحيبت بالمعاجة ، وغمرت بالآمال ، وتحلَّت بالآمانى وزينت
بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن بجمعها ؛ غدارة ضارة ، وحائلة زائلة ،
ونافذة بائدة ؛ لا تعدو - إذا [هى] تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا

١٠ عنها - أن تكون كما قال الله عز وجل ﴿ كما أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا ﴾ . مع
أن امرءاً لم يكن منها فى حيرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ؛ ولم يلق من سرائها
بطناً ، إلا منحنه من ضرائها ظهراً ؛ ولم تطلَّ منها ديمة رخاء ، إلا هطلت عليه

١٥ مُزنة بلاء ؛ وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تسمى له خاذلةً متنكرة ؛ وإن
جانب منها اعذوب واحلولى ، أمر عليه منها جانب فأوبا ؛ وإن أبس امرؤ من
غضارتها ورفاهيتها نعماً ، أرهقته من نوائها غمماً ؛ ولم يمس امرؤ منها فى جناح
أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ؛ غزارة ، غرورٌ ما فيها ؛ باقية ، فإن
ما عليها ؛ لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى ، من أقلَّ منها استكثر مما

٢٠ يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يؤبقه ، وزال عما قليل عنه ، واستكثر
مما يؤبقه ؛ كم واثق بها قد فجعت ، وذى طمأنينة إليها قد صرعت ، وكم من
ذى اختيالٍ فيها قد خدعت ؛ وكم من ذى أبهة فيها قد صيرته حقيراً وذى نخوة
فيها قد ردته ذليلاً ، وذى تاج قد كبته للبدن والفم ؛ سلطانها دول ، وعيشها

- رثق ، وعدبها أجاج ، وحلوا مر ، وغذاؤها سمام ، وأسبابها رمام ، وقطافها
 سلع ؛ حيا بعرض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اعتضام ؛
 مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وصحيحها وسليمها منكوب ؛ وحائزها
 وجامعها محروب ؛ مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهول
 المَطْلَع ، والوقوف بين يدي الحَكَمِ العدل ؛ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى
 الذين أحسنوا بالحسنى .

- ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح آثارا ، وأعد
 عديدا ، وأكثف جنودا ، وأعدت عتادا ، وأطول عمادا ؟ تعبدوا الدنيا أي
 تعبد ، وآثروها أي إيثار ، وظعنوا عنها بالكثرة والصغار ؛ فهل بلغكم أن الدنيا
 سمحت لهم نفساً بقدية ، وأغنت عنهم فيما قد أملتهم به بخطب ١ بل أنقلتهم
 بالفوادح ، وضمضتهم بالنواب ، وعقرتهم للناخر ، وأعانت عليهم ريب
 المَنون ، وعقرتهم بالمصائب ؛ وقد رأيتم تنكراً لمن دان لها وآثرها وأخذ
 إليها ، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر الأمد . هل زودتهم إلا الشقاء ،
 وأحلتهم إلا الضنك ، أو تورت لهم إلا الظلة ، وأعقبهم إلا الندامة ؟ أهذه
 تُؤثرون ، أم عليها تحرصون ، أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله تبارك وتعالى
 ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ .
 أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
 يعملون ﴾ ؛ فبئس الدار لمن لم يتهمها ، ولم يكن فيها على وجل منها ؛ أعمالوا
 وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بد ؛ فإنما هي كما نعت الله عز وجل ﴿ لَبِئْسَ وَطْئًا
 وَزِينَةً وَتَفَاخُرًا بَيْنَكُمْ وَتَكَاُثْرًا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . فأنظروا فيها بالذين
 يبنون بكل ربيع آية يعبثون ، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون ، وبالذين قالوا
 ﴿ مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً ﴾ ؛ واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى
 قبورهم فلا يدعون ركبانا ، وأنزلوا [الأجداث] فلا يدعون ضيفانا ، وجعل لهم
 من الضريح أكنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرفات جيران ؛ فهم جيرة

لا يُجيبون داعياً ، ولا يمتنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يقنطوا ، جمعٌ وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناون وهم يُزارون ولا يزورون ، خلساء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجئهم ، ولا يُرجى دفعهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكُنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ استبدلوا بظهر الأرض بطننا ، وبالسعة ضيقنا ، وبالآل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها حفاةً عراةً فرادى ، غير أن ظننوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كَأَبَدْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، فاحذروا ما حذركم الله ، وانتفروا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم أداء حقه . ثم نزل .

خطاب لآبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشامي بمكة ، فصعد المنبر متوكئاً على قوس عريية ، فخطب خطبة طويلة ، ثم قال :

يا أهل مكة ، تميرونني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ؟ نعم الشباب مكتهلين ، عمية عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجاهم ، قد نظر الله إليهم في آناه الليل مُنثيةً أصلاً بهم بمثنى القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شقق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلالاً ليلهم بكلال نهارهم ، أنضاء عبادته ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم ورؤسهم ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستفلون لذلك في جنب الله ، موفون بعهد الله ، منجزون لوعده الله ، [حتى] إذا رأوا سهام المدوّ قد فوّقت ، ورماحهم قد أشرعت ، وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت - استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ففضي

الشاب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد وُملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ؛ فكم من مُقلة في منقار طائر ، طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كَفٍ بانت عن مِعصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكم من خدي عتيق وجبين رقيق ، قد فُلق بعمد الحديد ارحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها في الجنان .

ثم قال : الناس منا ونحن منهم ، الا عابد وثن ، أو كفرة أهل الكتاب ، أو إماما جائرا ، أو شادا على عضده .

وخطبة أبي حمزة بالمدينة

١٠ قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردت المرتاب ، قال :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصلة الرحم ، وتعظيم ما صُنرت الجبارة من حق الله ، وتصغير ما عظمت من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته ؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، ووضع الأخراس في مواضعها التي أمر الله بها ؛ إنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا ولا لهوا ولا لعبا ؛ ولا لسولة ملك نريد أن نخوض فيها ولا لنارٍ قد نيل ، منا ؛ ولكننا لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الادعاء في الدين ، وعمل بالهوى ، وعطلت الأحكام ، وقُتِل القائم بالقسط ، وحُتِفَ القائل بالحق — سمعنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعرانا

ياهل المدينة ، أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ؛ إنكم أظمتم قرامكم
وقهائمكم فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛
فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

ياهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ما أصح
أصلكم ، وأسقم فرعكم ! كان آباؤكم أهل اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر
النافذة ، والقلوب الواعية ؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة ؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم
والأمانى فأضلتكم ؛ فتح الله لكم باب الدين فسندتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا
ففتحتموه ؛ سراعاً إلى الفتنة ، بطلاء عن السنة ؛ غمى عن البرهان ، صم عن
العرفان ؛ عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ؛ نعم ما ورثتم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس
ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به ! نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ؛
كان عدد آباءكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث ؛ اتبعتم الهوى فأرداكم واللهم
فأسهاكم ؛ ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزددجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون ، سألتناكم
عن ولايتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهىم الذى يعدل ؛ أخذوا المال من غير حله ،
فوضعوه فى غير حقه ؛ وجاروا فى الحكم ، فحكوا بغير ما أنزل الله ؛ واستأثروا
بفيتنا ؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمتنا وحقوقنا فى مهور النساء
وفروج الإماء . وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وحاروا
فى الحكم فحكوا بغير ما أنزل الله . فقلتم : بلا تقوى على ذلك ، ووددنا أنا أصبنا
من يكفيننا ، قلنا : نحن نكفيكم . ثم الله راع علينا وعليكم ، إن ظفرنا لنُعطين
كل ذى حق حقه ؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم
لنا دونهم ، فقائلتمونا ، فأبعدكم الله ؛ فوالله لو قلتم لا نعرف الذى تقول ولا نعله
لكان أعذر ؛ مع أنه لا عُذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن يتنطق بالحق على ألسنتكم
ويأخذكم به فى الآخرة .

ثم قال الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله ، أو
متبعاً له ، أو راضياً بعمله .

أسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنه على الخلفاء . فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز ، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفّر مَنْ بعدهما ، فلعنة الله عليه ؛ إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلاً أصغى إلى الملامى والمعازف وأضاع أمر الرعية فقال : كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مضئع للدين والدنيا ، اشترى له بردان بألف دينار انتزرت بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعد حبابة عن يمينه ، وسلامة عن يساره ، فقال : يا حبابة غنيتي ، وبإسلامة اسقيني ؛ فإذا امتلاً سكراً وازدهى طرباً شق ثوبيه وقال : ألا أظير ؟ فطُر إلى النار وبئس المصير ! فهذه صفة خلفاء الله تعالى .

وخطبة لأبي حمزة

- ١٠ أما بعد ، فإنك في ناشئ فتنة ، وقائم ضلالة قد طال جثومها ، واشتد عليك غمومها ، ونلوت مصايد عدو الله ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها ، فلن يهتد عمودها ، ولن ينزع أوتادها ، إلا الذي بيده ملك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم ؛ ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا في ظلها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهها ؛ مصايح النور في أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ؛ ركبوا منهج السبيل ، وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ؛ طوبى لهم وللتصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج عليه في خطبته

- ٢٠ أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ؛ فقال : أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ؛ وإن أعش تأنتم الخطب على وجهها ؛ وسيجعل الله بعد عسر يُسرًا إن شاء الله .

عثمان بن عفان

ولما أدم يزيد بن أبي سفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ؛ فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال : يا أهل الشام

يزيد بن أبي سفيان

عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيِّ يئاناً ؛ وأتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قطنة منبر بيجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرتج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

فإن لا أكنّ فيهم خطيباً فأتى . بسيفي إذا جئ الوغى لخطيب

فقبل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي ، فحصر ، فقال : أيها الناس ، إني كنت أعددت مقالا أقوم به فيكم فحجبت عنه ؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ كما قال في كتابه ؛ وأتم إلى إمام عدل ، أحوج منكم إلى إمام خطيب ؛ وإني آمركم بما أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله ؛ وأستغفر الله لي ولكم .

وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأرتج عليه ، فكث ملأ لا يتكلم ؛ ثم تها إلى الكلام فتكلم ، فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحيى أحيانا ويعزب أحيانا ، فيسح عند مجيئه سنيه ، ويعز عند عزوبه طلبة ؛ ولربما كوبر فأبي ، وعولج فأى ؛ فالتأني لمجيئه ، خير من التماطى لأبيه ؛ وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ؛ وقد يُرتج على البليغ لسانه ، ويُخلج من الجري جنانه ؛ وسأعود فأقول إن شاء الله .

وصعد أبو العنيس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ... فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا . قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل .

فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر وقال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل .

فلما كانت الجمعة الثالثة قال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن

أن أقول لكم؟ قالوا : بعضنا يدري ، وبعضنا لا يدري . قال : فليخبر الذى يدري منكم الذى لا يدري ا ثم نزل .

وأنى رجل من بنى هاشم اليمامة ، فلما صعد المنبر أرتج عليه : فقال : حيا الله هذه الوجوه وجعلنى فداءها : قد أمرت طائفتى بالليل ألا يرى أحداً إلا أتانى به : وإن كنت أنا هو ا ثم نزل .

هاشمى

وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظنّ الناس أنه يصنع الكلام ، لعدوبة لفظه وبلاغة منطقته : فيينا هو يخطب يوماً إذ وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سبحان من الجرادة من خلقه ، أدمج قوائمها وطرفها وجناحها ، وسلطها على ما هو أعظم منها .

لخالد بن عبد الله

خطب عبد الله بن عامر بالبصرة فى يوم أضحى ، فأرتج عليه ، فكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عيًّا ولو ما . من أخذ شاة من السوق فهى له وتمنُّها على .

عبد الله بن عامر

قيل لعبد الملك بن مروان : يَجَلّ عليك المشيب يا أمير المؤمنين . فقال : كيف لا يَجَلّ وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين .

عبد الملك

خطب النكاح

خطب عثمان بن عتبة بن أبى سفيان إلى عتبة بن أبى سفيان ابنته ، فأقعدته على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

عتبة بن أبى سفيان

أقرب قريب ، حَظب أحبّ حبيب ، لا أستطيع له رداً ، ولا أجد من إسعافه بُداً ؛ وقد زوجتكها وأنت أعز علىّ منها ، وهى ألصق بقلبي منك : فأكرهها يعذب على لسانى ذكرك ، ولا تُهنِّها فيصنُر عندى قدرك ؛ وقد قرَّبْتُكَ مع قرَّبِكَ . فلا تُبعدْ قلبي من قلبك .

٢٠

وخطبة نكاح

العتي قال : زوّج شبيب بن شيبه ابنه بنت سوار القاضي ، فقلنا : اليوم سوار القاضي
 يعبُ عيابه ! فلما اجتمعوا تكلم فقال :
 الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد ، فإن المعرفة منا ومنكم بنا
 • وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة .

وخطبة نكاح

العتي قال : كان الحسن البصرى يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله الحسن البصرى
 والثناء عليه :
 أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ،
 ١٠ وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج [واضح] من أمره : وقد خطب إليكم
 فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا
 خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح

العتي قال : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة ، فقال : ابن الفقير
 ١٥ وما حسن أن يمدح المرء نفسه . ولكن أخلاقاً تُنذم وتُمدح
 وإن فلانة ذكرت لي .

وخطبة نكاح

العتي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللخطوب إليه تقصيره : عمر بن العزيز
 ٢٠ فخطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبي سفيان] إلى عمر بن عبد العزيز أخته ،
 فتكلم محمد بكلام طويل ، فأجابه عمر :

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فإن
الرجبة منك دعوتك إلينا ، والرجبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظننا من
أودعك كريمته ، واختارك ولم يبختر عليك ، وقد زوّجتها على كتاب الله :
إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

خطبة نكاح

بلال خطب بلال إلى قوم من خنم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّين فهدانا الله ، عبيد فاعتقنا الله ، فقيرين
فأغنانا الله ؛ فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالمستعان الله .

- ١٠ وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :
- قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين
خيرا ، فقد أجزلت العطية ، وكفّيت المسألة .

نكاح العبد

- ١٠ خالد بن صفوان الأصمى قال : زوّج خالد بن صفوان عبده من أمته ، فقال له العبد :
- لو دعوت الناس وخطبت ا قال : آدعهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم
خالد بن صفوان فقال :
- إن الله أعظم وأجلُّ من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين ا وأنا أشهدكم
أنى زوّجتُ هذه الزانية ، من هذا ابن الزانية .

خطب الأعراب

- ٢٠ لبعض الأعراب الأصمى قال : خطب أعرابي فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دار ممر ،
والآخرة دار مقر ؛ فخذوا من مترك لمترك ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى

عليه أصراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، فحييا
حييتم ، ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ،
إن الرجل إذا هلك قال الناس : ماترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ فقدّموا
بعضاً يكون لكم قرضاً ، ولا تتركوا كلاً فيكون عليكم كلاً ، أقول قولي هذا
والمحمودُ الله والمصلّى عليه محمد ، والمدعوُّ له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر .
قوموا إلى صلاتكم .

وحطبة لأعرابي

الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن التعمق
في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يثنى حتى يُثنى عنه ، والله تبارك وتعالى
لا يُدرك واصف كُنّه صفته ، ولا يبلغ خطيب مشهَى مدحته ، له الحمد كما مدح
نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فصلي .

خطبة أعرابي لهومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي
أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويحْتَبِه ، وقد قال الأول :
ودع ما أمت صاحبه عليه • فذم أن يلومك من تلوم
ألمنا الله وإياكم تقواه ، والعمل برضاه .

• • •

[إلى هنا ينتهي كتاب الواسطة في الخطب ، وقد ألحقت به في بعض الأصول
الخطبة الآتية للإمام عليّ كرم الله وجهه ، وقد فات الناسخ أن يثبتها في موضعها
من الكتاب ، تلو خطبة المأمون في الفطر ، فألحقها بالكتاب في هذا الموضع] .

• • •

جاء رجل إلى عليّ كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا ،
لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فغضب عليّ كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله ؛ ثم صعد المنبر وهو مُغَضَّبٌ متغيِّرُ اللون ؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

- والحمد لله الذي لا يفرُّه المنع ، ولا يُسكِّدُه الإعطاء ، بل كلُّ مُعْطٍ ينقص سواه ؛ هو المنان بفرأند النعم ، وعوائد المزيد ؛ وبجوده ضمنت عياله الخلق ، ونهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال ، ولو وهب ما آتشت عنه معادن الجبال ، وضجكت عنه أصداف البحار ، من فلز اللجين ، وسبائك العقيان ، وشذر الدر ، وحصيد المرجان — لبعض عباده — ما أثر ذلك في ملكه ولا في جوده ولا أنفد ذلك سعة ما عنده ، فننده من الأفضال ما لا يُنفِده مطلبٌ وسؤال ، ولا يخطر لكم على بال ؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاح الملحين بالحوائح وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فما ظنكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره ، سبحانه وبحمده .

- أيها السائل ، أعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل أحداً بعدي ؛ فإنني أكفيك متونة الطلب ، وشدة التعمق في المذهب ؛ وكيف يوصف الذي سألتني عنه ، وهو الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته ، وطولٍ ولهمم إليه ، وتعظيمهم جلال عزته ، وقربهم من غيب ملكوته — أن يعلموا من عله إلا ما علمهم ، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فطروهم عليه ، فقالوا : سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً ؛ فاقصر ٢٠ على هذا ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ؛ واعلم أن الله الذي لم يحدث فيمكن فيه التغير والانتقال ، ولم يتغير في ذاته بمرور الأحوال . ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالي — هو الذي خلق الخلق على غير مثال أمثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله : بل أرانا من ملكوت قدرته ، ومعجائب

ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته ، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يفهمهم مبلغ قوته — ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته .

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متاهيا ، وما زال إذ هو الله الذي ليس كمثل شيء عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التي لا يعدها إلا هو عند خلقه معروفا ؛ وقات لعلوه عن الأشياء مواقع وهم المتوهمين ؛ وليس له مثل فيكون بالخلق مشبها ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزها ، وكيف يكون من لا يقدر قدره مقدراً في رويات الأوهام ، وقد ضل في إدراك كيفيته حواس الأنام ؛ لأنه أجل من أن تحته ألباب البشر بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين .

ألا وإن الله ملائكة صلى الله عليهم وسلم . لو أن ملكا هبط منهم إلى الأرض لما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكته من سد الآفاق بجناح من من أجنحته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكته من السموات إلى حجزته وسائر بدنه في جرم الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبته . ومن ملائكته من لو اجتمعت الإنس والجن على أن يصفوه ما وصفوه ، لبعد ما بين مفاصله ، ولحسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف من سبعمائة عام مقدار ما بين منكيه إلى شحمة أذنيه ؟ ومن ملائكته من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين ؛ فأين أين بأحدكم ؟ وأين أين أن يُدرك ما لا يدرك ؟

كتاب المحجبة الثانية

في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتابة

فرش الكتاب

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الخطب وفضائلها لابن عبد ربه
- وذكر طواها وقصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في
- التوقيعات ، والفصول ، والصدور ، وأدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، وفضل
- الإيجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأرقه قدرا ، وأعظمه من القلوب
- موقعا ، وأقوله على اللسان عملا : ما دل بعضه على كاه ، وكفى قليله عن كثيره ،
- وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ؛ ومنه قولهم :
- رُبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام ، وتبلغ ١٠
- ما يقصر عنه اللسان ؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت
- أبلغ ؛ لحفة مؤنتها ، وقلة محلها .
- قال أبرويز لكاتبه : أجمع الكثير مما تريد من المعنى ، في القليل مما تقول .
- لأبرويز
- يحضه على الإيجاز . وينهاه عن الإكثار في كتبه ، ألا تراهم كيف طعنوا على
- الإسهاب والإكثار ، حتى كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من الإسهاب ؛
- ١٥ قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المُتَّهَبُ الذي يتخال بلسانه تخال الباقر ، ويشول به
- شولان الروق .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَبْضُكُمُ إِلَى الثَّرَاوُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ » يريد :
- أهل الإكثار والتعير في الكلام .
- لنبي صلى الله عليه وسلم
- ٢٠ ولم أجد أحدا من الساف يذم الإيجاز ويقدم فيه ، ولا يعيه ويطمن عليه
- الرب والإيجاز

وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهرها من التثميل والتطويل، كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور، وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن لأن الحركة عمل والسكون راحة.

ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندم أحد في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له، وقد تومن إلى الشيء قدستغنى عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لعمرة دالة.

جعفر وكتابه
لابن مسعدة

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحروري كتابا، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع في ظهره: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيبا.

مروان وكتاب
لغائده

وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلحاه ويمنفه، فكتب وأكثر، فاستنقل ذلك مروان، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله: أما إنك لو عدت عددا أقل من واحد، ولو نأ شرا من أسود، لبعثت به.

ربيعة الرأي
وأعربان

وتكلم ربيعة الرأي فأكثر، وأعجبه إكثاره، فالتفت إلى أعربان إلى جنبه فقال له: ما تعدون البلاغة عندكم يا أعربان؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب. قال: فما تعدون العيب؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم! فكأنما ألقمه حجرا.

أول من وضع الكتابة

آدم عليه السلام

أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب، آدم صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثمائة سنة: كتبه في الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب.

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط

بالقلم بعد ادم صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه .

إسماعيل عليه السلام

وعن عمرو بن شبة بأسانيد ، أن أول من وضع الخط العربي ، أجدو وهوز وحطى وكلبن وسعفص وقرشت ؛ وهم قوم من الجبلية الآخرة ، وكانوا نزولا مع عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس .

قوم من القدماء

وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفا في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهي : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحن في حروف الجمل .

١٠ وعنه أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقندر .

بنو إسماعيل .

١٥ وحكوا أيضا أن ثلاثة نفر من طيئ اجتمعوا ببقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه قوم من الأنبار .

طيئ

٢٠ وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنسانا ، وهم : على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي وأبو سلية بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجهم بن الصلت ابن مخزومة

في الإسلام

استفتاح الكتب

لشيبان: إبراهيم بن محمد الشيباني قال: لم تزل الكتب تستفتح: باسمك اللهم، حتى أنزلت سورة هود وفيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فكُتِبَ بِسْمِ اللَّهِ؛ ثم نزلت بسورة بنى إسرائيل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾، فكُتِبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ؛ ثم نزلت بسورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمرائه جنوده: من محمد رسول الله إلى فلان.

وكذلك كانوا يكتبون إليه: يبدون بأنفسهم؛ فمن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر، والعلاء بن الحضرمي، وغيرهما؛ وكذلك كتب الصحابة والتابعين؛ ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما يكتب به بعضهم بعضا، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم رجع الأمر إلى رأى الوليد، والقوم عليه إلى اليوم.

ختم الكتاب وعنوانه

وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مخنومة حتى كتبت صحيفة المنليس، فلما قرأها ختمت الكتب وعنونت؛ وكان يؤتى بالكتاب فيقال: مَنْ عُنِيَ بِهِ؟ فسمى عنوانا.

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان:

ضَحُوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ ۝ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا ۝ ٢٠

وقال آخر:

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها ۝ جعلتها للذي أحببت عنوانا

لبعض الشعراء

حسان بن عثمان

لبعض المفسرين وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : (إِنِّي أَنزِلْتُ إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ) : أى مختموم ؛ إذ كانت كرامة الكتاب ختمه .

تأريخ الكتاب

- سبب ذلك
- لا بد من تأريخ الكتاب ؛ لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقرب عهد الكتاب وبعده إلا بالتأريخ ، فإذا أردت أن تؤرخ كتابك فانظر إلى ماضى من الشهر وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت : بَقِيَتْ .
- وقد قال بعض الكتاب : لا تكذب إذا أرخت إلا بما مضى من الشهر ؛ لأنه معروف وما بقى منه مجهول ؛ لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا .
- ١٠ ولا تجعل سحابة كتابك غليظة ، إلا في كتب اليهود والسجلات التي يُحتاج إلى بقاء خواتمها وطوايعها ؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عماله على العراق كتابا ، وجعل سحابه غليظة ، فأمر بإشخاص الكتاب إليه ، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عمالك ، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها ؛ ولا تعظم الطينة جدا ،
- ١٥ وطن كتابك بعد كتبك عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طيبت قبل العنوان فأدب متحل .

سحابة الكتاب
وطريقة لابن
طاهر

تفسير الأُمى

- فأما الأُمى فجازاه على ثلاثة وجوه : قولهم أُمى ؛ منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال : رجل أُمى ؛ إذا كان من أم القرى ، قال الله تعالى : (لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) ، وأما قوله تعالى : (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) ، فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والامية في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ؛ لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده ؟

قال المأمون لأبي العلاء المنقري : بلغني أنك أُمِّي ، وأنتك لا تقيم الشعر ، المأمون والمنقري
 وأنتك تلحن في كلامك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لسانى
 بالشيء منه ، وأما الأُمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أُمِّيًّا ،
 وكان لا يُنشدُ الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني
 رابعاً ، وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة
 ٥ وفيك وفي أمثالك نقیصة .

شرف الكتاب وفضاهم

فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ علم بالقلم ، مما أثر وفضاهم
 علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كراماً كاتبين ﴾ ، وقوله : ﴿ بأيدي
 ١٠ سفرة كرام بررة ﴾ .

وللكتاب أحكام بينة كأحكام القضاة يُعرفون بها وينسبون إليها ويتقلدون
 التدبير وسياسة الملك دون غيرهم ، وبهم يقام أودُ الدين وأمور العالمين .

فمن اهل هذه الصناعة : على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان مع
 شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحي ، ثم أفضت
 ١٥ عليه الخلافة بعد الكتابة ، وعثمان بن عفان - كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب
 أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .
 وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، يكتبان بين يديه -
 في حوائجه .

وكان المغيرة بن شعبة ، والحسين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا يتوبان
 ٢٠ عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يفيث ، والعلاء بن عتبة ، يكتبان بين
 الهوم في قبائلهم ومياهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء .

وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز .

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ؛ وقيل إنه

- ٥ تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للعمل وأفضى للحاجة .

١٠

وكان معيقب بن أبي فاطمة يكتب مغامم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفي ، ابن أخي أكرم بن صيفي الأسيدي ،

خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ؛ فغاب عليه أسلم ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزهني وأذكرني بكل شيء أنا فيه ؛

- ١٥ وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال

لحنظلة : ألحق خالدًا وقل له : لا تقتلن ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها ، فقالت فيه امرأة ؛ وحكى أنه من قول الجن وهذا محال :

- ٢٠ يا عجبَ الدهرِ المحزونة * تبكى على ذى شَيْبَةٍ شاحِبِ
 إنَّ تَسألني اليومَ ماشفتني * أخبرك قِيلاً ليس بالكاذبِ
 إنَّ سوادَ العينِ أودى به * ووجدى على حنظلة الكاتبِ

لما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعدا إلى العراق وكتب إليه أن

يسبغ القبائل أسباعا ، ويجعل على كل سُبُع رجلا ، فعل سعد ذلك ، وجعل السُبُع الثالث تميا وأسدأ وغطفان وهوازن ، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سُير إلى يزدجرد يدعو إلى الإسلام .

وكان الحصين بن نمير من بني عبيد مائة شهيد يعة الرضوان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سهيل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا . فكتب علي بن أبي طالب .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، حين صالح قريشا ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شئت ا فسمع ذلك رجل من الأنصار ، خلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف ؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان — وكان بينهما رَضَاع — فقال : يا رسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا . فأعرض عنه ، والأنصاري مُطيف به ومعه سيفه ، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصاري : لقد تَلَوَّمتك أن توفيَ بندرك ا فقال : هلا أوَمَّضت إلى ا فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لي أن أوَمِّض .

أيام أبي بكر رضي الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت . وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضا . ولما تقلد الخلافة دعا يزيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا تهتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحي : فتبج القرآن فاجمه وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَرَّ لِلقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانِ رَأْبِهِ . وَمَنْ لِلبَنَاتِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن أرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعى — أبو طلحة الطلحات — على ديوان البصرة .

وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة بن الضحاك ، فلم يزل عليه إلى أن

ولى عُبيد الله بن زياد ، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى .

أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له

على ديوان المدينة ، وأبو حبترة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على

بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من نبي همدان ، من

قيس بن عيلان — يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاة ، وُحمران مولاة .

أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني ، ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير ؛

وكان عبد الله بن جعفر يكتب له ؛ وروى أن عبد الله بن حسن كتب له ؛ وكان

عبد الله بن أبى رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

[أيام نبي أمية]

١٥

وكان يكتب لمعاوية بن أبى سفيان : سعيد بن أنس الغساني .

كتاب بنى أمية

وكتب يزيد بن معاوية : سرجون بن منصور .

وكتب مروان بن الحكم : حميد بن عبد الرحمن بن عوف .

وكتب عبد الملك بن مروان : سالم مولاة ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ،

٢٠

وهو عبد الحميد الأكبر .

وكتب الوليد بن عبد الملك : جناح مولاة .

وكاتب سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر .
 وكاتبه عمر بن عبد العزيز : الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم ؛ وكاتب له
 رجاء بن حيوة وخص به ؛ وإسماعيل بن أبي حكم مولى الزبير ؛ وسليمان بن سعد
 الحسني على ديوان الخراج . وكان عمر يكتب كثيراً بيده .
 ٥ وكاتب يزيد بن عبد الملك : عبد الحميد أيضا ، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى
 أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية ؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أحكام
 البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر : أبا أيوب المورياتي الأهوازي .
 ١٠ وكاتب محمد المهدي بن المنصور : معاوية بن عبيد الله ، ثم يعقوب بن داود .
 وكاتب موسى الهادي بن محمد المهدي : إبراهيم بن ذكوان الحراني .
 وكاتب هارون الرشيد محمد المهدي : يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن
 الربيع ، ثم إبراهيم بن صبيح .
 وكاتب محمد - بن زيدة - الأمين : الفضل بن الربيع .
 ١٥ وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد : الفضل بن سهل ، ثم الحسن
 ابن سهل ، ثم عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف .
 وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة :
 الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .
 وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم : محمد بن الملك الزيات أيضا .
 ٢٠ وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم : إبراهيم بن العباس بن صول ، مولى
 لبني العباس .
 وكاتب المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، ابن المتوكل : أحمد بن الخصب .
 ثم كتب للمستعين : أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعيّه ما أسخطه عليه ،

ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعز ، فقلد المعز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل .

وكتب المهدي محمد بن الواثق : جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ؛ وكان سبب موته أنه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات .

وتقلد الوزارة للمعتضد : أحمد بن طلحة .

وللوفيق بن جعفر المتوكل : عبيد الله بن سليمان بن وهب .

وتقلد الوزارة للسكتي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله : القاسم بن عبيد الله ابن سليمان .

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله : علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مقلة ، الذي يوصف خطه بالجودة ؛ ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبد الله بن أحمد الكلوذاني ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعبيد الدولة ، وكان يكتب على كنبه : « من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة » ، وذكر لقبه على الدنانير والدرهم ؛ ثم الفضل بن جعفر ابن محمد بن الفرات .

وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد : محمد بن علي بن مقلة

ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني .

وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر : محمد بن

علي بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير علي بن عيسى ، ثم محمد
ابن القاسم الكرخي ؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم محمد بن يحيى
ابن شيرزاد .

وتقلد الوزارة للمتقى بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر ؛ كاتبه أحمد بن محمد
ابن الأفطس ، ثم أبو إسحق القراربطى ، ثم علي بن محمد بن مقلة .

وتقلد الوزارة للمستكنى بالله أبي القاسم عبدالله بن علي المكنى بالله : الحسين
ابن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامري المكنى أبا الفرج ؛ ثم ولي
للمطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون .

أسماء من كتب لغير الخليفة

١٠ كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .
وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً
بعد ذلك .

وكان الحسن بن أبي الحسن البصرى — مع نبهه وفقهه وورعه وزهده —
كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ، ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبدالعزيز
١٥ فقيل له : من وأيت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيد التابعين الحسن بن أبي
الحسن البصرى .

وكان محمد بن سيرين - مع علمه وورعه - كاتباً لأنس بن مالك بفارس .
وكان زياد بن أبيه - مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية في ادعائه - يكتب
للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كرز ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم
٢٠ لأبي موسى الأشعري ؛ فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع
إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى فيه من الذكاء ، وقال له :
لا ترجع لأبي موسى . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعن خيانتك صرفتني أم عن تقصير؟
قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضل عتاك على الرعية !

ثم وليَ بعد الكتابة العراق .

وكان عامر الشعبي — مع فقهه وعلمه ونبله — كاتباً لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ، ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة .

• وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .

وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر بن عثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنهما .

١٠ وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .

وكان يزيد بن عبد الله بن زُمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

أشرف الكتاب

١٥

كُتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كتب له عشرة كُتَابٍ : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وغالد بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، ولداً سعيد ابن العاص ؛ وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء ابن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

من أشرف
الكتاب

- وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفة .
- وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ، ثم صار خليفة .
- وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتباً على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .
- ٥ وكان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .
- وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان .
- وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلاً .
- وكان زياد كاتباً للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس . ١٠
- وكان عامر الشعبي كاتباً لعبد الله بن مطيع ، وهو والي الكوفة لعبد الله ابن الزبير .
- وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس .
- وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .
- ١٥ وكان عبد الرحمن بن أبزي كاتباً نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .
- وكان عبيد الله بن أوس النضائي سيد أهل الشام كاتباً معاوية .
- وكان سعيد بن نمران الهمداني سيد همدان كاتباً على بن أبي طالب ، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير .
- ٢٠ وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة .
- وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك .
- وكان يزيد بن عبد الله بن زهعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى

على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية ؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبأ بالكتابة وكان قبل خاملا

لبضهم
سرجون بن منصور الرومي : كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ،
وعبد الملك بن مروان ؛ إلى أن أسره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه
عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون
يُبدلُ علينا بصناعته ، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه ، فما عندك فيه
حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحزلتُ الحساب من الرومية إلى العربية . قال : افعل ،
قال : أنظرني أعاني ذلك . قال : لك نظرةٌ ماشئت . فحوّل الديوان ، فولاه
عبد الملك جميع ذلك .

١٠

وحسان النبطي كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد
الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبلة بن عبد الرحمن ، وقحذم ، جد الوليد بن هشام
القحذمي ؛ وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية .

ومنهم الفراء ، كاتب خالد بن عبد الله القسري .

ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ،
وجعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المقفع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن
سهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام
الجندبسيابوري ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ،
وإبراهيم بن العباس الصولي ، ونجاح بن سلة ، وأحمد بن محمد بن المدبر ؛ فهؤلاء
تَبَلَّوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

٢٠

من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور كاتب الأفشين ، والفضل بن مروان ،

وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وأحمد بن الحصب :
فهؤلاء لطنخوا أنفسهم بالكتابة ومادانوها .

لبعض الشعراء
في ابن شيرزاد

وقال بعض الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حَارَ في الكتابة يدعيها . كدعوى آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لست منها . ولو غرقت ثوبك في المداد

لأبي أيوب فرثاء
أم سليمان

ومهم أبو أيوب بن أخت أبي الوزير . وهو القائل يرثي أم سليمان بن

وهب الكاتب :

لأم سليمان علينا مُصيبةٌ . مُفارقةٌ مثلُ الحسامِ البَوَاتِرِ

وكنتِ سراجَ البيتِ يا أمَّ سالمٍ . فأضحى سراجُ البيتِ وشطَّ المقارِ

فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بي : هانت أمي

فرثيت بمثل هذا الشعر ، وتُقل اسمي من سليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

الشيباني

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصغر

الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، صدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة

الشئانل ، وحسن الإشارة ، وملاحة الرئي ؛ حتى قال بعض المهابة لولده : تزيوا

بزي الكتاب ؛ فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكتابة ، أن يكون الكاتب

نقى الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ،

صادق الحس ، حسن البيان ، رقب حواشي اللسان ، حلوا الإشارة ، مليح

الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ،

متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة

لا يليق بصاحبها الذكاء والفظنة .

لابن حميد

وأشدد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس .

رَأَيْتُ لَهَا زِمَ الْكِتَابِ خَفْتُ ۝ وَلَهَزِمَتَاكَ شَائِهْمَا الْقَدَامَةَ
وَكِتَابِ الْمَلُوكِ لَمْ يَبَانَ ۝ كَيْشَلُ الدَّرَقِ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَةَ
وَأَنْتَ إِذَا نَطَقْتَ كَأَنَّ عَيْرًا ۝ يَلُوكُ بِمَا يَفُوهُ بِهِ لِجَامِهِ

لبعض الشعراء وقال آخر :

عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَبِيٍّ رَشِيقٍ ۝ زَكِيٍّ فِي شِمَائِلِهِ جِدَارَةٍ ۝
تُنَاجِيهِ بِطَرْفِكَ مِنْ بَعِيدٍ ۝ فَيَفْهَمُ رَجْعَ لِحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ

ولابن الحصيبي ونظر أحمد بن الحصيبي إلى رجل من الكتاب فقدم المنظر ، مضطرب الخلق ، طويل العُشُون ؛ فقال : لأن يكون هذا فطاس مركب ، أشبه من أن يكون كاتباً .

١٠ فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والأديب التحريري ؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقرص الجمال ، مُنْكَسِفُ الْحَسِّ ، منحوس النصيب .

ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه

١٥ قال إبراهيم الشيباني : أزل ذلك حسن الخط ، الذي هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعركة ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .

ولست أجد لحسن الخط حداً أقف عليه ، أكثر من قول علي بن رِبِّن النصراني الكاتب في الكاتب ، فإنه سأله واستوصفته الخط ، فقال . أعلبك الخط

٢٠ في كلمة واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك . فقال : لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف ، وتعمل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ثم تنتقل إلى ما بعده .

وإياك والنقط والشكل في كتابك ، إلا أن تميز بالحرف المعضل الذي

تعلم أن المكتوب إليه يُعْجَرُ عن استخراجِه : فأني سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشَكِّلَ الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكتاب بالشكل .

وكان المأمون يقول : إياكم والشُّرْبِيزِ في كتبكم . يعنى النقط والإعجام .

ومن ذلك : أن يُصلِحَ الكاتب آله التي لا بدَّ منها ، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنْعِمَ ربها وإصلاحها ، وليتخير من أنابيب القصب أقله عقدا ، وأكثفه لحما ، وأصلبه قشرا ، وأعدله استواء ؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ؛ لتسكون عونا له على برِّي أقلامه ، ويربها من ناحية نبات القصبه ؛ واعلم أن عمل القلم من الكاتب كعمل الريح من الفارس .

قال العتابي : سألت الأصبعي يوما في دار الرشيد : أي الأنابيب للكتابة لأصمعي ١٠
أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما شِيف بالهجير ماؤه ، وسره عن تلويعه غشاؤه ، من التبرية القشور ، الدرية الظهور ؛ الفضية الكسور . قال : فأى نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنها قرنة تؤمن معها المجة عند المذة والمطة ، للهواء في شقها فتيق ، والريح في جوفها تحرق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتابي : فبقي الأصمعي باهتا إلى ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا .

ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره .
وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل أول البيت على قافيته ؛ فلا تُطيلن صدر كتابك إطالة تخرجه عن حذاه ، ولا تقصر به دون حذاه ؛ فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشعبي : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة ، تجزأت في أبدان متفرقة .

فأما الكاتب المستحق أسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا

حاول صيغة كتاب ، سالت عن قلبه عيون الكلام من ينايها ، وظهرت معاذنها
وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب .

- بلغنى أن صديقا لكثوم العتابي أتاه يوما فقال له : اصنع لى رسالة . فاستمد
مدة ثم علق القلم ؛ فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له
العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك
كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ؛ ثم أجتني لك أحسنها .

بين العتابي
وصديق له

- قال أحد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يملى على
كاتب له ؛ فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن
تقييد إملائه ؛ فقال له : اكتب يا حمارا فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ،
إنه لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كل
القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ
من بلاغة يزيد .

بين يزيد
وكاتب له

وقال له يوما وقد مَطَّ حرفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان

في القلم .

- فإن كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة ، فنصفح من رسائل المتقدمين
ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ،
ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به متطقتك ، وبطول به قلبك ؛
وأنظر في كتب المقامات والخطب ، وبجأوبة العرب ، ومعالي العجم ، وحدود المنطق
وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ، ووقائعهم ، ومكائدهم في حروبهم
بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب ، والوثائق والسور ، وكتب السجلات
والإمانات ؛ لتكون ماهرا ، تنزع آى القرآن في مواضعها ؛ واختلاف الأمثال
في أماكنها ؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ؛ فإن تضمين المثل السائر ،
والبيت الغابر البارع ، وما يزين كتابك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر

ما يحتاج إليه
الكاتب

فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض
للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد في أهليته .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : لما رجع المعتصم من
الثغر و صار بناحية الرقة ، قال لعمر بن مسعدة : ما زلت تسألني في الرُّخْبِيَّ
حتى وابتته الأهواز ، ففعد في سرّة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه إلينا
بدرهم واحد ؛ أخرج إليه من ساعتك . فقلت في نفسي : أبعدَ الوزارة أصير
مستعينا على عامل خراج ؟ ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت :
أخرج إليه يا أمير المؤمنين . فقال : أحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا .
فقلت له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرت ففرش لي زورق بالطبري وغشني
بالسُّلخ ، وطرح عليه الكرز ، ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هزقل ودير
العاقول ، إذا رجل يصيح : ياملاح ، رجل منقطع ! فقلت للبلاح : قرب إلى
السط . فقال : ياسيدي ، هذا شحاذ ، فإن قعد معك آذاك . فلم ألفت إلى قوله ،
وأمرت الغلمان فأدخلوه ، ففعد في كوثل الزورق ، فلما حضر وقت الغذاء عزم
أن أدعوه إلى طعامي ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة ، إلا أنه نظيف
الآكل ؛ فلما رفع الطعام ، أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص :
أن يقوم فيغسل يده في ناحية ؛ فلم يفعل ، فغمزه الغلمان ، فلم يتم فتمشغلت عنه
ثم قلت : يا هذا ما صناعتك ؟ قال : حائك ! فقلت في نفسي : هذه شر من
الأولى . فقال لي : جعلت فداك ، قد سألتني عن صناعتك فأخبرتك ، فما صناعتك
أنت ؟ قال : فقلت في نفسي : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن أذكر له الوزارة
فقلت : أقصر له على الكتابة ؛ فقلت : كاتب .

قال : جعلت فداك ، الكتاب على خمسة أصناف : فكتب رسائل يحتاج
إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهاني والتعازي والترغيب والترهيب

والمقصود والمدود وجملا من العرية ؛ وكاتب خراج ، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشغال والطسوق والتقسيت والحساب ؛ وكاتب جند ، يحتاج أن يعرف مع الحساب الأطلاع وشيات الدواب وحلى الناس ؛ وكاتب قاض ، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شرطة ، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديبات ؛ فأيهم أنت أعزك الله ؟

قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني ، إذا كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أمه ، فكيف تكتب له : أتهنيه أم تهزبه ؟

قلت : والله ما أقف على ما تقول .

قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول - أصلحك الله - وقد ولاك السلطان عملا فبثت عمالك فيه فجاءك قومٌ يظلمون من بعض عمالك ؛ فأردت أن تنظر في أمورهم وتنصفهم ؛ إذ كنت تحب العدل والبر ، وتؤثر حسن الأعدوة وطيب الذكر ، وكان لأحدم قراح كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العطوف في العمود وأنظر كم مقدار ذلك .

قال : إذا تظلم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة .

قال : إذا تظلم السلطان . قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب خراج ،

فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فما تقول في رجلين ، اسم كل واحد منهما أحد ،

أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟

قال : كنت أكتب : أحد الأعم ، وأحد الأعم . قال : كيف يكون هذا

ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ،

فتظلم صاحب الألف . قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب جند :
فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول - أصلحك الله - في رجل توفي
وخلف زوجة وسريّة . وكان للزوجة بنت والسريّة ابن ، فلما كان في تلك الليلة
أخذت الحرة ابن السريّة فادعته وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعتا فيه ، فقالت هذه :
هذا ابني . وقالت هذه : هذا ابني . كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟

قلت : والله لست أدري ! قال : فلست بكاتب قاض ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب شرطة . قال فما تقول - أصلحك الله في رجل وثب على رجل
فشجّه شجةً موضحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجةً مأومة ؟ قلت ما أعلم . ثم
قلت : أصلحك الله ، ففسّر لي ما ذكرت . قال : أما الذي تزوجت أمه ، فكتب
إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجرى بغير محابّ المخلوقين ، والله يختار للعباد ،
نخار الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر أكرم لها والسلام .

وأما القراح ، فتضرب واحداً في مساحة العطوف ، فمن ثمّ بابه .

وأما أحمد وأحمد ، فكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحمد الأعلم ؛ والمقطوع
الشفة السفلى : أحمد الأشرم .

وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان [لبناً] أخفّ فهي
صاحبة البنت .

وأما الشجة ، فإن في الموضحة خمسا من الإبل ، وفي المأومة ثلاثاً وثلاثين
وثلاثاً ، فيرد صاحب المأومة ثمانية وعشرين وثلاثاً .

قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لي كان عاملاً على
ناعية ، فخرجت إليه فألفيته معزولاً ، فقطع بي ، فأنا خارج أضطرب في المعاش .
قلت : ألسنت ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ، ولست بحائك الثياب .
قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره . وأدخل الحمام فطرحته عليه شيتان من

ثياني ، فلما صرت إلى الأهواز ، كلمت الرُّخجِيَّ ، فأعطاه خمسة آلاف درهم .
 ورجع معي ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك في طريقك ؟
 فأخبرته خبري ، حتى حدثته حديث الرجل ، فقال لي : هذا لا يُستغنى عنه ، فلاي
 شيء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين
 البناء والمرمة ؛ فكنت والله ألقاه في المركب النبيل ، فينحط عن دابته ، فأحلف
 عليه فيقول : سبحان الله ! إنما هذه نعمتك وبك أفتُّها .

فضائل الكتابة

- لجاحظ قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيت قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء
 الكتاب ؛ فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً .
- لبعض المهالبة وقال بعض المهالبة لبنيه ، تزَيُّوا بزى الكتاب فإنهم جمعوا أدبَ الملوك
 وتواضعَ السُّوقَة .
- للمنصور وقوم وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكُتَّاب فأمر بحبسهم ؛ فرفعوا إليه
 رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :
- ونحن الكاتِبُونَ وقد أسأنا هـ فهبنا للكرام الكاتِبِينَ
 ففعا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم .
- لدؤيد وقال المؤيد : كتاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم
 الناطقة ؛ والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة جليلة تحتاج
 إلى آلات كثيرة .
- لسهل بن هارون وقال سهل بن هارون : الكتابة أول زينة الدنيا ، التي إليها يتناهى الفضل ،
 وعندها تقف الرغبة .

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

لثبياني قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك ، والوزراء ،
 والعلماء ، والكتَّاب . والمطباء ، والأدباء ، والشعراء ، وأوساط الناس وسُوقتهم ؛

مخاطب كلا على قدر أبعثه وجلاله ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته ؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام : منها الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأخر وهي دونها أربع . ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها .

٥ فالحذ الأول الطبقات العليا ، وغايتها القصوى الخلافة ، التي أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير .

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها ، الذين يخاطبون الخلفاء بعلومهم وأستهم ، ويرتقون الفتوق بأرائهم .

١٠ الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جنودهم ؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه وحظه ، وغنائه وجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم .

والرابعة القضاة ؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فعمهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .

١٥ وأما الطبقات الأربع الأخر ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها .

والثانية وزراؤهم وكتابهم وأتباعهم ، الذين تُقرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم .

والثالثة هم العلماء ، الذين يجب توقيرهم في الكتب بشرف العلم ، وعلو درجة أهلهم .

٢٠ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بمجدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

واستغنيانا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار ، باستغنائهم بمهنتهم عن هذه

الآلات ، واشتغالهم بمهنتهم عن هذه الأدوات .

- ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبتك ، وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سبلك ؛ فلا تمتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا لا تقا بمن كاتبته ؛ ومُلامساً لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى — وإن صحَّ وشرف — لفظا متخلفا عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عادته ، تهجين للمعنى وإخلال بقدره . وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص ما يجب له ؛ كما أن في اتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً لعذرهم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً للحجة أدبهم .

- فن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلاً ، وعمرك مِلياً . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلاً ؛ ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنه قدرأ في المخاطبة ؛ كما أنهم جعلوا : أكرمك الله وأبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جُعِلتُ فداك ، على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداء من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداء من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أرم فداك أبي وأمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد ؛ على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها مُجبراً في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قام محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سِرّاً مِنْ رَأْيِنَا * سَ وَمَنْ قَدْ يُدَاخِلُ الْأَمْلَاكَ

لو رأى الكلب مائلاً بطريق • قال للكلب : يا جُعِلتُ فداك !

وكذلك لم يجوزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمتع بك ؛ إلا في الابن .

والخادم المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فقير جاز ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهَدْتِ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلْتِ مُلْكَاً فَتِهْتِ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْإِخْوَانِ نَقْصاً عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابَ ذِي مِقَّةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكَ ؟
أَتَعَبْتِ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي * حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتِ فِي تَعَبِكَ
فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كَيْفَ أُخْوَنُ الْإِخَاءَ بِأَمَلِي * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
أُنْكَرْتُ شَيْئاً فَلَسْتُ فَاعِلُهُ * وَلَنْ تَرَاهُ يُحِطُّ فِي كُتُبِكَ
إِنَّ يَكُ جَهْلٌ أَنَاكَ مِنْ قَبْلِي * فَعُدُّ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
فَاعْفُ قَدَّتْكَ النُّفُوسُ عَزَّ رَجُلٍ * يَعْيشُ حَتَّى الْمَيَاتِ فِي أَدَبِكَ

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزن ، يذنبني للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ * مَذِيقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجّلوا قدر الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام ؛ لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح ، فهو واجبٌ على العامة ، والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تترقى بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ما استودعت ، وإنك لتصدق في وعدك وتني بعهدك ؛ فكأنه قد أثنى بما يجب ؛ ولو قصد بثنائه إلى مقصده كان أشبه في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا في الخلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلاً قفلك : إنه لعاقل كنت مدحته عند الناس ، وإن قلت : إنه لكَيْس كنت قد قصرت به عن وصفه، وصغرت من قدره ، إلا عند أهل العلم بالآفة : لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة . ولكن إلى ماجرت به العادة من استعمالها في الظاهر ؛ إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الخدائاة والفرقة وخساسة القدر وصغر السن .

وقد روينا عن علي كرم الله وجهه أنه تسمى بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة،

فقال في ذلك :

أَمَا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيْسًا • بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيَّسًا
حِصْنًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيْسًا

وقال الشاعر :

• مَا يَصْنَعُ الْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ بِالْكَيْسِ •

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء .

كذلك روينا عن ابن عباس .

وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يُلَبِّي ويقول في تليته : لَبَّيْكَ يَا ذَا

المعارج . فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذا كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

وكان أبو إبراهيم المزني يقول في بعض ماخطب به داود بن خلف الأصهباني :

• فَإِنْ قَالَ كَذَا فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْمَلَّةِ وَالْحَرْدِ اللَّهُ • فَقَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ دَاوُدُ ، وَقَالَ فِيهَا

رَدًّا عَلَيْهِ : نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ نُخْرِجَ أَمْرًا مُسْلِمًا مِنَ الْإِسْلَامِ ؟ وَهَذَا مَوْضِعُ

استرجاع ، وللحمد مكان يليق به ، وإنما يقال في المصيبة : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

فأمثل هذه المذاهب ، وأجر على هذه القواعد ، وتتحفظ في صدور كتبك

وفصولها [وافتاحها] وخواتمها وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخير لكل

لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ماتختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل :

نسأل الله دفع المخذور ، وصرف المكروه ؛ وأشبه هذا ؛ وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً ،
والشكر لله واجباً ، [وما يُشاكل ذلك] ؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب
أن يفقدها ويتحفظ فيها ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في
موضعه ، ويعلق كل لفظة على طبقها من المعنى .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار
والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص ؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما]
خاطب بالقرآن قوماً فصحاء فهموا عنه — جل ثناؤه — أمره ونهيه ومراده ؛
والرسائل إنما يخاطب بها أقوامٌ دخلوا على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .
وكذلك ينبغي للكاتب أن يجنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن
ذهب يكتب على مثل معنى قول الله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ
الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، احتاج الكاتب
أن يبين معناه : أسأل أهل القرية وأهل العير ، وبلى مكركم بالليل والنهار ، ومثل
هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المنشورة ما يجوز في الأشعار
الموزونة ؛ لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك
أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ؛ واغترفوا
فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ؛
وذلك كله غير سائغ في الرسائل ، ولا جائز في الملاحظات ، فمما أُجيز في الشعر
من الحذف مثل قول الشاعر :

• قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَا •

يعني الحمام ؛ وقول الآخر :

• صَفْرُ الْوِشَاحِينَ صُوتِ الْخُلُخُلِ •

يريد الخلخال، وكقول الآخر :

• دَارٌ لِسَلْسَى إِذِهِ مِنْ هَوَاكَ •

يريد إذهي ؛ وكقول الحطيئة :

فِهَا الرَّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِقَةٍ • جَدَلَاءُ مَسْرُودَةٍ مِنْ نَسِجِ سَلَامٍ

يريد سليمان ؛ وقول الآخر :

مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ • وَالشَّيْخِ عُثْمَانَ أَبِي عَفَانَ

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وَسَائِلُ بَثْلَبَةَ بْنِ سَيِّرٍ • وَقَدْ عَلِقَتْ بِثَعْلَبَةَ الْعَلُوقُ

وأراد ثعلبة بن سيّار ؛ وكما قال الآخر :

١٥ ولستُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ • وَلَاكَ أَسْقِي إِنْ كَانَ مَأْوِكَ ذَا فَضْلِ

أراد ولكن .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغَّرَ الاسمُ في موضع التعظيم ، وإن كان

ذلك جائزاً ، مثل قولهم : « دويبة » ، تصغير داهية ، « وجذيل » ، تصغير جذل ،

« وعذيق » ، تصغير عذق . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

١٥ وكلُّ أَنَايسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ • دُوَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : أَنَا عَذِيْبَةُ الْمُرْجَبِ ، وَجُذَيْلُهَا

المُحَكَّكُ ، وقد شرحه أبو عبيد .

ومما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كلت إياك ،

وأعنى إياك ، وهو جائز في الشعر :

٢٠ وَأَحْسِنُ وَأَجْهَلُ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ • ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْمُرْ كَأَيَّاكَ أَمِيرُ

وقال الراجز :

• إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ •

فتخيّر من الألفاظ أرجحها لفظاً وأجزلها معنى ، وأشرفها جرهماً وأكرمها

حسباً ، وأليقها في مكانها ، وأشكلها في موضعها ؛ فإن حاولت صنعة رسالة

فون اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرّضت ، وعابر الكلمة بميارها
 إذا سنّعت ؛ فإنه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : أنا
 فاعل ، أحسن من أن تكتب : أنا أفل ، وموضع آخر ، يكون فيه : استفعلت ،
 أحلى من : فعلت ؛ فأدير الكلام على أماكِنه ، وقلبه على جميع وجوهه ؛ فأى
 لفظه رأيتها أخفّ في المكان الذي نديتها إليه ، وأنزع إلى الموضع الذي راودتها
 عليه فأوقعها فيه ؛ ولا تجعل اللفظة قَلِقَةً في موضعها ، نافرة عن مكانها ؛ فإنك
 متى فعلت [ذلك] هبّجت الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذي
 أردت إصلاحه ؛ فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصدك بها إلى غير
 مصابها ، إنما هو كترقيق الثوب الذي لم تتشابهه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاءه ،
 خرج عن حد الجودة وتغيّر حسنه ، كما قال الشاعر :

إنّ الجديّد إذا ما زيدَ في خَلْقِهِ ٥ تبيّنَ الناسُ أنّ الثَّوبَ مرُقُوعٌ

كذلك كلما أحلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه ، كان أسهل ولوجاً
 فى الأسماع ، وأشدّ اتصالاً بالقلوب ، وأخفّ على الأفواه ؛ لاسيما إن كان المعنى
 البديع مترجماً بلفظ موق شريف ومُعَارِفاً بكلام عذب لم يسمّه التكلم بميسمه
 ولم يفسده التعقيد باستغلافه .

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبى الحسن ، وزور كلامه وجاوز المقدار فى
 التنطع ؛ فوقع فى أسفل كتابه :

أنى يكون بليغاه من اسمه كان عيّا

وثالك الحرف منه ٥ أذّ كُفيت مُسيّا

قال : وبلغنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة ، فخرج
 عنه ومر باب الطاق ، فإذا بطير يدعى الشفانين ، فاشتراه وبعت به إليه ، وكتب
 كتاباً ينتطع فى بلاغته ، وذكر : إنه يقال له شفانين ، أرجو أن يكون شفاء من
 أنين ؛ فوقع فى أسفل الكتاب : والله لو عطست ضبّا ما كنت عندنا إلا نبطياً ،
 فأقصر عن تنطعك وسهل كلامك .

قوله : لو عطست ضباً ، يريد : أن الضبّاب من طعام الأعراب وفي
بلدهم يقال : لو عطست فثرت ضباً من عطاسك ، لم تلحق بالأعراب ولم
تكن إلا نبطياً .. وقد جاء في بعض الحديث : أن القط من ثمرة عطسة
الأسد ، وأن الفأر من ثمرة عطسة الخنزير ؛ فقال هذا : لو أن الضب من ثرتك
لم تكن إلا نبطياً .

٥

وفي هذا المعنى قال مخلد الموصلي يهجو حيباً :

لمخلد يهجو حيباً

أنت عندي عربي . ليس في ذلك كلام
شعرُ ساقيكَ وفخرُ . ذيكُ خزاميَ ومُمام
وقدّي عينيك صمغ . وتواصيك نعام
وضلوعُ الصدر من شد . وك نبع وبشام
لو تحركتَ كذا لاذ . جفّلتُ منك نعام
وظيائك راتعات . ويرايسعُ عظام
وحمام يتغنى . حبذا ذاك الحمام
أنا ما ذنبي لأن . كذّبتني فيك الأنام ؟
وفتّى يحلف ما إن . عرقتُ فيه الكرام
ثم قالوا جاسمى . من نبي الأنباط حام
كذبوا ما أنت إلا . عربيٌّ والسّلام !

١٠

١٥

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ؛
وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة
واضحة ، ولا النظام متسقاً ، وتضائل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح ، كمتساؤل
الحسناء في الأظهار الرثة .

٢٠

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ؛
وقد ذكر له أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى

النصية ، والنصية الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، والمشيئة إليك بغير يد ؛ وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني وسافرة عن وجوهها .

٥ وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان : هما القلم واللسان ، وكلاهما للقلب ترجمان ؛ فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام ، إلى حد الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان ، الحي الناطق .

وقال هشام بن عبد الملك : إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح . لهشام

١٠ وقال علي بن عبيدة : إنما بين عن الإنسان ، اللسان وعن المودة العيان .

وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . لبعضهم

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

وما المرء إلا الأصغران : لسانه . ومعقوله ، والجسم خلق مصور

١٥ فإن طزة رافتك يوما فرجما . يمز مذاق العود والعود أخضر

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة . ليست لهذه

الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامه في الإيضاح عند المشهد ويفضله عند المغيب ؛

لأن الكتب تقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس في كل

عصر وزمان ، وبكل لسان ؛ واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يمدو سامته

٢٠ ولا يجاوزه إلى غيره .

البلاغة

قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشد من البلاغة .

لسهل بن هارون

- لجفر وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير .
- لابن المقفع وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلة الحصر ، والجرأة على البشر . قيل له : فما المعنى ؟ قال : الإطراق من غير فكرة ، والتنحج من غير علة .
- لبضهم وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تطويل القصير ، وتقصير الطويل .
- لأعرابي وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .
- لأرسطاطاليس وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاستعارة .
- لجالينوس وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المعضل ، وفك المشكل .
- للخليل وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه .
- لابن صفوان وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد للحجة .
- وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق .
- لإبراهيم وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار في الكتب

- ١٥ وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه ، ففيه أدب يجب معرفته ، وقد تعلقت العامة بكتاب القمّي والأصبهاني .
- الأصبهاني : وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لي منه أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك يمكن لكل إنسان ، غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حليياً فتكتب به في القراطاس ، فيذر المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس ، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله ؛ وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج . وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السلخانة .
- ٢٠

قولهم في الأقلام

قالوا: القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرار القلوب على لغات
مختلفة ، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة ، متباينات الصور ، مختلفات
الجهات ، لقاحها التفكير ، وتاجها التدبر ، تخرس مفردات ، وتنطق مزدوجات ،
بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حرف
باريه قَطَّته ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه
ليحتبس المداد عليه ، فهناك استمدت القلم بشقه ، وثر في القرطاس بخطه حروفا
أحكمها التفكير ، وجرى على ألسنته الكلام الذي سدها العقل ، وألمحه اللسان ،
ونسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشده ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء
شتى من صفات وأسماء .

لأبي الحسن
الهاشمي

وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :
وأشمر طاري الكشج أحرص ناطق * له ذملاًن في بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر وبله * بلاصوت إرعاد ولا ضوء بارق
إذا ما حدا غر القواني رأيها * مجللة تمضي أمام السوابق
كان عليه من دجى الليل حلة * إذا ما استهلكت مزرته بالصواعق
كان اللالى والزبرجد نطقه * ونوم الخزامى في عيون الحدائق

للعلوي

وقال العلوي في صفة القلم :

وعريان من خلعمة مكنس * يمس من الوشي في يلتمق
تحدّر من رأسه ريقة * تسيل على ذروة المفرق
فكم من أسير له مطلق * وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد * وينهى ويأمر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطو * ط وأحرص مستمع المنطق

يسير بِرُكْبٍ تَلالٍ عَجْمالٍ • إذا ما حدا الفكر في مهرقٍ

لبعضهم في العلم وقال آخر في القلم :

لك القلمُ المطيعُكَ غيرَ أنا • وجدنا وسمه غير المطاع

له ذوقان من أرى هنيئاً • ومن شرى وبني ذى أمتاع

• أحدُ اللفظِ ينطق عن سواه • فيسمع وهو ليس بذى استماع

إذا استسقى بلاغتك استهلت • عليه سماء فكرك باندفاع

وقال :

ويت بعلياء الفلاة بيته • بأسمر مشقوق الخياشيم يُرْعَفُ

كأن عليه مُلبساً جِلْدَ حية • مقيم فما يَمْضى ولا يتخلفُ

١٠ جليل شتونِ الخطيبِ، ما كان راكباً • يسير ، وإن أُرْجِلته فضعفُ

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلمُ الأعلى الذي يشابهه • يُصابُ من الأمرِ الكلي والمفصلُ

لعابُ الأفاعي الفاتلاتِ لعابه • وأرَى الجنى آسثارته أيدٍ عواسلِ

له ريقَةٌ طُلٌّ ولكن وقمها • بآثاره في الشرق والغربِ وابلِ

١٥ فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ • وأعجمُ إن خاطبته وهو راجلِ

إذا ما امتطى الخس اللطافَ وأفرغت • عليه شعابُ الفكر وهي حوافلِ

أطاعته أطرافُ القنا وتقوضت • لِنجواه تقرِضَ الخيامِ الجحافلِ

إذا استغزَرَ الذَّهْنَ الجليَّ وأقبلت • أعاليه في القِرطاسِ وهي أسافلِ

وقد رفدته الخنصرانِ وسددت • ثلاثَ نواحيهِ الثلاثِ الأناملِ

٢٠ رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ • صَنَى ، وسميماً خطبه وهو ناحلِ

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمي ، فقال لابن الزيات :

ما حُطِبَةُ القلمِ التي أنبِيتُها • وردت عليك لشاعر مجدود

لبحترى في قلم

وأشدد البحترى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تآلق في الندى كلامه الـ مصمومول خذت لسانه من عنبيه
 وإذا دجت أقلامه ثم أنتجت هـ برقت مصابيح الدجى في كنه
 باللفظ يقرب فهمه في بعده هـ منأ ، ويعدُّ نيله في قربه
 حـم فسأحها خلال بنائه هـ متدقق وقلبيها في قلبه
 وكانها والسمع معقود بها هـ شخص الحبيب بدا لعين محسه

لأبن أبي طاهر

وأشدد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب ويصف القلم :

قلم الكتابة في يمينك آمن هـ مما يعود عليه فيما يكتب
 قلم به ظفر العدو مقلم هـ وهو الأمان لما يخاف ويرهب
 يبدى السراير وهو عنها محجب هـ ولسان حجته بصمت يعرب

لأبن عذرة

ومن قولنا في القلم :

بكفه ساحر البيان إذا هـ أداره في صحيفة سحرا
 ينطق في عجمة بلفظته هـ نصم عنه ويسمع البصرا
 نوادر تُقرع القلوب بها هـ إن تستينها وجدتها صورا
 نظام دُر الكلام ضمنه هـ سلكا لخط الكتاب مُستطرا
 إذا امتطى الخنصران أذكر من هـ سبحان فيما أطال واختصرا
 يخاطبُ الغائب البعيد بما هـ يخاطب الشاهد الذي حضرا
 ترى المقادير تستدف له هـ وتنفذ الحادثات ما أمرا
 شخب ضليل لفعله خطر هـ أعظم به في ملية خطرا
 تمج فكاه ريقة صغرت هـ وخطبها في القلوب قد كبرا
 يواقع النفس منه ما حذرت هـ وربما جنبت به الخذرا
 مهفهف تزدهى به صُحف هـ كأنما حُليت به دُررا

كأنها تُرفع العيون بها • خلال روض مكل زهرا
 إن قُربت مرطت طوابعها • ما نُفضت طين لها ولا كيرا
 يكاد عنوانها لروعه • ينديك عن سرها الذي أستترا

لدى الرمة ومن أحسن ما شبت به الأقلام وشبه بها ، قول ذى الرمة :

• كأن أنوف الطير في عرصاتها • خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومثله قول عدى بن الرقاع :

يخرُجن من فُرُجات النعج دامية • كأن آذانها أطراف أقلام

ومن قوله في ولد البقرة :

تزجى أغن كأن إبرة روقه • قلم أصاب من الدواة مدادها

لدامون ومنه قول المأمون :

• كأنما قابل القرطاس إذ مشقت • منها ثلاثة أقلام على قلم

ومثله قولنا فيه :

إذا أدارت بنائه قلباً • لم تدر للشبه أيها القلم

ومن قولنا في الأقلام :

• ومعشر تنطق أقلامهم • بحكمة تلقنها الأعين

• تلفظها في الصك أقلامهم • كأنما أقلامهم ألسن

ومن قولنا في الأقلام :

يا كاتباً نقشت أنامل كفه • سحر البيان بلا لسان ينطق

إلا صقيل المان ملوم القوى • حُزّت لهازمه وشق المفرق

• فإذا تكلم رغبة أو رهبة • في مغرب أصنى إليه المشرق

يدلي بريقة أريه أو شريه • يبكي ويضحك من نداء المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يُخدم الإرادة ؛ ولا يمل

الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق ساكناً ؛ على أرض بياضها مظلم ،
وبوادها مضيء .

وقال سليمان بن وهب وزير المهدي : كل قلم تطيل جلفته ؛ فإن الخط
يخرج به أوقص .

٥ وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

أما بعيد ، فليكن قلبك بحرياً لا سمينا ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغلظ ، ضيق
النقب ، فأبره برياً مستويًا كمنقار الحمامة ؛ أعطف قطته ، ورقق شفرته ؛ وليكن
مدادك صافياً خفيفاً ، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه في الدواة ؛ وليكن قرطاسك
رقيقاً مستوي النسيج ، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ؛ فليست
١٠ تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر تمطيطك في طرف القرطاس
الذي في يسارك ، وأقله في الوسط ولا تمط في الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة
ثلاثة أحرف ولا أربعة . ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا فزقت القليل
كان قبيحاً ، وإذا جمعت الكثير كان سمجاً ؛ ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله ،
واخططه بعرضه ، واختمه بأسفله ؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطة
١٥ العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والدين والغين ، ورأس كل مرسل
برأس القلم ؛ واكتب الجيم والحاء والحاء والذال والذال والراء ، والمطة السفلى
من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والدين ، بالسن السفلى من القلم
وامطط بعرض القلم ، وامط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب
العاقل يقوى عليه إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة . والسلام .

٢٠ وقال ابن طاهر لكتابه : ألق دواتك ، وأطل سن قلبك ، وفزج بين السطور ،
وقرط بين الحروف .

وقال إبراهيم بن جبلة : مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطأ ردينا ، فقال لي :
أ [لا] تحب أن يجود خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطل جلفه القلم وأسمنها ؛
وحزف قطنك وأيمنها . ففعلت فجاد خطي .

لابن جبلة

- وقال العتابي : يبكاء القلم بتبسم الكتب .
 وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم .
 وقال حبيب الطائي :
 لولا مُناشِدَةُ القُرْبَى لِنَادَرَ كَمْ • حِصَانَدَ العُرْهَقَيْنِ : السيف والقلم
 وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سِنِّ أَقْلَامِهِمْ •
 وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف ، فرجى على بن أبي طالب
 كرم الله وجهه ، فقال : أجلُّ قلبك . فقصمت من قلبي قصمة ، فقال : هكذا
 نوره كما نوره الله .
 وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقاً ، وقال : أجود الخط أبيضه .
 وقال سليمان بن وهب : زِينُوا خطوطكم بِأسْبَالِ ذَوَاتِهَا .
 وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما ضاق
 عن العيون ، وقد ملأ أقطار الطنون .
 وذكر علي بن عبيدة القلم فقال : أصمُّ يسمع النَّجْوَى ؛ أعمى من باقل ، وأبلغ
 من سبحان وائل ؛ يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ؛ ويجعل الكتب بين الإخوان
 ألسناً ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن
 عند المشاهدة .
 وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغواني في خدودهن بأحسن من
 عبرات الأقلام في خدود الكتب .
 وقال العتابي : الأقلام مطايا الفطن .
 وتخار غلامان في بعض الدواوين ، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه
 خطوطهما ، فكره أن يفضل أحدهما على الآخر ؛ فقال لأحدهما : أما خطك
 أنت فوشى محوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت فذهب مشبوك : تكافأتما
 في غاية ، وتوافيتما في نهاية .

وقال آخر : دخلت الديوان ، فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان ،
وعليه مكتوب :

وَأَبِي أ وَأَبِي * مِنْ كَفِّ مَنْ يَكْتُبُ بِي

وقال أبو هيفان يصف القلم :

وَإِذَا أَمَرْتُ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ * بَأْنَامِلٍ يَحْمِلُنْ شَخْنًا مَرَهَفًا
وَمُقَصَّرًا وَمُطَوَّلًا وَمُقَطَّعًا * وَمَوْصَلًا وَمُشَدَّنًا وَمُؤَلَّفًا
كَالْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ * يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
يَهْفُو بِهِ قَلَمٌ يَمُجُّ لِعَابَهُ * فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمَثَقَفًا

وقال آخر في وصف الدواة :

وَمُسْوَدَّةُ الْأَرْجَاءِ قَدْ خُضَّتْ جَالَهَا * وَرَوَيْتُ مِنْ قَعْرِهَا غَيْرَ مُنْبَطِّ
تَحْمِيصَ الْحَشَا يَرَوِي عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ * أَمِينًا عَلَى سِرِّ الْأَمِينِ الْمَسْلُطِّ

وقال بعض الكتاب :

وَمَارَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاهُ * نَدَى الْأَسْحَارِ يَأْرَجُ بِالغَدَاةِ
بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمٍ * تَوَدِّيهِ الْأَلَاقَةُ مِنْ دَوَاةِ

وقال آخر في وصف بحيرة :

وَلُجَّةٌ بِحَيْرِ أَجْمِ الْعُبَا * بِ بَادٍ وَأَمَوَاجُهُ تَزْخُرُ
إِذَا غَاصَ فِيهِ أَخُو غَوْصَةٍ * سَرِيعُ السَّبَاحَةِ مَا يَفْتُرُ
فَأَنْفَسٌ بِذَلِكَ مِنْ غَائِصٍ * بَدِيعُ الْكَلَامِ لَهُ جَوْهَرُ
وَأَكْرَمُ بِيحْرِ لَهُ لُجَّةٌ * جَوَاهِرُهَا حَكْمُ

وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرته الأقلام ، لم تطمع في درسيه الأيام .

ونظر المأمون إلى جلرية من جواريه تخط خطًا حسنًا ، فقال فيها :

وَزَادَتْ لَدَيْنَا حُظُورَةً حِينَ أَطْرَقَتْ * وَفِي إِصْبَعَيْهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَصْمٌ سَمِيعٌ ، سَاكِنٌ مُتَعَرِّكٌ * يَنَالُ جَسِيَّاتِ الْمَنَى وَهُوَ أَعْجَفُ

- لبعض الكتاب وقال بعض الكتاب :
- إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً . يكاد يُصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع . كمثل اللآلى نظمها وتيرها
- ٥ لابن المعتز قال بشر بن المعتمر : القلب معدين ، والحلم جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم صانع ، والخط صيغة .
- لابن هارون وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا رغب أعلن أسرارها وأبان آثاره . وقالوا : حُسن الخط يناضل عن صاحبه ، ويوضح الحجة ، ويمكن له ذلك البنية .
- لبعضهم وقال آخر : الخط الرديء زمانة الأديب .
- لابن وهب وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة برّي القلم ، وإطالة جلفته ، وتحريف قَطْئه ، وحُسن التأنى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة بقدر اتساع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
- ١٠ لابن حميد وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلبه في أحسن أجزائه ، وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقه .
- ١٥ لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : كلُّ كتاب غير مختوم فهو غُفل . وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴾ قال : مختوم .
- لابن طاهر ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعجامها ، فقال : ما أحسن ما كتبت إلا أنك أكثر سُويَرها .
- لابن عبيدة وقال أبو عبيدة : لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة ، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خِوَان ؛ ولا قلم إلا إذا برى ، وإلا فهي قصبه .
- ٢٠ لبعضهم وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المخمّنين عند النحاسين ، وجلوس الطفيليين عند الطباخين .

لابن الأزهر

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه :

أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم ؛ فخلت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصُّعْرِيَّةَ أسرع في الكواغد ، وأَمْرٌ في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلَسَ في القراطيس ، وألِين في المعاطف ، وأشدُّ لتصريف الخط فيها ؛ ونحن في بلد قليل القصب رديئه ، وقد أحببت أن تنقدم في اختيار أقلام بحرية ، وتتأق في انتقائها قبلك ، وتطلبها في مظانها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تبتم في اختيارك منها الشديد المُحص ، الصلبة المقص ، النقية الجلود ، القليلة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الجفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرِّقَاق القُضبان ، المقومات المُتون ، المُلس المعاهد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكموب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبسا وهي قائمة على أصولها ، لم تُعجل عن إبان ينعها ، ولم يُؤخرْ إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء ؛ وعفن الأنداء ؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رقيقا ؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإصالها ، وكتبت معه رقعة بعديتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم في الخبر

قال بعض الكُتَّاب : عَطَّرُوا دَفَاتِرَ آدَابِكُمْ بِمَجِيدِ الْخَبْرِ ، فَإِنَّ الْأَدَبَ غَوَانِي

لبعض الكتاب

٢٠ والخبر غواني .

ونظر جعفر بن محمد إلى قتي على ثيابه أثر المداد وهو يستره ، فقال له :

لجعفر بن محمد

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمَدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ

وأى وكيع بن الجراح رجل يمت إليه بجرمة ، فقال له : وما حُرْمَتُكَ ؟ قال له : وكيع وفريب له

كنت تكتب من مجرتي عند الأعمش . فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنانير ، وقال له : أعدزُ فما أملك غيرها .

وفي الأقلام

- أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاماً ؛ فكتب إليه :
 لابن الحرون
 إنه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظمَ الأمور ، وقوامَ الخلافة ،
 وعوداً للمملكة ؛ خصصتُك من آلتها بما يَخِفُّ محمله ، وتثقل قيمته ، ويعظمُ نفعه
 ويجلُّ خطره ؛ وهي أقلام من القصبِ النابت في الصُحر الذي نَشِف في حر
 الهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ؛ فهي كاللآلئِ المكسوة في الصدف ،
 والأنوارِ المحجوبة في السدف ؛ تيربة الفشور درية الظهور ، فضية الكسور ؛
 قد كسّتها الطبيعة جوهراً كالوشى المحبر ، وفرند الديباج المنير .

قولهم في الصحف

- نعمَ الأنيسُ إذا خلوتَ كتابُ • تأنه به إن ملكَ الاحبابُ
 لا مفسياً سراً إذا استودعته • وتُفادُ منه حكمةٌ وصوابُ
 وقال آخر :
 ولكلِّ صاحبٍ لذةٌ مُتَّزَّة • أبدأ ، ونزهةٌ عالمٍ كُتِّبَ
 وقال حبيب :

- مِدادٌ مثلُ خافيةِ الغرابِ • وقِرطاسٌ كَرَقراقِ السَّرابِ
 وألفاظٌ كالألفاظِ المَناني • وخطٌّ مثلُ وشمِّ يدِ الكَمابِ
 كُتِبْتُ ولو قدرتُ هوىً وشوقاً • إليك لكنتُ سَطراً في الكتابِ
 وقال في صحيفةِ جِامته من عند الحسن بن وهب :

لقد جَلَى كِتابُك كلَّ بَيْتٍ • جوِّ وأصابِ شاكِلَةَ الرِّمِيِّ
 فضَضَّتْ خِتامه فبَلَّجَتْ لي • غرائبُه عِينَ الحَبْرِ الجِلِيِّ
 وكان أَعْضَى في عَيْني وَأُنْدَى • على كَبِدِي مِنَ الزَّهْرِ الجِنِيِّ

وأحسن موقفاً عندي ومنى * من البشرى أنت بعد النعي
 وضمن صدره ما لم تضمن * صدور الغايات من الحلي
 فكأن فيه من معنى خطير * وكان فيه من لفظ بهي
 فيا تلج الفواد وكان رضفاً * ويا شيعي برؤيته وربي
 فكم أفصحت عن برّ جليل * به ووايت من وأي سني
 كتبت به بلا لفظ كريب * على أذن ولا خط قبي
 رسالة من تمتع منذ حين * ومتعنا من الأدب الرضي
 لئن غربتها في أرض بكر * لقد زفت إلى قلب وفي
 وإن يك من هداياك الصفايا * فرب هديّة لك كاهدي

لابن أبي طاهر

وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوبة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة * من رأيه وندى كفيه عن منل
 من خط أقلامه خط القضاء على الـ * أعداء الموت بين البيض والأسل
 لعابها علل في الصدر تنفثه * وربما كان فيه النقع للغال
 كأن أسطارها في بطن مفرقها * نور يضحك دمع الواكف الخضل

البحترى

وقال البحترى في محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى * عطّل الناس فنّ عبد الحيد
 في نظام من البلاغة ما شد * لك امرؤ أنه نظام فريد
 وبديع كأنه الزهر الضا * حك في روتق الريح الجديد
 ما اغتدت منه في بطون القراطيد * مرس وما تحملت ظهور البريد
 حجج تحرس الألد بالفا * ظي فرادى كالجوهر المعدود
 حزن مستعمل الكلام اختياراً * وتجنّب ظلمة التعقيد
 كالغذاري غدوّن في الحلال اليب * ض إذا رحن في الخطوب السود

لابن الجهم

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جيد :

مارُفَعَةٌ جَاءَتْكَ مَثْنِيَّةٌ • كَأَنَّهَا خَدٌّ عَلَى خَدٍّ
نَثْرُ سَوَادٍ فِي بِيَاضٍ كَأَذ • زَفَنِيْتُ الْمِسْكِ فِي الْوَرْدِ
سَاهِمَةُ الْأَسْطَرِّ مَصْرُوقَةٌ • عَنْ جِهَةِ الْهَزْلِ إِلَى الْجَدِّ
يَا كَاتِبًا أَسَلْتَنِي عَتْبُهُ • إِلَيْكَ، حَسْبِي مِنْكَ مَا عِنْدِي ٥

لابان

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق إلى

الفضل بن يحيى بن خالد ، رقعةً بأبياتٍ له يَصِفُ فِيهَا قَامَتَهُ ، وَكَثَاةَ لِحْيَتِهِ ، وَحِلَاوَةَ
شِمَائِلِهِ ، وَبِرَاعَةَ أَدَبِهِ ، وَبِلَاغَةَ قَلْبِهِ : قَالَ :

- أَنَا مِنْ بُعْيَةِ الْأَمِيرِ وَكَثْرٌ • مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاعِ
كَاتِبٌ حَاسِبٌ أَدِيبٌ لَيْبٌ • نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ ١٠
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفَ مِنَ الرَّيِّ • شَيْءٌ مِمَّا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ
لِي فِي النَّحْوِ قِطْنَةٌ وَنَفَازٌ • أَنَا فِيهِ قِلَادَةٌ بُوْشَاحِ
لَوْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا صَدَمْتُ حَذَّ الرَّمَاحِ
ثُمَّ أَرَوَى مِنْ ابْنِ سَيْرِينَ فِي الْفَيْءِ • بِـ بِقَوْلِ مُنْشُورِ الْإِنْفَاحِ
لَسْتُ بِالضَّخْمِ فِي رُؤَايَ وَلَا الْفَدَى • مِ وَلَا بِالْمَجْمَعِ الدَّحْدَاحِ ١٥
لِعَيْتَةٍ كَثَّةٍ وَأَنْفٍ طَوِيلٍ • وَأَتَقَادُ كَشَعْلَةِ الْمِصْبَاحِ
وَكَثِيرُ الْخَدِيدِ مِنْ مُلْجِ النَّاسِ • سِ بِصِيرٍ بِخَافِيَاتِ مِلاجِ
كَمْ وَكَمْ قَدْ خَبَأَتْ عِنْدِي حَدِيثًا • هُوَ عِنْدَ الْأَمِيرِ كَالْتَفْجَاحِ
أَيَّمَنُ النَّاسِ طَارًا يَوْمَ صَيْدٍ • فِي غُدُوٍّ أَوْ بُكْرَةٍ أَوْ رَوَاجِ
أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْجَوَارِحِ وَالصَّيْدِ • بِدِ وَبِالْخُرْدِ الْحِسانِ الْمِلاجِ ٢٠
كُلُّ هَذَا جَمَعْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْي ظَرِيفِ الْمُزَاجِ
لَسْتُ بِالنَّاسِكِ الْمُشَمَّرِ ثَوْبِي • بِـ وَلَا الْفَاتِكِ الْخَلِيجِ الْوَقَاجِ
لَوْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَيْنَ مَتْنِي • شَمْرِيًّا كَالْبَلْبَلِ الصَّدَاجِ

قال : فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له :
أجب . فأجاب بما في غرضه وأحسن ، فأمر له بألف ألف درهم ؛ وكان تراه أول
داخل وآخر خارج ؛ وكان إذا ركب فركابه مع ركابه .

لأبي نواس

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعرُ أبا نُوَاس ، فقال :

أنتَ أَوْلَى بِقِلَّةِ الحِظِّ مِنِّي • يامُسمَى بالبلبل الصَّدَاحِ ٥
قد رأوا منه حين غنى لديهم • أخرَسَ القولِ غيرَ ذى إفصاحِ
ثم بالرَّيشِ شَبَّهَ النَّفْسَ في الحِجِّ • فَمِمَّا يَكُونُ تحتَ الجِناحِ
فإذا الشَّمُّ من شمَارِخِ رَضوى • خِصَّةَ عِندَهُ نوى المِسيحِ
لم يَكُنْ فيكَ غيرُ شَيْئَيْنِ مِمَّا • قلتَ في نعتِ خَلْقِكَ الدَّحاحِ
لحِيةٌ جَعْدَةٌ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ • وَسِوى ذاكِ ذَاهِبٌ في الرِّياحِ ١٠
فيكَ ما يَحْمِلُ الملوِكُ على السَّخِّ • فِى وِزْرِى بِالمَاجِدِ الجُحجُحِ
بارِدُ الطَّرْفِ ، مُظْلِمُ اللَّبِّ ، تِيًّا • هُ ، مُعَبِدُ الحَدِيثِ ، سَمَّجُ العُزاحِ

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم ا فبعث إليه
أبو نواس : لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بُدًّا من إذاعتها . فيقال :
إن الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبي نواس قال : لا حاجة لي في أبان ، لقد رُمِيَ ١٥
بخمسة في بيت لا يقبله على واحدة منهن إلا جاهل . فقيل له : كذب عليه .
فقال : قد قيل ذلك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبان بن
عبد الحميد اللاحق ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه في الشعراء ، ويعطى
كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إنى
أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفر نصيبك عندي . فهجاه لذلك . ٢٠

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بيان بينه ، فوَقَّع في أسفل كتابه : **أَبْنِ مَا يُكْنُكَ مِنَ الْمَوَاجِرِ وَأَذَى الْمَطَرِ .**

٥ ووقع إلى عمرو بن العاصي : **كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .**

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجوه أعتاقهم : **(فَبَيْنَ عَصْوِكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٌّ بِمَا تَعْمَلُونَ) .**

١٠ ووقع في قصة رجل شكاه عيلة عليه : **قَدْ أَمَرْنَاكَ بِمَا يُقِيمُكَ ، وَبَلِيسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلَ لِلْسَّرْفِ .**

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله : **فِي بَيْتِهِ يُوْتَى الْحَكْمُ .**

ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضى الله عنه : **رَأَى الشَّيْخَ خَيْرَ مَنْ مَشَهُدٍ "الغلام" .**

١٥ ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ - : **يُحَاسِبُونَ كَمَا يُرْزَقُونَ ..**

ووقع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة : **بَقِيَةَ السَّيْفِ أَنْعَمَى عَدَدًا .**

وفي كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره : **مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلٌّ ؟**

وفي كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء : قبة كل امرئ ما يحسن .

معاوية بن أبي سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه ، فوقع في أسفل كتابه : بيت
أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام ، فأنت تراه .

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقَطِّعه مالا بالطائف : عش رجلاً
ترَّ عَجَباً .

وفي كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته : إن
أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في سلاح واحد ، وذلك حلفت لا يحله
سوء أدبك .

وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة
بأثنى عشر ألف جذع : أدارك في البصرة ، أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستمحه لرجال من خاصته : أحكم لهم
بأماهم إلى منتهى آجالهم . فحكم [لهم] بتسعمائة ألف ؛ فأجازها .

وكتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل الحرة ، فوقع في أسفل
كتابه : ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ .

وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه في الخراج : قليل
العتاب يُحكَم مرائر الأسباب ، وكثيره يَقَطِّع أواخى الانتساب .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان : القرابة واشجة ،
والأفعال متباينة ؛ فخذ لرحمك من فمك .

ولمَّا عيىد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك ، فأحرص أن
تكون كلها .

عبد الملك بن مروان

وقع في كتاب أناه من الحجاج [يشكو إليه نقرأ من بني هاشم ويُغريه بهم]
جَنَّبِي دماء بنى عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب .

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ، ويستأذنه
في قتل أشرافهم ، فوقع له : إن من يُمن السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن
شؤمه أن يختلف به المؤتلفون .

وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى ، وبخرقك طلع .
ووقع في كتاب ابن الأشعث :

فا بال من أسمى لأجبر عظمه . حفاظاً ، وينوى من سفاهته كسرى ؟

ووقع أيضاً في كتاب :

كيف يرجون سقاطى بعدما هـ شيل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، ينكر ذلك
عليه ويعرفه أنه على غير صواب ، فوقع في كتابه : لأجمعن المال جمع من يعيش .
أبدا ، ولا فرقته تفريق من يموت غدا .

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز ، قد رأب الله بك الداء ، وأوذم بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهده بالخلع ، فوقع في كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مريباً هـ أبشر بطول سلامة يا مريب

ووقع في كتابه أيضاً : العاقبة للبتين .

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مَرَمَة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : آئنها بالعدل ، ونقَّ طَرْقُها من الظلم . ٥

وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حَسَنُها ونَفَسَك بتقوى الله .

وإلى رجل ولاة الصدقات ، وكان دميماً فعدل وأحسن : ﴿ ولا أقولُ للذين تزدري أعينكم لن يؤتيمهم الله خيراً ﴾ .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : أرض لهم ما أرضى لنفسك ، وخذ بجرانهم بعد ذلك . ١٠

وإلى عدى بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إن آخر آية أنزلت ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ .

وإلى عامله على الكوفة - وكتب إليه أنه فعل في أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب - : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .

وإلى الوليد بن عبد الملك - وعمرُ عامله على المدينة - فوقع في كتابه : الله أعلم أنك لست أول خليفة تموت . ١٥

وأناه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل علياً ، وكان إماماً مرضياً .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعطيه موضعاً بينه ، فوقع : كن من الموت على حذر . ٢٠

وفي قصة متظلم : العدل أمامك .

وفي رقعة محبوس : مُبْتِ تَطْلُق .

وفي رقعة رجل قتل : كتاب الله بيني وبينك .

وفي رقعة متصحح : لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك .

وفي رقعة رجل شكاه أهل بيته : أتيا في الحق سيان .

وفي رقعة امرأة حُبِسَ زوجها : الحق حَبَسَهُ .

وفي رقعة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصفك منه فأنا ظلمتُك .

يزيد بن عبد الملك

وقع إلى صاحب خراسان : لا يفرئك حسنُ رأي ، فإنما تفسده عثرة .
وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقبل .

وفي قصة متظلم : ﴿ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وفي قصة متظلم شكاه بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صَفَحْتَ عنه

واستوصلتني .

هشام بن عبد الملك

في قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحل بك النكال إن كنت
كاذبا : فتقدم أو تأخر .

وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما أَدَّعَيْتُمْ عليه عزلناه وعاقبناه .

وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : احذر ليالي البيات .

وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار : أحفظ فيهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهبهم له .

وقع في رقعة محبوس لزمه الحد : نزل بحدك الكتاب .

ووقع في قصة رجل شكاه إليه الحاجة وكثرة العيال وذكر أن له حرمة :

لعيالك في بيت مال المسلمين مهم ، ولك بحرمتك منا مثلاه .

وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضَعَّ سيفك في كلاب النار ، وتقرب

إلى الله بقتل الكفار .

وإلى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم : لَنُقُوْضَنَّكُمْ فِي خِصْمِكُمْ دُونَكُمْ .
 وفي كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده : مُرُّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ .
 وإلى سهل بن سيار : خَفِيَ اللهُ وَإِمَامَكَ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

٥ وقع إلى مروان [بن محمد] : أَرَاكَ تُتَقَدَّمُ رِجْلًا وَتَوَخَّرَ أُخْرَى ، فَإِذَا أَنَاكَ
 كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيِّمَا شِئْتَ .
 وإلى صاحب خراسان في المسوِّدة : نَجِمٌ أَمْرًا أَنْتَ عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ
 أَوْ مَنِّي بِسَلَامٍ .

مروان بن محمد

١٠ كتب إلى نصر بن سيار في أمر أبي مسلم : تَحَوَّلُ الظَّاهِرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ
 الباطن ، والله المستعان .
 ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان : الأَمْرُ مُضْطَرِبٌ ، وَأَنْتَ نَائِمٌ ،
 وَأَنَا سَاهِرٌ .
 وإلى حوثرَةَ بن سُهَيْلِ جَيْنٍ وَجِهَهُ إِلَى قَحْطَبَةَ : كُنْ مِنْ بِيَاتِ المَارَاةِ
 عَلَى حَذَرٍ . ١٥

ووقع حين أتاه غَرَقُ قَحْطَبَةَ وَانْهَزَامُ ابْنِ هَبِيرَةَ : هَذَا وَاللهِ الإِدْبَارُ ، وَإِلَّا
 فَمَنْ رَأَى مَيْتًا هَزَمَ حَيًّا ؟

وفي جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيزَ جَمْرٍ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
 الحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، فأحسم التَّوَلُّولَ . ٢٠
 فكتب نصر : التَّوَلُّولُ قَدْ امْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ ، وَعَظُمَتْ نِكَايَتُهُ .
 فوقع إليه : يَدَاكَ أَرْكَنَا وَفُوكَ نَفْخُ .

توقيعات بنى العباس

السفاح

- كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أُخِذَت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم .
- ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يجارب ابن هبيرة بواسط : إن حلتك أفسد عليك ، وتراخيك أثر في طاعتك ، تغدلي منك ، ولك من نفسك .
- ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : لست منك ولست مني إن لم تقتله .
- ١٠ وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحجّ وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذنك لك .
- ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك في النعمة . ثم أمر بأرزاقهم .
- وإلى عامل تظلم منه : ﴿ وما كنتُ متَّخِذَ المِضْلِينَ عَضُدًا ﴾ .
- ١٥ وفي قوم شكروا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة : ﴿ وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين ﴾ .

أبو جعفر

- وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه : لا تجعل للأيام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها .
- ٢٠ ووقع إليه أيضا : ﴿ أذفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم ﴾ فاجعل الحظ لك دوني يكن لك .

- ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان : شكوت فأشكيناك ، وعتبت
فأعتبتك ، ثم خرجت عن العامة فتأهب لفراق السلامة .
- وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونون يؤمر عليكم
وإلى قوم تظلموا من عاملهم : ﴿ لا ينالُ عهدِي الظالمين ﴾ .
- وفي قصة رجل شكَا عيلة : سل الله من رزقه .
- وفي قصة رجل سأله أن يبني بقر به مسجداً فإن مُصلاه على بعد : ذلك
أعظم لنوابك .
- وفي قصة رجل قُطعت عنه أرزاقه : ﴿ ما يفتحُ اللهُ للناسِ من رُحمةٍ فلا
تُمسِكُ لها وما يُمْسِكُ فلا مرسلَ له من بعدهِ وهو العزيزُ الحكيم ﴾ .
- وفي قصة رجل شكَا الدين : إن كان دينك في مرضاة الله قضاءه .
- وإلى صارورة سأله أن يحجج : ﴿ والله على الناس حِجُّ البيتِ من استطاع
إليه سبيلاً ﴾ .
- وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد
يعطك النيل القيادة .
- وإلى عامله على حمص ، وجاء منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكاتبك
وإلا استبدل بك .
- وإلى صاحب أرمينية : إن لي في قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ؛ ولهما
أربع آذان .
- وإلى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله .
- وفي كتاب أتاها من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه ، وكسروا
أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وقيت
لم ينتهبوا .

المهدى

ووقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق
كما يقاد الجمل الخشوش . يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : (خُذِ العَفْو
وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

وإلى صاحب خراسان في أمر جاهه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفي قصة قوم أصابهم قحط : يقدر لهم قوت سنة القحط ، والسنة التي تليها .

وإلى شاعر — أظنه مروان بن أبي حفصة — : أسرفت في مديحك فقصرنا
في جياتك .

١٠ وفي قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك
وتقر به عينك .

وفي قصة رجل شكوا الحاجة : أذاك الغوث .

وإلى رجل من بطانته استوصل : ليت إسرأنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إثنخاه إلى بابه : قد أنصف القارة

١٥ من رامها .

وفي قصة رجل حبس في دم : (ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب) .

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذم بالعدل في

المكيال والميزان .

وإلى يوسف البرم حين خرج بخراسان : لك أمانى ومؤكّد أيمانى .

٢٠ موسى الهادي

كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه : قد أنكرتك منذ لزمتم

أبا حنيفة : كفانا الله .

وإلى صاحب أفريقية في أمر فرط منه : يابن اللخناء أنى تتمرس .

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان : داو جرحك لا يتسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أن تُخرب خيراتى وخزانة أخى يوسف فإتيك

منى ما لا قبيل لك به ، ومن الله أكثر منه .

ووقع في قصة رجل من البرامكة : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كن منى على مثل ليلة البيات .

وإلى عامل خراسان : إن الملوك يؤثر عنهم الخزم .

وإلى حزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية :

لا أتم لك ! تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟

وفي قصة مجبوس : من لجأ إلى الله نجا .

وفي قصة متظلم : لا يجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السند إذ ظهرت العصية : كل من دعا إلى الجاهلية تعجل

إلى المنية .

وإلى عامله على خراسان : كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز ، وكان بالمنظلم عارفاً : قد وليناك

موضعه ، فتنكب سيرته .

وفي كتاب بكار الزبيرى إليه : يخيره بسير من أسرار الطالبيين : جزى الله

الفضل خير الجزاء في اختياره إياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر : يا محفوظ ، اجعل خرج مصر خرجاً

واحداً ، وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضع رجلك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطالوا

ليلي بالسهاد ، ونفوا عن عيني لنيد الرقاد .

ووقع إلى السندی بن شاهك : خَفِ الله وإمامك ، فهما نجاتك .

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق
استحييت بشيخ ولده المنصور ، أن يهرب عن ولده كندة وطبي : فهلا قابلتهم
بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك ، وبذلت لهم نصيحتك ، وكنت كروان ابن عمك
أذ خرج مصلاً سيفه متملاً بيت الجعاف بن حكيم :

مُتَقَلِّدِينَ صَفَاتِهَا هِنْدِيَّةً . يَتَرَكْنَ مِنْ ضَرْبِهَا كَنْ لَمْ يُولَدِ
لِخَالِدِ بِهِ حَتَّى قُتِلَ : لَهْ أُمٌّ وَلَدَتْهُ ، وَأَبٌ أَنْهَضَهُ .

وكتب منملك الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب
في ملكتي ، وكلّ بطل في جندي . فوقع في كتابه : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَاْفِرُ لِمَنْ
عُقِبِي الدَّارِ ﴾ .

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدم الخصم إلى
موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدل ، وستقدم فتعلم . فوقع فيه .
الرشيد : الحكم الذي رضيت في الآخرة لك ، هو أعدي الخصم في الدنيا عليك ،
وهو من لا يُردُّ حكمه ، ولا يُصرفُ قضاؤه .

المأمون

وقع إلى علي بن هشام في أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يظلم من
فوقه ، ويظلمه من دونه ؛ فأبى الرجلين أنت ؟
وإلى هشام : لا أدنيك ولك يبابي خصم .

وإلى الرستمى في قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آتيتك
من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، عَمَّرَ نِعْمَتَكَ بِالْعَدْلِ ؛ فَإِنْ
الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا .

وفي قصة متظلم من أبي عباد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

- وفي قصة منظم من أبي عيسى أخيه : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .
- وفي قصة لمنظم من حميد الطوسي : يا أبا غانم ، لا تغتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده في الحق سيان .
- ٥ وإلى طاهر صاحب خراسان : آخذ أبا الطيب ، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فمالك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده .
- وفي كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدت الله في مناجاتي إياه .
- وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فذك حين أمره بردها : قد أرضيت خليفة الله في فذك ، كما أرضى الله رسوله فيها .
- ١٠ وفي قصة منظم من محمد بن الفضل الطوسي : قد احتملنا بذاهك وشكاسة خلقك ، فأما ظلك للرعية فإنا لانحتمله .
- ووقع إلى بعض عماله : طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها .
- ١٥ وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إن غفرت بفضلك ، وإن أخذت بجهلك . فوقع في كتابه : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله .
- ووقع في رقعة مولى طلب كسوة : لو أردت الكسوة لزيمت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد فظك الرويا .
- ٢٠ ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الأموال : يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته ، ولثمائة بن أشرس بثلاثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه ، ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللعلوي بخمسمائة ألف لصحيح سنته ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ، ولأحمد بن أبي خالد بألف ألف لخالفته شهوته ،

ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته ، وللمرئسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوئه ،
ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

٥ وقع إلى بعض عماله : قد كنت على الذُّعَار وإخالك ذاعرا .
وكتبت إليه عائشة في وصاة برجل ، فوقع في كتابها : هو بين أبيه .
وإلى صاحب خراسان في أمر خالفه فيه : استر بعض دينك ببعض ،
وإلا ذهب كله .

وإلى عامله بالكوفة أميط الحدود عن ذوى المروءات .
١٠ وفي قصة متظلم : أنا معك .
وفي قصة قوم رفعوا على عامل ربيعة : من أماله الباطل قومه الحق .
وفي قصة مستمنح : لك المواساة .
وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة : النساء تُتجارُ بهم دونك .
وفي قصة سارق : القطع جزاؤك .

١٥ وفي قصة امرأة حبس زوجها : حُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ .
وفي قصة قوم تقبوا : تُنْقَبُ ظُهُورُهُمْ .
وفي قصة نباش : يُدْفَنُ حَيًّا فِي قَبْرِهِ .
وفي قصة متظلم : الحقُّ يَسْعُكَ .

وفي قصة متصح : مهلا فقد أبلغت إسماعى .
٢٠ وفي قصة متظلم : كُفِّيتَ .

وثن قصة رجل شكَا إليه عقوق ابنه : ربما كان عقوقُ الولد من سوء

تأديب الوالد ١

- وفي قصة رجل شكوا الحاجة : لك في مال الله نصيب أنت آخذه .
 وفي قصة رجل جرح : الجروح قصاص .
 وفي قصة مجبوس : النائب من الذنب كمن لا ذنب له .
 وفي قصة قوم شكوا غرق ضياعهم : لا تعرض فيما تفرد الله به .
 وفي قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لاحكم فيما استأثر الله به .

الحجاج بن يوسف

- وقع في كتاب أناه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد ، وذهاب الغلات ،
 وما حل بالناس من القحط : إذا أرف خراجك فانظر لرعيك في مصالحها ،
 فيت المال أشد اطلاعا لذلك من الأرملة واليتيم وذى العيلة .
 ١٠ وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لاتخاطر بالمسلمين
 حتى تعرف موضع قدمك ، ومرمى سهامك .
 وفي كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم :
 ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه ؟
 وفي قصة مجبوس ذكروا أنه تاب : (ما على المؤمنين من سبيل) .
 ١٥ وإلى قتيبة : خذ عسكريك بتلاوة القرآن ، فإنه أمتع من حصونك .
 وفي كتابه إلى بعض عماله : إياك والملاهي حتى تستنظف خراجك .
 وفي كتاب إلى ابن أخيه : ماركب يهودي قبلك منبرا .
 وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم : أنت أبو عبيدة هذا القرن .

أبو مسلم

- ٢٠ وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزامي : (لكل نيا مستقر وسوف تلبون) .
 وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة : قل طريق سهل تلتقى فيه الحجارة
 إلا عاد وغراً ؛ والله لا يصلح طريق في ابن هبيرة أبدا .

- وإلى ابن قحطبة : لا تنس نصيبك من الدنيا .
 وإليه : (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .
 وإليه : (ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .
 وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه : (وأما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .
 وكتب إليه قحطبة : إن بعض قواده خرج إلى عسكر بن ضبارة راغبا . فوقع
 في كتابه : (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار
 جهنم يصلونها ويبئس القرار) .
 وإلى عامله يبلخ : لا تؤخر عمل اليوم لغد .
 وإلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
 وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) .

١٠

جعفر بن يحيى

- وقع في قصة مجبوس : (لكل أجل كتاب) .
 وفي مثله : العدل يُوبقه ، والتوبة تطلقه .
 وفي قصة متنصح : بعض الصدق قبيح .
 وفي رجل شكك بعض عماله : قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما عدت ؛
 وما اعتزلت .
 وفي قصة رجل شكك بعض خدمه : خذ بأذنه ورأسه فهو مالك .
 وإلى عامل فارس في رجل كذب إليه بالوصاة : كن له كأبيه لو كان مكانك .
 وإلى عامل مصر في رجل من بطانته يوصيه : إنه رغب إلى شعبك فارغب
 في اصطناعه .

٢٠

- وفي قصة منظم من بعض عماله : إني ظلمتكَ دونه .
 وفي قصة مجبوس : الجنابة حبسته والتوبة تطلقه .
 وإلى قوم : عين الخليفة تكلوكم ونظره يعمكم .

- وفي رقعة ضرورة استأذنه في الحج : من سافر إلى الله أنجح .
 وفي قصة رجل شكوا عزوبة : الصومُ لك وجاء .
 وفي رقعة رجل سأل ولاية : لا أولى بعض الظالمين بعضا .
 وفي قصة رجل سأل أن يُقبل ابنه فقد طال غيبته عنه : غيبة يوسف
 صلى الله عليه وسلم كانت أطول .
 وفي قصة رجل تظلم من عماله : إنا لعمله حتى نتصفك .
 وفي قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته : يرحل عنكم .
 وفي قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دج الضرع يدرُ لغيرك كما دزلك .
 وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابٌ عمه وكرهه : كثرة ملاحاة الأوداء ،
 رُبما أراقت الدماء .
 وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لم نزرعك لنحصدك .
 وإلى بعض عماله : اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا .
 وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضمك .
 ووقع إلى متصل من ذنب : حكم الفلنات خلاف حكم الإصرار .

الفضل بن سهل

- كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخي ، فما بييت خليفة الله إلا على ذكرك .
 وإلى طاهر : لخير ما أتضعت .
 وإليه : لشر ما سموت .
 وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يُحَلُّ ما عقدت .
 وفي قصة متظلم : كفى بالله للظلم ناصرا .
 وفي قصة ثقب نيت المال : يُدْرَأُ عنه الحد إن كان له فيه سهم .
 ووقع إلى حاجبه : تمهل وتمهل .

وإلى صاحب الشرطة : تَرَفَّقُ تُوَفَّقُ .

وإلى رجل شكَا غلبة الدّين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسنشفعُها بِمَثَلِهَا ،
ليُرْغَبَ المُسْتَمْتَحِنُونَ .

وفي قصة متظلم : طِبُّ نَفْسًا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمَظْلُومِ .

وإلى رجل شكَا إليه الدّين : الدّين سوء يهيض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . ٥

وفي قصة قوم قطعوا الطريق : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وفي أمرئٍ قاتل شهيد عليه العدول فشفع فيه : كتاب الله أحقُّ أن يُتَّبَعَ . ١٠

وفي قصة رجل شهيد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضْرَبُ دُونَ الْحَدِّ
وَيُشْهَرُ ضَرْبُهُ .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقَعَ فِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ : يُنْظَرُ فِيهَا رَفَعٌ ، وَإِنَّ الْحَقَّ مَنِيْعٌ ، وَإِلَّا فَشَفَاءُ السَّقِيمِ
دَوَاءُ السَّقِيمِ . ١٥

وفي قصة قوم تظلموا من واليهم : الحقُّ أولى بنا ، والعدلُ بُغْيَتُنَا ، وَإِنْ
صَحَّ مَا ادَّعَيْتُمْ عَلَيْهِ صَرَفْنَا وَعَاقَبْنَا .

وفي قصة امرأة حبس زوجها : الحقُّ يَحْبِسُهُ وَالْإِنصَافُ يُطَلِّقُهُ .

وفي رقعة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق
الكفاية مع الاقتصاد . ٢٠

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا هُوَ لِي وَصِيْفٌ وَفِي كَفِّي دَنَابِيرُ

فقال قومٌ لهم فهِمَّ ومَعْرَقَةٌ . رأيتَ خيراً وللأحلامِ تسييرُ
 زؤبَاكِ فسّرْ غداً عندَ الأميرِ تجدُ . تعبيرَ ذاكِ وفي النومِ التّبشيرُ
 فوقع في أسفلِ كتابهِ (أضغاثُ أحلامٍ وما نحن بتأويلِ الأحلامِ بعالمين)
 وأطلق له ما التمسهُ .

٥ ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأشده :

أَغْفَيْتُ عندَ الصّبحِ نومَ مسهٍ . في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامها
 فرأيتُ أنكِ رُغْنِي بوليدةٍ . رُغْبوبةٍ حَسَنِ على قيامها
 وييسرةٍ حُجِلتُ إلى وبغلةٍ . دَهْمَاءِ مُشْرِقةٍ يَصِلُ لجامها
 فدعوتُ ربّي أن يُثيبكِ جنّةً . عوضاً يُصيّكِ برُدّها وسلامها
 تلكِ المنابرُ يابنَ مروانَ النّدى . أضحتُ وأنتِ خطيبها وإمامها

١٥

فقال له : أبشر في كل شيء أصبت إلا البغلة ، فإنني لا أملك إلا شهباً ،
 فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلا شهباً ، إلا أني غلظت .

طاهر بن الحسين

وَقَعَ في كتابِ رجلِ تظلمَ من أصحابِ نصرِ بنِ شبيبٍ : طلبتَ الحقَّ في

دارِ الباطلِ .

١٥

وفي قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله : القبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت

صلاحاً ما كنت لها موضعاً .

وإلى السّندي بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه : عِشْ ما لم أرك .

وإلى خزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصنعة باستدامتها وإلى الغاية

٢٥ ما جرى الجواد ، فعمد السابِق وذم الساقط .

وإلى العباس بن موسى الهادي واستبطأه في خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات من بات نائماً . ولكن أخوها من يبيت على رحل

وفي رقعة متصح (سَنظَرُ أَصَدَقَتَّ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) .

وفي قصة محبوبس : يُطَلَّقُ وَيَعْتَقُ .

وفي رقعة مستوصل : يُقَامُ أَوْدُهُ .

وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم

- ٥ أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع في كتابه : أرفع علم الحق يتبعك أهله .

توقيعات المعجم

وقع أردشير في أزمة عمت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملك ورعيته محزونون . ثم أمر ففرق في الكور جميع ما في بيوت الأموال .

- ١٠ ووقع رجل إلى كسرى بن قباد رقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبئت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان : فوقع في أسفل كتابه : إنما أملاك ظاهراً الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأخلص عن الأعمال لا عن السرائر .

- ١٥ ووقع كسرى في رقعة مدح : طوبى للممدوح إذا كان للدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً .

وكتب إليه متصح أن قوماً من بطانته اجتمعوا للمنادمة ، فعابوه وثلبوه ، فوقع : لئن كانوا نطقوا بالسنه شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك أرغب ، ولسانك أكذب .

- ٢٠ ووقع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم ، فوقع : ما أنصفكم من إلى الشكينة أخرجكم . ثم فرق بينهم ما وسعهم وأغنام .
- ووقع أنوشروان إلى صاحب خراجه : ما استغزر الخراج بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور .

ووقع في قصة رجل ظلم منه : لا ينبغي للدك الظلم ومن عنده يلتبس

العدل ، ولا يبخل ومن عنده يُتوقع الجود . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدي الموبذ

ووقع في قصة مجبوس : من ركبَ مأنهَيَ عنه جبل بينه وبين مايشتهى
ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف
كذبه ، فوقع : إن الله خفف ظهرك فثقلته ، وأحسن إليك فكفرته فتب إلى
الله يتبُّ عليك .

ووقع في قصة رجل سعى إليه يبطل : باللسان أحفظ رأسك .
ووقع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظله وأخذ ماله : لاتصلح
العامة إلا ببعض الحيف على الخاصة ؛ فإن كنت صادقاً أجتك جميع ما يملكه .
فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته ١٠

فصول في المودة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرائي إلى محمد بن سهل :
أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد
علبت أنى استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تستدعه ، واعتمدتك من الرغبة
فيك بما لم توله . ١٥

وفصل لأبي علي البصير : قد أكد الله بيننا من الود ما نأمن الدهر على حل
عقده ونقض مراره ، وما يستوى منه نقتنا بأنفسنا لك وثقتنا بما عندك .
وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأناس والثقة ، وبسط
اللسان بالاستزادة ؛ وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي
تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة . ٢٠

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعنا حيلها ، والصناعة تولفنا
أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ في لقاء ، أو تخلاف في مكاتبة ، موضوع بيننا ،
يوجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صبُّ إليك ، سامى الطرف نحوك ، وذكرك
ملصقاً بلساني ، وآسحك حُلُوً على لهواتي ، وشخصك مائلٌ بين عيني ، وأنت أقرب
الناس من قلبي ، وآخذهم بمجامع هواي .

وفصل له : لنحن أحقُّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة ، إلا أنك أحقُّ
بالفضل الذي سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إني أهديت مودتي رغبة إليك ، ورضيت بالقبول
منك مثوبة ، فصرتَ بقبولها قاضياً لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت بالترجع إلى
الهدية ، والتنظر للثوبة ، مرتهن اللسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إني صادفت منك جوهرَ نفسي ، فأنا غير محمود على الانقياد لك
بغير زمام ، لأن النفس يقودها بعضها بعضاً .

وقال أبو العتاهية :

وللقبِ على القلبِ • دليل حين يلقاهُ

وللناس من الناسِ • مقاييسٌ وأشباه

وفصل له : لساني رطبٌ بذكرك ، و [مكانك من قلبي] معمورٌ بمحبتك ،

حضرت أو غبت ، سررت أو أقمت . كقول أخى أبي دلف :

لعمري لئن قررت بقربك أعينٌ • لقد سخنت بالبين منك عيونُ

فيسر أو قف ، وقف عليك مودتي • مكانك من قلبي عليك مَصون

وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كتاب مخبر وسائل ، فأما الإخبار

فمن تصرف الخطوب بما يوجب العذر عند صديق العزيز على في إبطائي بالتعدله ،

وأما السؤال فمن إمساك هذا الأخ الودود الودود عن مثل ذلك وإن العذر

كاشف ما سلف ، مصلح لما استأنف .

فصول في الزيارة

- كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
- نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تُضاحك الشمس حسنا ، قد باتت السماء
تكلها ، فهي شرقة بمائها ، حالية بنوارها ، فبادر إلينا لتكون على سواء من
استمتع بعضنا ببعض ؛ فكتب إليه :
- هذه صفة لو كانت في أقصى الأطراف لوجب انتجاعها ، وحث المطي في
ابتغائها ؛ فكيف في موضع أنت تسكنه ، وتجمع إلى أنيق منظره ، حُسن وجهك
وطيب شمائك ! وأنا الجواب !
- وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه
وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي ؛ فكتب :
- عندي من أنا عنده ، وحجبتنا عليك إعلامنا إياك .
- وفصل : إنه من ظمئ شوقه من رؤيتك ، استوجب الرى من زيارتك .
ثم كتب تحت هذا :
- سر إلينا تفديك نفسى من السوء ، فقد طال عهدنا بالتلاق
واجعلن ذلك - إن رأيت - جوابي ؛ فلقد خفت سطورة الإشتياق
وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرط الحزن من فراقك ،
وظلم الأيام بعدك ؛ وأقول كما قال بعض المحدثين :
- غضارة دنيا أظلم العيش بعدها ، وعند غروب الشمس يُعرف فقدها
- وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت بك كأنها أعياد ، وقصرت كأنها
ساعات - يفوت الصفاء ؛ وبما يجتده ويكثر دواعيه ، تصاقب الديار ، وقرب
الجوار ، ثم الله لنا العمة المجددة فيك ، بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة
معا ، ولا أُنس بعدها .

وفصل : مثلنا أعزك الله في قرب تجاورنا وُبعد تزاورنا ، ما قبل في
أهل القبور :

ثم جيرة الأحياء ، أما سرارهم ه فدان ، وأما الملتقى فبعيد !
وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ، للاشغف بك ، والثقة بحسن
نيتك ؛ وسأخذ بقول أبي قيس بن الأسلت :

ويُكرهها جارؤها فيزئتها ه وتعتل عن إتيانها فتُعذر

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العمر أقل من أن تحتل
الهجر والسلام .

فصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطبة الصديق ؛ لأنها لا تخلو

من أحد وجهين إما ضعف في نفس الاختيار ، وإما ملل ؛ وكلاهما حجة فيه .

وفصل : طال العهد بالاجتماع حتى كدنا تتناكر عند الالتقاء ؛ وقد

جعلك الله للسرور نظاما ، وللأنس تماما ، وجعل المشاهد موحشة إذا
خلت منك .

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر في تراخي اللقاء ه ما توالى من هذه الأنواء

فسلام الإله أهديه منى ه كل يوم لسيد الوزراء

لست أدري ماذا أقول وأشكو ه من سماء تعوقني عن سماء

غير أني أدعو على تلك بالشك ه بل وأدعو لهذه بالبقاء

وقال آخر :

أزور محمداً فإذا التقينا ه تكلمت الضمير في الصدور

فارجع لم ألمه ولم يلني ه وقدرضى الضمير عن الضمير

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص :
 كتابي إليك خططته يميني ، وفزغت له ذهني ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني ،
 أتراني أقبل العذر فيها ، وأقصر في الشكر عليها ؟ وابن أبي الشيص قد عرفته
 ونسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط بیره ما عدانا إلى غيرنا ، فاكف بهذا منا .
 ٥ وفصل : كتابي إليك كتاب مقني بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ،
 ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .
 وفصل : كتب العتابي فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار ، فكتب :
 حامل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا والسلام .

١٠ وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكك إياك
 في أمره ، فإن الصنعة حرمة المصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنعه ، فبسط الله
 يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .
 وفصل له : موصل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا ، وتأمله بعين مشاهدتي
 ومُخَلَّتِي ، فبلسانه أشكر ما أتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول في عتاب

١٥ كتب أحمد بن يوسف :
 لولا حسن الظن بك - أعزك الله - لكان في إغضائك عني ما يقبضني عن
 الطلبة إليك ، ولكن أمسك برهق من الرجاء على برأبك في رعاية الحق ، وبسط
 يدك إلى الذي لو قبضتها عنه ، لم يكن له إلا كرهك مذكراً ، وسوددك شافعا
 ٢٠ فصل : أما بعد البرء من مريض دائره في دوائه ، وعلمته في حبيته ! أنا منك
 كالغاص بالماء لاساغ له .

وكما قال الشاعر :

كنت من كُرْبتي أفرُّ إليهم ، وهم كُرْبتي ، فأين الفرار ؟

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين : عتبي تكون منك ، أو عتبي تغني عنك !

٥ فصل : أما بعد ، فقد كنت لنا كلُّك ، فأجعل لنا بعضك ، ولا نرضى إلا بالكل لك منا .

فصل : أنا أبقى على ودك من عارض يغيره ، أو عتاب يقدر فيه ، وآمل عائدا من حسن رأيك ، يغني عن اقتضائك .

١٠ فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل . لو أن كل من نازع إلى الصرْم قلَّدناه عِنان المجر ، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن تَرُدُّ عليك من نفسك ونأخذ لها منك .

فصل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين :

أما بعد ، فقد عاقتي الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك : ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ؛ فأطمعني أولك في إخائك ، وآيسني ١٥ آخرك من وفائك ؛ فسيحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛ فأقننا على اتلاف أو افرقنا على اختلاف !

٢٠ فصل : إذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد أن جعلته حكما يحيف في حكمته ، فأين الموثل من جورك ؟ ولست أسلك طريقا من العتب عليك إلا شدة ما أنطوى عليه من مودتك ، ولا سبيل إلى شكائك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ، وما أحق من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سبباً !

وقال الشاعر :

تجبتُ لقلبك كيف انقلب ، ومن طول ودك ، أني ذهبُ
وأعجبُ من ذا وذا أنتي . أراك بعين الرضا في الغضب !

وفصل : إن مسألتي إليك حوائجي . مع عتبك على من التزم وإن إمساكي ا
عنها في حال ضرورة إليها مع على بكرمك في السخط والرضا ، لعجز غير أني
أعلم أن أقرب الوسائل في طلب رضاك ، مساؤك ما سنج من الحاجة ؛ إذ كنت
لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

٥ وفصل : لو كانت الشكوك تخلجني في صحة مودتك وكريم إغاثك
ودوام عهدك ، لطلعت عتبي عليك ، في تواتر كني وأحتباس جواباتها عني ؛ ولكن
الثقة بما تقدم عندي ، تعذر وتحمسن ما يقبحه جفاؤك ، والله يديم نعمته
لك ولنا بك .

١٠ وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتفريع اللطيف ؛
فلولا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعت غمماً بعتابك ، الذي لطف
حتى كاد يخني عن أهل الرقة والفطنة ، وغلاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ؛
فلا أعدمى الله رضاك مجازياً به على ما استحقه عتبك ، فأنت ظالم فيه ، فهو
ولى المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : إعتاب الأخ خير من فقهه .

١٥ وقال الشاعر :

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ . ويبقى الود ما بقى العتابُ

وقال آخر في غير هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ . وتعتب في كل يومٍ علياً

طلبت رضاك ، فإن عزى . عددتك ميتاً وإن كنت حياً

٢٠ ولا تُعجبني بما في يديك . فأكثر منه الذي في يديا ا

وفصل في عتاب : العتاب قبل العقاب ؛ فليكن إيقاعك بعد وعيدك ،

ووعيدك بعد وعيدك .

وفصل : قد حميت جانب الأمل فيك ، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلني

اليأس منك إلى العزاء عنك ؛ فإن ترغب من الآن فصصح لا تريب معه ، وإن
تصادبت فهجر لا وصل بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيم أمل فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنباً عظيماً
ولا متممدا ، ولعل فلتة لم ألتى بالا ، فأوطئ لها اعتذارا ، وإلا تكن فنتة
حاسد زخرفها على لسان واث ، نبذها إليك في بعض غزاتك ، أصابت مني مقتلا
وشفت منه غليلا .

وفصل : ليس يُزبئني عن حُسن الظن بك فعل حَمَك الأعداء عليه ، ولا يقطعني
عن رجائك عتب حدث على منك ؛ بل أرجو أن تقاضى كرمك إنجاز وعدك ،
إذ كان أبلغ الشفعاء إليك ، وأوجب الوسائل لديك ،

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعضو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء
على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان ، بل جناه على لسان واث ، فأما قولك : إنك
لا تُسهل سبيل العذر ؛ فأنت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأعرف بالشرف وأحفظ
لذماتمه من أن ترد يد مؤمك صفرأ من عفوك إذا التمه ، ومن عذرك إذا جعل
فضلك شافعا فيه وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت
بالمذنب معذرتة .

وفصل : يا أخى ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر الدهر
عندي ، وأنى معاق في حباتل من لا يعرف موضعي ، ولا يحلوا عنده موقعي ،
أطلب منه الخلاص فيزيدني كلفا ، وأرتجى منه الحق فيزداد به ضنا ، فالثواء ثواء
مقيم ، والنية نية ظاعن والزمامع زمامع مرتحل ؛ ما أذهب إلى ناحية من الحيلة
إلا وجددت من دونها مانعا من العوائق ؛ فأحمل الذنب على الدهر وأرجع إلى الله
بالشكوى ، وأسأله جميل العقبي وحسن الصبر .

فصول في حسن التواصل

- للفُضْلُ أن يخص بفضله من شاء ، وله الحمد فيما أعطى ، ولا حجة عليه فيما منع : وكن كيف شئت ، فإني قد أوليتك خالصة سربرتي ، أرى ببقائك بقاء سروري ، وبدوام النعمة عندك دوامها عندي .
- ٥ فصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك : لأن حسن الظن بالله فيك ، وتأميل نجاح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك .
- وفصل : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعجلت راحة اليأس بمن يجود بالوعد ويضن بالإنجاز ، ويجب أن يفضّل ويزهّد في أن يُفضّل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .
- ١٠ فصل : ضعني - أكرمك الله - من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك . أصاب الله بمعروفك مواضعه ، وبسط بكل خير يدك .
- وفصل : لا أزال - أبقاك الله - أسأل الكتاب إليك ، فرة أتوقف توقف المخفف عنك من المثونة ، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المنة ؛ لا أعدتنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلانا من الصنع لك ؛ فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعماً إلا في ذلك ؛ ولئن كانت الرغبة إلى بشر من الناس خسارة وذلاً ، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزاً ؛ لأنك لا تعرف حراً قعد به دهره ، إلا سبقت مسألته بالعطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة .
- ١٥ فصل : لي عليك حق التأمل والشكر ، بما ابتدأت من المعروف ، ولك عليّ حق الاصطناع والفضل ، والتتويه بالاسم والشكر ؛ وليس يمنعني عليك بزيادة حَقك علي ما أبلغه من شكرك ، من مساملتك المزيد ؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود ، وخرجت من منزلة الإضاعة والتقصير ، وإذ كنت تسمع بالحق عليك ، وتطيب نفسك عن حتمك اليسير ، ولا تكلم أحداً شكرك علي الكثير .
- ٢٠

فصل : لك — أصلحك الله — عندى أيادٍ تشفع لى إلى محبتك ، ومعروف
يوجب عليك الرب والإتمام .

فصل : أنا أسأل الله أن يُجِزَ لى ما لم تزل الفِرَاسَةُ تُعِدُّنِيهِ فِيك .

فصل : قد أَجَلَ اللهُ قَدْرَكَ عن الاعتذار ، وأغناك فى القول عن الاعتلال ،
وأوجب علينا أن نقتنع بما فعلت . ، ونرضى بما أتيت ، وصَلت أو قطعت . ٥

فَسْؤُلُ فِي الشُّكْرِ

كتب محمد بن عبد الملك الزياد كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر
الخراسانى ، فكان فى فصل منه :

لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ،
أو زيادة منتظرة له ، لكنى . ١٠

ثم قال محمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما
وجهٌ حسن .

وفصل للحسن بن وهب : من شَكَرَكَ على درجة رفَعْتَهُ إليها أو ثروة
أَقْدَرْتَهُ إليها ؛ فإن شكركى لك على مهجة أحببَتْها ، وحُشاشَةٍ أَبْقِيَتْها ، ورمق
أَمْسَكْتَ به وَقَمَّتَ بين التلَفِ وبينه ؛ فلكل نعمة من نعم الدنيا حد يُنتهى
إليه ، ومدى يُوقَفُ عنده ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطَّرْفُ ، خلا
١٥ هذه النعمة التى قد فاقت الوصف ، وطالت الشكرَ وتجاوزت قدره . وأنت
من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنت الحسود ؛ فنحن
نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكنف كريم ؛ فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ
جهدُ المجتهد ؟ ٢٠

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مالى ولم تَمُنْ عَلَيَّ بِهِ . وقبلَ رَدِّكَ مالى قد حَقَّنْتَ دِمي
فأينَ مِنْكَ وقد جَلَلْتَنِي نَعَمًا . هـ الحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عُدْمٍ

فلو بَدَلْتُ دَمِي أُبْنِي رِضَاكَ بِهِ . وَالمَالِ حَتَّى أُسَلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَمْتُ . إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَى العُذْرَ عِنْدَكَ لِي . فِيمَا أَتَيْتُ فَلَمْ تَعْتَبْ وَلَمْ تَلَمْ
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي يَحْتَجُّ عِنْدَكَ لِي . مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ .

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وصل كتابك ، فما رأيت
كتاباً أسهل فنوناً ، ولا أملس متوناً ، ولا أكثر عيوناً ، ولا أحسن مقاطع
ومطالع منه : أنجزت فيه عدة الرأي ، وبشرى الفراسة ، وعاد الظن يقيناً ، والأمل
مبلوغاً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فصل : الكلام كثيرة فنونه ، قليلة عيونه ؛ فنه ما يُفكُّ الأسماع ، ويُؤنس
القلوب ، ومنه ما يُحمّل الأذان ثقلاً ، ويملأ الأذهان وحشة .

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا اتهموا إليك أقروا لك
ويتنافسون في المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ؛ فزادك الله وزادنا بك وفيك
وجعلنا من يقبله رأبك ويُقدِّمه اختيارك ؛ ويقع من الأمور بموقع موافقتك ،
ويجري فيها على سبيل طاعتك .

وفصل له : إن من النعمة على المني عليك ، أن لا يخاف الإفراط ، ولا يأمن
التقصير ، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد
فضلك تجاوزها ، ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعي لا يقدم كثرة المشايخين له
والمؤمنين معه .

وفصل : إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عندك ، ويزيدني بصيرة في العلم
بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحقها ، واستوجبها بما فيك من أسبابها ؛ ومن

شأن الأجناس أن تتآلف وشأن الأشكال أن تتعارف ، وكل شيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ونزل في مغربيه ، ضرب بمرقه ، وستمق بفرعه ، وتمسك تمكن الإفاة . وتفتك تفتك الطبيعة .

وفصل : إني فيما أتعاطى من مدحك ، كالخبر عن ضوء النهار الزاهر ، والقمر

- الباهر ، الذي لا يخفى على كل ناظر ؛ وأيقنت أني حيث انتهى بي القول ، منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فأنصرفت من الشاء عليك إلى الدعاء لك ؛ ووكت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وفصل لمحمد بن الجهم : إنك لزم من الوفاء طريقة محمودة ، وعرفت مناقبها

- وشهرت بمحاسنها ؛ فتنافس الإخوان فيك ، يتدرون ودك ، ويتمسكون بمجالك ؛ فن أثبت الله له عندك ودًا فقد وضعتُ حُكته موضع حِرزها .

وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدا استغنى بالقليل من

- الجلاء ، حتى تعود جِدته ويظهر فرندُه ، لئلا طبيعته ، وكرم جوهرة ؛ ولم أضف نفسي لك عجباً ، بل شكرًا .

وفصل له : زاد معروفك عندي عظمًا أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس

- مشهور كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زادَ معروفكَ عندي عِظَمًا . أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْر حَقِير

تَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ . وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

وفصل للعتابي : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل بيتك ،

- المسدود به نلهم ، المجدد به قديم شرفهم ، والمُعيا به أيام سعيهم . وإنه لم يخجل من كنت وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ، ولا آتحت أعلام من خلفته في رتبته .

فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف :

أما بعد ، فإنى لا أعرف للمعروف طريقا أو عرّ من طريقه إليك ، فالمعروف
لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايتك في المعروف أن تحقره ،
وفى وليه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

أما بعد ، فإنى توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ،
فراراً من الفقر ، ورجاءً للغنى ، فازددت بهما بُعداً مما فيك تقربتُ ، وقرباً
مما فيه تبعدت ، وقد قسمتُ اللائمة بينى وبينك ؛ لأنى أخطأت في سؤالك ،
وأخطأت في منعى ؛ أمرتُ باليأس من أهل البخل فسألتهم ، ونهيت عن منع
أهل الرغبة فنعتهم ؛ وفى ذلك أقول :

فررتُ من الفقر الذى هو مُتذركى • إلى بُخْلِ محظورِ التوالِ مَنوعِ
فأعقبنى الحرمانَ غيبَ مطامعى • كذلك من يلقاه غيرَ قنوعِ
وغيرِ بديعٍ منعُ ذى البُخْلِ ماله • كما بذلُ أهلِ الفضلِ غيرِ بديعِ
إذا أنتَ كَشَفْتَ الرجالَ وجدتهم • لإعراضهم من حافِظٍ ومُضيعِ

وفصل لإبراهيم بن المهدي : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت
شين القبيح ، ورأيتك آثرُ القولِ عندك ما يضرُك فكنت فيما كان منك ومنا ،
كما قال زهير بن أبي سلمى :

وذى خطلي في القولِ يحسب أنه • مُصِيبٌ فما يُلِمُّ به فهو قاتله
عبأت له حلياً وأكرمتُ غيره • وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

فصل : إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار ، تميل معهما وتصرف في
آثارهما ؛ وقد كنت أجلُّ مودتك بالمحل النفيس ، وأنزلها بالمنزل الرفيع ، حتى
رأيت ذلك عند القلة ، وضرعتك عند الحاجة ، وتذيرك عند الاستغناء ، واطراحك

لإخوان الصفاء ؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذري في قطيعتك ، عند من يتصفح
أمرى وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى ، ولا ترى القبيح حسنا .

فصل للعتابي : تَأْتَيْنَا إِفَاتِكَ مِنْ سَكَرَتِكَ ، وَتَرْقُبُنَا انْتِبَاهِكَ مِنْ رَقْدَتِكَ ،
وَصَبَرْنَا عَلَى تَجْوَعِ الْغَيْظِ فِيكَ ، حَتَّى بَانَ لَنَا الْيَأْسُ مِنْ خَيْرِكَ ، وَكَشَفَ لَنَا الصَّبْرُ
عَنْ وَجْهِ الْغَلْظِ فِيكَ ؛ فَهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي تَعْدِيكَ لَطَوْرِكَ ،
وَاطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلِظَ فِي اخْتِيَارِكَ .

فصول في الأدب

كتب سعيد بن حميد :

إن من أمارات الحزم صحة الرأي في الرجل : يترك الناس ما لا سبيل إليه ،
إذا كان ذلك داعيةً لغنى لا عزة له ، وشقاء لا درك فيه ؛ وقد سمحت في أمر
١٥ تَخْيِيرِكَ أَوَائِلَهُ عَنْ أَوَاخِرِهِ ، وَيُنْبِيكَ بِدَوِّهِ عَنْ عَوَاقِبِهِ ، لَوْ كَانَ لِهَذَا الْخَيْرِ
الصَّادِقِ مَسْتَمْعٌ حَازِمٌ . وَرَأَيْتُ رَائِدَ الْهَوَى قَدْ مَالَ بِكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ مِيلًا
أَيَّاسٌ مِنْ رَغْبِ فِيكَ ، وَدَلَّ عَدْوُكَ عَلَى مَعَايِكَ ، وَكَشَفَ لَهُ عَنْ مَقَاتِلِكَ ؛
وَلَوْ لَا عَلِمَى بِأَنَّ غَلْظَ النَّاصِحِ يُؤَدِّي إِلَى نَفْعٍ فِي اعْتِقَادِ صَوَابِ الرَّأْيِ ، لَكَانَ غَيْرَ
١٠ هَذَا الْقَوْلِ أَوْلَى بِكَ ، وَاللَّهِ يُوَفِّقُ لِمَا يَجِبُ ، وَيُوَفِّقُ لَكَ مَا تَحِبُّ .

وفصل : أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ؛ فقدم على
نفسك من قدمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين ، كان أحرى أن يُخطئ
في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

٢٥ وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينام دون
الظفر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع لما تلم ، ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق
من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال يرضى بها حز ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مَعْتَمٍ ، وأنا دافع مغرم ، فإن كنت شاكرًا لما مضى ، فاعذر فيما بقي .

وفصل للعتابي : أما بعدُ ، فإن قرييك من قرب منك تحيرُهُ ، وابن عمك من عمك نفعه ، وعشيرك من أحسن عشرتك ، وأهدى الناس إلى مودتك من أهدى بره إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالي - أكرمك الله - في الاغتمام بعلتك حال المشارك فيها بأن ينالني نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل اجتمع على منها أني مخصوص بها دونك ، مؤكّم منها بما يؤلمك ؛ فأنا عليل بمصروف العناية إلى عليل كأنى سليم ؛ فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك ، أن يخصني بما فيك ، فإنها شاملة لي ولك .

وفصل : إن الذي يعلم حاجتي إلى بقائك ، قادرٌ على المدافعة عن حوبائك ؛ فلو قلتُ إن الحق قد سقط عنى في عيادتك لأنى عليل بعلتك ، لقام بذلك شاهد عدلٍ في ضميرك ، وأثرٌ بادي في حالي لنييتك ؛ وأصدق الخبر ما حققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة ، لمّا أغفل قلبى ذكرك ، ولا لسانى فحاصاً عن خبرك فحوص من تقسم جوارحه وصببك ، وزاد في أمها ألمك ؛ ومن اتصل به أحوالك في السراء والضراء ، ولما بلغتني إقامتك كنبت مهنتاً بالعافية ، مُعقياً من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله .

ولاحد بن يوسف : قد أذهب الله وصَبَّ العلة ونصَّبها ، ووفر أجراها

وثوابها ، وجعل فيها من إرغام العدو بعقبها ، أضعاف ما كان عنده من السرور
بقبح أولائها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

٥ يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنيت به فكرتك فإنا هو إلا سعيد يوتر
أوشق يوتر .

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمودَ
السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة ، محمود النقية ، مؤفياً
بما أخذ الله عليه ، مضطماً بما حمله منه ، مؤدياً إلى الله حقه ، مقرراً له
١٠ بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلاً ؛ ولا ينطق إلا فصلاً عبثاً لديه
وأمانته ؛ كافاً ليد ولسانه .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حق الأولياء على السلطان : تنفيذ
أمورهم ، وتقويم أودمهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدم محسنهم ،
ويؤخر مسيئهم ؛ ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم .
١٥ وفصل له : إن من أعظم الحق حق الدين ، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين ؛
فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له حسب مراحاه
الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

وفصل له : إن الله أوجب لخلقائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ،
ولعيده على خلقائه بسط العدل والرأفة ، وإحياء السنن الصالحة ؛ فإذا أدى كلُّ
٢٠ إلى كلِّ حقه ، كان ذلك سبباً لتمام النعمة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ،
ودوام الألفة .

وفصل : ليس من نعمة يجدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة ، إلا اتصلت
برعته عامة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم

شكره عليها : لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتدبيره وذّبه عن دينه حفظ حريمهم ، وبجياطته حقن دماهم وأمن سيلهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مؤيدا بالنصر ، معززا بالتمكين ، موصول بالبقاء للنعم المقيم .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معمود النية بطاعته ، منطوى القلب على مناصحتهم ، مشعوذ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا ، وبرا وبحرا .

وفصل : أفعال الأمير عندنا معسولة كالآمانى ، متصلة كالأيام ؛ ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ، ونواصل الدعاء له مواصلة بره ؛ إنه الناهض بكلنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ، ليس فى واحدة منهما عنر يوجب حجة ولا يزيل لائمة : إما تقصير فى عملك دعائك للإخلال بالحزم والتفريط فى الواجب ، وإما مظاهره لأهل الفساد ومداهمة لأهل الريب ؛ وأية هاتين كانت منك لمحة التكر بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم فى الإعذار والإنذار ؛ وفى حسن ما أقلت من عظيم العثرة ، ما يوجب اجتهادك فى تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدي :

أما بعد ، فإنه عزيز على أن أكذب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ؛ غير أنه بلغنى عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغنى فقليل ما كتبت به كثير لك (١) ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ؛ وقد كتبت فى أشغل كتابي آياتا فتدبرها :

(١) فى بعض الأصول : « فكثير ... قليل » .

- رُكُوبُكَ الْهُوْلَ مَا لَمْ تَلَقَ فِرْصَتَهُ • جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْعَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْوَنِ بِدُنْيَا يَصِيبُ الْمَخْطِئُونَ بِهَا • حَظُّ الْمَصِيبِينَ ، وَالْمَقْرُورُ مَقْرُورٌ
 فَازْرَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَهُ • فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مَصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ • فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورٌ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظَرْتَ بِهِ • قَالُوا جَهْلُونَ أَعَاتَهُ الْمَقَادِيرُ !
- ٥ فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله متم النعم برحمته ، الهادي
 إلى شكره بفضلته ؛ وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ، الذي جمع له من
 الفضائل ما فرقه في الرسل قبله ، وجعل ترائه راجعا إلى من خصه بخلافته ،
 وسلم تسليما .

فصول لعمر بن بحر الجاحظ

١٠

منها فصول في عتاب :

- أما بعد ، فإن المكافأة بالإحسان فريضة ، والتفضل على غير ذوى
 الإحسان نافلة .
- أما بعد فليكن السكوت على لسانك إن كانت العافية من شانك .
- ١٥ أما بعد ، فلا تزهد فيما رغب إليك ، فتكون لحظك معاندا ، وللنعمه جاحداً
 أما بعد ، فإن العقل والهوى ضدان ، فقربن العقل التوفيق ، وقربن الهوى
 الخذلان ، والنفس طالبة ، فبأيهما ظفرت كانت في حزبه .
- أما بعد ، فإن الأشخاص كالأشجار ، والحركات كالأغصان ، والألفاظ كالثمار .
- أما بعد ، فإن القلوب أوعية والعقول معادن ، فما في الوعاء ينفد إذا لم
 يمدّه المعدن .
- ٢٠ أما بعد ، فكفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشرت
 معرفة ، وبذكرك الموت زاجرا .
- أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لذع الغضب ، أهون من إطفائه بالشم والقذع .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولوا الاستعداد للنواب ؛ وما عظمت
نعمة امرئٍ إلا استغرقت الدنيا همته ، ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام
مطايا عمله والآخرة مقيلاً مُرْتَجِلَهُ .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد في الرزق والأجل ، والاستغناء غير
ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلم أمسك ، وقد يستجهل الحليم حتى يستخفه الهجر
أما بعد ، فإن أحببت أن تتم لك المقرة في قلوب إخوانك فاستقل كثيراً
بما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة ، من لطف حتى كلف حرب عدوه
بالصفح والتجاوز ، واستبل حقدَه بالرفق والتحبب .

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه :

أما بعد ، فلو كففت عنا من غربك لكننا أهلاً لذلك منك ، والسلام .
فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبیح .

وله فصول في وصاة :

أما بعد ، فإن أحق من أسعفته في حاجته ، وأجبت إلى طلبته ، من توسل
إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبح الأحدثوة من مستمنح حرمة ، وطلب حاجة رددته ،
ومثار حجته ، ومنبسط إليك قبضته ، ومقبل إليك بعنانه لويت عنه ، فثبتت
في ذلك ولا تطع كل حلافٍ مهين ، هُمّاز مشاء بنميم .

أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك
عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن
رأيك ، ويكون مكافأةً لحقه علينا

أما بعد ، فقد أتانا كتابك في فلان ، وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته

ورعاية حقه ، ونحن من العناية بأسره على ما يُكافئ حرمة ويؤدى شكره .

وله فصول في استنجاز وعد :

أما بعد ، فقد رَسَمْنَا في قيود مواعيدك ، وطال مقامنا في سجون مَطْلَك ،
فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غمها بنعم منك ثمرة أو [لا] مريحة .

أما بعد ، فإن شجر مواعيدك قد أوردت ، فليكن ثمرها سالما من جوائح المظل .
أما بعد ، فإن سحاب وعدك قد برقت ، فليكن وبلها سالما من صواعق
المظل والاعتلال .

وله فصول في الاعتذار :

أما بعد ، فتم البديل من الزلة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الإصرار .

أما بعد ، فإن أحق ما عطفت عليه بحبك من لم يتشفع إليك بغيرك .
أما بعد ، فإنه لا عوض من إغاثك ، ولا خلف من حسن رأيك ، وقد انتقم
مني في زلتى بجفائك ، فأطلق أسير تشوقى إلى لقائك .

أما بعد ، فإننى بمعرقى ببلغ حلك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من
زلتها عندك .

أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذب نفسه بما
يبدو للناس منه .

أما بعد ، فقد مسنى من الألم ما لم يشفيه غير موأصلتك ، مع حبسك الاعتذار
من هفوتك ؛ ولكن ذنبك تغفره مودتك ، فامن علينا بصلتك ، تكن بدلا
من مساءتك ، وعوضا من هفوتك .

أما بعد ، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع
لحنات الإخوان .

أما بعد ، فإن أولى الناس عندى بالصفح ، من أسلمه إلى ملكك التماس رضاك
من غير مقدرة منك عليه .

أما بعد ، فإن كنت ذممتنى على الإساءة ، فلم رضيت لنفسك المكافأة

وله فصول التمازى :

أما بعد ، فإن الماضى قبلك الباقى لك ، والباقى بعدك المآجور فىك (وإِنَّمَا يوفى الصّابرون أَجرهم بغير حساب) .

أما بعد ، فإن فى الله العزاء من كل هالك ، والخلافة من كل مصاب ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة .

أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزع يعقبه الهلع ؛ فتمسك بحظك من الصبر ، تتل به الذى تطلب ، وتدرك به الذى تأمل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظا ، ولذوى الألباب زاجرا ؛ فعليك بالتلاوة تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية .

صدور إلى خليفة

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده ، وأيده وأصلح به ، وعلى يديه .
أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر ، وأيده بالنصر فى دوام نعمته ، وحاط
الرعية بطول مدته .

صدور إلى ولى عهد

منّ الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعل الجليل ،
وأنس بولايته المؤمنين .

مد الله للأمير النعمة ، وأسعد بطول عمره الأمة ، وجعله غياثا ورحمة .
أكل الله له الكرامة ، وحاطه بالنعمة والسلامة ، ومنّ به الخاصة والعامة .
منع الله بسلامتك أهل الحرمة ، وجمع لك شمل الأمة ، واستعملك بالراقة والرحمة

صدور إلى والى شرطة

أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيدك بالثبوت ،
ووقفك للصواب .

- أرشدك الله بالتوفيق ، وأنطقك بالصواب ، وجعلك عصمة للدين ، وحصناً للمسلمين
 أعانك الله على ما قلدك ، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فملك .
 سدّدك الله وأرشدك ، وأدام لك فضل ما عودك .
 رادك الله شرفاً في المنزلة ، وقدرًا في قلوب الأئمة ، وزلفه عند الخليفة .
 نصر الله بعدلك المظلوم ، وكشف بك كربة الملهوف ، وأعانك على أداء الحقوق .

صدور إلى قاض

- أهملك الله الحجة ، وأيدك بالثبوت وردّ بك الحقوق .
 أهملك الله الاعتصام بحبله بالعلم ، والثبوت في الحكم .
 أهملك الله الحكمة وفضل الخطاب ، وجعلك إماماً لنوى الألباب .
 زين الله بفضلك الزمان ، وأنطق بشكرك اللسان ، وبسطيدك في اصطناع المعروف .
 أدام الله لك الإفضال ، وحقق فيك الآمال .

صدور إلى عالم

- جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة ، وسبيلاً إلى النجاة ، وزلفه عند الله .
 نفع الله بعلمك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المتجرّمين ، وأوضح بك سنن
 الدين ، وشرائع المسلمين .
 أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمنك
 مكروه العواقب .

صدور إلى إخوان

- منع الله أبصارنا برؤيتك ، وقلوبنا بدوام أنفك ، ولا أخلاننا من جميل
 عشرتك ، ووهب لك من كريم نفسك ، بحسب ما تنطوى عليه مودتك ، وأبهج
 الله إخوانك بقربك وجمع ألفتهم بالأنس بك ، وصرف الله عن ألفتنا عواقب
 القدر ، وأعاد صفواً إخواننا من المكدر ، وجعلنا بمن أنعم الله عليه فشكر .

- مَنْ اللهُ عَلَيْنَا بِطَوْلِ مَدَّتِكَ ، وَأَنْسَ أَيَّامَنَا بِمَوَاصِلِكَ ، وَهَنَا نَا النِّعْمَةَ بِسَلَامَتِكَ .
 قَرَّبَ اللهُ مِنَّا مَا كُنَّا نَأْمَلُ مِنْكَ ، وَجَمَعَ شَمْلَ السَّرُورِ بِكَ .
 نَزَّ اللهُ بِقَرْبِكَ الْقُلُوبَ ، وَبَرَّوَيْتِكَ الْإِبْصَارَ ، وَبِحَدِيثِكَ الْأَسْمَاعَ .
 أَقْبَلَ اللهُ بِكَ عَلَيَّ أَوْذَانِكَ . وَلَا ابْتِلَامَ بِطَوْلِ جَفَائِكَ .
 أزال اللهُ حَرَدَنَا مِنْ قَتُورِكَ عَنَا ، وَرَغَبْنَا عَنْكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي أُمُورِنَا .
 حَفِظَ اللهُ لَنَا مِنْكَ مَا أَوْحَشْنَا فَقْدَهُ ، وَرَدَّ إِلَيْنَا مَا كُنَّا نَأْلَفُهُ وَنَعْمَهُ .
 رَحِمَ اللهُ فَاقَةَ الْحَيْنِ إِلَيْكَ ، وَمَا بِي مِنْ تَبَارِيحِ الْحَزَنِ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَ حَرَمَنَا
 مِنْكَ الشَّفِيعَ لَدَيْكَ .
 يَسِّرَ اللهُ لَنَا مِنْ صَفْحِكَ مَا يَسَعُ تَقْصِيرَنَا ، وَمَنْ حَلَمِكَ مَا يَرُدُّ سَخَطَكَ عَنَا .
 زَيْنَ اللهُ أَلْفَتَنَا بِمَعَاوِدَةِ صِلَتِكَ ، وَاجْتِمَاعَنَا بِزِيَارَتِكَ .
 أَعَادَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ إِخَائِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ مَا يَكُونُ مَعْهُدًا مِنْكَ بِالْوَفَاءِ لَكَ .

صدور في عتاب

- أَنْصَفَ اللهُ شَوْقَنَا إِلَيْكَ مِنْ جَفَائِكَ لَنَا ، وَأَخَذَ لِيْرًا بِكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ عَنَا .
 وَكُتِبَ "مَعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَبَلَّغَهُ عَنْهُ أَمْرٌ : وَقَفَّكَ اللهُ لِرَشْدِكَ ؛
 بَلَّغْنِي كَلَامَكَ ، فَإِذَا أَوَّلُهُ بَطَرٌ ، وَآخِرُهُ خَوْرٌ ؛ وَمَنْ أَبْطَرَهُ الْغَنَى أَذَلَّهُ الْفَقْرُ ، وَهَمَّا
 ضِدَانِ مَخَادِعَانَ لِلْبَرِّ مِنْ عَقْلِهِ ، وَأَوَّلِي النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ الدَّوَاءِ مِنْ يَبِينِ لَهُ الدَّاءُ ، وَالسَّلَامُ .
 فَأَجَابَهُ : طَاوَلْتُكَ النِّعْمَ وَطَاوَلْتُ بِكَ ؛ عَلُوْا إِنْصَافَكَ يُوْمِنُ سَطْوَةَ جَوْرِكَ ؛
 ذَكَرْتُ أَنِّي نَطَقْتُ بِمَا تَكْرَهُ وَأَنَا مَخْدُوعٌ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مَلْتُ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَلَمْ
 أَخْدَعْ ، وَمِثْلَكَ شُكْرٌ مَسْعَى مُعْتَدِرٌ ، وَعَفَا زَلَّةَ مُعْتَرِفٍ .

٢٠ تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، ويليهِ إن شاء الله الجزء الخامس
 وأوله : كتاب المسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم

(١) يلاحظ أن هذا وما بعده ليس من فصول الجاحظ .

صفحة	صفحة
٥٨ قولم في الدين . قولم في النوادر والملح .	١٢ كتاب المسجدة في كلام الأعراب
٦٤ قولم في التلصص . قولم في الطعام .	خالد بن صفوان وأعرابي .
٦٩ أخبار أبي مهدية الأعرابي .	٣ قول الأعراب في الدعاء . لعمر بن عبد العزيز :
٧٠ خبر أبي الزهراء ٧٥ لبعض الأعراب .	٤ لأعرابي في الطواف ٥ لأعرابي بعرفات
٧٦ الرشيد ، الأصمعي .	٦ لأعرابي بنمي . لآخر في فلاة .
٨٥ كتاب المجنبة في الأجوبة	٨ لأعرابية تودع ابنها . لأعرابي مات ابنه .
٧٨ جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه .	قولم في الرقائق .
٨٠ جواب ابن عباس لمعاوية وأصحابه .	٩ لأعرابي في حزنه على ولده . لآخر في ذهاب
٨١ ابن أبي مليكة في ابن عباس .	شبابه . لآخر في تحول جسمه . لآخر في الكبر
٨٣ ابن عباس وابن العاص .	١٠ لأعرابي في القطيعة . لآخرين في تغير الديار .
٨٥ مجاوية بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير	١١ لأعرابية ترى ابنها . لأعرابي في وصف بلد .
٨٩ ابن الزبير ومعاوية .	قولم في الاشتطعام . معن بن زائدة وأعرابي .
٩٠ مجاوية الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه .	١٢ المهدي وأعرابية في الطواف . بين عتبة بن أبي
٩٢ مجاوية بين معاوية وأصحابه .	سفيان وأعرابي .
٩٣ مجاوية بين بنى أمية . ٩٥ الجواب القاطع .	١٣ أعرابي أغير على إبله . بين خالد القسري وأعرابي .
٩٧ مجاوية الأمراء والرد عليهم . معاوية وابن قدامة	١٤ ابن طوق وأعرابي .
٩٨ معاوية والاحنف . معاوية وعدى . الاحنف	١٥ أعرابي في حلقة بونس
وشامى لعن عليا .	١٦ لأعرابية مع عبد الرحمن بن أبي بكر . شعر
٩٩ معاوية وعقيل في أمر علي .	لبعض الأعراب .
١٠٠ معاوية وابن الخطل . معاوية وخريم الناعم .	١٧ الأصمعي يروي بعض أخبار الأعراب .
عبد الملك وعطاء . المضحك	١٨ هشام وأعرابي .
١٠١ عبد الملك بن مروان وابن ظبيان . هشام بن	١٩ المأمون وأعرابي . أعرابي في مجاعة .
عبد الملك وزيد بن علي	٢٠ قولم في المواعظ والزهد . هشام وأعرابي .
عمر بن الخطاب وأبو مریم .	لأعرابي بعض أخاه . ٢٢ لابن عباس .
١٠٣ معاوية والآنصار .	٢٣ أخبار متفرقة الأعراب . ٣٠ قولم في المدح .
١٠٤ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير . الرشيد	٣٥ قولم في الذم . قولم في الغزل .
وابن مزيريد . المأمون وابن أكرم	٤٤ قولم في الخيل . ٤٧ قولم في القيث .
١٠٥ عتبة بن عبد الرحمن وخالد القسري .	٤٩ قولم في البلاغة والإيجاز .
عمر بن الخطاب وابن العاص .	٥٠ قولم في حسن التوقيع وحسن التشبيه .
١٠٦ عمر بن الخطاب وابن العاص .	٥٢ قولم في المناكح . ٥٧ قولم في الإعراب .
١٠٧ ابن الجارود وابن العاص .	

- ١٠٨ جواب في هزل . المغيرة وأعرابي يثاكلة . ابن عتبة وإبراهيم بن عبدالله في حضرة هشام .
- ١٠٩ مسلمة بن عبد الملك وموسوس . النخعي والأعشى . ابن أسماء في سخن الكوفة .
- ١١٠ هشام بن القاسم والفرزدق .
- ١١١ خالد بن صفوان والفرزدق . معن بن زائدة وابن عباس المتوفى .
- ١١٢ حسان وعائشة . الحجاج وابن ظبيان .
- ١١٣ خالد بن يزيد والحجاج . وهب بن منبه . ولهي . يزيد بن منصور وابن مزيد . الفرزدق وعبد الجبار والمجاشعي .
- ١١٤ ابن صفوان وابن جعفر . معاوية وابن عامر جواب في نحر . الأبرش وخالد بن صفوان
- ١١٥ هشام وقوم من اليمن . الحجاج وعبد الملك . عبد الرحمن بن خالد ومعاوية الزبير وعثمان بن عفان
- ١١٦ احمد بن يوسف وابن الفضل . زياد ومعاوية قريش وقيس . عتبة وأعرابي .
- ١١٧ فيروز ورميلة . بن مسمع وشقيق . قتيبة بن مسلم وهبيرة
- ١١٨ أجوبة لابن أبي دواد جواب في تفحش .
- ١١٩ موسى بن مصعب وامرأة مدنية يونس النحوي ورجل من الأزدي . بين أعرابيين
- ١٢٠ للفرزدق . بين جرير والفرزدق .
- ١٢١ الفرزدق ومسجد الأحامرة . بين الجاهل والضعيف
- ← كتاب الواسطة في الخطب
- لابن عبد ربه . عبد الملك وابن سلة .
- ١٢٣ لمعاوية في زياد . لابي دواد . بشر بن المعتمر وابن جبلة .
- ١٢٤ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
- ١٢٦ خطب أبي بكر .
- ١٢٩ خطب عمر بن الخطاب .
- ١٢٣ خطبة عثمان بن عفان . خطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- ١٢٤ خطب معاوية .
- ١٢٥ يزيد بن معاوية بعد موت أبيه .
- ١٢٤ خطبة لعبد الملك بن مروان . خطبة للوليد بن عبد الملك .
- ١٢٥ خطبة لسليمان بن عبد الملك ومعن . خطب عمر بن العزيز .
- ١٢٦ خطبة لعبد الله بن الأهمم بين يدي عمر بن عبد العزيز
- ١٢٩ خطبة ليزيد بن الوليد .
- ١٢٠ خطبة للسفاح بالشام . ومن خطب المنصور .
- ١٢٢ خطبة لسليمان بن علي . خطبة لعبد الملك بن صالح
- ١٢٣ خطب لصالح بن علي . ومن خطب داود بن علي .
- ١٢٤ خطبة المهدي . ١٢٥ خطبة هارون الرشيد من خطب المأمون
- ١٢٧ من خطب عبدالله بن الزبير
- ١٢٢ الخطبة لبرام زياد ١٢٥ خطب لجامع المحاربي من خطب الحجاج
- ١٢٦ من خطب الحجاج
- ١٢٤ خطب لظاهر ابن الحسين . خطبة عبدالله بن طاهر . خطبة قتيبة بن مسلم .
- ١٢٦ خطبة ليزيد بن المهلب . خطبة قس بن ساعدة الإيادي
- ١٢٧ خطبة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل
- ١٢٨ خطبة لعبد الله بن مسعود . خطبة لعنتبة بن مروان من خطب عمرو بن سعيد الأشدق
- ١٢٩ خطب للأحنف بن قيس . خطبة ليوسف بن عمر . خطبة لشداد بن أوس الطائي .
- خطبة لخالد بن عبدالله القسري
- ١٢٢ خطبة لمصعب بن الزبير . خطبة للنعمان بن بشير
- ١٢٣ خطبة لشيب بن شيبه . من خطب لعنتبة بن أبي سفيان

٢٥٨	توقيع عبد الملك بن مروان . توقيع الولد وسليمان بن عبد الملك	١٩٧	من خطب الخوارج . خطبة لقطرى بن النجاة في ذم الدنيا
٢٥٩	توقيعات عمر بن عبد العزيز	١٩٩	من خطب ابن أبي حمزة
٢٦٠	توقيعات يزيد بن عبد الملك . توقيعات هشام بن عبد الملك	٢٠٢	من أرتج عليه في خطبه
٢٦٠	توقيعات مروان بن محمد .	٢٠٤	خطب النكاح ٢٠٦ خطب الأعراب
٢٦٢	السفاح . توقيعات المنصور .	٢٠٧	خطبة لعل كرم الله وجهه
٢٦٤	المهدي . توقيعات موسى الهادي .	٢١٠	كتاب المجنبه الثانية
٢٦٥	هارون الرشيد . ٢٦٦ المأمون .	لابن عبد ربه . لثبي صلى الله عليه وسلم	
٢١٧	الأمراء والكبراء . توقيعات زياد .	٢١١	أزل من وضع الكتابة
٢٦٩	الحجاج بن يوسف . توقيعات أبو مسلم	٢١٢	الكتابة في الإسلام
٢٧٠	توقيعات جعفر بن يحيى .	٢١٣	استفتاح الكتب . ختم الكتاب وعنوانه
٢٧١	الفضل بن سهل . ٢٧٢ الحسن بن سهل	٢١٤	تأريخ الكتاب تفسير : الأئمة
٢٧٢	طاهر بن الحسين . ٢٧٤ المعجم .	٢١٥	شرف الكتاب وفضلهم . كتاب النبي ﷺ
٢١٥	فصول في المودة .	٢١٧	كتاب أبي بكر رضي الله عنه
٢٧٧	في الزيادة .	٢١٨	كتاب عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .
٢٧٩	في وصاة . فصول في عتاب .	كتاب نبي أمية	
٢٨٢	في التنصل .	٢١٩	كتاب بني العباس ٢٢١ من كتب لغير الخلفاء
٢٨٣	في حسن التواصل .	٢٢٢	أشراف الكتاب
٢٨٤	في الشكر .	٢٢٤	من نيل بالكتابة وكان قبل عاملا . من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحها
٢٨٥	في البلاغة . فصول من المدح .	٢٢٥	صفة الكتاب
٢٨٧	في الذم . ٢٨٨ في الأدب	٢٢٦	ما ينبغي للكاتب أن يأخذه نفسه
٢٨٩	إلى عليل .	٢٢٩	خبر حائك الكلام
٢٩٠	إلى خليفة وأمير .	٢٣٧	فضائل الكتابة . ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز
٢٩٢	لعمرو بن بحر الجاحظ .	٢٤١	البلاغة . تعريف العلماء للبلاغة
٢٩٥	صدور إلى خليفة . صدور إلى ولي عهد صدور إلى والي شرطة .	٢٤٢	تضمن الأسرار في الكتب
٢٩٦	صدور إلى قاض . صدور إلى عالم .	٢٤٣	قولم في الأفلام ٢٥١ قولم في الجد
٢٩٧	صدور إلى إخران .	٢٥٢	قولم في الصحف
		٢٥٦	توقيعات الخلفاء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
		٢٥٧	توقيع معاوية رضي الله عنه . توقيع يزيد ابنه

